

تَارِيحُ الْعَلَامَةِ ابْنُ خَلْدُون

كتابُ الْعَبَرِ وَدِيَانِ الْمُبْنَدِ وَالْحَجَرِ
فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْبَرِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ
مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ
وَهَوَاتِ تَارِيخِ وَحِيدِ عَصْرِهِ
الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ خَلْدُونِ الْمَغْرِبِيِّ



دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري
القاهرة

I.S.B.N. 977 - 238 - 047 - 8

دار الكتاب اللبناني شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول تلخون، ٧٧٧٢٦١ - ٧٧٧٢٦٢ - فاكسميلي ٢٧٧٢٦٢ (٩٦١) برقيا، المكانيان - ص.ب. ٧٧٧٢٠ - بيروت - لبنان FAX: (9811) 361433 ATT.: MR. HASSAN EL-ZEN	جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للنشر	دار الكتاب المصري ٢٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ج. تلخون، ٢٩٧٢٠١ / ٢٩٧٢٠٢ - فاكسميلي ٢٩٧٢٦٥٧ (٢٠٢) ص.ب. ٧٧١ - الرمز البريدي ٧٧١ - برقيا، كتامصر FAX: (202) 3824857 ATT.: MR. HASSAN EL-ZEN
---	--	--

طبعة مزينة ومنقحة

١٩٩٩ م
A.D. 1999

١٤٢٠ هـ
H. 1420

المجلد الثالث



القسم الأول

من تاريخ العلامة ابن خلدون

رولة بني أمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كان لبني عبْدِ مُنَافٍ في قُرَيْشٍ جُمْلٌ من العدد والشرف .
لا يناهضهم فيها أحد من سائر بطون قريش . وكان فخذاهم بنو أُمِيَّةَ
وبنو هاشم حياً جميعاً ينتمون لعبد مناف وينسبون اليه . وقريش
تعرف ذلك وتسأل لهم الرياسة عليهم ، إلا أنَّ بني أُمِيَّةَ كانوا أكثر
عدداً من بني هاشم وأوفر رجلاً ، والعِزَّةُ إنما هي بالكثرة ، قال الشاعر :
وإنما العِزَّةُ للكثير .

وكان لهم قبيل الاسلام شرف معروف ، انتهى إلى حرب
ابن أُمِيَّةَ ، وكان رئيسهم في حرب الفِجَارِ . وحدثت الإخباريون أنَّ
قريشاً تواقعوا ذات يوم ، وحربٌ هذا مسند ظهره إلى الكعبة ،
فتبادر اليه غلطة منهم ينادون يا عم أدرك قومك ، فقام يجرُّ إزاره
حتى أشرف عليهم من بعض الربا ، ولوح بطرف ثوبه اليهم أن تعالوا
فبادرت الطائفتان اليه بعد أن كان حمي وطيهم .

ولما جاء الإسلام دهش الناس لما وقع من أمر النبوة والوحي وتنزل الملائكة ، وما وقع من خوارق الأمور ، ونسي الناس أمر العصبية مسلمهم وكافرهم . أما المسلمون فنهاهم الإسلام عن أمور الجاهلية كما في الحديث أَنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيَّةَ^(١) الجاهلية وفخرها لاننا وأنتم بنو آدم ، وآدم من تراب . وأما المشركون فشغلهم ذلك الأمر العظيم عن شأن العصائب ، وذهلوا عنه حيناً من الدهر .

ولذلك لما افترق أمر بني أمية وبني هاشم بالإسلام . انما كان ذلك الافتراق بحصار بني هاشم في الشعب لا غير . ولم يقع كبير فتنة لاجل نسيان العصبية والذهول عنها بالإسلام ، حتى كانت الهجرة وشرع الجهاد . ولم يبق إلا العصبية الطبيعية التي لا تفارق وهي بغزة الرجل على أخيه وجاره في القتل والعدوان عليه ، فهذه لا يذهبها شيء ولا هي محظورة ، بل هي مطلوبة ونافعة في الجهاد والدعاء إلى الدين . ألا ترى إلى صفوان بن أمية وقوله عندما انكشف المسلمون يوم حنين ، وهو يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسلم ، فقال له أخوه ألا بطل السحر اليوم ؟ فقال له صفوان اسكت ! فض الله

(١) بهامش نسخة: غيبة بالغين المعجمة أي الافتخار بالأباء وغير ذلك من أمور العصبية اهـ.

فَاك لَأَنَّ يُرَبِّنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرَبِّنِي ^(١) رَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ.

ثم ان شرف بني عبد مناف لم يزل في بني عبد شمس وبني هاشم . فلما هلك أبو طالب وهاجر بنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمزة كذلك . ثم من بعده العباس ، والكثير من بني عبد المطلب ، وسائر بني هاشم ، خلا الجو حينئذ من مكان بني هاشم بمكة ، واستغلظت رياسة بني أمية في قريش . ثم استحكمتها مشيخة قريش من سائر البطون في بَدْرٍ وهلك فيها عظماء بني عبد شمس : عُتْبَةُ وَرَبِيعَةُ وَالْوَلِيدُ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيطٍ وَغَيْرِهِمْ . فاستقلَّ أَبُو سُفْيَانَ بِشَرَفِ بَنِي أُمِيَّةٍ وَالتَّقَدُّمُ فِي قُرَيْشٍ ، وَكَانَ رَأْسَهُمْ فِي أَحَدٍ وَقَائِدَهُمْ فِي الْأَحْزَابِ وَمَا بَعْدَهَا .

ولما كان الفتح قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم لما أسلم أبو سفيان ليلتئذ . كما هو معروف ، وكان صديقاً له يا رسول الله ! إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ . فَاجْعَلْ لَهُ ذِكْرًا ، فَقَالَ مِنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ . ثُمَّ عَلَى قُرَيْشٍ بَعْدَ أَنْ مَلَكَهُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَقَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ وَأَسْلَمُوا . وَشَكَتْ مَشِيخَةُ قُرَيْشٍ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ مَا وَجَدُوهُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّخَلُّفِ عَنْ رَتَبِ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ . وَمَا بَلَغَهُمْ مِنْ كَلَامِ عُمَرَ فِي تَرْكِهُ شُورَاهُمْ ،

(١) هكذا: ولعلها يربيني .

فاعتذر لهم أبو بكر وقال : أدركوا اخوانكم بالجهاد ، وأنفذهم لحروب الردة ، فأحسنوا الغناء عن الاسلام وقوموا الأعزّاب عن الحيف والميل . ثم جاء عمر فرمى بهم الروم ، وأرغب قُرَيْشاً في النفير إلى الشام ، فكان معظمهم هنالك . واستعمل يزيد بن أبي سفيان على الشام . وطال أمد ولايته إلى أن هلك في طاعون عَمَوَّاس سنة ثمان عشرة ، فولى مكانه أخاه معاوية وأقره عثمان من بعد عمر ، فاتصلت رياستهم على قريش في الاسلام برياستهم قبيل الفتح التي لم تُحلَّ صبغتها ولا ينسى عهدها أيام شغل بني هاشم بأمر النبوة ، ونبذوا الدنيا من أيديهم بما اعتاضوا عنها من مباشرة الوحي وشرف القرب من الله برسوله . وما زال الناس يعرفون ذلك لبني أمية . وانظر مقالة حنظلة بن زياد الكاتب لمحمد بن أبي بكر : أن هذا الأمر ان صار الى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف . ولما هلك عثمان واختلف الناس على علي كانت عساكر علي أكثر عدداً لمكان الخلافة والفضل ، إلا أنها من سائر القبائل من ربيعةَ ويَمَنَ وغيرهم . وجموعُ مُعَاوِيَةَ إنما هي جند الشام من قريش شوكة مضر وبأسهم ، نزلوا بثغور الشام منذ الفتح ، فكانت عصبيته أشدَّ وأمضى شوكة . ثم كسر من جناح علي ، ما كان من أمر الخوارج وشغله بهم ، إلى أن ملك معاوية وخلع الحسن نفسه ، واتفقت الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة احدى وأربعين عندما نسي الناس شأن النبوة والخوارج ، ورجعوا إلى

أمر العصبية والتغالب ، وتعين بنو أمية للغلب على مضر وسائر العرب ،
ومعاوية يومئذ كبيرهم .

فلم تتعدّه الخلافة ولا ساهمه فيها غيره ، فاستوت قدمه
واستفحل شأنه ، واستحكمت في أرض مصر رياسته وتوثق عقده .
وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ، ينفق من بضاعة السياسة
التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدأً من أهل الترشيح
من وُلِدَ فاطمةً وبني هاشم وآل الزبير وأمثالهم ، ويصانع رؤوس
العرب وقروم مضر بالاغضاء والاحتمال والصبر على الأذى والمكروه .
وكانت غايته في الحلم لا تدرك ، وعصابته فيها لا تنزع ، ومراقاته
فيها تزلُّ عنها الاقدام .

ذكر أنه مازح عديّ بن حاتم يوماً يؤنبه بصحبة علي ،
فقال له عديّ : والله إن القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا ،
وإن السيوف التي قاتلناك بها لعلّ عواتقنا ، ولئن أدنيت إلينا من
الغدر شبراً لندينّ إليك من الشرِّ باعاً ، وإن حَزَّ الحلقوم ، وحشجة
الحيزوم^(١) ، لَأَهْوَنَ علينا من أن نسمع المساءة في عليٍّ ، فشم
السيف يا معاوية يبعث السيف . فقال معاوية هذه كلمات حق
فاكتبوها ، وأقبل عليه ولاطفه وتحادثا ، وأخباره في الحلم كثيرة .

(١) قوله وحشجة النخ : قال المجد : والحشجة الغرغرة عند الموت تردد النفس اهـ . وقوله الحيزوم ، قال المجد
أيضاً : وكأمر ، الصدر أو وسطه كالحيزوم فيها ، جمعه أحزمة وحزم اهـ .

بَعَثَ مُعَاوِيَةَ الْعَمَّالَ إِلَى الْأَمْصَارِ

لما استقل معاوية بالخلافة عام عدم الجماعة بعث العمال إلى الأمصار ، فبعث على الكوفة المغيرة بن شُعْبَةَ . ويقال انه وُلِّيَ عليها أَوَّلًا عبدالله بن عمرو بن العاص ، فأتاه المغيرة منتصباً ، وقال عمرو بمصر وابنه بالكوفة فأنت بين نابي أسد ، فعزله وولى المغيرة . وبلغ ذلك عمراً فقال لمعاوية : يختان المال فلا تقدر على رده ، فعد فاستعمل من يخافك . فنصب المغيرة على الصلاة ، وولى على الخراج غيره ، وكان على القضاء شُرَيْح .

ولما ولى المغيرة على الكوفة استعمل كُثَيْرَ بن شهاب على الري ، وأقره زياد بعده . وكان يغزو الديلم . ثم بعث على البصرة بِسْرَ بن أَرْطَاطَ ، وكان قد تغلب عليها حمران بن زيد عند صلح الحسن مع معاوية ، فبعث بِسْرًا عليها فخطب الناس وتعرض لعلي . ثم قال . نشدت الله رجلاً يعلم أنني صادق أو كاذب ، ولا صدقني أو كذبني . فقال أبو بَكْرَةَ : اللهم لا نعلمك إلا كاذباً ، فأمر به فخنق . فقام أبو لَوْلُؤَةَ الضَّبِّيُّ فدفع عنه . وكان على فارس من أعمال البصرة زياد بن أبيه . وبعث اليه معاوية يطلبه في المال فقال : صرفت بعضه في وجهه ، واستودعت بعضه للحاجة اليه ، وحملت ما فضل إلى أمير المؤمنين رحمه الله . فكتب اليه معاوية بالقدوم لينظر في

ذلك ، فامتنع . فلما وَلِيَ بِسْرٌ عَلَى البصرة جمع عنده أولاد زياد والاكابر عبد الرحمن وعبدالله وعَبَّاد ، وكتب اليه لتقدمنَّ أو لَأَقْتَلَنَّ بنيك فامتنع واعتزم بِسْرٌ على قتلهم ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرَةَ وَكَانَ أَخَا زِيَادٍ لِأُمِّهِ فَقَالَ : أَخَذْتَهُمْ بِلا ذَنْبٍ .

وصالح الحسن على أصحاب علي حيث كانوا ، فَأَمَّهُلَهُ بِسْرٌ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بِكِتَابِ مُعَاوِيَةَ . ثُمَّ قَدِمَ أَبُو بَكْرَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَبَايَعُواكَ عَلَى قَتْلِ الْأَطْفَالِ ، وَإِنَّ بِسْرًا يَرِيدُ قَتْلَ بَنِي زِيَادٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِتَخْلِيَتِهِمْ وَجَاءَ إِلَى البصرة يوم المهاد ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَى سَاعَةٍ وَهُمْ مُوْتَقُونَ لِلْقَتْلِ فَأَدْرَكَهُمْ وَأَطْلَقَهُمْ انْتَهَى .

ثُمَّ عَزَلَ مُعَاوِيَةَ بِسْرًا عَنِ البصرة ، وَأَرَادَ أَنْ يُولِيَ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَامِرٍ إِنَّ لِي بِالْبصرة أَمْوَالًا وَوَدائعَ ، وَإِنْ لَمْ تَوْلِنِي عَلَيْهَا ذَهَبْتُ . فَوَلَّاهُ وَجَعَلَ إِلَيْهِ مَعَهَا خُرَاسَانَ وَسِجِسْتَانَ . وَقَدِمَهَا سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ فَوَلِيَ عَلَى خُرَاسَانَ قَيْسَ ابْنَ الْهَيْثَمِ السَّلَمِيِّ ، وَكَانَ أَهْلُ بَلْخٍ وَبَادَغِيسَ وَهَرَاةَ وَبُوشَنجَ قَدْ نَضَوْا ، فَسَارَ إِلَى بَلْخٍ وَحَاصَرَهَا حَتَّى سَأَلُوا الصَّلْحَ وَرَاجَعُوا الطَّاعَةَ . وَقِيلَ لِنَمَّا صَالِحَهُمُ الرِّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ عَلَى مَا سِيَأْتِي .

ثُمَّ قَدِمَ قَيْسُ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ فَضْرِبَهُ وَحَبَسَهُ وَوَلَّى مَكَانَهُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ حَازِمٍ ، وَقَدِمَ خُرَاسَانَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَهْلَ هَرَاةَ وَبَادَغِيسَ وَبُوشَنجَ فِي الْأَمَانِ وَالصَّلْحِ فَأَجَابَهُمْ وَحَمَلَ لِابْنِ عَامِرٍ مَالًا انْتَهَى . ثُمَّ وَلِيَ

معاوية سنة اثنتين وأربعين على المدينة مروان بن الحَكَم وعلى مكة خالد بن العاص بن هشام . واستقضى مروان عبد الله بن الحرث ابن نَوْفَل ، وعزل مروان عن المدينة سنة تسع وأربعين ، وولى مكانه سعيد بن العاص ، وذلك لثمان سنين من ولايته . وجعل سعيد على القضاء ^(١) ابن عبد الرحمن مكان عبد الله بن الحرث ثم عزل معاوية سعيد سنة أربع وخمسين ورد إليها مروان .

قوم زياد : وكان زياد قد امتنع بفارس بعد مقتل علي كما قدمناه ، وكان عبد الرحمن ابن أخيه أبي بكرة يلي أمواله بالبصرة ، ورفع إلى معاوية أَنَّ زياداً استودع أمواله عبد الرحمن ، فبعث إلى المغيرة بالكوفة أن ينظر في ذلك ، فأحضر عبد الرحمن وقال له : ان يكن أبوك أساء إليَّ فقد أحسن عمك ، وأحسن العذر عند معاوية .

ثم قدم المغيرة على معاوية فذكر له ما عنده من الوجل باعتصام زياد بفارس فقال : داهية العرب معه أموال فارس يدبر الحيل ، فما آمن أن يبايع لرجل من أهل البيت ، ويعيد الحرب خدعة ، فاستأذنه المغيرة أن يأتيه ويتلطف له ثم آتاه وقال : انَّ معاوية

(١) يياض بالأصل وقال الطبري : وكان على قضاء المدينة لمروان فيما زعم الواقدي حين عزل ، عبد الله بن الحارث بن نوفل . فلما ولي سعيد بن العاص عزله عن القضاء واستقضى أبا مسلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

بعثني اليك وقد بايعه الحسن ولم يكن هناك غيره ، فخذ لنفسك قبل أن يستغني معاوية عنك . قال أشر عليّ والمستشار مؤتمن . فقال : أرى أن تشخص اليه . وتصل حبلك بحبله ، وترجع عنه . فكتب اليه معاوية بأمانه .

وخرج زياد من فارس نحو معاوية ، ومعه المنجّابُ بن رابِدِ الضَّبِّي وَحَارِثَةُ بن بَدْرِ الغَدَّانِي ، واعترضه عبد الله بن حازم في جماعة ، وقد بعثه ابن عامر ليأتيه به . فلما رأى كتاب الأمان تركه ، وقدم على معاوية ، فسأله عن أموال فارس ، فأخبره بما أنفق وبما حمل إلى عليٍّ وبما بقي عنده مودعاً للمسلمين ، فصدّقه معاوية وقبضه منه . ويقال : انه قال له أخاف أن تكون مكروباً بي فصالحني فصالحه على ألفي ألف درهم بعث بها اليه ، واستأذنه في نزول الكوفة فأذن له . وكان المغيرة يكرمه ويعظمه ، وكتب اليه معاوية أن يلزم زياداً وَحِجْرَ بن عَدِيٍّ وَسَلَيْمَانَ بن صُرْدَ وسيف بن رَبِيعي وابن الكوّاء وابن الحميق بالصلاة في الجماعة فكانوا يحضرون معه الصلوات .

عمال ابن عامر على الثغور : لما ولي ابن عامر على البصرة استعمل عبد الرحمن بن سُمُرَةَ على سِجِسْتَانَ ، فأثاها وعلى شُرْطَتِهَا عَبَّادُ بن الحُصَيْنِ ، ومعه من الأشراف عُمَرُ بن عُيَيْدِ الله بن مَعْمَر وغيره . وكان أهل البلاد قيد كفروا . ففتح أكثرها حتى بلغ

كأبل ، وحاصرها أشهراً ، ونصب عليها المجانيق حتى ثلم سورها ، ولم يقدر المشركون على سد الثلثة . ويات عبّاد بن الحسين عليها يطاعنهم إلى الصبح ، ثم خرجوا من الغد للقتال فهزمهم المسلمون ودخلوا البلد عنوة اه .

ثم سار إلى نَسَفَ فملكها عنوة ، ثم إلى حَسَكَ فصالحه أهلها ، ثم إلى الرَّجَحِ فقاتلوه وظفر بهم وفتحها اه . ثم إلى زَابُلِسْتَانَ وهي غَزَنَةُ وأعمالها ، ففتحها ثم عاد إلى كأبل وقد نكت أهلها ففتحها اه . واستعمل على ثغر الهند عبدالله بن سوارِ العبدي ، ويقال بل ولّاه معاوية من قبله فغزا التيعان فأصاب مغنماً ، ووفد على معاوية وأهدى له من خيولها ، ثم عاد الى غزوهم فاستنجدوا بالترك وقتلوه ، وكان كريماً في الغاية . يقال : لم يكن أحد يوقد النار في عسكره ، وسأل ذات ليلة عن نار رآها ف قيل له خبيص يصنع لنفساء ، فأمر أن يطعم الناس الخبيص ثلاثة أيام .

واستعمل على خراسان قيس بن الهيثم ، فتغافل بالخراج والهدنة فولى مكانه عبد الله بن حاتم . فخاف قيساً وأقبل ، فزاد بن عامر غضباً لتضييعه الثغر وبعث مكانه رجلاً من يَشْكُرُ وقيل أَسْلَمَ بن زَرَعَةَ الكلابي اه .

ثم بعث عبدالله بن حازم ، وقيل ان ابن حازم قال لابن عامر ان قيساً لا ينهض بخراسان ، وأخاف ان لقي قيس حرباً أن ينهزم

ويفسد خراسان ، فكتب لي عهداً ان عجز عن عدو قمت مقامه . فكتب وخرجت خارجة من طَخَارِسْتَانَ فَأشار ابن حازم عليه أن يتأخر حتى يجتمع عليه الناس ، فلما سار غير بعيد أخرج ابن حازم عهده ، وقام بأمر الناس وهزم العدو . وبلغ الخبر الى الأمصار فغضبت أصحاب قيس ، وقالوا خدع صاحبنا ، وشكوا الى معاوية فاستقدمه ، فاعتذر فقبل منه ، وقال له أقم في الناس بعذرک ففعل اه . وفي سنة ثلاث^(١) وأربعين توفي عمرو بن العاص بمصر فاستعمل معاوية عبدالله ابنه .

عزل ابن عامر : وكان ابن عامر حليماً ليناً للسفهاء ، فطرق البصرة الفساد من ذلك . وقال له زياد جرد السيف ، فقال : لا أصلح الناس بفساد نفسي . ثم بعث وفداً من البصرة الى معاوية فوافقوا عنده وفد الكوفة ، ومنهم ابن الكوا ، وهو عبدالله بن أبي أوفى اليشكري . فلما سألهم معاوية عن الأمصار أجابه ابن الكوا بعجز ابن عامر وضعفه ، فقال معاوية : تكلم على أهل البصرة وهم حضور ، وبلغ ذلك ابن عامر فغضب وولى على خراسان

(١) قوله وفي سنة ثلاث الخ هذا يخالف ما ذكره الميداني في مجمع الأمثال قال : ليس هذا من كيسك ، يضرب

لمن يرى منه ما لا يمكن أن يكون هو صاحبه . وأصل هذا أن معاوية لما أراد المباينة ليزيد دعا عمرأ فعرض عليه البيعة فامتنع فتركه معاوية ولم يستقص عليه . فلما اعتل معاوية العلة التي توفي فيها دعا يزيد وخلا به وقال له : إذا وضعت سريري على شفير حفرتي فادخل أنت القبر ومر عمرأ يدخل معك فإذا دخل فاخرج واخترط سيفك ومره لييايئك فإن فعلت وإلا فادفنه قبلي ففعل ذلك يزيد فبايع عمر وقال ما هذا من كيسك ولكنه من كيس الموضوع في اللحد فذهبت مثلاً اهـ .

من أعداء ابن الكوا عبد الله بن أبي شيخ اليشكري ، أو طفيل
ابن عوف ، فسخر منه ابن الكوا لذلك وقال : وددت أنه ولي
كل يشكري من أجل عداوتي . ثم ان معاوية استقدم ابن عامر ،
فقدم وأقام أياماً فلما ودعه قال : اني سائلك ثلاثاً ، قال هن لك ،
قال ترد علي عملي ولا تغضب ، وتهب لي مالك بغرفة ودورك
بمكة ، قال : قد فعلت . قال وصلتك رحم ، فقال ابن عامر واني
سائلك ثلاثاً : ترد علي عملي بعرفة ولا تحاسب لي عاملاً ، ولا تتبع
لي أثراً وتنكحني ابنتك هنداً . قال قد فعلت ! ويقال إن معاوية
خيره بين أن يرده على اتباع أثره وحسابه بما سار اليه ، أو يعزله
ويسوغه ما أصاب . فاختار الثالثة فعزله وولى مكانه الحرث بن
عبد الله الاسدي .

استخلاف زياد : كانت سُمَيَّةُ أم زياد مولاة للحرث بن كِنْدَةَ
الطبيب ، وولدت عنده أبا بَكْرَةَ ، ثم زوجها بمولى له ، وولدت
زياداً . وكان أبو سفيان قد ذهب إلى الطائف في بعض حاجاته
فأصابها بنوع من أنكحة الجاهلية . وولدت زياداً هذا ونَسَبُهُ ^(١)
إلى أبي سفيان وأقر لها به ، إلا أنه كان بخفية ، ولما شب زياد سميت
به النجابة . واستكتبه أبو موسى الأشعري وهو على البصرة ،
واستكفاه عُمَرُ في أمر فحسن منار دينه ، وحضر عنده يعلمه بما

(١) كذا . ولعلها نسبه .

صنع ، فأبلغ ما شاء في الكلام . فقال عمرو بن العاص - وكان حاضراً - لله هذا الغلام ، لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه . قال أبو سفيان وعليٌّ يسمع : والله إني لأعرف أبياه ومن وضعه في رحم أمه ، فقال له علي : اسكت فلو سمع عمر هذا منك كان اليك سريعاً . ثم استعمل عليٌّ زياداً عليّ فارس فضبطها وكتب اليه معاوية يتهدده ، ويعرض له بولادة أبي سفيان إياه فقام في الناس فقال : عجباً لمعاوية ^(١) يخوفني دين ابن عم الرسول في المهاجرين والانصار . وكتب اليه عليّ إني وليتك وأنا أراك أهلاً وقد كان من أبي سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النفس ، لا توجب ميراثاً ولا نسباً . ومعاوية يأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام اه . ولما قتل عليٌّ وصالح زياد معاوية ، وضع مُصْقِلَةَ بن هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي علي معاوية ليعرض له بنسب أبي سفيان ففعل ، ورأى معاوية أن يستميله باستلحاقه ، فالتمس الشهادة بذلك ممن علم لحقوق نسبه بأبي سفيان ، فشهد له رجال من أهل البصرة والحقه ، وكان أكثر شيعة علي ينكرون ذلك وينقمونه علي معاوية حتى أخوه أبو بكر

وكتب زياد إلى عائشة في بعض الأحيان من زياد بن أبي سفيان يستدعي جوابها بهذا النسب ليكون له حجة ، فكتبت

(١) وفي بعض الروايات : لابن أكلة الأكباد .

اليه : من عائشة أم المؤمنين إلى ابنها زياد . وكان عبدالله بن عامر يبغض زياداً ، وقال يوماً لبعض أصحابه من عبد القيس : ابن سمية يقبح آثاري ويعترض عمالي لقد هممت بقسامة من قريش أن أبا سفيان لم يرَ سميّة . فأخبر زياد بذلك . فأخبر به معاوية . فأمر حاجبه أن يرده من أقصى الابواب وشكا ذلك إلى يزيد ، فركب معه فأدخله على معاوية ، فلما رآه قام من مجلسه ودخل إلى بيته . فقال يزيد نقعد في انتظاره ، فلم يزالا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول ، وقال إني لا أتكثر بزياد من قلة ، ولا أتعزز به من ذلة ، ولكن عرفت حق الله فوضعت موضعه فخرج ابن عامر وترضى زياداً ورضى له معاوية .

ولاية زياد البصري

كان زياد بعد صلح معاوية واستلحاقه نزل الكوفة ، وكان يتشوّف الامارة عليها . فاستثقل المغيرة ذلك منه فاستعفى معاوية من ولاية الكوفة فلم يعفه . فيقال انه خرج زياد الى الشام ، ثم انّ معاوية عزل الحرث بن عبدالله الازدي عن البصرة وولى عليها زياداً سنة خمس وأربعين ، وجمع له خراسان وسجستان . ثم جمع له السند والبحرين وعمان ، وقدم البصرة فخطب خطبته البتراء وهي معروفة . وإنما سميت البتراء لأنه لم يفتتحها بالحمد والثناء ، فحذرهم في خطبته ما كانوا عليه من الانهماك في الشهوات

والاسترسال في الفسق والفضلال ، وانطلاق أيدي السفهاء على الجنائيات ، وانتهاك الحرم وهم يدنون منهم ، فأطال في ذلك . غنّهم ووبخهم وعرفّهم ما يجب عليهم من الطاعة ، من المناصحة والانقياد للأمة . وقال لكم عندي ثلاث : لا أحتجب عن طالب حاجة ، ولو طرّقني ليلاً . ولا أحبس العطاء عن أباية^(١) ولا أجرّ البعوث . فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الأيّهم أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . قال كذبت ذلك نبيّ الله داود .

ثم استعمل على شرطته عبد الله بن حُصَيْن ، وأمره أن يمنع الناس من الولوج بالليل . وكان قد قال في خطبته لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه . وكان يأمر بقراءة سورة البقرة بعد صلاة العشاء مؤخرة . ثم يمهّل بقدر ما يبلغ الرجل أقصى البصرة . ثم يخرج صاحب الشرطة فلا يجد أحداً إلا قتله ، وكان أوّل من شدّد أمر السلطان وشيد الملك ، فجردّ السيف وأخذ بالظنة ، وعاقب على الشبهة^(٢) ، وخافه السفهاء والدُّعَار ، وأمن الناس على أنفسهم ومتاعهم ، حتى كان الشيء يسقط من يد الانسان فلا يتعرّض له أحد حتى يأتي صاحبه فيأخذه ، ولا يغلق أحد بابيه ، وأدرّ العطاء واستكثر من الشرط فبلغوا أربعة آلاف . وسئل في اصلاح السائِلَةِ فقال حتى

(١) لعلها: أباية.

(٢) ويعد أول من أعلن الأحكام العرفية في الإسلام.

أصلح المضر . فلما ضبطه أصلح ما وراءه ، وكان يستعين بعدة من الصحابة منهم عمران بن حصين ولاء قضاء البصرة فاستغفى ، فولى مكانه عبدالله بن فضالة الليثي ، ثم أخاه عاصماً ، ثم زرارة بن أوفى وكانت أخته عند زياد ، وكان يستعين بأنس بن مالك ، وعبد الرحمن بن سُمرة ، وسمرة بن جندب . ويقال إن زياداً أول من سَيرَ بين يديه بالجِراب والعُمد ، واتخذ الحرس رابطة ، فكان خمسمائة منهم لا يفارقون المسجد . ثم قسم ولاية خراسان على أربعة فولى على مرو أمين بن أحمد اليشكري ، وعلى نيسابور خَليد بن عبدالله الحنفي ، وعلى مرو الروذ والعاربات والطالقان قيس بن الهيثم . وعلى هراة وبادهيس وبوشنج نافع بن خالد الطائي . ثم إن نافعاً بعث اليه بجواد باهر غنمه في بعض وجوهه ، وكانت قوائمه منه ، فأخذ منها قائمة وجعل مكانها أخرى ذهباً ، وبعث الجواد مع غلامه زيد وكان يتولى أموره ، فسعى فيه عند زياد بأمر تلك القائمة ، فعزله وحبسه ، وأغرمه مائة ألف كتب عليه بها كتاباً ، وقيل ثمانمائة ألف . وشفع فيه رجال من الأزد ، فأطلقه . واستعمل مكانه الحكم بن عمرو الغفاري ، وجعل معه رجالاً على الجباية منهم أسلم بن زُرعة الكلابي . وغزا الحكم طخارستان ، فغنم غنائم كثيرة . ثم سار سنة سبع وأربعين إلى جبال الغور ، وكانوا قد ارتدوا ، ففتح وغنم وسبى وعبر النهر في ولايته الى ما وراءه . فملاّه غارة . ولما رجع من غزاة الغور مات بمرو ، واستخلف على عمله أنس بن

أبي أياس بن رُبَيْن ، فلم يرضه زياد . وكتب إلى خليفه بن عبد الله الحنفي بولاية خراسان ، ثم بعث الربيع بن زياد المحاربي في خمسين ألفاً من البصرة والكوفة .

مواقف الشام : ودخل المسلمون سنة اثنتين وأربعين إلى بلاد الروم ، فهزموهم وقتلوا جماعة من البطارقة ، وأثخنوا فيها . ثم دخل بسر بن أرطاة أرضهم سنة ثلاث وأربعين ، ومشى بها وبلغ القُسطنطينية . ثم دخل عبد الرحمن بن خالد وكان على حمص ، فشتى بهم وغزاهم بسر تلك السنة في البحر . ثم دخل عبد الرحمن إليها سنة ست وأربعين فشتى بها ، وشتى أبو عبد الرحمن السبيعي على انطاكية . ثم دخلوا سنة ثمان وأربعين ، فشتى عبد الرحمن بانطاكية أيضاً ، ودخل عبدالله بن قيس الفزاري في تلك السنة بالصائفة . وغزاهم مالك بن هُبيرة اليشكري في البحر وعقبة بن عامر الجهني في البحر أيضاً بأهل مصر وأهل المدينة . ثم دخل مالك بن هبيرة سنة تسع وأربعين فشتى بأرض الروم ، ودخل عبدالله بن كرز الجيلي بالصائفة ، وشتى يزيد بن ثمره الرهاوي في بلاد الروم بأهل الشام في البحر . وعقبة بن نافع بأهل مصر كذلك .

ثم بعث معاوية سنة خمسين جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم مع سُفْيَان بن عوف ، وندب يزيد ابنه معهم فتناقل فتركه . ثم بلغ

الناس أَنَّ الغزاة أَصابهم جوع ومرض ، وبلغ معاوية أَنَّ يزيد أَنشد في ذلك :

ما إِنَّ أَبالي بما لَاقَتْ جُمُوعُهُمْ بِالْفَدْفَدِ البِيدِ من حُمى ومن شومِ
إِذا اتطأتُ على الأنماطِ مرتَفِقا بِدِيرِ مُرَّانَ عِنْدِي أُمُّ كُلثُومِ

وهي امرأته بنت عبدالله بن عامر ، فحلف ليلحقن بهم فصار في جمع كثير ، جمعهم اليه معاوية . فيهم ابن عباس وابن عامر وابن الزبير وأبو أيوب الانصاري ، فأوغلوا في بلاد الروم وبلغوا القُسْطَنْطِينِيَّةَ وقاتلوا الروم عليها . فاستشهد أبو أيوب الأنصاري ، ودفن قريبا من سورها . ورجع يزيد والعساكر إلى الشام ثم شتى فضالة بن عبيد بأرض الروم سنة احدى وخمسين وغزا بسر بن أرطاة بالصائفة .

وفاة المغيرة : توفي المغيرة وهو عامل على الكوفة سنة خمسين بالطاعون ، وقيل سنة تسع وأربعين ، وقيل سنة احدى وخمسين ، فولى مكانه معاوية زيادا وجمع له المصريين . فصار زياد اليها واستخلف على البصرة سُمرة بن جُنْدُب . فلما وصل الكوفة خطبهم ، فحصبوه على المنبر . فلما نزل جلس على كرسي وأحاط أصحابه بأبواب المسجد يأتونه بالناس يستحلفهم على ذلك . ومن لم يحلف حبسه . فبلغوا ثمانين واتخذ المقصورة من يوم حبس . ثم بلغه عن أوفى ابن حسين شيء فطلبه ، فهرب ثم أخذه فقتله . وقال له عَمارة بن

عُثْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْحَكَمِ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ شِيعَةُ عَلِيٍّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ زِيَادَ وَنَهَاهُ عَنِ الْجَمْعِ عِنْدَهُ . وَقَالَ لَا أُبَيِّحُ أَحَدًا حَتَّى يَخْرُجَ عَلِيٌّ ، وَأَكْثَرَ سَمَرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ الَّتِي بِالبَصْرَةِ . يَقَالُ قَتَلَ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ زِيَادٌ هـ .

كان عمرو بن العاص قبل وفاته يستعمل عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ عَلَى أَفْرِيقِيَّةٍ ، وَهُوَ ابْنُ خَالَتِهِ ، انْتَهَى إِلَى لُؤَاتَةٍ وَمِرَاثَةٍ ، فَأَطَاعُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَغَزَاهُمْ وَقَتْلَ وَسِيٍّ . ثُمَّ افْتَتَحَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ غَدَامِسَ . وَفِي السَّنَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَدَّانَ وَكُورًا مِنْ كُورِ السُّودَانِ ، وَأَثَخَنَ فِي تِلْكَ النُّوَاحِي ، وَكَانَ لَهُ فِيهَا جِهَادٌ وَفَتْوحٌ . ثُمَّ وَلَّاهُ مُعَاوِيَةُ عَلَى أَفْرِيقِيَّةٍ سَنَةَ خَمْسِينَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ عَشْرَةَ آلَافٍ فَارْسَ ، فَدَخَلَ أَفْرِيقِيَّةً وَانْضَافَ إِلَيْهِ مُسْلِمَةُ الْبَرْبَرِ ، فَكَبَّرَ جَمْعَهُ وَوَضَعَ السِّيفَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا جَاءَتْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ أَسْلَمُوا ، فَإِذَا رَجَعُوا عَنْهُمْ ارْتَدَوْا . فَرَأَى أَنَّ يَتَّخِذَ مَدِينَةً يَعْتَصِمُ بِهَا الْعَسَاكِرُ مِنَ الْبَرْبَرِ ، فَاخْتَطَّ الْقَيْرَوَانَ وَبَنَى بِهَا الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ ، وَبَنَى النَّاسَ مَسَاكِنَهُمْ وَمَسَاجِدَهُمْ ، وَكَانَ دَوْرُهَا ^(١) ثَلَاثَةَ آلَافٍ بَاعَ وَسِتْمِائَةَ بَاعَ ، وَكَمَلَتْ فِي خَمْسِ سِنِينَ وَكَانَ يَغْزُو وَيَبْعَثُ السَّرَايَا لِلْغَارَةِ وَالنَّهْبِ ، وَدَخَلَ أَكْثَرَ الْبَرْبَرِ فِي الْإِسْلَامِ . وَاتَّسَعَتْ نَخْطَةُ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَسَخَ الدِّينُ .

(١) الظاهر أنها جمع دارة، إذ من جملة معانيها محل الجامع للبناء والعرضه . وجمعها : دارات ودور .

ثم ولى معاوية على مصر وافريقية مَسْلَمَةَ بن مُخَلِّد الأنصاري ، واستعمل على افريقية مولاة أبا المهاجر ، فأساء عزل عقبة واستخف به ، فسير ابن مخلد الانصاري عقبة إلى معاوية . وشكا اليه ، فاعتذر له ووعدته برده إلى عمله ، ثم ولّاه يزيد سنة اثنتين وستين .

وذكر الواقدي أَنَّ عقبة وليَ افريقية سنة ست وأربعين ، فاخطب القَيْرَوَانَ ، ثم غزله يزيد سنة اثنتين وستين بأبي المهاجر . فحينئذ قبض على عقبة وضيق عليه ، فكتب اليه يزيد يبعثه اليه وأعادته والياً على افريقية ، فحبس أبا المهاجر إلى أن قتلهم جميعاً كسلة ملك البرانس من البربر كما نذكر بعد .

كان المَغِيرَةُ بن شُعْبَةَ أيام إمارته على الكوفة كثيراً ما يتعرّض لَعَلِّيٍّ في مجالسه وخطبه ، ويترحم على عثمان ويدعو له . فكان حِجْرُ ابن عَدِيٍّ إذا سمعه يقول : بلایاکم قد أضلَّ الله ولعن . ثم يقول أنا أشهد أَنَّ من تَدْمُونُ أَحَقُّ بالفضل ، ومن تَزْكُونُ أَحَقُّ بالدم . فبعث له المغيرة يقول : يا حِجْرُ اتق غضب السلطان وسطوته ، فانها تُهْلِكُ أمثالك لا يزيده على ذلك .

ولما كان آخر أَمارة المغيرة قال في بعض أيامه مثل ما كان يقول ، فصاح به حِجْرُ ثم قال له : مر لنا بأرزاقتنا فقد حبستها منا وأصبحت مولعاً بدم المؤمنين ، وصاح الناس من جوانب المسجد

صدق حجر فمر لنا بأرزاقنا . فالذي أنبت فيه لا يجدي علينا نفعاً . فدخل المغيرة إلى بيته وعذله قومه في جراءة حجر عليه يوهن سلطانه ، ويسخط عليه معاوية . فقال لا أحب أن آتي بقتل أحد من أهل مصر . وسيأتي بعدي من يصنع معه مثل ذلك فيقتله .

ثم توفي المغيرة وولي زياد . فلما قدم خطب الناس وترحم على عثمان ولعن قاتليه . وقال حجر ما كان يقول ، فسكت عنه ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، وبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة عليّ ويعلنون بلعن معاوية والبراءة منهم ، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث . فشخص إلى الكوفة حتى دخلها ، ثم خطب الناس وحجر جالس يسمع ، فتهذده وقال لست بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر . وأودعه تكالاً لمن بعده . ثم بعث إليه فامتنع من الإجابة . فبعث صاحب الشرطة شدّاد بن الهيثم الهلالي إليه جماعة . فسبهم أصحابه .

فجمع زياد أهل الكوفة وتهذدهم فتبرؤوا . فقال ليدع كل رجل منكم عشيرته الذين عند حجر ففعلوا ، حتى إذا لم يبق معه إلا قومه . قال زياد لصاحب الشرطة : انطلق إليه فأت به طوعاً أو كرهاً . فلما جاء يدعوه امتنع من الإجابة ، فحمل عليهم وأشار إليه أبو العَمَرِطَةَ الكِنْدِي بأن يلحق بكِنْدَةَ فمنعوه . هذا وزياد على

المنبر ينتظر . ثم غشيهم أصحاب زياد وضرب عمرو بن الحمق ، فسقط ودخل في دور الأزد ، فاخفى وخرج حجر من أبواب كندة ، فركب ومعه أبو العمرطة إلى دور قومه ، واجتمع اليه الناس ولم يأت من كندة إلا قليل .

ثم أرسل زياد وهو على المنبر مَذْحِجَ وَهْمَدَانَ لِيَأْتُوهُ بِحَجَرٍ ، فلما علم أنهم قصدوه تسرب من داره إلى النخع ، ونزل على أخي الاشتري . وبلغه أن الشرطة تسأل عنه في النخع . فأتى الأزد واختفى عند ربيعة بن ناجد ، وأعيأهم طلبه . فدعا حجر محمد بن الأشعث أن يأخذ له أماناً من زياد حتى يبعث به إلى معاوية ، فجاء محمد ومعه جرير بن عبد الله ، وحجر بن يزيد وعبد الله بن الحرث أخو الأشتر ، فاستأمنوا له زياداً فأجابهم . ثم أحضروا حجراً فحبسه وطلب أصحابه ، فخرج عمرو بن الحمق إلى الموصل ومعه زُوَاعَةُ بْنُ شَدَّادٍ ، فاخفى في جبل هناك .

ورفع أمرهما إلى عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ابن أخت معاوية ، ويعرف بابن أم الحكم . فسار اليهما وهرب زواعة ، وقبض على عمرو ، وكتب إلى معاوية بذلك . فكتب اليه أنه طعن عثمان سبعاً بمشاقص كانت معه فاطعنه كذلك فمات في الأولى والثانية . ثم جدّ زياد في طلب أصحاب حجر وأتى بِقُبَيْصَةَ بْنِ ضُبَعَةَ الْعَبْسِيِّ بِأَمَانٍ فحبسه . وجاء قَيْسُ بْنُ

عَبَادُ الشُّبَّانِي بِرَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَصْحَابِ حَجْرٍ ، فَأَحْضَرَهُ زِيَادٌ وَسَأَلَهُ عَنْ عَلِيٍّ فَأَتْنِي عَلَيْهِ ، فَضْرِبَهُ وَحَبَسَهُ . وَعَاشَ قَيْسُ بْنُ عَبَادٍ حَتَّى قَاتَلَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ فِي الْكُوفَةِ وَسَعَى بِهِ إِلَى الْحِجَاجِ فَقَتَلَهُ .

ثُمَّ أَرْسَلَ زِيَادًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلِيفَةَ الطَّائِي مِنْ أَصْحَابِ حَجْرٍ فَتَوَارَى ، وَجَاءَ الشَّرْطُ فَأَخَذُوهُ . وَنَادَتْ أُخْتُهُ الْفَرَارُ بِقَوْمِهِ فَخَلَصُوهُ . فَأَخَذَ زِيَادُ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ : ائْتِنِي بِعَبْدِ اللَّهِ وَخَبِرْهُ جَهْرَةً فَقَالَ آتِيكَ بِابْنِ عَمِي تَقْتُلُهُ ؟ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْهُ فَحَبَسَهُ ، فَتَكَرَّكَ ذَلِكَ النَّاسُ وَكَلَمُوهُ وَقَالُوا تَفْعَلُ هَذَا بِصَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَبِيرِ طِيءٍ قَالَ : أَخْرَجَهُ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ ابْنُ عَمَةٍ عَنِّي فَأَطْلَقَهُ وَأَمَرَ عَدِيَّ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَلْحَقَ بِجَبَلِ طِيءٍ فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى مَاتَ .

وَأُتِيَ زِيَادُ بَكْرِيمُ بْنُ عَفِيفٍ الْخَثْعَمِيُّ مِنْ أَصْحَابِ حَجْرٍ وَغَيْرِهِ . وَلَا جَمْعَ مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ فِي السِّجْنِ دَعَا رُوُوسَ الْأَرْبَاعِ يَوْمَئِذٍ^(١) وَهُمْ عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ عَلَى رُبْعِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَخَالِدُ ابْنِ عَرْفَطَةَ عَلَى رُبْعِ تَمِيمٍ وَهَمْدَانَ ، وَقَيْسُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى رُبْعِ رُبَيْعَةٍ ،

(١) هُنَا بَيَاضٌ بِالْأَصْلِ وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْكَامِلِ : «وَجَمَعَ زِيَادٌ مِنْ أَصْحَابِ عَدِيٍّ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا فِي السِّجْنِ ثُمَّ دَعَا رُؤَسَاءَ الْأَرْبَاعِ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ . . . وَيُظْهِرُ مَا تَقَدَّمَ أَنَّ الْعِبَارَةَ تَامَةٌ وَلَيْسَ مَكَانُ الْبَيَاضِ شَيْءً .

وكندة وأبو بردة بن أبي موسى على ربيع مذحج وأسد . فشهدوا كلهم أن حجراً جمع الجموع ، وأظهر شتم معاوية ، ودعا إلى حربته . وزعم أن الأمر لا يصلح إلا في الطالبيين . ووُثب بالمصر ، وأُخرج العامل ، وأظهر غدر أبي تراب والترحم عليه ، والبراءة من عدوه وأهل حربته ، وأنّ النفر الذين معه وهم رؤوس أصحابه على مقدّم رأيه .

ثم استكثر زياد من الشهود ، فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة والمنذر بن الزبير وعمارة بن عقبة بن أبي معيط ، وعمر بن سعد ابن أبي وقاص وغيرهم . وفي الشهود شريح بن الحرث وشريح ابن هانيء . ثم استدعى زياد وائل بن حجر الحضرمي وكثير بن شهاب ودفع اليهما حجر بن عدي وأصحابه وهم : الأرقم بن عبدالله الكندي ، وشريك بن شدّاد الحضرمي ، وصيفي بن فضيل الشيباني ، وقُبَيْصَةَ بن ضُبَيْعَةَ العَبْسِيّ ، وكريم بن عفيف الخثعمي ، وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سميّ البجلي ، وكرام بن حبان العنزي ، وعبد الرحمن بن حسان العنزي ، ومُحَرِّز بن شهاب التميمي ، وعبدالله بن حَوِيَّة السعدي . ثم اتبع هؤلاء الاحد عشر بَعْتَبَةَ بن الأخنس من سعد بن بكر ، وسعد بن غوات الهمداني ، وأمرهما أن يسيرا إلى معاوية . ثم لحقهما شريح بن هانيء ودفع كتابه الى معاوية بن وائل .

ولما انتهوا إلى مرج غدراء^(١) قريب دمشق تقدّم ابن وائل وكثير إلى معاوية ، فقرأ كتاب شريح وفيه : بلغني أنّ زياداً كتب شهادتي ، وأني أشهد على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، حرام الدم والمال ، فإن شئت فاقبله أو فدعه . فقال معاوية ما أرى هذا إلا أخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج غدراء حتى لحقهم عتبة بن الأَخنس ، وسعد بن غوات اللذين ألحقهما زياد بهما . وجاء عامر بن الأسود العُجيلي إلى معاوية فأخبره بوصولهما ، فاستوهب يزيد بن أسد البجلي عاصماً وورقاء ابني عمه . وقد كتب يزيد يزيكهما ويشهد ببراءتهما ، فأطلقهما معاوية . وشفع وائل بن حجر في الأرقم ، وأبو الأعور السلمي في ابن الأَخنس ، وحبيب بن سلمة في أخويه فتركهم . وسأله مالك بن هُبيرة السكوني في حجر فردّه . فغضب وحبس في بيته .

وبعث معاوية هذبة بن فياض القُضاعي ، والحسين بن عبد الله الكلابي ، وأبا شريف البدري إلى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله ، فأتوهم وعرض عليهم البراءة من علي ، فأبوا وصلوا عامة ليلتهم . ثم قدموا من الغد للقتل . وتوضأ حجر وصلى وقال : لولا أن يظنوا بي الجزع من الموت لاستكثرت منها . اللهم إنّنا

(١) في الكامل لابن الأثير: «مرج غدراء».

نستعديك على أمشاء أهل الكوفة ، يشهدون علينا ، وأهل الشام يقتلوننا .

ثم مشى اليه هَذْبَةُ بن فَيَاضَ بالسيف ، فارتعد . فقالوا كيف وأنت زعمت أنك لا تجزع من الموت ؟ فابراً من صاحبك وندعك . فقال ومالي لا أجزع وأنا بين القبر والكفن ، والسيف . وان جزع من الموت لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة معه وهم : شَرِيكُ بن شَدَّاد ، وصيفي بن فَضِيل ، وَقُبَيْصَةُ بن حَنِيفَةَ ، ومُحَرِّز بن شهاب . وكرام بن حبان ودفنوهم وصلوا عليهم بعد الرحمن بن حسان العنزي ^(١) وجيء بكريم بن الخثعمي إلى معاوية فطلب منه البراءة من علي فسكت . واستوهبه سُمرَةُ بن عبدالله الخثعمي من معاوية فوهبه له . على أن لا يدخل الكوفة ، فنزل إلى الموصل . ثم سأل عبدالرحمن بن حسان عن علي فأثنى خيراً . ثم عن عثمان فقال : أول من فتح باب الظلم ، وأغلق باب الحق . فردّه إلى زياد ليقتله شر قتلة فدفنه حياً وهو سابع القوم .

وأما مالك بن هُبَيْرَةَ السكوني فلما لم يشفعه معاوية في حجر ، جمع قومه وسار ليخلصه وأصحابه . فلقي القتلة وسألهم ، فقالوا :

(١) هذه العبارة غير منسجمة وفي الكامل لابن الأثير: «وإني والله إن جزع من القتل لا أقول ما يسخط الرب فقتلوه وقتلوا ستة . فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم الخثعمي : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته» .

مات القوم . وسار إلى عَدِيّ فتيقن قتلهم فأرسل في أثر القَتَلَةِ فلم يدركوهم ، وأخبروا معاوية فقال : تلك حرارة يجدها في نفسه وكأني بها قد طفئت . ثم أرسل اليه بمائة ألف وقال : خفت أن يعيد القوم حرباً فيكون على المسلمين أعظم من قتل حجر فطابت نفسه .

ولما بلغ عائشة خبر حجر وأصحابه ، أرسلت عبد الرحمن بن الحرث إلى معاوية يشفع فيهم فجاء وقد قتلوا . فقال لمعاوية أين غاب عنك حلم أبي سفيان ؟ فقال حيث غاب علي مثلك من حلماء قومي وحملني ابن سُمَيَّة فاحتملت . وأسفت عائشة لقتل حجر وكانت تشني عليه . وقيل في سياقة الحديث غير ذلك . وهو أن زياداً أطال الخطبة في يوم جمعة ، فتأخرت الصلاة ، فأنكر حجر ونادى بالصلاة فلم يلتفت اليه . وخشي فوت الصلاة فحصبه بكف من الحصباء ، وقام إلى الصلاة فقام الناس معه ، فخافهم زياد ونزل فصلى . وكتب إلى معاوية وعظم عليه الأمر ، فكتب اليه أن يبعث به موثقاً في الحديد . وبعث من يقبض عليه ، فكان ما مر . ثم قبض عليه وحمله إلى معاوية ، فلما رآه معاوية أمر بقتله ، فصلى ركعتين وأوصى من حضره من قومه لا تفكوا عني قيداً ولا تغسلوا دماً فإنني لاقٍ معاوية غداً على الجادة وقتل اه .

وقالت عائشة لمعاوية أين حلمك عن حجر ؟ قال : لم يحضرني

رشيد ١٥. وكان زياد قد ولي الربيع بن زياد الحارثي على خراسان سنة إحدى وخمسين ، بعد أن هلك حسن بن عمر الغفاري وبعث معه من جند الكوفة والبصرة خمسين ألفاً ، فيهم بُرَيْدَةُ بن الحصيب ، وأبو بَرْزَةَ الأسلمي من الصحابة ، وغزا بَلَخَ ففتحها صلحاً ، وكانوا انتقضوا بعد صلح الأحق بن قيس . ثم فتح قَهْشْتَانَ عَنوة واستلحم من كان بناحيتهما من التُّركِ ، ولم يفلت منهم إلا قِيَزِلُ طُرْخَان . وقتله قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ في ولايته . فلما بلغ الربيع بن زياد بخراسان قتل حَجَرٍ سخط لذلك وقال : لا تزال العرب تقتل بعده صبراً . ولو نكروا قتله منعوا أنفسهم من ذلك ، لكنهم أقرُّوا فذلوا . ثم دعا بعد صلاة الجمعة لأيام من خبره ، وقال للناس اني قد مللت الحياة ، واني داع فأمُّنوا ثم رفع يديه وقال : اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك عاجلاً وأمن الناس . ثم خرج فما تواترت ثيابه حتى سقط ، فحمل إلى بيته ، واستخلف ابنه عبدالله ومات من يومه . ثم مات ابنه بعد شهرين ، واستخلف خَلِيدَ ابن عبدالله الحنفي وأقرَّه زياد .

وفاة زياد : ثم مات زياد في رمضان سنة ثلاث وخمسين بطاعون أصابه في يمينه ، يقال بدعوة ابن عمر ، وذلك أنَّ زياداً كتب إلى معاوية اني ضببت العراق بشمالي ويميني فارغة فأشغلها بالحجاز ، فكتب له عهده بذلك ، وخاف أهل الحجاز وأتوا عبدالله ابن عمر يدعوا لهم الله أن يكفيهم ذلك . فاستقبل القبله ودعا

معهم وكان من دعائه اللهم اكفنا ، ثم كان الطاعون فأصيب في يمينه ، فأشير عليه بقطعها ، فاستدعى شريحاً القاضي فاستشاره ، فقال ان يكن الأجل فرغ فتلقى الله أجزم^(١) كراهية في لقائه ، وإلا فتعيش أقطع ، ويعير ولذلك . فقال لا أبيت والطاعون في لحاف واحد ، واعتزم على قطعها . فلما نظر إلى النار والمكاوي جزع وتركه ، وقيل تركه لشارة شريح . وعذل الناس شريحاً في ذلك فقال المستشار مؤتمن . ولما حضرته الوفاة قال له ابنه قد هيأت لكفنك ستين ثوباً . فقال يا بني قد دنا لأبيك لباس خير من لباسه . ثم مات ودفن بالتوسعة قرب الكوفة ، وكان يلبس القميص ويرقعه . ولما مات استخلف على الكوفة عبدالله بن خالد ابن أسيد ، وكان خليفته على البصرة عبدالله بن عمر بن غيلان ، وعزل بعد ذلك عبدالله بن خالد عن الكوفة وولى عليها الضحّاك ابن قيس .

ولاية عبيد الله بن زياد على خراسان ثم على البصرة

ولما قدم ابنه عبيدالله على معاوية ، وهو ابن خمس وعشرين سنة قال : من استعمل أبوك على المصريين ؟ فأخبره فقال : لو

(١) بياض بالأصل وفي مروج الذهب ما يؤخذ منه تسويد عباراته وأنه شاور شريحاً أن في قطعها . فقال له لك رزق مقسوم ، وأجل معلوم ، وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش أجزم ، وإن حم أجلك تلق ربك مقطوع اليد . فإذا سألك لم قطعها قلت بغضاً للقائك وفراراً من قضائك اهـ .

استعملك لاستعملتك . فقال عبيدالله : انشدك الله أن يقول لي أحد بعدك ، لو استعملك أبوك وعمك استعملتك . فوله خراسان ووصاه فكان من وصيته : اتق الله ولا تُؤثِرَنَّ على تقواه شيئاً ، فإن في تقواه عوضاً وقِ عرضك من أن تدنسه ، وإن أعطيت عهداً فأوف به ، ولا تتبعن كثيراً بقليل ، ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه ، فإذا خرج فلا يردن عليك . وإذا لقيت عدوك فكبر أكبر من معك ، وقاسمهم على كتاب الله ، ولا تطعن أحداً في غير حقه ، ولا تؤيسن أحداً من حق هو له .

ثم ودَّعه فسار الى خراسان أوّل سنة أربع وخمسين ، وقدم اليها أسلم بن زُرْعَةَ الكلابي ، ثم قدم فقطع النهر إلى جبال بخارى على الابل ، ففتح رامين ، ونسف وسكند . ولقيه الترك فهزمهم ، وكان مع ملكهم امرأته خاتون ، فأعجلوها عن لبس خفيها ، فأصاب المسلمون أحدهما وقوم بمائتي ألف درهم . وكان عبيد الله ذلك اليوم يحمل عليهم ، وهو يطعن حتى يغيب عن أصحابه ، ثم يرفع رايته تقطر دماً . وكان هذا الزحف من زحوف خراسان المعدودة ، وكانت أربعة منها للأخنف بن قيس بقرهستان والمراعات . وزحف لعبيدالله ابن حازم ، قضى فيه جموع فاران .

وأقام عبيدالله والياً على خراسان سنتين ، ووله معاوية سنة خمس وخمسين على البصرة . وذلك أن ابن غيلان خطب وهو

أمير على البصرة . وذلك أنَّ ابن غيلان خطب وهو أمير على البصرة ، فحصبه رجل من بني ضُبَّة ففقطعه يده فأتاه بنو ضبة يسألونه الكتاب إلى معاوية بالاعتذار عنه ، وانه قطع على أمر لم يصح ، مخافة أن يعاقبهم معاوية جميعاً . فكتب لهم وسار ابن غيلان إلى معاوية رأس السنة ، ووافاه الضَّبِيُّونَ بالكتاب ، فادَّعوا أنَّ ابن غيلان قطع صاحبهم ظلماً . فلما قرأ معاوية الكتاب قال : أمَّا القَوْدُ من عمالي فلا سبيل اليه ، ولكن أدي صاحبكم من بيت المال . وعزل عبدالله بن غيلان عن البصرة ، واستعمل عليها عبيدالله ابن زياد ، فسار اليها عبيدالله ، وولى على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي فلم يغز ولم يفتح .

العهد ليزيد

ذكر الطبري بسنده قال : قدم المغيرة على معاوية فشكا اليه الضعف ، فاستعفاه فأعفاه وأراد أن يولي سعيد بن العاص . وقال أصحاب المغيرة للمغيرة : ان معاوية قلاك ، فقال لهم رويداً ، ونهض إلى يزيد وعرض له بالبيعة . وقال ذهب أعيان الصحابة وكبراء قريش ورادوا أسنانهم ، وانما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وسياسة ، وما أدري ما يمنع أمير المؤمنين من العهد لك . فادَّى ذلك يزيد إلى أبيه واستدعاه وفأوضه في ذلك . فقال قد رأيت ما كان من الاختلاف وسفك الدماء بعد عثمان ،

وفي يزيد منك خلف ، فاعهد له يكون كهفاً للناس بعدك ، فلا تكون فتنة ولا يسفك دم . وأنا أكفيك الكوفة ، ويكفيك ابن زياد البصرة . فرد معاوية المغيرة إلى الكوفة وأمره أن يعمل في بيعة يزيد . فقدم الكوفة وذاكر من يرجع إليه من شيعة بني أمية فأجابوه ، وأوفد منهم جماعة مع ابنه موسى فدعاه إلى عقد البيعة ليزيد . فقال : أوقد رضيتموه ؟ قالوا نعم ! نحن ومن وراءنا . فقال ننظر ما قدمتم له ويقضي الله أمره ، والاناة خير من العجلة ثم كتب إلى زياد يستنيره بفكر^(١)

وكف عن هدم دار سعيد . وكتب سعيد إلى معاوية يعذله في ادخال الضغينة بين قرابته ، ويقول لو لم نكن بني أب واحد لكانت قرابتنا ما جمعنا الله عليه من نصرة الخليفة المظلوم ، يجب عليك أن تدعي ذلك ، فاعتذر له معاوية وتنصل . وقدم سعيد عليه وسأله عن مروان فأثنى خيراً ، فلما كان سنة سبع وخمسين عزل مروان وولى مكانه الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان وقيل سنة ثمان وخمسين .

(١) هنا بياض بالأصل مقدار عشرة أسطر وإليك راويه الطبري؟ وحدثني الحارث قال حدثنا علي عن مسلمة قال لما أراد معاوية أن يبايع ليزيد كتب إلى زياد يستشير ، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النميري فقال: إن لكل مستبشر ثقة ولكل سر مستودع وإن الناس قد أبدعت من خصلتين: إذاعة =

=السر وإخراج النصيحة إلى غير أهلها. وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخره يرجو ثواباً، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه، وقد عجمتها منك فاحدث الذي قبلك. وقد دعوتك لأمر اهتمت عليه بطون الصحف. ان أمير المؤمنين كتب إلي يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد وهو يتخوف نفرة الناس ويرجو مطابقتهم ويستشيرني وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم. ويزيد صاحب رسالة وتهاون، مع ما قد أولع به من الصيد، فالتق أمير المؤمنين مؤدياً عني، فأخبره عن فعلات يزيد، فقل له: رويدك بالأمر، فأقمن أن يتم لك ولا تعجل. فإن دركاً في تأخير خير من تعجيل عاقبته القوت.

فقال عبيد له أفلا غير هذا؟ قال ما هو؟ قال: لا تفسد على معاوية رايه ولا تمقت إليه ابنه، وألقى أنا يزيد سراً من معاوية فأخبره عنك أن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في بيعته، وإنك تخاف خلاف الناس لهنات ينقمونها عليه، وإنك ترى له ترك ما ينقم عليه، فيستحكم لأمر المؤمنين الحجة على الناس ويسهل لك ما تريد. فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين، فسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة.

فقال زياد: رमित الأمر بحجره، أشخص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر وإن يكن خطأ فغير مستغش وأبعد بك إن شاء الله من الخطأ. قال تقول بما ترى ويقضي الله بغيب ما يعلم، فقدم على يزيد فذاكره ذلك. وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة وأن لا يعجل فقبل ذلك معاوية، وكف يزيد عن كثير مما كان يصنع، ثم قدم عبيد على زياد فأقطعه قطيعة.

وورد في الكامل لابن الأثير بعد ذكر الرواية المذكورة أعلاه عن الطبري بفارق قليل:

«فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص وامتنع، ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم: إني قد كبرت سني ودق عظمي وخشيت الاختلاف على الأمة بعدي. وقد رأيت أن أخير لهم من يقوم بعدي، وقد كرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك، فأعرض ذلك عليهم واعلمي بالذي يردون عليك. فقام مروان بالناس فأخبرهم به. فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد، فقام مروان فيهم وقال: إن أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده. فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه «والذي قال لوالديه أف لكما» الآية. فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء حجاب وقالت: يا مروان يا مروان! فأنصت الناس وأقبل مروان =

=بوجهه فقالت: أنت القاتل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن، كذبت والله ما هو به ولكنه فلان بن فلان ولكنك أنت فضض من لعنة نبي الله.

وقام الحسين بن علي فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير. فكتب مروان بذلك إلى معاوية، وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار.

ثم ذكر الوفود التي وفدت على معاوية ويزيد وذكر كلام المتكلمين بهذا الشأن. وسفر معاوية إلى المدينة ثم إلى مكة إلى أن قال: ثم أقبل معاوية على ابن الزبير فقال: هات لعمري إنك خطيبهم فقال: نعم نخيرك بين ثلاث خصال. قال أعرضهن قال: تصنع كما صنع رسول الله (ص) أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر. قال معاوية: ما صنعوا؟ قال: قبض رسول الله (ص) ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر. قال: ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف. قالوا: صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فإنه عهد إلى رجل من قاصية قرش ليس من بني أبيه فاستخلفه، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه.

قال معاوية: هل عندك غير هذا؟ قال لا ثم قال: فأنتم! قالوا: قولنا قوله. قال: فلإني قد أحبيت أن أتقدم إليكم أن قد أعذر من أنذر، إني كنت أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأحل ذلك وأصفح وإني قائم بمقالة، فأقسم بالله لئن رد علي أحدكم بكلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلا على نفسه. ثم دعا صاحب حرسه في حضرته فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما. ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن هؤلاء الرهط من المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم وأنهم رضوا وباعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله. فبايع الناس، وكانوا يترصون بيعة هؤلاء النفر، ثم ركب راحله وانصرف إلى المدينة.

فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم: زعمت أنكم لا تبايعون فلم رضيتم وأعطيتهم وبايعتم؟ قالوا: والله ما فعلنا. فقالوا: ما منعكم أن تردوا على الرجل. قالوا: كادنا وخفنا القتل. وبايعه أهل المدينة ثم انصرف إلى الشام.

هذا ما ذكر في الطبري وابن الأثير بشأن أخذ البيعة ليزيد بن معاوية. وهذه الحادثة مكانها بياض في الأصل.

الطبري ج ٦ ص ١٦٩ - ١٧٠ طبع مصر.

ابن الأثير ج ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٢ طبع مصر.

عزل الضحّاك عن الكوفة وولاية ابن أم الحكم ثم النعمان بن بشير

عزل معاوية الضحّاك عن الكوفة سنة ثمان وخمسين ، وولى مكانه عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثَّقَفِيّ ، وهو ابن أمّ الحَكَم أخت معاوية ، فخرجت عليه الخوارج الذين كان المُغِيرَةُ حبسهم في بيعة المُسْتَوْرِد بن عُلَقَمَةَ ، وخرجوا من سجنه بعد موته . فاجتمعوا على حَيَّانَ بنِ ضَبْيَانَ السَّلَمِيّ ، ومعاذ بن جرير الطائي ، فسير اليهم عبد الرحمن الجيش من الكوفة فقتلوا أجمعين كما يذكر في أخبار الخوارج . ثم انّ أهل الكوفة نقلوا عن عبد الرحمن سوء سيرته ، فعزله معاوية عنهم ، وولى مكانه النعمان بن بشير . وقال : أوليك خيراً من الكوفة . فولاه مصر ، وكان عليها معاوية بن خديج السَّكُونِيّ وسار إلى مصر فاستقبله معاوية على مرحلتين منها ، وقال ارجع إلى حالك لا تسر فينا سيرتك في اخواننا أهل الكوفة ، فرجع إلى معاوية وأقام معاوية بن خديج في عمله .

ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان : وفي سنة تسع وخمسين قدم عبد الرحمن بن زياد وافداً على معاوية ، فقال يا أمير المؤمنين اما لنا حق ؟ قال بلى ! فماذا قال توليني ؟ قال بالكوفة النعمان بن بشير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالبصرة وخراسان عبيد الله أخوك ، وبسجستان عبّاد أخوك . ولا أرى ما يشبهك

إلا أن أشركك في عمل عبيد الله ، فان عمله واسع يحتمل الشركة .
فولاه خراسان ، فسار اليها وقدم بين يديه قيس بن الهيثم السلمي ،
فأخذ أسلم بن زُرْعَةَ وحبسه . ثم قدم عبد الرحمن فأغرمه ثلثمائة
ألف درهم .

وأقام بخراسان وكان مُتَضَعِّفًا لم يُقَرِّ قط . وقدم على يزيد بين
يدي قتل الحسين ، فاستخلف على خراسان قيس بن الهيثم .
فقال له يزيد : كم معك من مال خراسان ؟ قال عشرون ألف ألف
درهم . فخيره بين أخذها بالحساب وردّه إلى عمله ، أو تسويغه إياها
وعزله ، على أن يعطي عبد الله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ، فاختر
تسويغها والعزل . وبعث إلى ابن جعفر بألف ألف وقال نصفها من
يزيد ونصفها مني . ثم ان أهل البصرة وفدوا مع عبيد الله بن زياد
على معاوية فأذن له على منازلهم ، ودخل الأحنف آخرهم وكان
هياً المنزلة من عبيد الله ، فرحب به معاوية وأجلسه معه على سريريه .
ثم تكلم القوم وأثنوا على عبيد الله وسكت الأحنف ، فقال
معاوية : تكلم يا أبا بحر فقال أخشى خلاف القوم ، فقال انهضوا
فقد عزلت عنكم عبيد الله ، واطلبوا والياً ترضونه ، فطفق القوم
يختلفون إلى رجال بني أمية وأشرف الشام ، وقعد الأحنف في
منزله ثم أحضرهم معاوية ، وقال من اخترتم فسمى كل فريق رجلاً
والأحنف ساكت . فقال معاوية تكلم يا أبا بحر فقال : ان وليت
علينا من أهل بيتك لم نعدل بعبيد الله أحداً ، وان وليت من

غيرهم ينظر في ذلك ، قال فاني قد أعدته عليكم ، ثم أوصاه بالأحنف وقبح رأيه في مباعده . ولما هاجت الفتنة لم يعزله غير الأحنف ، ثم أخذ على وفد البصرة البيعة لابنه يزيد معهم .

بقية الصوائف : دخل بسر بن أرطاة سنة اثنتين وخمسين أرض الروم وشتى بها ، وقيل رجع ونزل هنالك سُفْيَانُ بن عوف الأزدي فشتى بها وتوفي هنالك اه . وغزا بالصائفة محمد بن عبد الله الثَّقَفِيُّ ، ثم دخل عبد الرحمن ابن أمّ الحكم سنة ثلاث وخمسين إلى أرض الروم وشتى بها ، وافتتحت في هذه السنة رودس ، فتحها جُنَادَة بن أبي أمية الأزدي ونزلها المسلمون على حذر من الروم ، ثم كانوا يعترضونه في البحر ويأخذون سفنه ، وكان معاوية يدركهم بالعطاء حتى خافهم الروم ، ثم نقلهم يزيد في ولايته .

ثم دخل سنة أربع وخمسين إلى بلاد الروم محمد بن مالك وشتى بها وغزا بالصائفة ^(١) ابن يزيد السلمي ، وفتح المسلمون جزيرة أروى قرب القُسْطَنْطِينِيَّة ومقدمهم جُنَادَة بن أبي أمية ، فملكوها سبع سنين ، ونقلهم يزيد في ولايته . وفي سنة خمس وخمسين كان شتى سفيان بن عوف بأرض الروم ، وقيل عمر بن محرز ، وقيل عبدالله بن قيس . وفي سنة ست وخمسين كان شتى

(١) بياض بالأصل وفي الطبري في أحداث سنة أربع وخمسين : «ففيها كان مشى محمد بن مالك أرض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمي» .

جنادة بن أبي أمية ، وقيل عبد الرحمن بن مسعود ، وقيل غزا في البحر يزيد بن سُمرة . وفي البرّ عياضُ بن الحرث . وفي سنة سبع وخمسين كان شتي عبدالله بن قيس بأرض الروم . وغزا مالك بن عبدالله الخثعمي في البرّ ، وعمر بن يزيد الجهنّي في البحر .

وفي سنة ثمان وخمسين كان شتي عمر بن مرة الجهنّي بأرض الروم ، وغزا في البحر جنادة بن أمية . وفتح المسلمون في هذه السنة حصن كَفَخ من بلاد الروم ، وعليهم عمير بن الحباب السلمي صعد سورها وقاتل عليه وحده ، حتى انكشف الروم وفتحته . وفي سنة ستين غزا مالك بن عبدالله سوية ، وملك جنادة بن أبي أمية رُودُسَ وهدم مدينتها .

وفاة معاوية : وتوفي معاوية سنة ستين ، وكان خطب الناس قبل موته وقال : اني كزرع مستحصد ، وقد طالت إمارتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني ، وتمنيت فراقكم وتمنيت فراقني ولن يأتاكم بعدي إلا من أنا خير منه ، كما أن من كان قبلي خير مني . وقد قيل من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . اللهم اني قد أحببت لقاءك فاحبب لقائني وبارك لي .

فلم يمض إلا قليل حتى ازداد به مرضه ، فدعا ابنه يزيد وقال : يابني اني قد كفيتك الرحلة والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد . واني

لا أخاف عليك أن ينازعك هذا الامر الذي انتسب لك إلا أربعة نفر من قريش : الحسين بن عليّ ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر . فأما ابن عمر فرجل قد وقفته العبادة ، وإذا لم يبق غيره بايعك . وأما الحسين فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه ، فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه ، فان له رَجِماً ما مثله وحقاً عظيماً . وأما ابن أبي بكر فان رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ، وليس له همة إلا في النساء . وأما الذي يجثم لك جثوم الاسد ، ويراوغك روغان الثعلب ، واذا أمكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزُبَيْر . فان هو فعلها بك وقدرت عليه فقطعه إرْباً إِرْباً .

هذا حديث الطبري عن هاشم وله عن هاشم من طريق آخر قال : لما حضرت وفاة معاوية سنة ستين كان يزيد غائباً ، فدعا بالضحّاك بن قيس الفِهْرِيّ ، وكان صاحب شرطته ، ومسلم بن عُتْبَةَ المَزْنِيّ فقال : أبلغا يزيد وصيتي ، انظر أهل الحجاز فإنهم أهلك فأكرم من قدم اليك منهم وتعاهد من غاب . وانظر أهل العراق فان سألك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ، فان عزل عامل أخف من أن يشهر عليك مائة ألف سيف . وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك ، وان رابك شيء من عدوك فانتصر بهم ، فاذا أصبتم فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، فانهم ان قاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم . ولست أخاف عليك من قريش الا

ثلاثاً ، ولم يذكر في هذا الطريق عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال في ابن عمر قد وقذه الدين فليس ملتصقاً شيئاً قبلك . وقال في الحسين ولو أنني صاحبه عفوت عنه ، وأنا أرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذل أخاه . وقال في ابن الزبير إذا شخص اليك فالبد له الا أن يلتمس منك صلحاً فاقبل واحقق دماء قومك ما استطعت .

وتوفي في منتصف رجب ويقال في جمادى لتسع عشرة سنة وأشهر من ولايته وكان على خاتمه عبدالله بن مُحْصِن الجَمِيرِيّ وهو أوّل من اتخذ ديوان الخاتم ، وكان سببه أنه أمر لِعُمَر بن الزُبَيْر بمائة ألف درهم ، وكتب له بذلك إلى زياد بالعراق ، ففرض عمر الكتاب وصيّر المائة مائتين ، فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية ، وأخذ عمر برّدّها وجبسه فأدّاها عنه أخوه عبدالله . فأحدث عند ذلك ديوان الخاتم ، وحزم الكتب ولم تكن تحزم . وكان على شرطته قَيْسُ بن هَمَزَةَ الهَمْدَانِيّ ، فعزله ابن بَيْدِ بن عُمَرَ العَدَوِيّ ، وكان على حرسه المختار من مواليه . وقيل أبو المحاري مالك مولى حُمَيْرَةَ ، وهو أوّل من اتخذ الحرس . وعلى حجابيه مولاة سعد ، وكان كاتبه وصاحب أمره سَرَجُون بن منصور الرومي ، وعلى القضاء فُضَالَةَ بن عبدالله الأنصاريّ ، وبعده أبو دُوَيْسَ عائد بن عبدالله الحَوْلَانِيّ .

بيعة يزيد

بويح يزيد بعد موت أبيه ، وعلى المدينة الوليد بن عُتبَة بن أبي سفيان ، وعلى مكة عمر بن سعيد بن العاص ، وعلى البصرة عبيدُ الله بن زياد ، وعلى الكوفة النُعمانُ بن بشير . ولم يكن همه إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته ، فكتب إلى الوليد بموت معاوية ، وأن يأخذ حسيناً وابن عمر وابن الزبير بالبيعة من غير رخصة . فلما قرأ مروان الكتاب بنعي معاوية ، استرجع وترحم ، واستشاره الوليد في أمر أولئك النفر ، فأشار عليه أن يحضرهم لوقته فان بايعوا وإلا قتلهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فيثب كل رجل منهم في ناحية ، إلا ابن عمر فانه لا يحب القتال ، ولا يحب الولاية ، الا أن يرفع اليه الأمر . فبعث الوليد لوقته عبد الله ابن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث ، فجاء إلى الحسين وابن الزبير في المسجد ، في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس . وقال أجيبا الأمير . فقالا : لا تنصرف الا أن نأتيه ، ثم حدثا فيما بعث اليهما ، فلم يعلموا ما وقع .

وجمع الحسين فتيانه وأهل بيته وسار اليه فأجلسهم بالباب ، وقال ان دعوتكم أو سمعتم صوتي عالياً فادخلوا بأجمعكم . ثم دخل فسلم ومروان عنده فشكرهما على الصلة بعد القطيعة ، ودعا لهما باصلاح ذات البين . فأقرأه الوليد الكتاب بنعي معاوية ، ودعاه

إلى البيعة ، فاسترجع وترحم وقال : مثلي لا يبايع سراً ولا يكتفي بها مني ، فاذا ظهرت الى الناس ودعوتهم كان أمرنا واحداً وكنت أول مجيب . فقال الوليد : وكان يحب المسألة ، انصرف . فقال مروان : لا يقدر منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينك وبينهم ، ألزمه البيعة والا اضرب عنقه . فوثب الحسين وقال : انت تقتلني أو هو ! كذبت والله ! وانصرف إلى منزله . وأخذ مروان في عدل الوليد . فقال يا مروان والله ما أحب أن لي ما طلعت الشمس من مال الدنيا وملكها ، وأني قتلت الحسين ان قال لا أبايع .

وأما ابن الزبير فاختلف في داره وجمع أصحابه ، وألح الوليد في طلبه ، وبعث مواليه فشموه وهبّدوه ، وأقاموا ببابه في طلبه فبعث ابن الزبير أخاه جعفرأ يلاطف الوليد ويشكو ما أصابه من الذعر ، ويعده بالحضور من الغداة ، وأن يصرف رسله من بابيه فبعث اليهم وانصرفوا ، وخرج ابن الزبير من ليلته مع أخيه جعفر وحدهما ، وأخذوا طريق الفرع إلى مكة ، فسرح الرحالة في طلبه فلم يدركوه ، ورجعوا وتشاغلوا بذلك عن الحسين سائر يومه . ثم أرسل إلى الحسين يدعوه فقال : أصبحوا وترون وفري .

وسار في الليلة الثانية ببنيه واخوته وبني أخيه إلا محمد بن الحنفية ، وكان قد نصحه وقال تنح عن يزيد وعن الامصار ما

استطعت ، وابتعث دعائك إلى الناس ، فان أجابوك فاحمد الله ،
وان اجتمعوا على غيرك فلم يضرّ بذلك دينك ولا عقلك ولم
تذهب به مروءتك ولا فضلك . وأنا أخاف أن تأتي مصرّاً أو قوماً
فيختلفون عليك ، فتكون الأوّل اساءة ، فاذاً خير الامة نفساً
وأباً أضيعها ذماراً وأذلها . قال له الحسين : فاني ذاهب . قال
انزل مكة ، فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك ، وان فاتت بك
لحقت بالرمال وشعب الجبال ، ومن بلد إلى آخر حتى ننظر مصير
أمر الناس ، وتعرف الرأي . فقال يا أخي نصحت وأشفقت !
ولحق بمكة .

وبعث الوليد إلى ابن عمر ليبايع فقال : أنا أبايع أمام الناس ،
وقيل ابن عمر وابن عباس كانا بمكة ، ورجعا إلى المدينة فلقيا
الحسين وابن الزبير وأخبراهما بموت معاوية وبيعة يزيد . فقال ابن
عمر : لا تفرّقاً جماعة المسلمين ، وقدم هو وابن عباس المدينة
وبايعا عنه بيعة الناس . ولما دخل ابن الزبير مكة وعليها عمر بن
سعيد قال : أنا عائد بالبيت ، ولم يكن يصلي ولا يقف معهم ويقف
هو وأصحابه ناحية .

عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد

ولما بلغ الخبر إلى يزيد بصنيع الوليد بن عُتبَةَ في أمر هؤلاء
النفر ، عزله عن المدينة واستعمل عليها عمر بن سعيد الاشرق ،

فقدمها في رمضان ، واستعمل على شرطته عمر ابن الزبير بالمدينة ، لما كان بينه وبين أخيه من البغضاء ، وأحضر نفرًا من شيعة الزبير بالمدينة فضربهم من الأربعين إلى الخمسين إلى الستين ، منهم المنذر ابن الزبير وابنه محمد ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، ومحمد بن عمار بن ياسر وغيرهم . ثم جهز البعوث إلى مكة سبعمائة أو نحوها . وقال لعمر ابن الزبير : من نبعث إلى أخيك ؟ فقال لا تجد رجلًا أنكى له مني . فجهاز معه سبعمائة مقاتل فيهم أنس بن عُمَيْر الأسلمي . وعذله مروان ابن الحكم في غزو مكة ، وقال له : اتق الله ولا تحلّ حرمة البيت . فقال : والله لنغزونه في جوف الكعبة .

وجاء أبو شَرِيحٍ الخَزَاعِيّ إلى عمر بن سعيد فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما أذن لي بالقتال فيها ساعة من نهار ، ثم عادت كحرمتها بالامس . فقال له عمر : نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ . وقيل : ان يزيد كتب إلى عمر بن سعيد أن يبعث عمر بن الزبير بالجيش إلى أخيه ، فبعثه في ألفي مقاتل وعلى مقدمته أنيس . فنزل أنيس بندي طوى ونزل عمر بالأبطح ، وبعث إلى أخيه أن يرّ يمين يزيد ، فانه حلف أن لا يقبل بيعة إلا ان يؤتى بك في جامعه ، فلا يضرب الناس بعضهم بعضاً ، فانك في بلد حرام . فأرسل عبد الله بن الزبير من اجتمع له من أهل مكة مع عبد الله بن صَفْوَانَ ، فهزموا أنيساً بندي طوى ، وقتلوا

أنيس في الهزيمة وتخلف عن عمر ابن الزبير أصحابه ، فدخل دار ابن علقمة وأجاره عبدة بن الزبير . وقال لأخيه قد أجرتك ، فأنكر ذلك عليه . وقيل : ان صفوان قال لعبد الله بن الزبير اكفني أخاك ، وأنا أكفيك أنيس بن عمر ، وسار إلى أنيس فهزمه وقتله . وسار مصعب بن عبد الرحمن إلى عمر ففترق عنه أصحابه ، وأجاره أخوه عبدة ، فلم يجز أخوه عبد الله جواره وضربه بكل من ضربه بالمدينة ، وحبسه بسجن عارم ومات تحت السياط .

مسير الحسين إلى الكوفة ومقتله

ولما خرج الحسين إلى مكة لقيه عبد الله بن مطيع وسأله أين تريد ؟ فقال مكة ! وأستخير الله فيما بعد ، فنصحته أن لا يقرب الكوفة ، وذكره قتلهم أباه وخذلانهم أخاه ، وأن يقيم بمكة لا يفارق الحرم حتى يتداعى إليه الناس . ورجع عنه وترك الحسين بمكة فأقام والناس يختلفون إليه ، وابن الزبير في جانب الكعبة يصلي ويطوف عامة النهار ، ويأتي الحسين فيمن يأتي ، ويعلم أن أهل الحجاز لا يلحقون إليه مع الحسين . ولما بلغ أهل الكوفة بيعة يزيد ولحق الحسين بمكة ، اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صُرد ، وكتبوا إليه عن نفر منهم سليمان والمسيب بن محمد ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر وغيرهم يستدعونهم وأنهم لم

يبايعوا للنُّعمان ، ولا يجتمعون معه في جمعة ولا عيد ، ولو جئتنا أخرجناه . وبعثوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني ، وعبد الله بن وال . ثم كتبوا اليه ثانياً بعد ليلتين نحو مائة وخمسين صحيفة ، ثم ثالثاً يستحثونه للحاق بهم . كتب له بذلك شيث بن رباعي وحِجَازُ ابن أبجر ويزيد بن الحرث ويزيد بن رُويم وعُرْوَةُ بن قيس وعُمَرُ ابن الحجاج الزُبَيْدِي ومحمد بن عُمَيْر التميمي .

فأجابهم الحسين : فهمت ما قصصتم وقد بعثت اليكم ابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل ، يكتب إلي بأمركم ورأيكم فان اجتمع ملؤكم على مثل ما قدمت به رسلكم أقدم عليكم قريباً . ولعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب ، القائم بالقسط ، يدين بدين الحق . وسار مسلم فدخل المدينة وصلى في المسجد ، وودّع أهله واستأجر دليلين من قيس فضلا الطريق ، وعطش القوم فمات الدليلان بعد أن أشارا اليهم بموضع الماء ، فانتهوا اليه وشربوا ونجوا . فتطير مسلم من ذلك ، وكتب إلى الحسين يستعفيه . فكتب اليه : خشيت أن لا يكون حملك على ذلك إلا الجبن ، فامض لوجهك والسلام . وسار مسلم فدخل الكوفة أوّل ذي الحجة من سنة ستين ، واختلف اليه الشيعة وقرأ عليهم كتاب الحسين ، فبكوا ووعدوه النصر . وعلم مكانه النُّعمان بن بشير أمير الكوفة ، وكان حليماً يجنح إلى المسالمة ، فخطب وحذر الناس الفتنة . وقال : لا أقاتل من لا يقاتلني ، ولا آخذ بالظنة والتهمة ،

ولكن ان نكثتم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله لا ضربنكم بسيفي ما دام قائمته بيدي ، ولو لم يكن لي ناصر . فقال له بعض حلفاء بني أمية : لا يصلح ما ترى إلا الغشم ، وهذا الذي أنت عليه مع عدوك رأي المستضعفين . فقال : أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعززين في معصية الله ، ثم تركه . فكتب عبدالله بن مسلم وعمارة بن الوليد وعمارة بن سعد ابن أبي وقاص إلى يزيد بالخبر ، وتضعف النعمان وضعفه فابعث إلى الكوفة رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل عملك في عدوك فأشار عليه سرجون ^(١)

(١) هنا بياض بالأصل نحو ثلاث ورقات . وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٨ وما بعدها (طبعة مصر) : « فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون مولى معاوية فأقرأه الكتب ، واستشاره فيمن يوليه الكوفة ، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد ، فقال له سرجون : رأييت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه ؟ قال : نعم ! فأخرج عبد الله على الكوفة . فقال : هذا رأي معاوية ومات ، وقد أمر لهذا الكتاب ، فأخذ برأيه ، وجمع الكوفة والبصرة لعبيد الله وكتب إليه بعهدده وسيره إليه مع مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة . فأمره بطلب مسلم بن عقيل ويقتله أو نفيه . فلما وصل كتابه إلى عبد الله أمر بالتجهز ليبرز من الغد . وكان الحسين قد كتب إلى أهل البصرة نسخة واحدة إلى الأشراف يدعوهم إلى كتاب الله وستته . »

وجاء في الطبري ج ٦ ص ٢٠٠ (طبعة مصر) : « وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً . قال هشام ، قال أبو مخنف : حدثني الصقعبي بن زهير عن أبي عثمان النهدي قال : كتب حسين مع مولى لهم يقال له سليمان وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخاس بالبصرة وإلى الأشراف . فكتب إلى مالك بن مُسمَع البكري وإلى الأخنف بن =

قيس وإلى المنذر بن الجارود وإلى مسعود بن عمرو وإلى قيس بن الهيثم وإلى عمر بن عبد الله بن معمر. فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها وهذا نصه: «أما بعد فإن الله اصطفي محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم. وكنا أهله وأوليائه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفركة، وأحببنا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه. وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق فرحهم الله وغفر لنا ولهم. وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، فإن السنة قد أميت وإن البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله».

مسير الحسين إلى الكوفة ووقعة كربلاء:
إنها وقعة عظيمة، وهي ضمن الأوراق البيضاء في هذا الكتاب، تاريخ العبر للعلامة ابن خلدون.

ذكرها الطبري بإسهاب في الجزء السادس من ص (١٩٤) إلى ص (٢٧١). وذكرها ابن الأثير في تاريخ الكامل في ج ٣ ص ٢٧٥ وما بعدها إلى ص ٣٠٢ وقد أثبتنا هنا عن هذه الوقعة ما ورد في تاريخ المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء صاحب حماه ج ٢. ص ١٠٤ - ١٠٧ طبعة بيروت.
ومن أراد زيادة الإسهاب فليرجع إلى التواريخ المطولة.

ذكر مسار الحسين إلى الكوفة كما ورد بتاريخ أبو الفداء

وورد على الحسين مكاتبات يحثونه على المسير إليهم ليبياعوه، وكان العامل عليها النعمان بن بشير الأنصاري، فأرسل الحسين إلى الكوفة ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي=

طالب ليأخذ البيعة عليهم، فوصل إلى الكوفة وبايعه بها، قيل ثلاثون ألفاً، وقيل ثمانية وعشرون ألف نفس، وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير ما لا يرضيه، فولى على الكوفة عبيد الله بن زياد وكان والياً على البصرة فقدم الكوفة ورأى ما الناس عليه، فخطبهم وحثهم على طاعة يزيد بن معاوية، واستمر مع مسلم بن عقيل من كان بايعه للحسين، وحصروا عبيد الله بن زياد بقصره، ولم يكن مع عبيد الله في القصر أكثر من ثلاثين رجلاً، ثم أن عبيد الله أمر أصحابه أن يشرفوا من القصر ويمنوا أهل الطاعة ويخذلوا أهل المعصية، حتى ان المرأة ليأتي ابنها وأخاها فتقول انصرف إن الناس يكفونك، فتفرق الناس عن مسلم، ولم يبق مع مسلم غير ثلاثين رجلاً، فانهزم واستتر، ونادى منادي عبيد الله بن زياد من أتى بمسلم بن عقيل فله ديته، فأمسك مسلم واحضر إليه، ولما حضر مسلم بين يدي عبيد الله شتمه وشتم الحسين وعلياً وضرب عنقه في تلك الساعة، ورميت جيفته من القصر، ثم أحضر هانيء بن عروة وكان ممن أخذ البيعة للحسين فضرب عنقه أيضاً، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، وكان مقتل مسلم بن عقيل لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين، وأخذ الحسين وهو بمكة في التوجه إلى العراق، وكان عبد الله بن عباس يكره ذهاب الحسين إلى العراق خوفاً عليه، وقال للحسين يا ابن العم إني أخاف عليك أهل العراق، فإنهم قوم أهل غدر، وأقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، وإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن، فإن بها شيعة لأبيك وبها حصون وشعاب، فقال الحسين يا ابن العم إني أعلم والله أنك ناصح مشفق، ولقد أزمعت وأجمعت، ثم خرج ابن عباس من عنده وخرج الحسين من مكة يوم التروية سنة ستين، واجتمع عليه جماع من العرب، ثم لما بلغه مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتحاذل الناس عنه، أعلم الحسين من معه بذلك، وقال من أحب أن ينصرف فلينصرف، فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً، ولما وصل الحسين إلى مكان يقال له سراف، وصل إليه الحر صاحب شرطة عبيد الله بن زياد في الفتي فارس، حتى وقفوا مقابل الحسين في حر الظهيرة، فقال لهم الحسين ما أتيت إلا بكتبكم فإن رجعتم رجعت من هنا، فقال له صاحب شرطة ابن زياد إنا أمرنا أن لا نفارقك حتى نوصلك الكوفة بين=

.....

=يدي عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: الموت أهون من ذلك، وما زالوا عليه حتى سار مع صاحب شرطة بن زياد (ثم دخلت سنة إحدى وستين).

ذكر مقتل الحسين كما ورد في تاريخ أبو الفداء

ولما سار الحسين مع الحر ورد كتاب من عبيد الله بن زياد إلى الحر يأمره أن ينزل الحسين ومن معه على غير ماء، فأنزله في الموضع المعروف بكربلاء، وذلك يوم الخميس ثاني المحرم من هذه السنة أي سنة إحدى وستين، ولما كان من الغد قدم من الكوفة عمر بن سعد بن أبي وقاص بأربعة آلاف فارس، أرسله ابن زياد لحرب الحسين، فسأله الحسين في أن يمكن إما من العود من حيث أتى، وأما أن يجهز إلى يزيد بن معاوية، وأما أن يمكن أن يلحق بالثغور، فكتب عمر إلى ابن زياد يسأل أن يجاب الحسين إلى أحد هذه الأمور، فاغتاظ ابن زياد فقال لا ولا كرامة، فأرسل مع شمر بن ذي الجوشن إلى عمر بن سعد، إما أن تقاتل الحسين وتقتله وتطأ الخيل جثته، وإما أن تعتزل ويكون الأمير على الجيش شمر، فقال عمر بن سعد بل أقاتله، ونهض عشية الخميس تاسع المحرم من هذه السنة، والحسين جالس أمام بيته بعد صلاة العصر. فلما قرب الجيش منه سألهم مع أخيه العباس أن يمهلوه إلى الغد، وأنه يجيبهم إلى ما يختارونه فأجابوه إلى ذلك. وقال الحسين لأصحابه أني قد أذنت لكم فانطلقوا في هذا الليل وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم، فقال أخوه العباس لم نفعل ذلك لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً! ثم تكلم أخوته وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر في نحو ذلك، وكان الحسين وأصحابه يصلون الليل كله ويدعون، فلما أصبحوا ركب عمر بن سعيد في أصحابه وذلك يوم عاشوراء من المذكورة، وعبى الحسين أصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً. ثم حملوا على الحسين وأصحابه واستمر القتال إلى وقت الظهر من ذلك اليوم، فصلى الحسين وأصحابه صلاة الخوف. واشتد بالحسين العطش، فتقدم ليشرب=

.....

= فرمي بسهم فوق في فمه. ونادى شمر: وبحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه، فضربة زرعة بن شريك على كتفه، وضربه آخر على عاتقه، وطعنه سنان بن أنس النخعي بالرمح، فوقع فتزل إليه فذبحه واحتز رأسه، وقيل إن الذي نزل واحتز رأسه هو شمر المذكور، وجاء به إلى عمر بن سعد، فأمر عمر بن سعد جماعة فوطئوا صدر الحسين وظهره بخيولهم، ثم بعث بالرؤوس والنساء والأطفال إلى عبيد الله بن زياد فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب في يده، فقال له زيد بن أرقم ارفع هذا القضيب فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله (ص) على هاتين الشفتين ثم بكى، وروي أنه قتل مع الحسين من أولاد علي أربعة هم العباس وجعفر ومحمد وأبو بكر، ومن أولاد الحسين أربعة، وقتل عدة من أولاد عبد الله بن جعفر ومن أولاد عقيل، ثم بعث ابن زياد بالرؤوس وبالنساء وبالأطفال إلى يزيد بن معاوية، فوضع يزيد رأس الحسين بين يديه، واستحضر النساء والأطفال، ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم، وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم إلى المدينة، فجهزهم إلى المدينة، ولما وصلوا إليها لقيهم نساء بني هاشم حاسرات وفيهن ابنة عقيل بن أبي طالب وهي تبكي وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي	منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم	أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

(واختلف) في موضع الحسين فقيل جهز إلى المدينة ودفن عند أمه، وقيل دفن عند باب الفردائس، وقيل إن خلفاء مصر نقلوه من عسقلان رأساً إلى القاهرة ودفنوه بها وبنوا عليه مشهداً يعرف بمشهد الحسين، وقد اختلف في عمره والصحيح أنه خمس وخمسون سنة وأشهر. وقيل حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة (وأما) عبد الله بن الزبير فإنه استمر بمكة ممتنعاً عن الدخول في طاعة يزيد بن معاوية.

مسيرة المطيع إلى الكوفة وانخما من ابن المطيع بعد وقعة كربلاء.

مضى إبراهيم إلى المختار وأخبره الخبر ، وبعثوا في الشيعة ، ونادوا بشار الحسين ، ومضى إبراهيم إلى النخع فاستركبهم وسار بهم في المدينة ليلاً ، وهو يتجنب المواضع التي فيها الامراء . ثم لقي بعضهم فهزمهم ، ثم آخرين كذلك ، ثم رجع إلى المختار فوجد شيث بن ربيعة وحجاز بن أبجر العجلي يقاتلانه فهزمهما ، وحاشب ابن المطيع فأشار اليه بجمع الناس والنهوض إلى القوم قبل . فولى أمرهم فركب واجتمع الناس وتوافى إلى المختار نحو أربعة آلاف من الشيعة ، وبعث ابن مطيع شيث بن ربيعة في ثلاثة آلاف ، وربيع بن اياس في أربعة آلاف . فصرح اليهم المختار إبراهيم بن الأشتر لراشد في ستمائة فارس وستمائة راجل ، ونعيم بن هبيرة لشيث في ثلثمائة فارس وستمائة راجل ، واقتتلوا من بعد صلاة الصبح . وقتل نعيم فوهن المختار لقتله ، وظهر شيث وأصحابه عليهم ، وقاتل إبراهيم بن الأشتر راشد بن اياس فقتله ، وانهزم أصحابه وركبهم الفشل .

وبعث ابن المطيع جيشاً كثيفاً فهزمهم ، ثم حمل على شيث فهزمه ، وبعث المختار فمنعه الرماة من دخول الكوفة . ورجع المنهزمون إلى ابن مطيع فدهش ، فشجعه عمر بن الحجاج الزبيدي ، وقال له اخرج واندب الناس ففعل . وقام في الناس ووبخهم على

هزيمتهم ، وندبهم . ثم بعث عمر بن الحجاج في ألفين وشمّر بن ذي الجوشن في ألفين ، ونوفل بن مساحق في خمسة آلاف . ووقف هو بكتائبه .

واختلف على القصر شيث بن ربيعي ، فحمل ابن الأشتر على ابن مساحق فهزمه وأسره ، ثم منّ عليه . ودخل ابن مطيع القصر وحاصره إبراهيم بن الأشتر ثلاثاً ومعه يزيد بن أنس وأحمد ابن شميظ ، ولما اشتدّ الحصار على ابن مطيع ، أشار عليه شيث ابن ربيعي بأن يستأمن للمختار ، ويلحق بابن الزبير وله ما يعده . فخرج عنهم مساءً ونزل دار أبي موسى . واستأمن القوم للمختار ، فدخل القصر وغدا على الناس في المسجد فخطبهم ، ودعاهم إلىبيعة ابن الحنفية ، فبايعه أشراف الكوفة على الكتاب والسنة ، واللفظ بأهل البيت ، ووعدهم بحسن السيرة . وبلغه أن ابن مطيع في دار أبي موسى ، فبعث إليه بمائة ألف درهم وقال يجهز بهذه . وكان ابن مطيع قد فرق بيوت الأموال على الناس ، وسار ابن مطيع إلى وجهه وملك الكوفة ، وجعل على شرطته عبدالله بن كامل ، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة ، وجعل الأشراف جلساءه ، وعقد لعبدالله بن الحرث بن الأشتر على أرمينية ، ولمحمد ابن عُمير بن عطاردي على أذربيجان ، ولعبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، ولإسحق بن مسعود على المدائن ، ولسعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان . وأمره بقتال الأكراد واصلاح

السَّابِلَةِ . وولى شُرَيْحاً على القضاء . ثم طعنت فيه الشيعة ، بأنَّه شهد على حِجْر بن عَدِيٍّ ، ولم يبلغ عن هانيء بن عُرْوَةَ رسالته إلى قومه ، وأنَّ عليّاً غرمه ، وأنه عثمانيٌّ . وسمع ذلك هو فتمارض ، فجعل مكانه عبدالله بن عُتْبَةَ بن مسعود ، ثم مرض فولى مكانه عبدالله بن مالك الطائي .

مسيرة ابن زياد إلى المختار وخلافة أهل الكوفة عليه

كان مروان بن الحكم لما استوثق له الشام ، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز مع جيش بن دَلْجَةَ القَيْنِيَّ وَقِدْشَاتَةَ وَمَقْتَلَةَ^(١) ، والآخر إلى العراق مع عُبيدالله بن زياد ، فكان من أمره وأمر التَّوَابِينَ من الشيعة ما تقدّم . وأقام محاصراً لَزِفَرَ بن الحرث بقرقيسيا ، وهو مع قومه قيس على طاعة ابن الزبير ، فاشتغل بهم عن العراق سنة أو نحوها . ثم توفي مروان ووَلَّى بعده عبد الملك ، فأقره على ولايته وأمره بالجدِّ . ويئس من أمر زُفَر وقيس ، فنهض إلى الموصل ، فخرج عنها عبد الرحمن بن سعيد عامل المختار إلى تكريت . وكتب إلى المختار بالخبر ، فبعث يزيد بن أنس الأَسَدِيَّ في ثلاثة آلاف إلى الموصل ، فسار إليها على المدائن ، وسرَّح ابن زياد للقائه ربيعة بن المختار الغنويَّ في ثلاثة آلاف ، فالتقيا ببابل . وعَبَّى يزيد أصحابه وهو راكب على حمار وحرّضهم . وقال ان مُت فأميركم ورُقَاءُ بن عازب الأَسَدِيَّ ، وان هلك

(١) كذا في الأصل ولم نثر على هذه الأسماء فيما لدينا من المراجع .

فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضُمَرَ الْفَزَارِيِّ ، وَان هَلَك فَسَعَدُ الْخَثْعَمِيِّ .

ثم اقتتلوا يوم عرفة وانهزم أهل الشام وقتل ربيعة ، وسار القل غير بعيد ، فلقبهم عبدالله بن حملة الخثعمي قد سرحه ابن زياد في ثلاثة آلاف ، فرد المنهزمين وعاد القتال يوم الأضحى ، فانهزم أهل الشام ، وأثنخ فيهم أهل الكوفة بالقتل والنهب ، وأسروا منهم ثلثمائة فقتلوهم . وهلك يزيد بن أنس من آخر يومه ، وقام بأمرهم ورقاء بن عازب خليفته ، وهاب لقاء ابن زياد بعد يزيد وقال : نرجع بموت أميرنا قبل أن يتجرأ علينا أهل الشام بذلك . وانصرف الناس وتقدم الخبر إلى الكوفة ، فأرجف الناس بالمختار ، وأشيع أن يزيد قتل .

وسر المختار رجوع العسكر ، فسرح ابراهيم بن الأشتر في سبعة آلاف ، وضم اليه جيش يزيد ، ثم تأخر ابن زياد فسار لذلك . ثم اجتمع أشراف الكوفة عند شيث بن ربيعي وكان شيخهم جاهلياً اسلامياً ، وشكوا من سيرة المختار وإيثاره الموالي عليهم ، ودعوه إلى الوثوب به . فقال حتى ألقاه وأعذر اليه ، ثم ذهب اليه وذكر له جميع ما نكروه ، فوعده الرجوع إلى مرادهم ، وذكر له شأن الموالي وشركتهم في الفيل . فقال : ان أعطيتهموني عهدكم على قتال بني أمية وابن الزبير تركتهم . فقال اخرج اليهم بذلك ، وخرج فلم يرجع . واجتمع رأيهم على قتاله ، وهم شيث بن ربيعي ، ومحمد بن الأشعث ، وعبد الرحمن بن سعد بن قيس ، وشمر بن

ذِي الْجَوْشَنِ ، وكعب بن أبي كعب النَخَعِيّ ، وعبد الرحمن بن مُخْنِفَ الْأَزْدِيّ . وقد كان ابن مخنف أشار عليهم بأن يمهلوه لقدم أهل الشام وأهل البصرة ، فيكفونكم أمره قبل أن يقاتلكم بمواليكم وشجعانكم وهم عليكم أشدّ ، فأبوا من رأيه وقالوا لا تفسد جماعتنا .

ثم خرجوا وشهروا السلاح ، وقالوا للمختار : اعتزلنا فان ابن الحَنْفِيَّةِ لم يبعثك . قال نبعث اليه الرسل مني ومنكم ، وأخذ يعلمهم بأمثال هذه المزاوجات ، وكفّ أصحابه عن قتالهم ينتظر وصول ابراهيم بن الأشتر ، وقد بعث اليه بالرجوع . فجاء فرأى القوم مجتمعين ، ورِفاعَةَ بن شَدَّادِ الْبَجَلِيِّ يصلي بهم . فلما وصل ابراهيم عباً المختارُ أصحابه ، وسرّح بين يديه أحمد بن شُمَيْطِ الْبُجَيْلِيِّ ، وعبدالله بن كامل الشادي ، فانهزم أصحابهما وصبرا ، ومدهما المختار بالفرسان والرجال فوجاً بعد فوج ، وسار ابن الأشتر إلى مصر وفيهم شيث بن ربيعي فقاتلوه فهزمهم ، فاشتدّ ابن كامل على الْيَمَنِ ، ورجع رفاعه بن شدّاد أمامهم إلى المختار ، فقاتل معه حتى قتل من أهل اليمن عبدالله بن سعيد بن قيس ، والفرات ابن زخر بن قيس ، وعُمَرَ بن مُخْنِفَ . وخرج أخوه عبد الرحمن فمات ، وانهزم أهل اليمن هزيمةً قبيحة ، وأسر من الوَادِعِيِّين خمسمائة أسير ، فقتل المختار كل من شهد قتل الحسين منهم ، فكانوا نصفهم وأطلق الباقي .

ونادى المختار الأمان ، الا من شهد في دماء أهل البيت وفرَّ
عُمَرُ بن الحَجَّاجِ الزُبَيْدِي ، وكان أشدَّ من حضر قتل الحسين ،
فلم يوقف له على خبر . وقيل أدركه أصحاب المختار فأخذوا رأسه ،
وبعث في طلب شمر بن ذي الجَوْشَنِ ، فقتل طالبه وانتهى الى قرية
الْكَلْبَانِيَّةِ ، فارتاح يظن انه نجا . واذا في قرية أخرى بازائه أبو
عُمَرَةَ صاحب المختار ، بعثه مَسْلَحَةً بينه وبين أهل البصرة ، فمني
اليه خبره فركب اليه فقتله وألقى شلوه للكلاب .

وانجلت الواقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً أكثرهم من اليمن ،
وكان آخر سنة ست وستين ، وخرج أشراف الناس إلى البصرة ،
وتتبع المختار قتلة الحسين ودلَّ على عبيد الله بن أسد الجَهَنِّي ، ومالك
ابن نُسَيْرِ الكِنْدِيِّ . وحمل ابن مالك المَحَارِبِيَّ بالقادسية فأحضرهم
وقتلهم . ثم أحضر زياد بن مالك الضَّبْعِيَّ ، وعِمْرَان بن خالد العُشْرِيَّ
وعبد الرحمن بن أبي حشكارَةَ البَجَلِيَّ ، وعبد الله بن قيس الخَوْلَانِيَّ ،
وكانوا نهبوا من الورث الذي كان مع الحسين فقتلهم . وأحضر
عبد الله أو عبد الرحمن بن طَلَحَةَ وعبد الله بن وَهَيْبِ الهَمْدَانِيَّ ابن عم
الأعشى فقتلهم . وأحضر عثمان بن خالد الجَهَنِّيَّ وأبا اسماء بشر
ابن سُمَيْطِ القَابِسِيِّ ، وكانا مشتركين في قتل عبد الرحمن بن عقيل
وفي سلبه ، فقتلها وحرقهما بالنار .

وبحث عن خولي بن يزيد الأصْبَحِيَّ صاحب رأس الحسين ،
فجيء برأسه وحرق بالنار . ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص

بعد أن كان أخذ له الأمان منه عبد الله بن أبي جعدة بن هبيرة ، فبعث أبا عمرة فجاءه برأسه وابنه حفص عنده . فقال تعرف هذا ؟ قال نعم ! ولا خير في العيش بعده فقتله . ويقال : ان الذي بعث المختار على قتلة الحسين ، أن يزيد بن شراحيل الأنصاري قدم على محمد بن الحنفية ، فقال له ابن الحنفية : يزعم المختار ان لنا شيعة ، وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدثونه . فلما سمع المختار ذلك تتبعهم بالقتل ، وبعث برأس عمرو ابنه إلى ابن الحنفية ، وكتب اليه أنه قتل من قدر عليه وهو في طلب الباقيين . ثم أحضر حكيم بن طفيل الطائي ، وكان رمى الحسين بسهم ، وأصاب سلب العباس ابنه . وجاء عدي بن حاتم يشفع فيه ، فقتله ابن كامل والشيعه قبل أن يصل حذراً من قبول المختار شفاعته . وبحث عن مرة بن منقذ بن عبد القيس قاتل علي بن الحسين ، فدافع عن نفسه ونجا إلى مصعب بن الزبير ، وقد شلت يده بضربة . وبحث عن زيد وفاد^(١) الحسين قاتل عبدالله بن مسلم بن عقيل ، رماه بسهمين وقد وضع كفه على جبهته يتقي النبل ، فأثبت كفه في جبهته وقتله بالأخرى ، فخرج بالسيف يدافع . فقال ابن كامل ارموه بالحجارة ، فرموه حتى سقط وأحرقوه حياً . وطلب سنان ابن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين فلحق بالبصرة . وطلب عمر بن صبح^(٢) الصدائي فقتله طعنًا بالرماح ، وأرسل في

(١) كذا في الأصل .

طلب محمد بن الأشعث وهو في قريته عند القادِسيَّة فهرب إلى مصعب
وهدم المختار داره . وطلب آخرين كذلك من المتهمين بأمر الحسين .
فلحقوا بمصعب وهدم دورهم .

شأن المختار مع ابن الزبير

كان على البصرة الحرث بن أبي ربيعة وهو القبَّاعُ عاملاً لابن
الزُّبَيْرِ . وعلى شرطته عبَّاد بن حسين . وعلى المقاتلة قيسُ
ابن الهيثم . وجاء الثني بن مخرمة العبدِيّ ، وكان ممن شهد مع
سليمان بن صُرد ، ورجع فبايع للمختار ، وبعثه إلى البصرة يدعو
له بها ، فأجابه كثير من الناس ، وعسكر لحرب القبَّاع . فسرح
إليه عبَّاد بن حُسين وقيس بن الهيثم في العساكر ، فانهزم الثني
إلى قومه عبد القيس . وأرسل القبَّاع عسكرياً يأتونه به . فجاءه
زياد بن عُمَرَ العنكبِيّ ، فقال له : لتردُّ خيلك عن إخواننا أو
لنُقَاتِلَنَّهُمْ . فأرسل الأحنف بن قيس وأصلح الامر ، عل أن يخرج
الثني عنهم ، فسار إلى الكوفة .

وقد كان المختار لما أخرج ابن مطيع من البصرة كتب إلى
ابن الزبير يخادعه ليتم أمره في الدعاء لأهل البيت ، وطلب المختار
في الوفاء بما وعده به الولاية . فأراد ابن الزبير أن يتبين
الصحيح من أمره . فولَّى عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام
على الكوفة ، وأعلمه بطاعة المختار وبعثه إليها . وجاء الخبر إلى
المختار ، فبعث زائدة بن قدامة في خمسمائة فارس ، وأعطاه سبعين

ألف درهم ، وقال ادفعها إلى عُمَرَ فهي ضعف ما أنفق ، وأمره بالانصراف بعد تمكث ، فان أبي فأره الخيل ، فكان كذلك . ولا رأى عمر الخيل أخذ المال وسار نحو البصرة ، واجتمع هو وابن مطيع في اماره القبايع قبل وثوب ابن مخزومة . وقيل ان المختار كتب إلى ابن الزبير اني اتخذت الكوفة داراً ، فان سوغتني ذلك وأعطيتني مائة ألف درهم سرت إلى الشام وكفيتك مروان ، فمنعه من ذلك . فأقام المختار بطاعته ويوادعه ليتفرغ لاهل الشام .

ثم بعث عبد الملك بن مروان عبد الملك بن الحرث بن الحكم ابن ابي العاص إلى وادي القرى ، فكتب المختار إلى ابن الزبير يعرض عليه المدد ، فأجابه أن يعجل بانفاذ الجيش إلى جند عبد الملك بوادي القرى ، فسرح شرحبيل بن دُوس الهمداني في ثلاثة آلاف اكريم^(١) من الموالي ، وأمره أن يأتي المدينة ويكاتبه بذلك ، واتهمه ابن الزبير فبعث من مكة عباس بن سهل بن سعد في ألفين ، وأمره أن يستنفر العرب ، وإن رأى من جيش المختار خلافاً ناجزهم وأهلكهم . فلقبهم عباس بالرقيم وهم على تعبئة ، فقال سيروا بنا إلى العدو الذي بوادي القرى . فقال ابن دوس انما أمرني المختار أن آتي المدينة ، ففطن عباس لما يريد . فأتاهم بالعلوفة والزاد ، وتخير ألفاً من أصحابه وحمل عليهم ، فقتل ابن دوس وسبعين معه

(١) كذا في الأصل .

من شجعان قومه ، وأمن الباقين فرجعوا للكوفة ، ومات أكثرهم في الطريق .

وكتب المختار إلى ابن الحنفية يشكو ابن الزبير ويؤهمه أنه بعث الجيش في طاعته ، ففعل بهم ابن الزبير ما فعل . ويستأذنه في بعث الجيوش إلى المدينة ، ويبعث ابن الحنفية عليهم رجلاً من قبله فيفهم الناس أي في طاعتك ، فكتب إليه ابن الحنفية قد عرفت قصدك ووفاءك بحقي ، واحب الامر إلى الطاعة ، فاطع الله وتجنب دماء المسلمين . فلو أردت القتال لوجدت الناس إلى سراعاً والاعوان كثيراً لكني أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

ثم دعا ابن الزبير محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وشيعته إلى البيعة ، فامتنع وبعث إليه ابن الزبير وأغلظ عليه وعليهم ، فاستكانوا وصبروا فتركهم . فلما استولى المختار على الكوفة ، وأظهر الشيعة دعوة ابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضا به . فاعتزم عليهم في البيعة ، وتوعدهم بالقتل ، وحبسهم بزمزم ، وضرب لهم أجلاً . وكتب ابن الحنفية إلى المختار بذلك ، فأخبر الشيعة وندبهم وبعث أمراء منهم في نحو ثلثمائة ، عليهم أبو عبد الله الجبلي . وبعث لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم ، وساروا إلى مكة ، فدخلوا المسجد الحرام وبأيديهم الخشب ، كراهة إشهار السيوف في الحرم ، وطفقوا ينادون بشار الحسين

حتى انتهوا إلى زمزم . وأخرج ابن الحنفية وكان قد بقي من أجله يومان ، واستأذنه في قتال ابن الزبير ، فقال لا أستحل القتال في الحرم . ثم جاء باقي الجند ، وخافهم ابن الزبير ، وخرج ابن الحنفية إلى شُعب عليّ واجتمع له أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال .

ولما قتل المختار واستوثق أمر ابن الزبير ، بعث اليهم في البيعة ، فخافه على نفسه وكتب لعبد الملك فأذن له أن يقدم الشام ، حتى يستقيم أمر الناس ، ووعدته بالاحسان . وخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام . ولما وصل مدينَ لقيه خبر مهلك عمر ابن سعيد ، فندم وأقام بائلة وظهر في الناس فضله وعبادته وزهده . وكتب له عبد الملك أن يبايعه فرجع إلى مكة ونزل شعب أبي طالب ، فأخرجه ابن الزبير فسار إلى الطائف ، وعذل ابن عباس ابن الزبير على شأنه ثم خرج عنه ولحق بالطائف ومات هنالك . وصلى عليه ابن الحنفية ، وعاش إلى أن أدرك حصار الحجاج لابن الزبير .

ولما قتل ابن الزبير بايع لعبد الملك ، وكتب عبد الملك إلى الحجاج بتعظيم حقه وبسط أمله ، ثم قدم إلى الشام وطلب من عبد الملك أن يرفع حكم الحجاج عنه ففعل ، وقيل ان ابن الزبير بعث إلى ابن عباس وابن الحنفية في البيعة حتى يجتمع الناس على امام ، فإن في هذه فتنة . فحبس ابن الحنفية في زمزم ، وضيق

على ابن عباس في منزله ، وأراد احراقهما ، فأرسل المختار جيشه كما تقدّم ونفس عنهما . ولما قتل المختار قوي ابن الزبير عليهما فخرجا إلى الطائف .

مقتل ابن زياد

ولما فرغ المختار من قتال أهل الكوفة آخر سنة ست وستين ، بعث ابراهيم بن الأشتر لقتال ابن زياد ، وبعث معه وجوه أصحابه وفرسانهم وشيعته وأوصاه . وبعث معه بالكروسي الذي كان يستنصر به وهو كروسي قد غشاه بالذهب . وقال للشيعة هذا فيكم مثل التابوت في بني اسرائيل ، فكبر شأنه وعظم . وقاتل ابن زياد فكان له الظهور واقتتن به الشيعة ، ويقال : إنه كروسي علي بن أبي طالب ، وان المختار أخذه من والد جُعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ ، وكانت أمه أم هانئ بنت أبي طالب ، فهو ابن أخت علي . ثم أسرع ابراهيم بن الأشتر في السير وأوغل في أرض الموصل ، وكان ابن زياد قد ملكها كما مرّ .

فلما دخل ابراهيم أرض الموصل عبّى أصحابه ، ولما بلغ نهر الحارم بعث على مقدمته الطُفَيْل بن لقيط النخعي ، ونزل ابن زياد قريباً من النهر ، وكانت قيس مطبقة على بني مروان عند المرج ، وجند عبد الملك يومئذ ^(١) فلقي عُمَيْرُ بن الحباب السلمي

(١) هنا يبايض بالأصل وعبرة الطبري في ج ٧ ص ١٤٢ : «وجاء عبد الله بن زياد حتى نزل قريباً منهم على شاطئ خازر، وأرسل عمير بن الحباب السلمي إلى ابن الأشتر: إني معك وأنا أريد الليلة لقاءك، فأرسل إليه ابن الأشتر أن ألقني إذا شئت . وكانت قيس كلها بالجزيرة فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان، وجند مروان، يومئذ كانوا وصاحبهم بجندل، فأتاه عمر ليلاً فبايعه» .

ابراهيم بن الأشتر ، وأوعده أن ينهزم بالميسرة ، وأشار عليه بالمشاجرة . ورأى عند ابن الأشتر ميلاً إلى المطاولة فثناه عن ذلك . وقال : انهم ميلوا ^(١) منكم رعباً وان طاولتهم اجترؤا عليكم . قال وبذاك أوصاني صاحبي . ثم عبى أصحابه في السحر الأول ، ونزل يمشي ويحرّض الناس ، حتى أشرف على القوم ، وجاءه عبدالله بن زهير السلوي بأنهم خرجوا على دهش وفشل ، وابن الأشتر يحرض أصحابه ويذكرهم أفعال ابن زياد وأبيه .

ثم التقى الجمعان وحمل الحُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ من ميمنة أهل الشام على ميسرة ابراهيم ، فقتل علي بن مالك الخثعمي ، ثم أخذ الراية فرد بن علي ، فقتل وانهزمت الميسرة ، فأخذ الراية عبدالله بن ورقاء بن جنادة السلوي ، ورجع بالمنهزمين إلى الميسرة كما كانوا . وحملت ميمنة ابراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عُمَيْرُ بن الحباب كما وعدهم ، فمنعته الأنفة من ذلك وقاتل قتالاً شديداً . وقصد ابن الأشتر قلب العسكر وسواده الأعظم ، فاقتتلوا أشد قتال ، حتي كانت أصوات الضرب بالحديد كأصوات القصارين وابراهيم يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم . ثم حملوا حملة رجل واحد ، فانهزم أصحاب ابن زياد . وقال ابن الأشتر اني قتلت رجلاً تحت راية منفردة شممت منه رائحة المسك ، وضربته بسيفي فقصمته نصفين ، فالتمسوه ، فاذا هو ابن زياد فأنخذت رأسه وأحرقت

(١) كذا، ولا معنى للميل هنا، ولعلها ملثوا.

جثته . وحمل شريك بن جدير الثعلبي على الحصين بن نمير ، فاعتقله وجاء أصحابه فقتلوا الحصين .

ويقال : ان الذي قتل ابن زياد هو ابن جدير هذا ، وقتل شرحبيل بن ذي الكلاع وادعى قتله سفيان بن يزيد الازدي ، وورقاء بن عازب الازدي ، وعبيدالله بن زهير السلمي وتابع أصحاب ابن الأشتر المنهزمين فغرق في النهر أكثر ممن قتل ، وغنموا جميع ما في العسكر . وطراً ابن الأشتر بالبشارة إلى المختار فأتته بالمدائن ، وأنفذ ابن الأشتر عماله إلى البلاد فبعث أخاه عبد الرحمن على نصيبين ، وغلب على سنجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة . وولى زفر بن الحرث قيس^(١) وحاتم بن النعمان الباهلي حران والرها وشمشاط ، وعُمير بن الحباب السلمي كفرنوبي وطور عبدين ، وأقام بالموصل وأنفذ رؤوس عبيدالله وقواده إلى المختار .

مسير مصعب إلى المختار وقتله إياه

كان ابن الزبير في أول سنة سبع وستين أو آخر ست عزل الحرث بن ربيعة وهو القباع وولى مكانه أخاه مصعباً ، فقدم البصرة وصعد المنبر ، وجاء الحرث فأجلسه مصعب تحته بدرجة ،

(١) قال في المشترك : قيس بفتح القاف وسكون المثناة من تحت وفي آخرها سين مهملة . وقال في اللباب : كيش بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وفي آخرها شين معجمة ، وجزيرة كيش بين الهند والبصرة ، وهذه الجزيرة مغاص لأولئ، وبها نخيل محدث وأشجار جبلية وشرب أهلها من الآبار اهـ من أبي الفداء .

ثم خطب وقرأ الآيات من أوّل القصص ، ونزل ولحق به أشراف الكوفة حتى قربوا من المختار ، ودخل عليه شيث بن ربيعي وهو ينادي واغوثاه ، ثم قدم محمد بن الأشعث بعده واستوثقوه إلى المسير ، وبعث إلى المهلب بن أبي صفرة وهو عامله على فارس ليحضر معه قتال المختار ، فأبطأ وأغفل . وأرسل إليه محمد بن الأشعث بكتابه ، فقال المهلب : ما وجد مصعب يريد غيرك ؟ فقال : ما أنا ببريد ، ولكن غلبنا عبيدنا على أبنائنا وحرمنا ، فأقبل معه المهلب بالجموع والاموال ، وعسكر مصعب عند الجسر ، فأرسل عبد الرحمن بن مخنف إلى الكوفة سراً ليثبط الناس عن المختار ، ويدعو إلى ابن الزبير . وسار على التعبئة وبعث في مقدمته عبادة بن الحصين الحبطي التميمي ، وعلى ميمنته عمر بن عبيد الله بن معمر ، وعلى يسرته المهلب .

وبلغ الخبر المختار فقام في أصحابه ، وقربهم إلى الخروج مع ابن شميطة ، وعسكر مع محمد في أعفر . وبعث رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر مع ابن شميطة وأصحابه فثبتوا وحمل المهلب من الميسرة ، على ابن كامل فثبت ، ثم كرّ المهلب وحمل حملة منكرة ، وصبر ابن كامل قليلاً وانهزموا وحمل الناس جميعاً على ابن شميطة فانهزم وقتل . واستمرّ القتل في الرجالة ، وبعث مصعب عبادة فقتل كل أسير أخذه . وتقدّم محمد بن الأشعث في خيل من أهل الكوفة ، فلم يدركوا منهزماً إلا قتلوه . ولما فرغ مضعب منهم

أقبل فقطع الفرات من موضع واسِط ، وحملوا الضعفاء وأثقالهم في السفن ، ثم خرجوا إلى نهر الفرات وسار إلى الكوفة . ولما بلغ المختار خبر الهزيمة ومن قتل من أصحابه ، وأنَّ مصعباً أقبل إليه في البرِّ والبحر سار إلى مجتمع الانهار ، نهر الجزيرة والمسلحين والقادسية ، ونهر يسر . فسكر الفرات فذهب ماؤه في الانهار .

وبقيت سفن أهل البَصْرَةِ في الطين فخرجوا إلى السكر وأزالوه ، وقصدوا الكوفة . وسار المختار ونزل حروراء بعد أن حصن القصر وأدخل عدة الحصار ، وأقبل مصعب وعلى يمينته المهلب ، وعلى يسرته عُمَرُ بن عبيدالله ، وعلى الخيل عَبَّادُ بن الحُصَيْن ، وجعل المختار على يمينته سليم بن يزيد الكندي ، وعلى يسرته سعيد بن منقذ الهمداني ، وعلى الخيل عمر بن عبيدالله النهدي . ونزل محمد بن الأشعث فيمن هرب من أهل الكوفة بين العسكرين .

ولما التقى الجمعان اقتتلوا ساعة ، وحمل عبدالله بن جُعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ المخزوميَّ على من بازائه ، فحطم أصحاب المختار حطمة منكراً وكشفوهم ، وحمل مالك بن عمر النهديَّ في الرجالة عند المساء على ابن الأشعث حملة منكراً ، فقتل ابن الأشعث وعامة أصحابه . وقتل عبيدالله بن علي بن أبي طالب وقاتل المختار . ثم افترق الناس ودخل القصر وسار مصعب من الغد فنزل السَّبْحَةَ وقطع

عنهم الميرة . وكان الناس يأتونهم بالقليل من الطعام والشراب خفية ، ففطن مُضْعَبٌ لذلك فمنعه ، وأصابهم العطش فكانوا يصبون العسل في الآبار ويشربون .

ثم ان المختار أشار على أصحابه بالاستماتة فَتَحَنَطَ وَتَطَيَّبَ ، وخرج في عشرين رجلاً : منهم السائب بن مَسْلَكِ الْأَشْعَرِيّ فعذله . فقال : ويحك يا أحمق ، وثب ابن الزبير بالحجاز ، ووثب بجدة باليمامة ، وابن مروان بالشام فكنت كأحدهم الا أنني طلبت بشار أهل البيت إذ نامت عقد العرب ، فقاتل على حسبك ان لم يكن لك نية . ثم تقدم فقاتل حتى قتل على يد رجلين من بني حنيفة أخوين طَرْفَةَ وَطَرَّافَ ابني عبدالله بن دَجَاجَةَ . وكان عبدالله بن جُعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ لما رأى عزم المختار على الاستماتة تدلى من القصر ، واختفى عند بعض إخوانه ، ثم بعث الذين بقوا بالقصر إلى مصعب ، ونزلوا على حكمه فقتلهم أجمعين . وأشار عليه المهلب باستبقائهم ، فاعترضه أشراف أهل الكوفة ، ورجع إلى رأيهم . ثم أمر بكف المختار بن أبي عبيد فقطعت وسمرت إلى جانب المسجد فلم ينزعها من هنالك إلا الحجاج . وقتل زوجة عمرة بنت النعمان بن بشير زعمت أن المختار ^(١) فاستأذن أخاه عبدالله وقتلها .

(١) بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٨٦ : «وقالت عمرة: رحمه الله كان عبد الله صالحاً فحبسها مصعب وكتب إلى أخيه عبد الله بن الزبير أنها تزعم أنه نبي فأمر بقتلها، فقتلت ليلاً بين الكوفة والحيرة».

ثم كتب مصعب إلى ابراهيم بن الأشتر يدعوه إلى طاعته ، ووعدته بولاية أعنة الخيل وما غلب عليه من المغربة . وكتب اليه عبد الملك بولاية العراق ، واختلف عليه أصحابه فجئح إلى مصعب خشية مما أصاب ابن زياد وأشرف أهل الشام . وكتب إلى مصعب بالاجابة وسار اليه ، فبعث على عمله بالموصل والجزيرة وارمينية وأذربيجان المهلب بن أبي صفرة . وقيل ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة . وانه بعث على مقدمته أحمد بن شميظ ، وبعث مصعب عبداً الحبطيّ ومعه عبيد الله بن علي بن أبي طالب ، وتراضوا ليلاً ، فناجزهم المختار من ليلته . وانكشف أصحاب مصعب إلى عسكرهم واشتد القتال ، وقتل من أصحاب مصعب جماعة . منهم محمد بن الأشعث .

فلما أصبح المختار وجد أصحابه قد توغلوا في أصحاب مصعب وليس عنده أحد ، فانصرف ودخل قصر الكوفة وفقد أصحابه فلحقوا به ، ودخل القصر معه ثمانية آلاف منهم . وأقبل مصعب فحاصروهم أربعة أشهر يقاتلهم بالسيوف كل يوم حتى قتل ، وطلب الذين في القصر الأمان من مصعب ونزلوا على حكمه فقتلهم جميعاً ، وكانوا ستة آلاف رجل . ولما ملك مصعب الكوفة بعث عبدالله بن الزبير ابنه حمزة على البصرة مكان مصعب ، فأساء السيرة وقصر بالاشراف ففزعوا إلى مالك بن مسيعة ، فخرج إلى

الجسر وبعث إلى حمزة أن ألحق بأبيك . وكتب الأحنف إلى أبيه أن يعزله عنهم ويعيد لهم مصعباً ففعل .

وخرج حمزة بالاموال فعرض له مالك بن مسمع وقال : لا ندعك تخرج باعطيائنا ، فضمن له عمر بن عبيد الله العطاء فكف عنه . وقيل : ان عبيد الله بن الزبير انما ردّ مُصعباً إلى البصرة عند وفادته عليه بعد سنة من قتل المختار . ولما ردّه إلى البصرة استعمل عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس ، وولاه حرب الأزارقة . وكان المهلب على حربهم أيام مصعب وحمزة ، فلما ردّ مصعباً أراد أن يولي المهلب الموصل والجزيرة وارمينية ليكون بينه وبين عبد الملك ، فاستقدمه واستخلف على عمله المغيرة . فلما قدم البصرة عزله مصعب عن حرب الخوارج وبلاد فارس ، واستعمل عليها عمر بن عبيد الله بن معمر فكان له في حروبهم ما نذكره في أخبار الخوارج .

ذلك عمر بن سعيد الخرف ومقتله

كان عبد الملك بعد رجوعه من قنسرين أقام بدمشق زمناً ، ثم سار لقتال زحر^(١) بن الحرث الكلابي بقرقيسيا ، واستخلف على دمشق عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ابن أخته وسار معه

(١) لعله زفر بن الحارث وهو الذي أشار إليه الأخطل في قصيدته بمدح بني أمية :

بني أمية إني ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمنا زفر

عُمَرُ بن سعيد . فلما بلغ بطنان انتقص ^(١) عمر وأُسرَى ليلاً إلى دمشق ، وهرب ابن أم الحكم عنها فدخلها عمر وهدم داره ، واجتمع إليه الناس فخطبهم ووعدهم . وجاء عبد الملك على اثره فحاصره بدمشق ، ووقع بينهما القتال أياماً . ثم اصطلحا وكتب بينهما كتاباً ، وأمنه عبد الملك فخرج إليه عمرو ودخل عبد الملك دمشق ، فأقام أربعة أيام . ثم بعث إلى عمر ليأتيه ، فقال له عبدالله بن يزيد ابن معاوية وهو صهره وكان عنده : لا تأتيه ^(٢) فاني أخشى عليك منه . فقال : والله لو كنت نائماً ما أيقظني . ووعد الرسول بالرواح إليه ثم أتى بالعشي ولبس درعه تحت القباء ، ومضى في مائة من مواليه ، وقد جمع عبد الملك عنده بني مروان ، وحسان بن نجد الكلبي ، وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي وأذن لعمر فدخل .

ولم يزل أصحابه يجلسون عند كل باب حتى بلغوا قاعة الدار وما معه إلا غلام واحد . ونظر إلى عبد الملك والجماعة حوله فأحسّ بالشر . وقال للغلام انطلق إلى أخي يحيى وقل له يأتيني ، فلم يفهم عنه وأعاد عليه فيجيبه الغلام لبيك ، وهو لا يفهم . فقال له اغرب عني . ثم أذن عبد الملك لحسان وقبيصة فلقيا عمر ، ودخل فأجلسه معه على السرير ، وحادثه زمناً . ثم أمر بنزع السيف عنه . فأتكر ذلك عمر وقال : اتق الله يا أمير المؤمنين ! فقال له عبد

(١) كذا . ولعلها انتقص بالضاد .

(٢) كذا . ولعلها لا تأتيه .

الملك : أتطمع أن تجلس معي متقلداً سيفك ؟ فأخذ عنه السيف ، ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية انك حين خلعتني خلقت يمين ان أنا رأيته بحيث أقدر عليك ان أجعلك في جامعة ، فقال بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم ! وما عسيت أن أصنع بأبي أمية ؟ فقال بنو مروان أبر قسم أمير المؤمنين يا أبا أمية ، فقال عمر قد أبر الله قسمك يا أمير المؤمنين .

فأخرج من تحت فراشه جامعة وأمر غلاماً فجمعه فيها ، وسأله أن لا يخرج به على رؤوس الناس . فقال أمكراً عند الموت ؟ ثم جذب به جذبة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته ثم سأل الابقاء . فقال عبد الملك : والله لو علمت أنك تبقى ان أبقيت عليك وتصلح قريش لابقيتك ، ولكن لا يجتمع رجلان مثلنا في بلد . فشتمه عمر ، وخرج عبد الملك إلى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز بقتله . فلما قام إليه بالسيف ذكره الرحيم ، فأمسك عنه وجلس . ورجع عبد الملك من الصلاة وغلقت الابواب ، فغلظ لعبد العزيز ثم تناول عمر فذبحه بيده ، وقيل أمر غلامه ابن الزغير فقتله .

وافتقد الناس عمر مع عبد الملك حين خرج إلى الصلاة . فأقبل أخوه يحيى في أصحابه وعبيده وكانوا ألفاً ، ومعه حميد بن الحرث وحريث وزهير بن الأبرد فهتفوا باسمه ، ثم كسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف ، وخرج الوليد بن عبد الملك واقتتلوا ساعة . ثم خرج عبد الرحمن ابن أم الحكم الثقفى بالرأس فآلقاه

إلى الناس ، وألقى اليهم عبد العزيز بن مروان بدر الاموال فانتهبوها وافترقوا . ثم خرج عبد الملك إلى الناس وسأل عن الوليد فأخبر بجراحته ، وأتى بيحيى بن سعيد وأخيه عَنبَسَةَ فحبسهما وحبس بني عمر بن سعيد ، ثم أخرجهم جميعاً وألحقهم بمصعب ، حتى حضروا عنده بعد قتل مصعب فأمّنهم ووصلهم .

وكان بنو عمر أربعة : أُمَيَّةَ وسَعْدَ واسماعيل ومحمد . ولما حضروا عنده قال أنتم أهل بيت ترون لكم على جميع قومكم فضلاً لن يجعله الله لكم ، والذي كان بيني وبين أبيكم لم يكن حديثاً بل كان قديماً في أنفس أوليكم على أولينا في الجاهلية . فقال سعيد : يا أمير المؤمنين ! تعدّ علينا أمراً كان في الجاهلية ، والاسلام قد هدم ذلك ، ووعد جنة وحذر ناراً . وأما عمر فهو ابن عمك وقد وصل إلى الله وأنت أعلم بما صنعت ، وإن أحدثنا به فبطن الارض خير لنا من ظهرها . فرق لهم عبد الملك وقال أبوكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله واخترت قتله على قتلتني ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم واحسن حالتهم . وقيل إن عمر انما كان خلفه وقتله حين سار عبد الملك لقتال مصعب ، طلبه أن يجعل له العهد بعده كما فعل أبوه ، فلم يجبه إلى ذلك ، فرجع إلى دمشق فعصى وامتنع بها ، وكان قتله سنة تسع وستين .

سير عبد الملك إلى العراق ومقتل مصعب

ولما صفا الشام لعبد الملك اعتزم على غزو العراق ، وأتته الكتب من أشرافهم يدعونه ، فاستمهل أصحابه فأبى . وسار نحو العراق وبلغ مصعباً سيره ، فأرسل إلى المهلب بن أبي صفرة وهو بفارس في قتال الخوارج يستشيريه . وقد كان عزل عمر بن عبيد الله ابن معمر عن فارس وحرب الخوارج ، وولى مكانه المهلب ، وذلك حين استخلف على الكوفة . وجاء خالد بن عبيد الله بن خالد بن أسيد على البصرة مختفياً ، واعيد لعبد الملك عند مالك بن مسمع في بكر بن وائل والازد ، وأمد عبد الملك بعبيد الله بن زياد بن ضبيان وحاربهم عمر بن عبيد الله بن معمر ، ثم صالحهم على ان يخرجوا خالداً فأخرجوه .

وجاء مصعب وقد طمع أن يدرك خالداً فوجده قد خرج ، فسخط على ابن معمر وسب أصحابه وضربهم وهدم دورهم وحلقهم ، وهدم دار مالك بن مسمع واستباحها . وعزل ابن معمر عن فارس وولى المهلب وخرج إلى الكوفة . فلم يزل بها حتى سار للقاء عبد الملك ، وكان معه الاحنف فتوفي بالكوفة . ولما بعث عن المهلب ليسير معه أهل البصرة إلا أن يكون المهلب على قتال الخوارج ردّه وقال له المهلب : إن أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك ، وكاتبهم فلا يتعدى .

ثم بعث مصعب عن ابراهيم بن الأشتر وكان على الموصل والجزيرة فجعله في مقدمته وسار حتى عسكر في معسكره ، وسار عبد الملك وعلى مقدمته أخوه محمد بن مروان ، وخالد بن عبيد الله ابن خالد بن أسيد ، فنزلوا قريباً من قرقيسيا . وحضر زُفر بن الحرث الكلابي ، ثم صالحه . وبعث زفر معه الهذيل ابنه في عسكر وسار معه فنزل بمسكن قريباً من مسكن مصعب ، وفرّ الهذيل بن زفر فلحق بمصعب . وكتب عبد الملك إلى أهل العراق وكتبوا إليه وكلهم بشرط أصفهان ، وأتى بن الأشتر بكتاب مختوماً إلى مصعب فقرأه فإذا هو يدعو إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق ، فأخبره مصعب بما فيه ، وقال مثل هذا لا يرغب عنه . فقال ابراهيم : ما كنت لأتقدّد الغدر والخيانة . ولقد كتب عبد الملك لأصحابك كلهم^(١) مثل هذا فأطعني واقتلهم أو احبسهم في أضيق محبس ، فأبى عليه مصعب وأضمر أهل العراق الغدر بمصعب . وعذّلهم قيس بن الهيثم منهم في طاعة أهل الشام فأعرضوا عنه .

ولما تدانى العسكران بعث عبد الملك إلى مصعب يقول ، فقال : تجعل الأمر شورى . فقال مُصَعَّبُ ليس بيننا إلا السيف . فقدم عبد الملك أخاه محمداً ، وقدم مصعب ابراهيم بن الأشتر وأمدّه بالجيش فأزال محمداً عن موقفه ، وأمدّه عبد الملك بعبيد الله بن يزيد ، فاشتد القتال ، وقتل من أصحاب مصعب بن عمر الباهلي والد قُتَيْبَةَ ،

(١) كذا . ولعلها «وكلهم» .

وأمدَّ مصعب ابراهيم بعتاب بن ورقاء ، فساء ذلك ابراهيم ونكره . وقال : أوصيته لا يمدني بعتاب وأمثاله . وكان قد بايع لعبد الملك ، فجر الهزيمة على ابراهيم وقتله ، وحمل رأسه إلى عبد الملك . وتقدّم أهل الشام ، فقاتل مصعب ودعا رُووس العراق إلى القتال فاعتذروا وتثاقلوا . فدنا محمد بن مروان من مصعب وناداه بالامان وأشعره بأهل العراق فأعرض عنه ، فنادى ابنه عيسى بن مصعب فأذن له أبوه في لقائه . فجاءه وبذل له الامان وأخبر أباه فقال : أتظنهم يعرفون لك ذلك ؟ فان أحببت فافعل . قال لا يتحدث نساء قريش اني رغبت بنفسي عنك . قال : فاذهب إلى عمك بمكة فاخبره بصنيع أهل العراق ودعني ، فإني مَقْتُولٌ فقال لا أخبر قريشاً عنك أبداً ، ولكن الحق أنت بالبصرة فانهم على الطاعة ، أو بأمر المؤمنين بمكة . فقال لا يتحدث قريش اني فررت .

ثم قال لعيسى تقدّم يا بني أحتسبك ، فتقدّم في ناس فقتل وقتلوا . وألح عبد الملك في قبول أمانه فأبى ودخل سرادقه ، فتحفظ ورمى السرادق ، وخرج فقاتل ، ودعاه عبيدالله بن زياد بن ضبيان فشتمه وحمل عليه ، وضربه فجرحه . وخذل أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة أنفس وأثخنه الجراحة ، فرجع اليه عبيد الله ابن زياد بن ضبيان فقتله ، وجاء برأسه إلى عبد الملك فأمر له بألف دينار فلم يأخذها . وقال : انما قتلته بثأر أخي ، وكان قطع الطريق فقتله صاحب شرطته ، وقيل : ان الذي قتله زائدة بن قدامة

الثَّقَفِي من أصحاب المختار . وأخذ عبيد الله رأسه ، وأمر عبد الملك به وبابنه عيسى فدفنا بدار الجاثليق عند نهر رَحِيل . وكان ذلك سنة إحدى وسبعين .

ثم دعا عبد الملك جند العراق إلى البيعة فبايعوه ، وسار إلى الكوفة فأقام بالنُخَيْلَة أربعين يوماً ، وخطب الناس فوعده المحسن ، وطلب يحيى بن سعيد من جعفة وكانوا أخواله ، فأحضروه فأمنه . وولى أخاه بشر بن مروان على الكوفة ، ومحمد بن نُمَيْرٍ على همدان ، ويزيد بن ورقاء بن رُوَيْمٍ على الري ولم يف لهم باصبهان كما شرطوا عليه ، وكان عبدالله بن يزيد بن أسد والد خالد القيسري ، ويحيى ابن معنوق الهمداني قد لجئا إلى علي بن عبدالله بن عباس ، ولجأ هُذَيْل ابن زُفَر بن الحرث ، وعمر بن يزيد الحَكَمي إلى خالد بن يزيد ، فأمنهم عبد الملك . وصنع عمر بن حُرَيْثَ لعبد الملك طعاماً فأخبره بالخَوَزَنَةِ ، وأذن للناس عامة فدخلوا ، وجاء عمر بن حُرَيْثَ فأجلسه معه على سريريه وطعم الناس . ثم طاف مع عُمَرَ بن حُرَيْثَ على القصر يسأله عن مساكنه ومعاليه ، ولما بلغ عبدالله بن حازم مسير مصعب لقتال عبد الملك قال : أمعه عمر بن مَعْمَرٌ قيل : هو على فارس . قال فالهلب ؟ قيل في قتال الخوارج . قال فَعَبَادُ بن الحسين ؟ قيل على البصرة . قال : وأنا بخراسان .

خُذِينِي فَجُرِّنِي جِهَاراً وَأَنْشِدِي بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

ثم بعث عبد الملك برأس مصعب إلى الكوفة ثم إلى الشام .
 فنصب بدمشق وأرادوا التطاوف^(١) به فمنع من ذلك زوجة
 عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فغسلته ودفنته . انتهى
 قتلُ مُصْعَبُ إلى المُهَلَّب وهو يحارب الأزارقة ، فبايع الناس
 لعبد الملك بن مروان . ولما جاء خبر مصعب لعبد الله بن الزبير خطب
 الناس فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمرُ يُؤتي الملك من يشاء
 وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء . الا وانه
 لم يذل الله من كان الحق معه ، وان كان الناس عليه طراً . وقد
 أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب . فالذي
 أفرحنا منه ان قتله شهادة ، وأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم
 لوعة يجدها حميمه عند المصيبة . ثم عبد من عبيد الله وعون من أعواني
 ألا وإن أهل العراق ، أهل الغدر والنفاق ، سلموه وباعوه بأقل
 الثمن فان^(٢) فوالله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي
 العاص ، والله ما قتل رجل منهم في الجاهلية ولا في الاسلام .
 ولا نموت الا طعناً بالرماح وتحت ظلال السيوف ، الا انما الدنيا
 عارية من الملك الاعلى الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ،
 فان تُقْبِل لا آخذها أخذ الأشر البطور ، وان تُدْبِر لم أبك عليها

(١) كذا . ولا نعرف لهذا المصدر وجوداً . ولعلها التطواف إذا كان الفعل طاف .

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٤ ص ١٦ : «فإن يقتل لمة ، والله ما نموت على مضاجعنا الخ» .

بكاء الضرع المهين . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .
ولما بلغ الخير إلى البصرة تنازع ولايتها حمدان بن أبان ،
وعبدالله بن أبي بكر ، واستعان حمدان بعبدالله بن الأهمم عليها ،
وكانت له منزلة عند بني أمية ، فلما تمهد الأمر بالعراق لعبد الملك
بعد مضعب ولى على البصرة خالد بن عبدالله بن أسيد ، فاستخلف
عليها عبيد الله بن أبي بكر ، فقدم على حمدان وعزله حتى جاء
خالد ثم عزل خالد سنة ثلاث وسبعين ، وولى مكانه على البصرة
أخاه بشراً وجمع له المضرين ، وسار بشر إلى البصرة ، واستخلف
على الكوفة عمر بن حريث . وولى عبد الملك على الجزيرة وأرمينية
بعد قتل مصعب أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وستين ، فغزا
الروم ومزقهم بعد أن كان هادن ملك الروم أيام الفتنة على ألف
دينار يدفعها إليه في كل يوم .

أمر زفر بن المثلث بقرقيسيا

قد ذكرنا في وقعة راهط مسير ابن زفر إلى قرقيسيا ، واجتماع
قيس عليه . وأقام بها يدعو لابن الزبير . ولما ولي عبد الملك كتب
إلى أبان بن عتبة بن أبي معيط ، وهو على حمص بالمسير إلى زفر ،
فسار وعلى مقدمته عبدالله بن رمية العلاتي ، فعاجله عبدالله
بالحرب ، وقتل من أصحابه نحو ثلثمائة . ثم أقبل أبان فواقع زفر ،
وقيل ابنه وكيع بن زفر ، وأوهنه . ثم سار إليه عبد الملك إلى
قرقيسيا قبل مسيره إلى مضعب ، فحاصره ونصب عليه المجانيق

وقال : كلب لعبد الملك ، لا تخطط معنا القَيْسِيَّةَ ، فانهم ينهزمون إذا التقينا مع زفر ففعل . واشتدَّ حصارهم ، وكان زفر يقاتلهم في كل غداة ، وأمر ابنه الهذيل يوماً أن يحمل زفر حتى يضرب فسطاط عبد الملك ، ففعل وقطع بعض أَطْنَابِهِ .

ثم بعث عبد الملك أخاه بالامان لزفر وابنه الهذيل على أنفسهما ومن معهما ، وان لهم ما أحبوا . فأجاب الهذيل وأدخل أباه في ذلك . وقال عبد الملك لنا خير من ابن الزبير ، فأجاب أن له الخيار في بيعته سنة . وأن ينزل حيث شاء ، ولا يعين على ابن الزبير . وبينما الرسل تختلف بينهم اذ قيل لعبد الملك قد قدم من المدينة أربعة أبراج ، فترك الصلح وزحف اليهم ، فكشفوا أصحابه إلى عسكرهم ، ورجع إلى الصلح واستقر بينهم على الامان ووضع الدماء والاموال . وان لا يبايع لعبد الملك حتى يموت ابن الزبير للبيعة التي له في عُتْقِهِ ، وان يدفع اليه مال نفسه في أصحابه . وتأخر زُفَرٌ عن لقاء عبد الرحمن خوفاً من فعلته بعمر بن سعد . فأرسل اليه بقضيب النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء اليه وأجلسه عبد الملك معه على سريريه . وزوَّج ابنه مَسْلَمَةَ الرباب بنت زُفَر . وسار عبد الملك إلى قتال مصعب ، فبعث زفر ابنه الهذيل معه بعسكر ، ولما قارب مصعباً هرب اليه ، وقاتل مع ابن الأشر ، حتى إذا اقتتلوا اختفى الهذيل في الكوفة حتى آمنه عبد الملك كما مرَّ .

مقتل ابن حازم بخراسان وولاية بكير بن وشاح عليها

قد تقدّم لنا خلاف بني تميم على ابن حازم بخراسان وأنهم كانوا على ثلاث فرق ، وكف فرقتين منهم . وبقي يقاتل الفرقة الثالثة من نيسابور ، وعليهم بُجَيْرٌ ^(١) بن ورقاء الصُرَيْمي . فلما قتل مصعب بعث عبد الملك إلى حازم يدعوهُ إلى البيعة ويطعمه خراسان سبع سنين ، وبعث الكتاب مع رجل من بني عامر بن صعصعة . فقال ابن حازم : لولا الفتنة بين سليم وعامر ، ولكن كل كتابك فأكله . وكان بكير بن وشاح التميمي خليفة ابن حازم على مرو ، فكتب إليه عبد الملك ، بعده على خراسان ورغبة بالمطامع أن انتهى ، فخلع ابن الزبير ودعا إلى عبد الملك ، وأجابه أهل مرو . وبلغ ابن حازم فخاف أن يأتيه بكير ويجتمع عليه أهل مرو وأهل نيسابور ، فترك بُجَيْراً وارتحل عنه إلى مرو ، ويزيد ابنه يترمد ^(٢) . فاتبعه بجير ولحقه قريباً من مرو ، واقتتلوا فقتل ابن حازم . طعنه بجير وآخراهُ معه فصرعوه ، وقعد أحدهم على صدره فقطع رأسه . وبعث بجير البشير بذلك إلى عبد الملك ، وترك الرأس ، وجاء بكير بن وشاح في أهل مرو ، وأراد انفاذ الرأس إلى عبد الملك ، وانه الذي قتل ابن حازم ، واقام في ولاية خراسان . وقيل أن ذلك انما كان بعد قتل ابن الزبير ، وان عبد الملك أنفذ

(١) في الكامل لابن الأثير: «بحير بفتح الباء وكسر الحاء» .

(٢) رمد الشيتين: جعله في الرماد . وفي المثل: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد أي أحسن ثم أفسد بالمدح

إحسانه . ومع ذلك فالكلمة هنا غامضة .

رأسه إلى ابن حازم ودعاه إلى البيعة ، فغسل الرأس وكفنه وبعثه إلى ابن الزبير بالمدينة . وكان من شأنه مع الرسول ومع بجير وبكير ما ذكرناه .^(١)

كان عبد الملك لما بويغ بالشام بعث إلى المدينة عُرْوَةَ بن أنيف في ستة آلاف من أهل الشام وأمره أن يسكن بالعَرَصَةِ ولا يدخل المدينة ، وعاملُ ابن الزُّبَيْر يومئذٍ على المدينة الحرثُ بن حاطب بن الحرث بن مَعْمَر الجَمَحِي ، فهرب الحرث وأقام ابن أنيف شهراً يصلي بالناس الجمعة بالمدينة ويعود إلى معسكره . ثم رجع ابن أنيف إلى الشام ورجع الحرث إلى المدينة . وبعث ابن الزُّبَيْر سُلَيْمَان بن خَالِدِ الدَّوْرَقِي على خَيْبَرَ وفدَكَ . ثم بعث عبد الملك إلى الحجاز عبد الملك ابن الحرث بن الحكم في أربعة آلاف ، فنزل وادي القرى ، وبعث سَرِيَّةً إلى سليمان بخَيْبَرَ ، وهرب وأدركوه فقتلوه ومن معه . وأقاموا بخيبر وعليهم ابن القَمَقَام . وذكر لعبد الملك ذلك فاغتم وقال : قتلوا رجلاً صالحاً بغير ذنب .

ثم عزل ابن الزبير الحرث بن حاطب عن المدينة ، وولى مكانه جابر بن الأسود بن عوف الزُّهْرِي ، فبعث جابر إلى خيبر أبا بكر ابن أبي قيس في ستمائة ، فانهزم ابن القمقام وأصحابه أمامه وقتلوا صبرا . ثم بعث عبد الملك طارق بن عُمَرَ مولى عثمان ، وأمره أن

(١) هنا بياض بالأصل مقدار سطرين . وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢١ : « فغسل الرأس وكفنه وبعثه إلى أهله بالمدينة ، وأطعم الرسول الكتاب وقال : لولا أنك رسول لقتلتك . وقيل : بل قطع يديه ورجليه وقتله » .

ينزل بين أيلة ووادي القرى ، ويعمل كما يعمل عمال ابن الزبير من الانتشار ، وليسدّ خلا ، ان ظهر له بالحجاز ، فبعث طارق خيلاً إلى أبي بكير بخيبر واقتتلوا ، فأصيب أبو بكير في مائتين من أصحابه ، وكتب ابن الزبير إلى القبايع وهو عامله على البصرة يستمدّه ألفي فارس إلى المدينة . فبعثهم القبايع وأمر ابن الزبير جابر بن الأسود أن يسيرهم إلى قتال طارق ففعل ، ولقيهم طارق فهزّمهم وقتل مقدمهم . وقتل من أصحابه خلقاً وأجهز على جريحهم ولم يستبق أسيرهم ، ورجع إلى وادي القرى .

ثم عزل ابن الزبير جابراً عن المدينة ، واستعمل طلحة بن عبد الله بن عوف ، وهو طلحة النداء وذلك سنة سبعين . فلم يزل على المدينة حتى أخرجه طارق . ولما قتل عبد الملك مصعباً ودخل الكوفة ، وبعث منها الحجاج بن يوسف الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال ابن الزبير ، وكتب معه بالإمان لابن الزبير ومن معه إن أطاعوا . فسار في جمادى سنة اثنتين وسبعين ، فلم يتعرض للمدينة ، ونزل الطائف . وكان يبعث الخيل إلى عرفة ، ويلقاهم هناك خيل ابن الزبير فينهزمون دائماً ، وتعود خيل الحجاج بالظفر . ثم كتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره بضعف ابن الزبير وتفرق أصحابه ، ويستأذنه في دخول الحرم لحصار ابن الزبير ويستمدّه ، فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللاحق بالحجاج ، فقدم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين ، وأخرج عنها طلحة النداء عامل

بن الزبير ، وولى مكانه رجلاً من أهل الشام ، وسار إلى الحجاج بمكة في خمسة آلاف .

ولما قدم الحجاج مكة أحرم بحجه ونزل بئر ميمون ، وحج بالناس ولم يطف ولا سعى ، وحصر ابن الزبير عن عرفة فنحر بدنة بمكة ولم يمنع الحاج من الطواف والسعي . ثم نصب الحجاج المنجنيق على أبي قُبَيْس ، ورمى به الكعبة وكان ابن عمر قد حج تلك السنة ، فبعث إلى الحجاج بالكف عن المنجنيق لاجل الطائفين ففعل ، ونادى منادي الحجاج عند الإفاضة انصرفوا ! فانا نعود بالحجارة على ابن الزبير ، ورمى بالمنجنيق على الكعبة ، وألحت الصواعق عليهم في يومين ، وقتلت من أصحاب الشام رجالاً فذعروا . فقال لهم الحجاج لا شك فهذه صواعق تَهَامَةٌ وإنَّ الفتح قد حضر فأبشروا .

ثم أصابت الصواعق من أصحاب ابن الزبير فسري عن أهل الشام ، فكانت الحجارة تقع بين يدي ابن الزبير وهو يصلي ، فلا ينصرف ولم يزل القتال بينهم ، وغلت الاسعار وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح ابن الزبير فرسه وقسم لحمها في أصحابه . وبيعت الدجاجة بعشرة دراهم ، والمذ من الذرة بعشرين وبيوت ابن الزبير مملوءة قمحاً وشعيراً وذرةً وتمراً ، ولا ينفق منها إلا ما يمسك الرmq ، يقوي بها نفوس أصحابه . ثم أجهدهم الحصار ، وبعث الحجاج إلى أصحاب ابن الزبير بالامان ، فخرج اليه منهم نحو عشرة آلاف ،

وافترق الناس عنه . وكان ممن فارقه ابنه حمزة وحبيب ، وأقام ابنه الزبير حتى قتل معه . وحرّض الناس الحجاج وقال : قد ترون قلة أصحاب ابن الزبير وما هم فيه من الجهد والضيق ، فتقدموا واملؤا ما بين الحجون والأبواء .

فدخل ابن الزبير على أمّه أسماء وقال يا أمّه : قد خذلني الناس حتى ولدي والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ فقالت أنت أعلم بنفسك ، إن كنت على حق وتدعوا اليه فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك وقد بلغت بها علمين بين بني أمية . وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن قتل معك . وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت ، فليس هذا فعل الأحرار ولا أهل الدين فقال يا أمّه أخاف أن يمثلوا بي ويصلبوني . فقالت يا بني الشاة اذا ذبحت لا تتألم بالسليخ ، فامض على بصيرتك واستعن بالله . فقبل رأسها وقال هذا رأيي ، والذي خرجت به ، داعياً إلى يومي هذا ، وما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة وما أخرجني الا الغضب لله ، وأن تستحلّ حرّماته ، ولكن أحببت أن أعلم رأيك فقد زدّتين^(١) بصيرة .

وإني يا أمّه في يومي هذا مقتول ، فلا يشتدّ حزنك وسلمي لامر الله ، فإنّ ابنك لم يتعمد اتيان منكر ، ولا عمد بفاحشة ولم

(١) كذا بالأصل والأصح : زدّتي .

يَجْزُ ولم يغدر ولم يظلم ولم يقر على الظلم ، ولم يكن آثر عندي من رضا الله تعالى . اللهم لا أقر هذا تزكية لنفسي ، لكن تعزية لأمي حتى تسلو عني . فقالت اني لارجو أن يكون عزائي فيك جميلاً ان تقدمتني احتسبتك ، وان ظفرت سررت بظفرك . ثم قالت اخرج حتى أنظر ما يصير أمرك جزاك الله خيراً . قال فلا تدعي الدعاء لي ، فدعت له وودّعها وودّعته ، ولما عانقته للوداع وقعت يدها على الدرع فقالت : ما هذا صنيع من يريد ما تريد ! فقال ما لبستها الا لأشدّ منك . فقالت انه لا يشدّ مني فنزعها وقالت له البس ثيابك مشمرة .

ثم خرج فحمل على أهل الشام حملةً منكراً ، فقتل منهم ثم انكشف هو وأصحابه ، وأشار عليه بعضهم بالفرار فقال : بئس الشيخ اذن أنا في الاسلام اذا واقعت قوماً فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم . وامتلات أبواب المسجد بأهل الشام ، والحجاج وطارق بناحية الأبطح إلى المروّة ، وابن الزبير يحمل على هؤلاء وعلى هؤلاء وينادي أبا صفوان لعبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف ، فيجيبه من جانب المعترك . ولما رأى الحجاج احجام الناس عن ابن الزبير ، غضب وترجل وحمل إلى صاحب الراية بين يديه . فتقدّم ابن الزبير اليهم وكشفهم عنه ، ورجع فصلى ركعتين عند المقام ، وحملوا على صاحب الراية فقتلوه عند باب بني شيبه وأخذوا الراية .

ثم قاتلهم وابن مطيع معه حتى قتل ، ويقال أصابته جراحة فمات منها بعد أيام ، ويقال انه قال لاصحابه يوم قتل : يا آل الزبير أوطبتم لي نفساً عن أنفسكم كأهل بيت من العرب اضطلمنا في الله ، فلا يرعكم وقع السيوف فان ألم الدواء في الجرح أشد من ألم وقعها ، صونوا سيوفكم بما تصونون وجوهكم ، وغضوا أبصاركم عن البارقة^(١) وليشغل كل امرئ قرنه ولا تسألوا عني . ومن كان سائلاً فاني في الرعيل الاول . ثم حمل حتى بلغ الحجون ، فأصابته حجارة في وجهه فأرغش^(٢) لها ودمي وجهه . ثم قاتل قتالاً شديداً وقتل في جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين .

وحمل رأسه إلى الحجاج فسجد ، وكبر أهل الشام ، وثار الحجاج وطارق حتى وقفا عليه ، وبعث الحجاج برأسه ورأس عبدالله ابن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى عبد الملك . وصلب جثته مُنَكَّسَةً على ثنية الحجون اليمنى . وبعثت اليه أسماء في دفنه فأبى ، وكتب اليه عبد الملك يلومه على ذلك ، فخلى بينها وبينه . ولما قتل عبدالله ركب أخوه عروة وسبق الحجاج إلى عبد الملك ، فرحب به وأجلسه على سريرته ، وجرى ذكر عبدالله فقال عروة : انه كان ! فقال عبد الملك وما فعل ؟ قال قتل فخر ساجداً . ثم أخبره عروة ان الحجاج صلبه فاستوهب جثته لأمه . فقال نعم :

(١) كذا . ولعلها : أرغس بالسين . ووجهه مرغوس : طلق . وتأتي وغش بمعنى رغس أحياناً .

وكتب إلى الحجاج ينكر عليه صلبه ، فبعث بجثته إلى أمه وصلى عليه عروة ودفنه وماتت أمه بعده قريباً .

ولما فرغ الحجاج من ابن الزبير دخل إلى مكة فبايعه أهلها لعبد الملك ، وأمر بكنس المسجد من الحجارة والدم ، وسار إلى المدينة وكانت من عمله فأقام بها شهرين ، وأساء إلى أهلها وقال : أنتم قتلة عثمان . وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة . منهم جابر بن عبدالله ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد . ثم عاد إلى مكة ونقلت عنه في ذم المدينة أقوال قبيحة أمره فيها إلى الله ، وقيل ان ولاية الحجاج المدينة وما دخل منها كانت سنة أربع وسبعين ، وان عبد الملك عزل عنها طارقاً واستعمله ، ثم هدم الحجاج بناء الكعبة الذي بناه ابن الزبير ، وأخرج الحجر منه وأعادته إلى البناء الذي أقره عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يصدق ابن الزبير في الحديث الذي رواه عن عائشة . فلما صح عنده بعد ذلك قال وددت أني تركته وما تحمل .

ولاية المهلب ومب الأزارقة

ولما عزل عبد الملك خالد بن عبدالله عن البصرة ، واستعمل مكانه أخاه بشر بن مروان وجمع له المصريين ، أمره أن يبعث المهلب إلى حرب الأزارقة فيمن ينتخبه من أهل البصرة ويتركه وراءه في الحرب ، وأن يبعث من أهل الكوفة رجلاً شريفاً معروفاً بالباس والنجدة والتجربة في جيش كثيف إلى المهلب ، فيتبعوا

الخوارج حتى يهلكوهم . فَأَرْسَلَ الْمُهَلَبَ جَذِيعَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ قُبَيْصَةَ
يَنْتَخِبُ النَّاسَ مِنَ الدِّيَّوَانِ . وَشَقَّ عَلَى بَشْرٍ أَنَّ امْرَأَةَ الْمُهَلَبِ جَاءَتْ
مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَغَضِبَ بِهِ وَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ ، فَأَعْلَمَهُ
مَنْزِلَتَهُ عِنْدَهُ وَقَالَ : أَنِي أُولِيكَ جَيْشَ الْكُوفَةِ ، بِحَرْبِ الْإِزَارِقَةِ ،
فَكُنْ عِنْدَ حَسَنِ ظَنِّي بِكَ . ثُمَّ أَخَذَ يَغْرِيه بِالْمُهَلَبِ ، وَإِنْ لَا يَقْبَلُ رَأْيَهُ
وَلَا مَشُورَتَهُ ، فَأَظْهَرَ لَهُ الْوَفَاقَ . وَسَارَ إِلَى الْمُهَلَبِ فَنَزَلُوا رَامَهُرْمُزَ ،
وَلَقِيَ بِهَا الْخَوَارِجَ فَحَدَقَ عَلَيْهِ عَلَى مِيلٍ مِنَ الْمُهَلَبِ حَيْثُ يَتَرَاءَى
الْعَسَاكِرَانِ . ثُمَّ أَتَاهُمُ نَعِيُّ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ لِعَشْرِ لَيَالٍ مِنْ مَقْدَمِهِمْ ،
وَأَنَّهُ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْبَصْرَةِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ ، فَافْتَرَقَ النَّاسُ
مِنْ أَهْلِ الْمَصْرِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَنَزَلُوا الْإِهَازَ وَكَتَبَ إِلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ يَتَهَدَّدُهُمْ وَيَحْذَرُهُمْ عَقُوبَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْمُهَلَبِ ،
فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ وَمَضُوا إِلَى الْكُوفَةِ وَاسْتَأْذَنُوا عُمَرَ بْنَ حَرْثٍ ، فِي
الدَّخُولِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ فَدَخَلُوا وَاضْرَبُوا عَنْ أَذْنِهِ .

وَالْيَلِةُ أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى خَرَّاسَانَ

وَمَا وَلِيَ بَكِيرُ بْنُ وَشَّاحٍ عَلَى خَرَّاسَانَ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ بِطُونُ تَمِيمٍ
وَأَقَامُوا فِي الْعَصِيَّةِ لَهُ وَعَلَيْهِ سَنَتَيْنِ ، وَخَافَ أَهْلُ خَرَّاسَانَ أَنْ
تَفْسُدَ الْبِلَادُ وَيَقْهَرَهُمُ الْعَدُوُّ ، فَكَتَبُوا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِذَلِكَ ،
وَأَنَّهَا لَا تَصْلَحُ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ . وَاسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ
لَهُ أُمَيَّةُ بْنُ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ نَزَكِيهِمْ بِرَجُلٍ مِنْكَ .
فَقَالَ لَوْلَا أَنْهَزَاكَ عَنْ أَبِي فَدِيكَ كُنْتُ لَهَا . فَاعْتَذَرَ وَحَلَفَ أَنْ

الناس خذلوه ولم يجد مقاتلاً ، فانحزت بالعصبة التي بقيت من المسلمين عن الهلكة ، وقد كتب اليك خالد بن عبدالله بعذري ، وقد علمه الناس فولاه خراسان .

ولما سمع بكير بن وشّاح بمسيره بعث إلى بُجَيْر بن ورقاء وهو في حبسه كما مرّ ، فأبى وأشار عليه بعض أصحابه أن يقبل مخافة القتل فقبل . وصالح بكيراً وبعث اليه بكير بأربعين ألفاً على أن لا يقاتله . فلما قارب أمية نيسابور سار اليه بجير وعرفه عن أمور خراسان وما يحسن به طاعة أهلها . وحذره غدر بكير . وجاء معه إلى مرو فلم يعرض أمية لبكير ولا لعماله وعرض عليه شرطته فأبى . وقال لا أحمل الجزية اليوم ، وقد كانت تحمل إلي بالأمس وأراد أن يوليه بعض النواحي من خراسان ، فحذره بجير منه . ثم ولي أمية ابنه عبدالله على سجستان فنزل بسّتا وغزا رتبيل الذي ملك على الترك بعد المقتول الأوّل ، وكان هائباً للمسلمين فراسلهم في الصلح وبعث ألف ألف ، وبعث بهدايا ورقيق . فأبى عبدالله من قبولها وطلب الزيادة فجلا رتبيل عن البلاد حتى أوغل فيها عبدالله . ثم أخذ عليه الشعاب والمضايق حتى سأل منه الصلح وان يخلي عينه عن المسلمين ، فشرط رتبيل عليه ثلاثمائة ألف درهم ، والعهد بأن لا يغزو بلادهم . فأعطاه ذلك وبلغ الخبر بذلك عبد الملك فعزله .

ولاية الحجاج العراق

ثم ولي عبد الملك الحجاج بن يوسف على الكوفة والبصرة سنة خمسة وسبعين ، وأرسل اليه وهو بالمدينة يأمره بالمسير إلى العراق ، فسار على النجف في اثني عشر راكباً حتى قدم الكوفة في شهر رمضان . وقد كان بِشْرُ بعث المُهَلَّبَ إلى الخوارج ، فدخل المسجد وصعد المنبر وقال : عليّ بالناس فظنوه من بعض الخوارج فهموا به ، حتى تناول عُمَيْرُ بن ضابي البرجُمي الحصباء وأراد أن يحصبه ، فلما تكلم جعل الحصباء يسقط من يديه وهو لا يشعر به .

ثم حضر الناس فكشف الحجاج عن وجهه وخطب خطبته المعروفة . ذكرها الناس وأحسن من أوردتها المُبَرِّدُ في الكامل ، يتهدّد فيها أهل الكوفة ويتوعدهم عن التخلف عن المهلب . ثم نزل وحضر الناس عنده للعطاء واللاحاق بالمهلب ، فقام اليه عمير ابن ضابي وقال : أنا شيخ كبير عليل وابني هذا أشد مني . فقال هذا خير لنا منك . قال ومن أنت ؟ قال : عمير بن ضابي . قال الذي غزا عثمان في داره ؟ قال نعم . فقال يا عدوّ الله ^(١)

إلى عثمان بدلاً قال انه حبس أبي وكان شيخاً كبيراً . فقال : اني لا أحب حياتك ، إن في قتلك صلاح المصريين ، وأمر به فقتل

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ : قال : يا عدو الله أفلا إلى عثمان بعثت بدلاً وما حملك على ذلك ؟ .

ونهب ماله . وقيل ان عنبسة بن سعيد بن العاص هو الذي أغرى به الحجاج حين دخل عليه .

ثم أمر الحجاج مناديه فنادى ألا إن ابن ضابي تخلف بعد ثالثة من النداء فأمرنا بقتله ، وذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب . فتساءل الناس إلى المهلب وهو بدار هُرْمُز وجاءه العرفاء فأخذوا كتبه بموافاة العسكر . ثم بعث الحجاج على البصرة الحكم ابن أيوب الثقفي وأمره أن يشتد على خالد بن عبدالله ، وبلغه الخبر فقسم في أهل البصرة ألف ألف ، وخرج عنها . ويقال ان الحجاج أول من عاقب على التخلف عن البعث بالقتل ، قال الشعبي كان الرجل إذا أخل بوجهه الذي يكتب اليه زمن عمر وعثمان وعلي تنزع عمامته ويقام بين الناس ، فلما ولي مُضْعَبُ أضاف اليه حلق الرووس واللحي ، فلما ولي بشر أضاف اليه تعليق الرجل بمسمارين في يده في حائط فيخرق المسماران يده وربما مات . فلما جاء الحجاج ترك ذلك كله وجعل عقوبة من تخلى بمكانه من الشجر أو البعث القتل . ثم ولي الحجاج على السند سعيد بن أسلم بن زُرْعَةَ ، فخرج عليه معاوية بن الحرث الكلابي العلاقي وأخوه ، فغلباه على البلاد وقتلاه . فأرسل الحجاج مجاعة بن سعيد التميمي مكانه فغلب على الشجر وغزا وفتح فتوحات بمكران لسنة من ولايته .

يقع أهل البصرة بالدجاج

ثم خرج الحجاج من الكوفة ، واستخلف عليها عُرْوَةَ بن

المغيرة بن شعبة ، وسار إلى البصرة وقدمها وخطب كما خطب بالكوفة ، وتوعد على القعود عن المهلب كما توعد ، فاتاه شريك بن عمرو السُكُري وكان به فتق ، فاعتذر به وبأن بشر بن مروان قبل عذره بذلك ، وأحضر عطاءه ليرد لبيت المال ، فضرب الحجاج عنقه وتتابع الناس مزدحمين إلى المهلب ، ثم سار حتى كان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً . وأقام يشد ظهره وقال يا أهل المصريين ! هذا والله مكانكم حتى يُهْلِكَ الله الخوارج . ثم قطع لهم الزيادة التي زادها مصعب في الاعطية ، وكانت مائة مائة . وقال : لسنا نجيزها . فقال عبدالله بن الجارود إنما هي زيادة عبد الملك ، وقد أجازها أخوه بشر بأمره ، فانتهره الحجاج فقال : اني لك ناصح وانه قول من ورائي فمكث الحجاج أشهراً لا يذكر الزيادة ، ثم أعاد القول فيها فردّ عليه ابن الجارود مثل الرد الأول .

فقال له مَضْفَلَةُ بن كَرَبِ العَبْدِيِّ سمعاً وطاعة للامير فيما أحببنا وكرهنا وليس لنا أن نرد عليه . فانتهره ابن الجارود وشتمه ، وأتى الوجوه إلى عبدالله بن حكيم بن زياد المَجَاشِعِي وقالوا : ان هذا الرجل مجمع على نقص هذه الزيادة ، وانا نبايعك على اخراجه من العراق ، ونكتب إلى عبد الملك أن يولي علينا غيره وإلا خلعناه ، وهو يخافنا ما دامت الخوارج في العراق ، فبايعوه سرّاً وتعاهدوا وبلغ الحجاج أمرهم فاحتاط وجده . ثم خرجوا في ربيع سنة ست وسبعين ، وركب عبدالله بن الجارود في عبد قيس على راياتهم ،

ولم يبق مع الحجاج إلا خاصته وأهل بيته ، وبعث الحجاج يستدعيه فأفحش في القول لرسوله ، وصرح بخلع الحجاج فقال له الرسول : تهلك قومك وعشيرتك . وأبلغه تهديد الحجاج إياه فضرب وأخرج ، وقال لولا أنك رسول لقتلتك .

ثم زحف ابن الجارود في الناس حتى غشي فسطاطه ، فنهبوا ما فيه من المتاع وأخذوا زجاجته وانصرفوا عنها . فكان رأيهم أن يخرجوه ولا يقتلوه . وقال الغضبان بن أبي القُبَعْرِي الشَّيْبَانِي لابن الجارود : لا ترجع عنه وحرّضه على معالجته . فقال إلى الغداة ، وكان مع الحجاج عثمان بن قطن وزيايد بن عمر العتكي صاحب الشرطة بالبصرة ، فاستشارهما ، فأشار زيايد بأن يستأمن القوم ويلحق بأمر المؤمنين . وأشار عثمان بالثبات ولو كان دونه الموت . وقال لا تخرج إلى أمير المؤمنين من العراق بعد أن رقاك إلى ما رقاك ، وفعلت ما فعلت بابن الزبير في الحجاز . فقبل رأي عثمان وحقد على زيايد في إشارته ، وجاءه عامر بن مسمع يقول : قد أخذ لك الأمان من الناس ، فجعل الحجاج يغالطه رافعاً صوته عليه ليسمع الناس ويقول : والله لا آمنهم حتى تؤتوني بالهذيل بن عمران وعند الله ابن حكيم ثم أرسل إلى عبيد بن كعب الفهري أن اتيني فامنعني . فقال له ان أتيتني منعك فأبى ، وبعث إلى محمد بن عمير بن عطارِد وعبدالله بن حكيم بمثل ذلك ، وأجابوه مثله .

ثم انَّ عباد بن الحُصَيْن الجَفْطِيَّ مرَّ بابن الجارود والهذيل وعبدالله

ابن حكيم يتناجون ، فطلب الدخول معهم فأبوا وغضب وسار إلى الحجاج ، وجاءه قتيبة بن مسلم في بني أعصرَ للحمية القُتَيْبِيَّة . ثم جاءه سبرة بن علي الكلابي وسعيد بن أسلم الكلابي وجعفر بن عبد الرحمن بن مُخَنِفَ الأزدي ، فثابت اليه نفسه وعلم أنه قد امتنع . وأرسل اليه مُسَمِّعُ بن مالك بن مسمع ان شئت أتيتك وان شئت أقمت وثبُطت عنك ، فأجابه أن أقم ، فلما أصبح إذا حوله ستة آلاف . وقال ابن الجارود لعبدالله بن زياد بن ضبيان ما الرأي ؟ قال تركته أمس ولم يبق إلا الصبر .

ثم تراجعوا وعبى ابن الجارود وأصحابه على ميمنة الهذيل وعلى ميسرة سعيد بن أسلم ، وحمل ابن الجارود حتى حاصر أصحاب الحجاج ، وعطف الحجاج عليه فقارب ابن الجارود ان يظفر . ثم أصابه سهم غربٌ فوق ميتاً . ونادى منادي الحجاج بأمان الناس إلا الهذيل وابن الحكيم ، وأمر أن لا يتبع المنهزمين ، ولحق ابن ضبيان بعمارة فهلك هنالك . وبعث الحجاج برأس ابن الجارود ورأس ثمانية عشر من أصحابه إلى الملك ، ونصبت ليراها الخوارج ليتأسوا من الاختلاف ، وحبس الحجاج عبيد بن كعب ، ومحمد بن عمير لامتناعهما من الاتيان اليه ، وحبس ابن القبعثري لتحريضه عليه ، فأطلقه عبد الملك وكان فيمن قتل مع ابن الجارود عبدالله بن أنس بن مالك . فقال الحجاج لا أرى أنساً يعين علي . ودخل البصرة وأخذ ماله . وجاءه أنس فأساء عليه وأفحش

في شتمه ، وكتب أنس إلى عبد الملك يشكوه . فكتب عبد الملك إلى الحجاج يشتمه ويغلظ عليه في التهديد على ما فعل بأنس ، وأن^(١) تجيء إلى منزله وتتصل إليه ، والا نبعث من يضرب ظهره ويهتك سترك . قالوا : وجعل الحجاج في قراءته يتغير ويرتعد وجبينه يرشح عرقاً . ثم جاء إلى أنس بن مالك واعتذر إليه ، وفي عقب هذه الواقعة خرج الزنج بفرات البصرة ، وقد كانوا خرجوا قبل ذلك أيام مصعب ولم يكونوا بالكثير ، وأفسدوا الثمار والزروع ، ثم جمع لهم خالد بن عبد الله فافترقوا قبل أن ينال منهم ، وقتل بعضهم وصلبه . فلما كانت هذه الواقعة قدموا عليهم رجلاً منهم اسمه رياح ويلقب بشير زنجي أي أسد الزنج وافسدوا . فلما فرغ الحجاج من ابن الجارود أمر زياد ابن عمر صاحب الشرطة أن يبعث اليهم من يقاتلهم ، وبعث ابنه حفصاً في جيش فقتلوه وانهزم أصحابه فبعث جيشاً فهزم الزنج وأبادهم .

مقتل ابن مخنف ومب الخوارج

كان المهلب وعبد الرحمن بن مخنف واقفين للخوارج برامهرمز فلما أمدهم الحجاج بالعساكر من الكوفة والبصرة ، تأخر الخوارج من رامهرمز إلى كازرون وأتبعهم العساكر حتى نزلوا بهم ، وخندق المهلب على نفسه ، وقال ابن مخنف وأصحابه خدمنا سيوفنا ،

(١) في العبارة قلى . فبينما نتحدث عن موقف عبد الملك من الحجاج ؛ وإذا هي تصبح مخاطبة له .

فبيتهم الخوارج وأصابوا الغرة في ابن مخنف ، فقاتل هو وأصحابه حتى قتلوا ، هكذا حديث أهل البصرة . وأما أهل الكوفة فذكروا أنهم لما ناهضوا الخوارج اشتد القتال بينهم ، ومال الخوارج على المهلب فاضطروه إلى معسكره ، وأمدّه عبد الرحمن بالخيّل والرجال .

ولما رأى الخوارج مدده تركوا من يشغل المهلب ، وتصدوا عبد الرحمن فقاتلوه وانكشفوا عنه ، وصبر في سبعين من قومه فثابوا إلى عتاب ابن ورقاء ، وقد أمره الحجاج أن يسمع للمهلب فتقل ذلك عليه ، فلم يحسن بينهما العشرة ، وكان يتراءف في الكلام ، وربما أغلظ له المهلب . فأرسل عتاب إلى الحجاج يسأله القعود ، وكان حرب الخوارج وشبيب قد اتسع عليه ، فصادفاً منه ذلك مرقعاً^(١) ، واستقدمه وأمره أن يترك العسكر مع المهلب ، فولى المهلب عليهم ابنه حبيباً وأقام يقاتلهم بنيسابور نحواً من سنة ، وتحركت الخوارج على الحجاج من لدن سنة ست وسبعين إلى سنة ثمان وشغل بحربهم ، وأول من خرج منهم صالح بن سرح من بني تميم . بعث إليه العساكر فقتل ، فولوا عليهم شبيباً واتبعه كثير من بني شيبان ، وبعث إليهم الحجاج العساكر مع الحرث بن عُميرة ، ثم مع سفيان الخثعمي ، ثم انحدر ابن سعيد فهزموها ، وأقبل شبيب إلى الكوفة ، فجاربهم الحجاج وامتنع ، ثم سرح عليه

(١) كذا . والتعبير بوضعه الحالي غير مفهوم . ولعله : وصادف منه ذلك مرقعاً .

العساكر وبعث في أثرهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزموهم .
ثم بعث عتاب بن ورقاء ، وزهرة بن حَوْبَةَ مدداً لهم ، فانهمزوا
وقتل عتاب وزهرة ، ثم قتل شبيب واختلف الخوارج بينهم ، وقتل
منهم جماعة كما يذكر ذلك كله في أخبارهم .

ضَرْبُ السِّكَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

كان عبد الملك كتب في صدر كتابه إلى الروم : قل هو الله
أحد ، وذكر النبي مع التاريخ ، فنكر ذلك ملك الروم وقال :
اتركوه والا ذكرنا نبيكم في دنائيرنا بما تكرهونه . فعظم ذلك
عليه واستشار الناس ، فأشار عليه خالد بن يزيد بضرب السِّكَّةِ
وترك دنائيرهم ففعل . ثم نقش الحجاج فيها قل هو الله أحد .
فكره الناس ذلك لانه قد يمسخها غير الطاهر ، ثم بالغ في تخليص
الذهب والفضة من الغش . وزاد ابن هُبَيْرَةَ أيام يزيد بن عبد
الملك عليه . ثم زاد خالدُ الْقِسْرِيَّ عليهم في ذلك أيام هشام .
ثم أفرط يوسف بن عمر من بعدهم في المبالغة وامتحان العيار ،
وضرب عليه فكانت الهُبَيْرِيَّةُ وَالْخَالِدِيَّةُ وَالْيُوسُفِيَّةُ أَجود نقود
بني أُمِيَّة . ثم أمر المنصور ان لا يقبل في الخراج غيرها
وسميت النقود الاولى مكروهة اما لعدم جودتها أو لما نقش عليها
الحجاج وكرهه . وكانت دراهم العجم مختلفة بالصغر والكبر ،
فكان منها مثقال وزن عشرين قيراطاً ، واثنى عشر ، وعشرة قراريط

وهي أنصاف المثاقيل . فجمعوا قراريط الانصاف الثلاثة فكانت اثنين وأربعين ، فجعلوا ثلثها وهو اثنا عشر قيراطاً وزن الدرهم العربي ، فكانت كل عشرة دراهم تزن سبعة مثاقيل . وقيل ان مصعب بن الزبير ضرب دراهم قليلة أيام أخيه عبدالله ، والاصح أن عبد الملك أول من ضرب السكة في الاسلام .

مقتل بكير بن وشاح بخراسان

قد تقدم لنا عزل بكير عن خراسان ، وولاية أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد سنة أربع وسبعين ، وأن بكيراً أقام في سلطان أمية بخراسان ، وكان يكرمه ويدعوه لولاية ما شاء من أعمال خراسان فلا يجيب ، وأنه ولاه طخارستان ، وتجهز لها فيه بجير ابن ورقاء فمنعه ، ثم أمره بالتجهز لغزو ما وراء النهر ، فحذره منه بجير ، فردّه فغضب بكير . ثم تجهز أمية لغزو غارا وموسى بن عبدالله بن حازم لترمذ ، واستخلف ابنه على خراسان . فلما أراد قطع النهر قال لبكير ارجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتها ، وقم بأمر ابن حازم فاني أخشى أن لا يضبطها . فانتخب من وثق به من أصحابه ورجع ، وأشار عليه صاحبه عتاب بأن يحرق السفن ويرجع إلى مرو فيخلع أمية ، ووافقه الاحنف بن عبدالله العنبري على ذلك . فقال لهم بكير : أخشى على من معي . قالوا نأتيك من أهل مرو بمن تشاء ، قال يهلك المسلمون . قال ناد في الناس برفع الخراج فيكونون معك . قال فيهلك أمية وأصحابه . قال لهم

عَدَدٌ وَعَدَدٌ يقاتلون عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين ، فأحرق بكير السفن ورجع إلى مرو ، فخلع أمية وحبس ابنه . وبلغ الخبر أمية فصالح أهل الشام بُخَارَى ، ورجع وأمر باتخاذ السفن وعبر ، وجاءه موسى بن عبدالله بن حازم من ^(١) مدداً له ، وبعث شماس بن ورقاء في ثمانمائة في مقدمته فبيته بكير وهزمه ، فبعث مكانه ثابت بن عطية فهزمه . ثم التقى أمية وبكير فاقتتلوا أياماً ، ثم انهزم بكير إلى مرو ، وحاصره أمية أياماً حتى سأل الصلح على ولاية ما شاء من خراسان ، وأن يقضي عنه أربعمئة ألف دينه ، ويصل أصحابه ولا يقبل فيه سعاية بُجَيْر ، فتمَّ الصلح ودخل أمية مدينة مرو ، وأعاد بكيراً إلى ما كان عليه من الكرامة وأعطى عتاب العدابي عشرين ألفاً ، وعزل بُجَيْر عن شرطته بعطا بن أبي السائب . وقيل ان بكيراً لم يصحب أمية إلى النهر ، وانما استخلفه على مرو ، فلما عبر أمية النهر خلع وفعل ما فعل . ثم ان بجيراً سعى بأمية بأن بكيراً دعاه إلى الخلاف ، وشهد عليه جماعة من أصحابه ، وأن معه ابني أخيه . فقبض عليه أمية وقتله ، وقتل معه ابني أخيه ، وذلك سنة سبع وسبعين . ثم عبر النهر لغزو بلخ ، فحصره الترك حتى جهد هو وعسكره وأشرفوا على الهلاك ثم نجوا ورجعوا إلى مرو .

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٧٠ «واتاه موسى بن عبد الله بن خازم، وأرسل أمية شماس بن دثار في ثمانمائة وسار إليه بكير فبيته وهزمه».

مقتل بجير بن زياد

ولما قُتِلَ بَكِيرُ بَسَاعِيَةِ بُجَيْرُ بْنُ وَرْقَاءَ تَعَاقَدَ بَنُو سَعْدِ بْنِ عَوْفٍ مِنْ تَمِيمٍ وَهُمْ عَشِيرَتُهُ عَلَى الطَّلَبِ بِدَمِهِ ، وَخَرَجَ فَتَى مِنْهُمْ مِنَ الْبَادِيَةِ اسْمُهُ شَمْرَدَلٌ ، وَقَدِمَ خَرَّاسَانَ وَوَقَفَ يَوْمًا عَلَى بُجَيْرٍ فَطَعَنَهُ فَصْرَعَهُ وَلَمْ يَمِتْ ، وَقَتَلَ شَمْرَدَلٌ وَجَاءَ مَكَانَهُ صَعْصَعَةُ بْنُ حَرْبٍ الْعَوْفِي ، وَمَضَى إِلَى سِجِسْتَانَ وَجَاوَرَ قَرَابَةَ بِجِيرٍ مَدَّةً . وَانْتَسَبَ إِلَى حَنْفِيَّةَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَنْ لِي بِخَرَّاسَانَ مِيرَاثًا فَارْتَبُوا إِلَى بِجِيرٍ يَعِينَنِي ، فَكَتَبُوا لَهُ وَجَاءَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِنَسَبِهِ وَمِيرَاثِهِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا يَحْضُرُ بَابَ الْمُهَلَّبِ وَقَدْ أَنْسَ بِهِ وَأَمِنَ غَائِلَتَهُ ، وَجَاءَ صَعْصَعَةُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ الْمُهَلَّبِ فِي قَمِيصٍ وَرْدَاءٍ ، وَدَنَا لِيَكْلِمَهُ فَطَعَنَهُ وَمَاتَ مِنَ الْغَدِ . وَقَالَ صَعْصَعَةُ فَمَنْعَتَهُ مُقَاعِسُ وَقَالُوا أَخَذَ بِثَأْرِهِ ، فَحَمَلَ الْمُهَلَّبُ دَمَ صَعْصَعَةِ وَجَعَلَ دَمَ بِجِيرٍ بِبَكِيرٍ . وَقِيلَ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بَعَثَهُ إِلَى بِجِيرٍ فَقَتَلَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ اَحَدَى وَثَمَانِينَ .

ولاية الحجاج على خراسان وسجستان

وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ عَزَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ أُمِيَّةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خَرَّاسَانَ وَسِجِسْتَانَ ، وَضَمَّهُمَا إِلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ . فَبَعَثَ الْمُهَلَّبُ ابْنَ أَبِي صُفْرَةَ عَلَى خَرَّاسَانَ ، وَقَدْ كَانَ فَرَّغَ مِنْ حَرْبِ الْإِزَارِقَةِ ، فَاسْتَدْعَاهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ ، وَأَحْسَنَ إِلَى أَهْلِ الْبِلَادِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَزَادَهُمْ ، وَبَعَثَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ عَلَى سِجِسْتَانَ . فَأَمَّا الْمُهَلَّبُ فَقَدِمَ ابْنَهُ حَبِيبًا إِلَى خَرَّاسَانَ فَلَمْ يَعْرِضْ لِأُمِيَّةَ وَلَا

لعماله حتى قدم أبوه المهلب بعد سنة من ولايته ، وسار في خمسة آلاف وقطع النهر الغربي وما وراء النهر ، وعلى مقدمته أبو الادهم الرُماني في ثلاثة آلاف ، فنزل على كَشٍّ وجاءه ابن عمر الختن يستنجد على ابن عمه ، فبعث معه ابنه يزيد . فبيت ابن العم عساكر الختن وقتل الملك ، وجاءه صرُّ يريد قلعته حتى صالحوا بما رضي ، ورجع ، وبعث المهلب ابنه حبيباً في أربعة آلاف ، ووافى صاحب بُخاري في أربعين ألفاً . وكبس بعضهم جنده في قرية فقتلهم وأحرقها ورجع إلى أبيه .

وأقام المهلب يحاصر كَشَّ سنتين حتى صالحوه على فِدْيَةٍ . وأما عبدالله بن أبي بكرة فأقام بسجستان ورَتَبِيل على صلحه يؤدي الخراج . ثم امتنع فأمر الحجاج ابن أبي بكرة فغزوه واستباحوا بلاده ، فسار في أهل المصرين وعلى أهل الكوفة شُرَيْحُ بن هانيء من أصحاب علي ، فدخل بلاد رَتَبِيل وتوغل فيها حتى كانوا على ثمانية عشر فرسخاً من مدينتهم ، وأثخن واستباح وخرَّب القرى والحصون . ثم أخذ الترك عليهم القرى والشعاب حتى ظنوا الهلكة ، فصالحهم عبيد الله على الخروج من أرضهم ، على أن يعطيهم سبعمائة ألف درهم . ونكر ذلك عليه شريح وأبى إلا القتال ، وحرَّض الناس ورجع : وقتل حين قتل بناس من أصحابه ونجا الباقون ، وخرجوا من بلاد رَتَبِيل ، ولقيهم الناس بالأطعمة فكانوا يموتون إذا شبعوا . فجعلوا يطعمونهم السمن قليلاً قليلاً حتى استمروا

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يستأذنه في غزو بلاد رتبيل فأذن له ، فجهز عشرين ألف فارس من الكوفة وعشرين ألفاً من البصرة ، واختار أهل الغنى والشجاعة ، وأزاح عنهم وأنفق فيهم ألفي ألف سوي أعطياتهم ، وأخذهم بالخيال الرائعة والسلاح الكامل . وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان يبغضه ويقول أريد قتله . ويخبر الشعبي بذلك عبد الرحمن فيقول أنا أزيله عن سلطانه ، فلما بعثه على ذلك الجيش تنصح أخوه اسماعيل للحجاج وقال : لا تبعثه فاني أخشى خلافه . فقال هو أهيب لي من أن يخالف أمري . وسار عبد الرحمن في الجيش وقدم سجستان واستنفرهم ، وحذر العقوبة لمن يتعدى . وساروا جميعاً إلى بلاد رتبيل ، وبذل الخراج فلم يقبل منه ودخل بلاده فحواها شيئاً فشيئاً . وبعث عماله عليها ورجع المصالح بالنواحي والأرصاد على العقاب والشعاب ، وامتلات أيدي الناس من الغنائم ، ومنع من التوغل في البلاد إلى قابل ، وقد قيل في بعث عبد الرحمن بن الأشعث غير هذا . وهو أن الحجاج كان قد أنزل هَمِيَّانَ بن عَدِيَّ السِّدِّيَّ مسلحة بكرمان ان احتاج اليه عامل السند وسجستان ، فمضى هَمِيَّانُ فبعث الحجاج عبد الرحمن ابن الأشعث فهزمه . وقسم بموضعه . ثم مات عبدالله بن أبي يكرة فولاه الحجاج مكانه ، وجهز اليه هذا الجيش ، وكان يسمى جيش الطواويس لحسن زيهم .

أخبار ابن الأشعث ومقتله

ولما وصل كتاب ابن الأشعث إلى الحجاج كتب إليه يوبخه على القعود عن التوغل ويأمره بالمضي لما أمره به من هدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم . وأعاد عليه الكتاب بذلف ثانياً وثالثاً وقال له ان مضيت والا فأخوك اسحق أمير الناس . فجمع عبد الرحمن الناس وردّ الرأي عليهم وقال : قد كنا عزمنا جميعاً على ترك التوغل في بلد العدو ، ورأينا رأياً وكتبنا بذلك إلى الحجاج ، وهذا كتابه يستعجزني ويستضعفني ويأمرني بالتوغل بكم وأنا رجل منكم ، فثار الناس وقالوا لا نسمع ولا نطيع للحجاج . وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة الكِنَاني : اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا الامير عبد الرحمن ، فتنادى الناس من كل جانب : فعلنا فعلنا . وقال عبد المؤمن بن شيث بن رُبَعي : انصرفوا إلى عدو الله الحجاج فائفوه عن بلادكم ، ووثب الناس إلى عبد الرحمن على خلع الحجاج ونفيه من العراق وعلى النصرة له ولم يذكر عبد الملك .

وصالح عبد الرحمن رتبيل على أنه ان ظهر فلا خراج على رتبيل ما بقي من الدهر ، وان هزم منعه ، بمن يريده . وجعل عبد الرحمن على سَبْتِ عِيَاضَ بن هَمِيَّانَ الشَّيْبَانِي ، وعلى روميحَ عبد الله ابن عامر التميمي ، وعلى كَرَمَانَ حَرَّةَ بن عمر التميمي . ثم سار إلى العراق في جموعه وأعشى هَمْدَانَ بين يديه يجري بمدحه وذم

الحجاج ، وعلى مقدمته عَطِيَّةُ بن عُمَيْرَ العَيْرِي . ولما بلغ فارس بدا للناس في أمر عبد الملك وقالوا إذا خلعنا الحجاج فقد خلعناه ، فخلعه الناس وبايعوا عبد الرحمن على السنة وعلى جهاد أهل الضلالة والمخلفين واخلعهم .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يخبره ويستمدّه ، وكتب المهلب إلى الحجاج بأن لا يعترض أهل العراق حتى يسقطوا إلى أهلهم ، فنكر كتابه واتهمه ، وجند عبد الملك الجند إلى الحجاج فساروا إليه متتابعين ، وسار الحجاج من البصرة فنزل تَسْتُر ، وبعث مقدمة خيل فهزمهم أصحاب عبد الرحمن بعد قتال شديد ، وقتل منهم جمعاً كثيراً وذلك في أضحى إحدى وثمانين ، وأجفل الحجاج إلى البصرة ، ثم تأخر عنها إلى الغاوية ، وراجع كتاب المهلب فعلم نصيحته ، ودخل عبد الرحمن البصرة فبايعه أهلها وسائر نواحيها ، لأن الحجاج كان اشتد على الناس في الخراج ، وأمر من دخل الأمصار أن يرجع إلى القرى ، يستوفي الجزية ، فنكر ذلك الناس ، وجعل أهل القرى يبكون منه ، فلما قدم عبد الرحمن بايعوه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك .

ثم اشتد القتال بينهم في المحرم سنة اثنتين وثمانين ، وتزاحفوا على حرب الحجاج وخلع عبد الملك . وانهزم أهل العراق وقصدوا الكوفة ، وانهزم منهم خلق كثير . وفشا القتل في القرى ، فقتل منهم عُبَيْدَةُ بن عبد القافر الأزدي في جماعة استلحموا معه ، وقتل

الحجاج بعد الهزيمة منهم عشرة آلاف ، وكان هذا اليوم يسمى يوم الراوية . واجتمع من بقي بالبصرة على عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وبابيعوه ، فقاتل بهم الحجاج خمس ليالٍ ثم لحق بابن الاشعث بالكوفة ربيعة ، طائفة من أهل البصرة .

ولما جاء عبد الرحمن الكوفة وخليفة الحجاج عليها عبد الرحمن ابن عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي ، وثب به مطر بن ناجية من ابني تميم مع أهل الكوفة ، فاستولى على القصر وأخرجه . فلما وصل ابن الاشعث لقيه أهل الكوفة واحتف به همدان . وجاء إلى القصر فمنعه مطر فصعد الناس القصر وأخذوه ، فحبسه عبد الرحمن وملك لكوفة . ثم إن الحجاج استعمل على البصرة الحَكَم بن أيوب الثقفي ، ورجع إلى الكوفة فنزل دُوَيْرِيفِرَةَ ، ونزل عبد الرحمن دير الجماجم ، واجتمع إلى كل واحد أمداده ، وخندق على نفسه . وبعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمداً في جند كثيف ، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج ويجري عليهم أعطياتهم كأهل الشام ، وينزل عبد الرحمن إلى أي بلد شاء عاملاً لعبد الملك . فوجم الحجاج لذلك وكتب إلى عبد الملك ان هذا مما يزيدهم جراءة ، وذكره بقضية عثمان وسعيد بن العاص ، فأبى عبد الملك من رأيه ، وعرض عبد الله ومحمد بن مروان ما جاء به عبد الملك ، وتشاور أهل العراق بينهم ، وأشار عليهم عبد الرحمن بقبول ذلك ، وأن

العزة لهم على عبد الملك لا تزول ، فتواثبوا من كل جانب منكبين لذلك ومجددين الخلع .

وتقدمهم في ذلك عبدالله بن دُوابِ السَلَمِيَّ وعُمَيْرُ بن تِيحَانَ ، ثم برزوا للقتال . وجعل الحجاج على ميمينته عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللُخَمِيَّ ، وعلى الخيل سفيان ابن الأبرِدِ الكلبي ، وعلى الرِجَالِ عبدالله بن حبيب الحَكَمِيَّ . وجعل عبد الرحمن على ميمينته الحجاج بن حارثة الخُثَمِيَّ ، وعلى ميسرته الأبرِدَ بن قُرَّة التميمي ، وعلى خيله عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وعلى رجائه محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعلى مجنبته عبدالله بن رَزَمِ الحُرْشِيَّ ، وعلى القرى جَبَلَةَ ابن زُخْر بن قَيْسِ الجُعْفِيَّ وفيهم سعيد بن جُبَيْر وعامر الشعبي وأبو البُخْتَرِي الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى . ثم أقاموا يتزاحفون كل يوم ويقتتلون بقية سنتهم ، وكتيبة القرى معروفة بالصبر يحملون عليها فلا تنقص .

فعبى الحجاج ثلاث كتائب مع الجَرَّاحِ بن عبدالله الحَكَمِيَّ ، وحملوا على القرى ثلاث حملات ، وجيلة يحرض القرى ويبيتهم ، والشعبي وسعيد بن جبير كذلك . ثم حملوا على الكتائب ففرقوها وأزالوها عن مكانها ، وتأخر جيلة عنهم ليكون لهم فئة يرجعون إليه ، وأبصره الوليد بن نجيب الكلبي ، فقصده في جماعة من أهل الشام وقتله وجيء برأسه إلى الحجاج ، وقدموا عليهم مكانه وظهر القتل في القرى . ثم اقتتلوا بعد ذلك ما يزيد على مائة يوم كثر

فيها القتلى والمبارزة . ثم اقتتلوا يوماً في منتصف جمادى الآخرة ، وحمل سفيان بن الأبرد في ميمنة الحجاج على ميسرة عبد الرحمن فانهزم الأبرد بن قرّة من غير قتال ، فتقوّضت صفوف الميمنة وركبهم أصحاب الحجاج ، ثم انهزم عبد الرحمن وأصحابه . ومضى الحجاج إلى الكوفة ومحمد بن مروان إلى الموصل ، وعبدالله بن عبد الملك إلى الشام .

وأخذ الحجاج الناس على أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر ، وقتل من أبى ذلك . ودعا بِكُمَيْلِ بن زياد صاحب علي فقتله لاقتصاصه ثم أقام بالكوفة شهراً وأنزل أهل الشام في بيوت أهل الكوفة ، ولحق ابن الاشعث بالبصرة فاجتمع اليه جموع المنهزمين ، ومعه عبيدالله بن عبد الرحمن بن سُمرّة ، ولحق به محمد بن سعد ابن أبي وقاص بالمدائن ، وسار نحو الحجاج ومعه بَسْطَامُ بن مَصْقَلَةَ ابن هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي ، كان قدم عليه قبل الهزيمة من الري ، وكان انتقض بها ثم غلب عليها ، ولحق بعبد الرحمن فكان معه . وبإيعاد عبد الرحمن خلق كثير على الموت ، ونزل مسكن وخندق عليه وعلى أصحابه ، والحجاج قبالتهم ، وقتلهم خالده بن جرير بن عبدالله . وكان قدم من خراسان في بعث الكوفة ، فقاتلهم خمسة عشر يوماً من شعبان أشد قتال ، وقتل زياد بن غنيم القيني . وكان عليّ صالح الحجاج فهذه منهم ثم أبى بكر القتال . وحمل بَسْطَامُ ابن مَصْقَلَةَ هُبَيْرَةَ في أربعة آلاف من فرسان الكوفة والبصرة ،

كسروا جفون سيوفهم وحملوا على أهل الشام فكشفوهم مراراً وأحاط بهم الرماة ولحقوا فقتلوا .

وحمل عبد الملك بن المهلب على أصحاب عبد الرحمن فكشفوهم . ثم حمل أصحاب الحجاج من كل جانب ، فانهزم عبد الرحمن وأصحابه وقتل عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه ، وأبو البُخْتَرِي الطائي ومعلّى بن الأشعث نحو سجستان . ويقال ان بعض الاعراب جاء إلى الحجاج فدلّه على طريق من وراء معسكر ابن الأشعث ، فبعث معه أربعة آلاف جاؤوا من ورائه ، وأصبح الحجاج فقاتله واستطرد له حتى نهب معسكره . وأقبلت السرية من الليل إلى معسكر ابن الأشعث ، وكان الغرقى منهم أكثر من القتلى ، وجاء الحجاج إلى المعسكر فقتل من وجد فيه ، وكان عدّة القتلى أربعة آلاف : منهم عبدالله بن شداد بن الهادي ، وبسطام بن مَصْقَلَة وعمر بن ربيعة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود وغيرهم .

ولما سار ابن الأشعث إلى سجستان أتبعه الحجاج بالعساكر ، وعليهم عمارة بن تميم اللخمي ، ومعهم محمد بن الحجاج فأدركوه بالسوس فقاتلوه ، وانهزم إلى سابور واجتمع إليه الاكراد وقاتلوا العساكر قتالاً شديداً . فهزم ، وخرج عمارة ولحق ابن الأشعث بكرمان ، فلقية عامله بها وهياً له النزول فنزل . ثم رحل إلى زَرْجَج فمنعه عامله من الدخول ، فحاصرها أياماً ثم سار إلى يَسْتَ وعليها من قبله عِيَّاضُ بن هَمَيَّان بن هشام السَلَوِيّ الشَّيْبَانِي ، ثم استغفله

فأوثقه . وكان رَتْبِيلُ ملك الترك قد سار ليستقبله ، ونزل على بَسْتٍ وتهَدَّدَ عِيَاضاً فأطلقه ، وحمل رتبيل إلى بلاده وأنزله عنده .

واجتمع المنهزمون فاتفقوا على قصد خراسان لينموا بعشائرهم ، وقصدوا للصلاة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحرث ، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث يستقدمونه ، فقدم عليهم وثناهم عن قصد خراسان مخافة من سطوة يزيد بن المهلب ، وأن يجتمع أهل الشام وأهل خراسان ، فأبوا وقالوا بل يكثر بها تابعنا . فسار معهم إلى هَرَاةَ ، فهرب عنهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن سُمرَةَ فخشي الانتقاض وقال : انما أتيتكم وأمركم جميعاً . وأنا الآن منصرف إلى صاحبي الذي جئت من عنده يعني رتبيل . ورجع عنهم في قليل . وبقي معظم العسكر مع عبد الرحمن بن العباس بسجستان فجمع بابن الأشعث وسار إلى خراسان في عشرين ألفاً ، ونزل هرة ولقوا الرقاد فقتلوه .

وبعث إليه يزيد بن المهلب بالرحلة من البلاد ، فقال انما نزلنا لنستريح ونرتحل . ثم أخذ في الجباية ، وسار نحوه يزيد بن المهلب والتقوا فافترق أصحاب عبد الرحمن عنه ، وصبرت معه طائفة ثم انهزموا ، وأمر يزيد بالكف عنهم وغنم ما في عسكرهم ، وأسر جماعة منهم ، فيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص وعمر بن موسى بن عبد الله بن معمر ، وعباس بن الاسود بن عوف والهلَقَام بن نعيم ابن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وفيروز وأبو لعلج مولى عبيد الله

ابن معمر ، وسوار بن مروان وعبدالله بن طلحة الطلحات وعبدالله ابن فضالة الزهراني الأزدي . ولحق عبد الرحمن بن العباس بالسند وأتى ابن سمرّة إلى مرو ، وانصرف يزيد إلى مرو . وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سيّدة بن نجدة ، وقال له أخوه حبيب : ألا تبعث عبد الرحمن بن طلحة ؟ فإن له عندنا يدين ، وقد ودى عن المهلب أبو طلحة مائة ألف ، فتركه وترك عبدالله بن فضالة لانه من الأزدي . وبعث الباقيين وقدموا عليه بمكان واسط قبل بنائها ، فدعا بفيروز وقال : ما أخرجك مع هؤلاء وليس بينك وبينهم نسب . قال فتنة عمت الناس ! قال اكتب أموالك ، فكتب ألفي ألف وأكثر . فقال للحجاج وأنا آمن على دمي ، قال لا والله لتؤدّينها ثم أقتلك . قال لا تجمع مالي ودمي وأمر به فنحي .

ثم أحضر محمد بن سعد بن أبي وقاص فوبخه طويلاً ثم أمر به فقتل ، ثم دعا بعمر بن موسى فوبخه ولطفه في العذر فلم يقبل ثم أمر به فقتل . ثم أحضر الهلثام بن نعيم فوبخه . وقال : ابن الأشعث طلب الممالك فما الذي طلبت أنت ؟ قال أن توليني العراق مكانك فأمر به فقتل . ثم أحضر عبدالله بن عامر فعذله في عبدالله ابن يزيد بن المهلب لأنه أطلق قومه من الأسر وقاد نحوه مطراً ، فأطرق الحجاج ثم قال : ما أنت وذاك ؟ ثم أمر به فقتل ، فلم يزل في نفسه من يزيد حتى عزله . ثم أمر بفيروز فعذب . ولما أحس بالموث قال أظهروني للناس ليردّوا عليّ ودائعي ، فلما ظهر نادى من

كان لي عنده شيء فهو في حل فأمر به فقتل ، وأمر بقتل عمر بن فھر الكندي وكان شريفاً ، وأحضر أعشى همدان واستنشدہ قصيدته بين الأثلج وبين قيس ، وفيها تحريض ابن الأشعث وأصحابه فقال : ليست هذه وانما التي بين الأثلج وبين قيس بارق على روي الدال ، فأتشدہ فلما بلغ قوله بخ بخ للوالدة وللمولود . قال والله لا تبخبخ بعدها أبداً وقتل .

وسأل الحجاج عن الشعبي فقال له يزيد بن أبي مسلم أنه لحق بالري ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم وهو عامله على الري بارسال الشعبي . فقدم على الحجاج سنة ثلاث وثمانين ، وكان ابن أبي مسلم له صديقاً فأشار عليه بحسن الاعتذار . فلما دخل على الحجاج سلم عليه بالامرة وقال : وايم الله لا أقول إلا الحق قد والله حرّضنا وجهدنا فما كنا أقوياء فجرة ، ولا أتقياء بررة ، وقد نصرك الله وظفرت فان سطوت فيذنوبنا وان عفوت فيحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج هذا والله أحب إلي ممن يقول ما شهدت ولا فعلت وسيفه يقطر من دمائنا . ثم أمنه وانصرف .

ولما ظفر الحجاج بابن الأشعث وهزمه ، لحق كثير من المنهزمين بعمر بن الصلت ، وقد كان غلب على الري في تلك الفتنة . فلما اجتمعوا أرادوا أن يحظوا عند الحجاج ويمحوا عن أنفسهم ذنب الجماجم ، فأشاروا على عمر بخلع الحجاج فامتنع ، فلدسوا عليه أباه فأجاب . ولما سار قتيبة إلى الري خرجوا مع عمر لقتاله ثم غدروا

به فانهزم ، ولحق بطبرستان وأقره الأصبهيد وأحسن إليه ، وأرادوا
الوثوب على الاصبهيد فشاور أباه وقال : قد علمت الأعاجم أنني أشرف
منه ، فمنعه أبوه ودخل قتيبة الري ، وكتب الحجاج إلى الاصبهيد
أن يبعث بهم أو برووسهم ففعل ذلك .

ولما تصرف عبد الرحمن بن الأشعث من هراة إلى رتبيل
قال له علقمة بن عمر الأزدي لا أدخل منك دار الحرب لأن
رتبيل ان دخل إليه الحجاج فيك وفي أصحابك قتلكم أو أسلمكم
إليه ، ونحن خمسمائة وقد تبايعنا على أن نتحصن بمدينة حتى
نأمن أو نموت كراماً ، وقدم عليهم مودود البصري ، وزحف اليهم
عمارة بن تميم اللخمي وحاصرهم حتى استأمنوا فخرجوا إليه وقلاهم ،
وتتابعت كتب الحجاج إلى رتبيل في عبد الرحمن يرهبه ويرغبه .
وكان عبيد بن سميع التميمي من أصحاب ابن الأشعث وكان
رسوله إلى رتبيل أولاً ، فأنس به رتبيل وزحف عليه وأغرى القاسم
ابن الأشعث أخاه عبد الرحمن بقتله ، فخافه وزين لرتبيل أخذ
العهد من الحجاج ، واسلام عبد الرحمن إليه على أن يكف عن
أرضه سبع سنين ، فأجاب رتبيل وخرج إلى عمارة سراً . وكتب
عمارة إلى الحجاج بذلك ، فأجاب وكتب له بالكف عنه عشر
سنين ، وبعث إليه رتبيل برأس عبد الرحمن ، وقيل مات بالسل
فقط رأسه وبعث به ، وقيل أرسله مقيداً مع ثلاثين من أهل بيته إلى
عمارة ، فألقى عبد الرحمن نفسه من سطح القصر فمات ، فبعث

عمارة برأسه وذلك سنة أربع أو خمس وثمانين .

قد كنا قدمنا حصار المهلب مَدِينَةَ كَش من وراء النهر فَأَقَام عليها سنتين ، وكان استخلف على خراسان ابنه المغيرة فمات سنة اثنتين وثمانين ، فجزع عليه وبعث ابنه يزيد إلى مرو ومكنه في سبعين فارساً ، ولقيهم في مفازة نَسَفِ جمع من الترك يقاربون الخمسمائة ، فقاتلوهم قتالاً شديداً يطلبون ما في أيديهم والمغيرة يمتنع حتى أعطى بعض أصحابه لبعضهم شيئاً من المتاع والسلاح ، ولحقوا بهم ولحق يزيد بمرو . ثم سأل أهل كَش من المهلب الصلح على مال يعطونه ، فاسترهن منهم رهناً من أبنائهم في ذلك ، وانفتل المهلب وخلف حريث بن قطنة مولى خُزَاعَةَ ليأخذ الفدية ويرد الرهن ، فلما صار ببلخ كتب إليه لا تخل الرهن وإن قبضت الفدية حتى تقدم أرض بلخ لثلاثين يوماً عليك . فَأَقْرَأَ صاحب كَش كتابه وقال : ان عجلت أعطيتك الرهن ، وأقول له جاء الكتاب بعد إعطائه .

فعجل صاحب كَش بالفدية وأخذ الرهن ، وعرض له الترك كما عرضوا ليزيد وقاتلهم فقتلهم وأسروا منهم أسرى ، ففدوهم فرداً فرداً وأطلقهم . ولما وصل إلى المهلب ضربه ثلاثين سوطاً عقوبة على مخالفة كتابه في الرهن . فحلف حريث أن ابن قطنة ليقتلن المهلب ، وخاف ثابتاً أن كان ذلك المسير إليه . فبعث إليه المهلب أخاه ثابت بن قطنة يلاطفه فأبى وحلف ليقتلن المهلب ، وخاف ثابت أن

كان ذلك أن يقتلوا جميعاً فأشار عليه باللاحق بموسى بن عبد الله بن حازم ، فلحق به في ثلثمائة من أصحابهما .

ثم هلك المهلب واستخلف ابنه يزيد ، وأوصى ابنه حبيباً بالصلاة وأوصى ولده جميعاً بالاجتماع والالفة ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فانها تنسيء في الاجل وتثري المال وتكثر العدد ، وأنهاكم عن القطيعة فانها تعقب النار والذلة والقلّة ، وعليكم بالطاعة والجماعة ، ولتكن فعالكم أفضل من مقالكم . واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فان الرجل تزل قدمه فينعش ويزل لسانه فيهلك ، واعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له . وآثروا الجود على البخل وأحبوا العرف واصنعوا المعروف ، فان الرجل من العرب تعده الغدة فيموت فكيف بالصنيعة عنده . وعليكم في الحرب بالتؤدة والمكيدة فانها أنفع من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، وإن أخذ الرجل بالحزم فظفر قيل أتى الامر من وجهه فظفر ، وإن لم يظفر قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وآداب الصالحين ، وإياكم وكثرة الكلام في مجالسكم . ثم مات وذلك سنة اثنتين وثمانين .

ويقال انه لما حثهم على الالفة والاجتماع أحضر سهاماً محزومة فقال أنكسرون هذه مجتمعة قالوا لا : قال فتكسرونها مفترقة ؟ قالوا نعم : قال فهكذا الجماعة . واستولى يزيد على خراسان بعد

أبيه ، وكتب له الحجاج بالعهد عليها . ثم وضع العيون على بَيْزِكَ حتى بلغه خروجه عن قلعته ، فسار اليها وحاصرها ففتحها وغنم ما كان فيها من الاموال والذخائر ، وكانت من أحصن القلاع . وكان بيزك إذا أشرف عليها يسجد لها . ولما فتحها كتب إلى الحجاج بالفتح ، وكان كاتبه يَغْمُرُ الْعَدُوَّاني حليف هُذَيْل فكتب : انا لقينا العدو فمنحنا الله أكنافهم ، فقتلنا طائفة وأسروا طائفة ولحقت طائفة بروؤس الجبال ومهامه الأودية وأهضام الغيطان وأفناء الانهار . فقال الحجاج : من يكتب ليزيد ؟ قيل يحيى بن يعمر : فكتب بحمله على البريد . فلما جاءه قال أين ولدت ؟ قال بالأهواز . قال فمن أين هذه الفصاحة ؟ قال حفظت من أولاد أبي وكان فصيحاً . قال يلحن عنبسة بن سعيد ؟ قال نعم كثيراً ! قال فضلان ؟ قال نعم ! قال فأننا ؟ قال تلحن خفيفاً ، تجعل أن موضع إنَّ وإنَّ موضع أن . قال أجلتك ثلاثاً وإن وجدتك بأرض العراق قتلتك فرجع إلى خراسان .

بناء الحجاج مدينة واسط

كان الحجاج يُنْزِلُ أهل الشام على أهل الكوفة ، فضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان سنة ثلاث وثمانين ، وعسكروا لهريباً من الكوفة حتى يستموا ، ورجع منهم ، ذات ليلة فتى حديث عهد بعرس بابنة عمه ، فطرق بيته ودق الباب فلم يفتح له إلا بعد هنيهة ، وإذا سكران من أهل الشام فشكت إليه ابنة عمه

مراودته إياها ، فقال لها ائذني له فأذنت له ، وجاء فقتله الفتى وخرج إلى العسكر . وقال ابعثي إلى الشاميين وارفعي اليهم صاحبهم ، فأحضروها عند الحجاج فأخبرته . فقال صدقت ! وقال للشاميين لا قود له ولا عقل فانه قتل الله إلى النار . ثم نادى مناديه لا ينزل أحد على أحد ، وبعث الرواد فارتادوا له مكان واسط ، ووجد هناك راهباً ينظف بقبعته من النجاسات فقال : ما هذه ؟ قال نجد في كعبنا أنه ينشأ ههنا مسجد للعبادة . فاخطط الحجاج مدينة واسط ههناك وبنى المسجد في تلك البقعة .

عزل يزيد عن خراسان

يقال ان الحجاج وفد إلى عبد الملك ومّر في طريقه براهب قيل له ان عنده علماً من الحدثان فقال : هل تجدون في كتابكم ما أنتم فيه ؟ قال نعم : فقال مُسَمَّى أو موصوفاً ؟ قال موصوفاً . قال : فما تجدون صفة ملكنا ؟ قال صفته كذا . قال ثم من ؟ قال آخر اسمه الوليد . قال ثم من ؟ قال آخر اسمه ثَقَفِي . قال فمن تجد بعدي ؟ قال رجل يدعى يزيد . قال أتعرف صفته ؟ قال لا أعرف صفته إلا أن يغدر غدره . فوقع في نفس الحجاج انه يزيد بن المهلب ، ووجل منه ، وقدم على عبد الملك . ثم عاد إلى خراسان وكتب إلى عبد الملك يذمّ يزيد وآل المهلب وأنهم زُبَيْرِيَّةٌ ، فكتب اليه أن وفاءهم لآل الزبير يدعوهم إلى الوفاء لي . فكتب اليه الحجاج يخوفه غدرهم وما يقول الراهب . فكتب إليه عبد الملك

انك أكثر في يزيد فانظر من تولى مكانه . فسمى له قتيبة بن مسلم ، فكتب له أن يوليه .

وكره الحجاج أن يكتبه بالعزل ، فاستقدمه وأمره أن يستخلف أخاه المفضل ، واستشار يزيد حُصَيْن بن المُنْذِر الرَقَاشِي فقال له : أقم واعتل ، وكتب عبد الملك فانه حسن الرأي فيك . نحن أهل بيت بورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره الخلاف ، وأخذ يتجهز وأبطأ . فكتب الحجاج إلى المفضل بولاية خراسان واستلحاق يزيد . فقال انه لا يضرّك بعدي ، وانما ولاك مخافة أن أمتنع . وخرج يزيد في ربيع سنة خمس وثمانين . ثم عزل المفضل لتسعة أشهر من ولايته ، وولى قتيبة بن مسلم . وقيل سبب عزل اليزيد أن الحجاج أذل العراق كلهم إلا آل المهلب ، وكان يستقدم يزيد فيغتل عليه بالعدا^(١) والحروب . وقيل كتب اليه أن يغزو خوارزم فاعتذر اليه بأنها قليلة السلب شديدة الكلف . ثم استقدمه بعد ذلك فقال إلى أن أغزو خوارزم . فكتب الحجاج لا تغزها ، فغزاها وأصاب سُبِيًّا وصالحه أهلها ، وأنفلت في الشتاء . وأصاب الناس البرد فتدثروا بلباس الاسرى فبقوا عرايا ، وقتلهم المفضل . ولما ولي المفضل خراسان غزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنماً فقسمه ، ثم غزا شومان فغنم وقسم ما أصابه .

(١) كذا ولعلها العدي أو العدى . والأولى بمعنى : الأعداء الذين تقاتلهم . والثانية بمعنى : الأعداء الذين لا تقاتلهم . وإذا كان المقصود بها «بنو عدا» فهم حي .

مقتل موسى بن حازم

كان عبدالله بن حازم لما قتل بني تميم بخراسان ، وافترقوا عليه فخرج الى نيسابور ، وخاف بنو تميم على ثقله بمرور ، فقال لابنه موسى : اقطع نهر بلخ حتى نلتجىء إلى بعض الملوك أو إلى حصن نقيم فيه . فسار موسى عن مرو في مائتين وعشرين فارساً ، واجتمع اليه شبه الاربعمائة ، وقوم من بني سليم ، وأتى قُصْفَقَاتِلَهُ أَهْلَهَا فظفر بهم ، وأصاب منهم مالا ، وقطع النهر . وسأل صاحب بخارى أن يأوي اليه فأبى وخافه ، وبعث اليه بصلة فسار عنه ، وعرض نفسه على ملوك الترك فأبوا خشية منه ، وأتى سمرقند فأذن له ملكها طرخون ملك الصغد في المقام فأقام ، وبلغه قتل أبيه عبدالله بن حازم ولم يزل مقيماً بسمرقند .

وبارز بعض أصحابه يوماً بعض الصغد فقتله ، فأخرجه طرخون عنه فأبى كِشٌّ فنزلها ، ولم يطق صاحبها مدافعته ، واستجاش عليه بطرخون . فخرج موسى للقاءه وقد اجتمع معه سبعمائة فارس ، فاقتتلوا إلى الليل ، ودس موسى بعض أصحابه إلى طرخون يخوفه عاقبة أمره ، وان كل من يأتي خراسان يطالبه بدمه . فقال يرتحل عن كِش ؟ قال له نعم ! وكف حتى ارتحل وأتى ترمذ ، فنزل إلى جانب حصن بها مشرف على النهر ، وأبى ملك ترمذ من تملكه الحصن ، فأقام هنالك ولاطف الملك ، وتودد له وصار يتصيد معه . وصنع له الملك يوماً طعاماً وأحضره في مائة من أصحابه ليأكلوا ،

فلما طعموا امتنعوا من الذهب . وقال موسى : هذا الحصن اما بيتي أو قبري ، وقاتلهم فقتل منهم عدّة ، واستولى على الحصن وأخرج ملك ترمذ ولم يتعرّض له ولا لأصحابه . ولحق به جمع من أصحاب أبيه فقوي بهم ، وكان يغير على ما حوله .

ولما وليّ أُمّية خراسان سار لغزوه ، وخالفه بكير كما تقدّم . ثم بعث اليه بعد صلحه مع بكير الجيوش مع رجل من خُزاعة وحاصروه . وعاد ملك ترمذ استنصاره بالترك في جمع كثير ، ونزلوا عليه من جانب آخر . وكان يقاتل العرب أوّل النهار والترك آخره ثلاثة أشهر . ثم بيّت الترك ليلة فهزمهم وحوى عسكرهم بما فيه من المال والسلاح ، ولم يهلك من أصحابه إلا ستة عشر رجلاً . وأصبح الخزاعي والعرب وقد خافوا مثلها . وغدا عمر ابن خالد بن حصين الكلابي على موسى بن حازم وكان صاحبه فقال انا لا نظفر الا بمكيذة فاضربني وخليني ، فضربه خمسين سوطاً ، فلحق بالخرزاعي وقال : ان ابن حازم اتهمني بعصبيتكم ، وأني عين لكم فأمنه الخزاعي وأقام عنده . ودخل عليه يوماً وهو خالٍ فقال له لا ينبغي أن تكون بغير سلاح . فرفع طرف فراشه وأراه سيفاً منتضى تحته فضربه عمر حتى قتله ولحق بموسى . وتفرق الجيش واستأمن بعضهم موسى .

ولما وليّ المُهلَّب على خراسان قال لبنيه إياكم وموسى ! فانه ان مات جاء على خراسان أمير من قيس . ثم لحق به حُرَيْثُ

وثابت ابنا قُطَنَةَ الخُزَاعِي فَكَانَا مَعَهُ . وَلَمَّا وَلِيَ يَزِيدُ أَخَذَ أَمْوَالَهُمَا وَحَرَمَهُمَا ، وَقَتَلَ أَخَاهُمَا لِلْأُمِّ الْحَرْثُ بْنُ مُعَقَّدٍ ، فَسَارَ ثَابِتٌ إِلَى طَرْخُونٍ صَرِيحاً ، وَكَانَ مُحِبِّاً إِلَى التُّرْكِ فَغَضِبَ لَهُ طَرْخُونُ . وَجَمَعَ لَهُ نِيزَكَ وَمَلِكَ الصَّغْدِ وَأَهْلَ بَخَارِي وَالصَّاعَانَ ، فَقَدَمُوا مَعَ ثَابِتٍ إِلَى مُوسَى وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ قُلٌّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ مِنْ هَرَّاءَ وَقُلٌّ ابْنُ الْأَشْعَثِ مِنَ الْعِرَاقِ وَمِنْ كَابِلٍ . فَكَانَ مَعَهُ نَحْوُ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ وَحَرِثٌ : سِرْ بِنَا فِي هَذَا الْعَسْكَرِ مَعَ التُّرْكِ ، فَخَرَجَ يَزِيدُ مِنْ خِرَاسَانَ وَتَوَلَّىكَ ، فَحَذَرَ مُوسَى أَنْ يَغْلِبَاهُ عَلَى خِرَاسَانَ ، وَنَصَحَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمَا إِنْ أَخْرَجْنَا يَزِيدَ قَدَمَ عَامِلَ الْمَدِينَةِ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَلَكِنَّا نَخْرُجُ عَمَالَ يَزِيدَ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ وَيَكُونُ لَنَا ، فَأَخْرَجُوهُمْ وَانصَرَفَ طَرْخُونُ وَالتُّرْكُ .

وَقَوِيَّ أَمْرَ الْعَرَبِ بِتَرَمَذَ وَجَبُوا الْأَمْوَالَ ، وَاسْتَبَدَّ ثَابِتٌ وَحَرِثٌ عَلَى مُوسَى وَأَغْرَاهُ أَصْحَابُهُ بِهِمَا فَهَمَّ بِقَتْلِهِمَا ، وَإِذَا بِجُمُوعِ الْعَجَمِ قَدْ خَرَجَتْ إِلَيْهِمْ مِنَ الْهَيْاطِلَةِ وَالتُّبَّتِ وَالتُّرْكُ ، فَخَرَجَ مُوسَى فِيمَنْ مَعَهُ لِلْقِتَالِ . وَوَقَفَ مَلِكُ التُّرْكِ عَلَى مَا قِيلَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَرِثُ بْنُ قُطَنَةَ حَتَّى أَزَالَهُمْ عَنْ مَوْضِعِهِمْ ، وَأُصِيبَ بِسَهْمٍ فِي وَجْهِهِ وَتَحَاجَزُوا . ثُمَّ بَيْتَهُمُ مُوسَى فَانْهَزَمُوا ، وَقَتَلَ مِنَ التُّرْكِ خَلْقَ كَثِيرٍ ، وَمَاتَ مِنْهُمْ قَلِيلٌ . وَمَاتَ حَرِثٌ بَعْدَ يَوْمَيْنِ ، وَرَجَعَ مُوسَى بِالظَّفَرِ وَالْغَنِيمَةِ . وَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ قَدْ كَفَيْنَا أَمْرَ حَرِثٍ فَكَفْنَا أَمْرَ ثَابِتٍ فَأَبَى . وَبَلَغَ ثَابِتٌ بَعْضَ مَا كَانُوا يَخُوضُونَ فِيهِ ،

ودس محمد بن عبد الله الخزاعي عليهم على أنه من سبي الباسيان ولا يحسن العربية ، فاتصل بموسى وكان ينقل إلى ثابت خبر أصحابه فقال لهم ليلة قد أكثرتم عليّ فعلى أيّ وجه تقتلونى ولا أغدر به ؟ فقال له أخوه نوح إذا أذاك غداً عدلنا به إلى بعض الدور فقتلناه قبل أن يصل اليك . فقال والله انه لهلاككم ! وجاء الغلام إلى ثابت بالخبر فخرج من ليلته في عشرين فارساً ، وأصبحوا ففقدوه وفقدوا الغلام فعلموا أنه كان عيناً .

ونزل ثابت بحشور واجتمع اليه خلق كثير من العرب والعجم . وسار اليه موسى وقاتله ، فحصر ثابتاً بالمدينة . وأتاه طرخون مدد فرجع موسى إلى تيرمذ . ثم اجتمع ثابت وطرخون وأهل بخارى ونسف وأهل كش في ثمانين ألفاً . فحاصروا موسى بترمذ حتى جهد أصحابه . وقال يزيد بن هذيل والله لأقتلن ثابتاً أو أموت ، فاستأمن اليه وحذره بعض أصحابه منه ، فأخذ ابنه قدامة والضحّاك رهناً وأقام يزيد يتلمس غيرة ثابت . ومات ابن الزباد والقصير الخزاعي ، فخرج اليه ثابت يعزيه وهو بغير سلاح ، فضربه يزيد على رأسه وهرب . وأخذ طرخون قدامة والضحّاك ابني يزيد فقتلها . وهلك ثابت لسبعة أيام وقام مكانه من أصحابه ظهير^(١) وضعف أمرهم ، وبيتهم موسى ليلاً في ثلثمائة ،

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٠٠ : «وأخذ طرخون قدامة والضحّاك ابني يزيد فقتلها، وعاش ثابت سبعة أيام ومات. وقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون، وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت فقاما قياماً ضعيفاً وانتشر أمرهم».

فبعث اليه طرخون كف أصحابك فانا نرحل الغداة . فرجع وارتحل طرخون والعجم جميعاً .

ولما وليَ المفضل خراسان بعث عثمان بن مسعود في جيش إلى موسى بن حازم ، وكتب إلى مُدْرِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ في يلخ بالمسير معه ، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً ، وكتب إلى رتبيل وإلى طرخون أن يكونوا مع عثمان ، فحاصروا موسى بن حازم فضيقوا عليه شهرين ، وقد خندق عثمان على معسكره حذر البيات . فقال موسى لأصحابه اخرجوا بنا مستميتين واقصدوا الترك ، فخرجوا وخلف النضرُ ابن أخيه سليمان في المدينة . وقال له : ان أنا قتلت فملك المدينة لمدرِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ دون عثمان ، وجعل ثلث أصحابه بازاء عثمان وقال لا تقاتلوه إلا إن قاتلكم . وقصد طرخون وأصحابه وصدقوهم القتال ، فانهزم طرخون وأخذوا وحجزت الترك والصغد بينهم وبين الحصن ، فقاتلهم فعقروا فرسه وأردفه مولى له ، فبصر به عثمان حين وثب فعرفه فقصدته ، وعقروا به الفرس وقتلوه ، وقتل خلق كثير من العرب . وتولى قتل موسى وأصيل العنبري ونادي منادي عثمان بكف القتل وبالاسر ، وبعث النضر بن سليمان إلى مدرِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ فسلم اليه مدينة ترمذ ، وسلمها لمدرِكِ بْنِ الْمُهَلَّبِ . وكتب المفضل إلى الحجاج بقتل موسى فلم يسره لانه من قيس ، وكان قتل موسى^(١)

(١) رحمه الله لو أبقى في حصنه ليكون سداً بينهم وبين طوائف الأمم المجاورة له لكان خيراً لهم وللإسلام ، فقد فجعوا الإسلام بقتله ، كما فجعوه بقتل قتبية بن مسلم الباهلي . فإني أظن أنه لم يأت في صدر الإسلام عند قيام الدولة الأموية مثلها . يعرف ذلك من نظر في وقائعها وحروبها : من خط الشيخ العطار .

سنة خمس وثمانين لخمس عشرة سنة من تغلبه على تِرمُذ .

البيعة الوليد بالعهد

وكان عبد الملك يروم خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد والبيعة لابنه الوليد وكان قبضة ينهيه عن ذلك ويقول : لعل الموت يأتيه وتدفع العار عن نفسك ، وجاءه رَوْحُ بن زنباغ^(١) ليلة وكان عنده عظيماً ففاوضه في ذلك فقال : لو فعلته ما انتطح فيه عنزان . فقال نصلح ان شاء الله ! وأقام روح عنده ، ودخل عليهما قُبَيْصَةُ بن ذؤيب من جنح الليل وهما نائمان وكان لا يحجب عنه واليه الخاتم والسكة ، فأخبره بموت عبد العزيز أخيه . فقال روح كفانا الله ما نريد . ثم ضم مصر إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وولاه عليها . ويقال : ان الحجاج كتب إلى عبد الملك يزين لهبيعة الوليد ، فكتب إلى عبد العزيز إني رأيت أن يصير الامر إلى ابن أخيك فكتب له أن تجعل الامر له منبيعة ، فكتب له إني أرى في أبي بكر ما ترى في الوليد . فكتب له عبد الملك ان يحمل خراج مصر ، فكتب اليه عبد العزيز إني وإياك يا أمير المؤمنين قد أشرفنا على عمر أهل بيتنا ، ولا ندري أينما يأتيه الموت فلا تفسد علي بقية عمري ، فرق له عبد الملك وتركه .

(١) روح بن زنباغ قالت فيه زوجته :

بكي الخز من روح وأنكر جلده وعجت عجباً من جذام المطارف

وهذا البيت أورده السنوسي في شرح الكبرى ، واختلفت نسخ الشراح والحواشي فيه ، فمن قائل عون وآخر عوف والصحيح روح . وله ترجمة في كتاب الأغاني . ولزوجته قائلة البيت قصة ظريفة رحها الله تعالى اهـ . من خط الشيخ العطار .

ولما بلغ الخبر بموت عبد العزيز عبد الملك أمر الناس بالبيعة لابنه الوليد وسليمان ، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان . وكان على المدينة هشام بن اسماعيل المخزومي ، فدعا الناس إلى البيعة فأجابوا ، وأبى سعيد بن المسيّب فضربه ضرباً مبرحاً ، وطاف به وجسه . وكتب عبد الملك إلى هشام يلومه ويقول : ان سعيداً ليس عنده شقاق ولا نفاق ولا خلاف ، وقد كان ابن المسيّب امتنع من بيعة ابن الزبير ، فضربه جابر بن الأسود عامل المدينة لابن الزبير ستين سوطاً ، وكتب اليه ابن الزبير يلومه . وقيل : ان بيعة الوليد وسليمان كانت سنة أربع وثمانين ، والاول أصح . وقيل قدم عبد العزيز على أخيه عبد الملك من مصر ، فلما فارقه وصاه عبد الملك فقال ابسط بشرك ، وألن كنفك ، وآثر الرفق في الأمور فهو أبلغ لك ، وانظر حاجبك ، وليكن من خير أهلك ، فانه وجهك ولسانك . ولا يقفن أحد ببابك الا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو تردّه ، فاذا خرجت إلى مجلسك فابدأ جلّسائك بالكلام يأتسوا بك ، وتثبت ، في قلوبهم محبتك . وإذا انتهى إليك مشكل فاستظهر عليه بالمشورة فانها تفتح مغاليق الأمور المبهمة . واعلم أن لك نصف الرأي ولاخيك نصفه ، ولن يهلك امرؤ من مشورة . وإذا سخطت على أحد فأخر عقوبته ، فانك على العقوبة بعد التوقف عنها أقدر منك على ردّها بعد إصابتها .

وفاة عبد الملك وبيعته الوليد

ثم توفي عبد الملك منتصف شوال سنة ست وثمانين ، وأوصى إلى بنيه فقال : أوصيكم بتقوى الله ، فانها أزين حلية وأحصن كهف ، Lieطف الكبير منكم على الصغير ، وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه ، فانه نابكم الذي عنه تفترون ، ولحيكم الذي عنه ترمون . وأكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم المنابر ، ودوَّخ لكم البلاد ، وأذل لكم مغنى الاعداء . وكونوا بني أم بررة ، لا تدب بينكم العقارب . وكونوا في الحرب أحزاراً ، فان القتال لا يقرب منية . وكونوا للمعروف مناراً ، فان المعروف يبقى أجره وذخره وذكره وضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب فانه لصون له ، واشكر^(١) لما يؤتى اليهم منه ، وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فان استقالوا فاقبلوا ، وان عادوا فانتقموا .

ولما دفن عبد الملك قال الوليد : انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة . فكان أول من عزى نفسه وهنأها . ثم قام عبد الله ابن همام السامولي وهو يقول :

اللهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا
عَنْكَ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا سَوْقَهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلْدُوكَ طَوْقَهَا

(١) كذا . ولعلها : « واشكروا » كما يقتضيه السياق .

وبايعه ثم بايعه الناس بعده ، وقيل ان الوليد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس لا مقدّم لما اخره الله ، ولا مؤخر لما قدمه الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ، وما كتب على أنبيائه وحملته عرشه الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار وولي هذه الأمة بالذي يحق لله عليه في الشدة على المذنب واللين لاهل الحق والفضل ، وإقامة ما أقام الله من منازل الاسلام واعلائه ، من حج البيت وغزو الثغور وشن الغارة على أعداء الله . فلم يكن عاجزاً ولا مُفَرِّطاً . أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة ، فان الشيطان مع المنفرد . أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه ثم نزل .

ولاية قتيبة بن مسلم خراسان وأخباره

قدم قُتَيْبَةُ^(١) خراسان أميراً عن الحجاج سنة ست وثمانين ، فعرض الجند وحث على الجهاد ، وسار غازياً وجعل على الحرب بمرور^(٢) ايّاس بن عبد الله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعد وتلقاه دهاقين البلخ والطالقان وساروا معه . ولما عبر النهر تلقاه ملك الصُغَانِيَّان بهداياه . وكان ملك آخُرُونَ وسومان يسيء جواره فدعاه إلى بلاده وسلمها اليه . وسار قتيبة إلى آخرون وسومان

(١) هذا فحل أمراء الدولة الأموية كما أن الحجاج فرعونها . كتبه الشيخ العطار .

(٢) مرو إحدى قواعد إقليم خراسان الأربع وهي مرو وهراة وبلخ ونيسابور . كتبه أيضاً .

وهو من طخارستان ، فصالحه ملكهما على فدية أداها اليه . وقبضها ثم انصرف إلى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، ففتح بعد رجوع قتيبة كاشان وأورشَت من فرغانة ، ثم أخسيكتَ مدينة فرغانة القديمة . وكان معه ابن يسار ، وأبلى في هذه الغزاة . وقيل ان قتيبة قدم خراسان سنة خمس وثمانين ، وكان من ذلك السبي امرأة برمك . وكان برمك على النوبهار ، فصارت لعبدالله ابن مسلم أخي قتيبة ، فوقع عليها وعلقت منه بخالد ، ثم صالح أهل بلخ وأمر قتيبة برد السبي فألحق عبدالله به حملهما . ثم ردت إلى برمك .

وذكر أن ولد عبد الله بن مسلم ادَّعوه ورفعوا أمرهم إلى المهدي وهو بالري ، فقال لهم بعض قرابتهم انكم ان استلحقتموه لابد لكم أن تزوجوه ، فتركوه . ولما صالح قتيبة ملك سومرن كتب إلى بترك طرخان صاحب باذغيس فيمن عنده من أسرى المسلمين ، وهبدهم فبعث بهم اليه . ثم كتب اليه يستقدمه على الامان ، فخشي وتثاقل ، ثم قدم وصالح لاهل باذغيس على أن لا يدخلها قتيبة ، ثم غزا بيكننداد في مدائن بخارى إلى النهر سنة سبع وثمانين . فلما نزل بهم استجاشوا بالصغد وبمن حولهم من الترك ، وساروا إليه في جموع عظيمة ، وأخذوا عليه الطرق . فانقطعت الاخبار والرسل ما بينه وبين المسلمين شهرين ، ثم هزمهم بعض الايام وأثخن فيهم بالقتل والأسر وجاء إلى السور ليهدمه ، فسألوا

الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم ، وسار عنهم غير بعيد . فقتلوا العامل ومن معه ، فرجع اليهم وهدم سورهم ، وقتل المُقَاتِلَةَ وسبي الدُرِّيَّةَ ، وغنم من السلاح وآنية الذهب والفضة ما لم يصيبوا مثله . ثم غزا سنة ثمان وثمانين بلك ثُمَمَكْنَتَ ، فصالحوه وسار إلى رَامِسَةَ فصالحوه أيضاً ، فانصرف وزحف أيضاً إليه التُّرْكُ والصُّغْدُ وأهل فرغانة في مائتي ألف ، ومَلِكُهُمْ كُورُبَعَابُورُ ابن أخت ملك الصين ، واعترضوا مقدمته وعليها أخوه عبد الرحمن ، فقاتلهم حتى جاء قتيبة وكان ينزل معه ، فأبلى مع المسلمين . ثم انهزم الترك وجمعهم ، ورجع قتيبة إلى مرو ، ثم أمره الحجاج سنة تسع وثمانين بغزو بخارى وملكها ووردان خذاه ، فغير النهر من زَمٍّ ، ولقيه الصغد وأهل كش ونسف بالمفازة وقاتلوه فهزموهم ومضى إلى بخارى ، فنزل عن يمين وردان ولم يظفر منه بشيء ورجع إلى مرو .

عمارة المسجد

كان الوليد عزل هشام بن اسماعيل المخزومي عن المدينة سنة سبع وثمانين ، لأربع سنين من ولايته ، وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، فقدمها ونزل دار مروان ، ودعا عشرة من فقهاء المدينة فيهم الفقهاء السبعة المعروفون ، فجعلهم أهل مشورته لا يقطع أمراً دونهم ، وأمرهم أن يبلغوه الحاجيات والظلمات فشكروه وجزوه خيراً ، ودعا له الناس . ثم كتب إليه سنة ثمان أن يدخل جِجَرَ أمهات المؤمنين في المسجد ويشتري ما في نواحيه ، حتى يجعله مائتي

ذراع في مثلها ، وقدم القبله . ومن أبى أن يعطيك ملكه فقومه قيمة عدل ، وادفع اليه الثمن ، واهدم عليه الملك ، ولك في عمر وعثمان اسوة . فأعطاه أهل الأملاك ما أحب منها بأثمانها وبعث الوليد إلى ملك الروم أنه يريد بناء المسجد ، فبعث اليه ملك الروم بمائة ألف مثقال من الذهب . ومائه من الفعلة ، وأربعين حملاً من الفُسيْفَساء^(١) ، وبعث بذلك كله إلى عمر بن عبد العزيز ، واستكثر معهم من فعلة الشام ، وشرع عمر في عمارته اه . وولى الوليد في سنة تسع وثمانين على مكة خالد بن عبدالله القسري .

فتح السند

كان الحجاج قد ولى على ثغر السند ابن عمه محمد بن القاسم ابن محمد بن الحكم بن أبي عقيل ، وجهز معه ستة آلاف مقاتل ، ونزل مكران ، فأقام بها أياماً . ثم أتى فيريوز ففتحها ، ثم أرميل . ثم سار إلى الديبل وكان به بد عظيم في وسط المدينة على رأسه دقل عظيم وعليه راية . فاذا هبت الريح دارت فأطافت بالمدينة . والبس صنم مركوز في بناء ، والدقل منارة عليه . وكل ما يعبد فهو عندهم بد . فحاصر الديبل ورماهم بالمنجنيق ، فكسر الدقل فتطيروا بذلك . ثم خرجوا اليه فهزمهم ، وتسبم الناس الأسوار ففتحت عنوة ، وأنزل فيها أربعة آلاف من المسلمين ، وبني جامعها وسار عنها إلى النيروز .

(١) قوله الفسيفساء هي أحجار صغيرة ملونة اهـ . من خط الشيخ العطار .

وقد كانوا بعثوا إلى الحجاج وصلحلوه ، فلقوا محمداً بالميرة وأدخلوه مدينتهم ، وسار عنها . وجعل لا يمر بمدينة من مدائن السند الا فتجها حتى بلغ نهر مهران ، واستعد ملك السند لمحاربته واسمه داهر بن صصة . ثم عقد الجسر على النهر وعبر ، فقاتله داهر وهو على الفيل وحوله الفيلة . ثم اشتد القتال وترجل داهر ، فقاتل حتى قتل ، وانهزم الكفار واستلحمهم المسلمون . ولحقت امرأة داهر بمدينة رارو فساروا اليها وخافته فأحرقت نفسها وجواريتها . وملك المدينة ولحق الفل بمدينة بدهمتاباد العتيقة على فرسخين من مكان المنصورة ، وهي يومئذ غيضة ، ففتحها عنوة واستلحم من وجد بها وخر بها . ثم استولى على مدائن السند واحدة واحدة ، وقطع نهر ساسل إلى الملقاد ، فحاصرها وقطع الماء عنها ، فنزلوا على حكمه . فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وقتل سدة البلد وهم ستة آلاف . وأصابوا في البلد ذهباً كثيراً في بيت طوله عشرة أذرع وعرضه ثمانية ، كانت الاموال تهدي اليه من البلدان ، ويحجون اليه ويحلقون شعرهم عنده ، ويزعمون أنه هو أيوب . فاستكمل فتح السند ، وبعث من الخمس بمائة وعشرين ألف ألف وكانت النفقة نصفها .

فتح الطالقان وسمرقند وغزو كش ونسف

والشاش وفرغانة وطلخ خوارزم

قد تقدم أن قتيبة غزا بخارى سنة تسع وثمانين ، وانصرف عنها ولم يظفر . وبعث اليه الحجاج سنة تسعين يوبخه على الانصراف عنها ويأمره بالعود . فسار اليها ومعه نيزك طرخان صاحب باذغيس ،

وحاصرها . واستجاش ملكها وردان ، اخذاه^(١) بمن حوله من الصُغدِ والتُركِ . فلما جاء مددهم خرجوا إلى المسلمين ، وكانت الازد في المقدمة ، فانهزموا حتى جازوا عسكر المسلمين ثم رجعوا ، وزحفت العساكر حتى ردّوا الترك إلى موقفهم . ثم زحف بنو تميم وقتلوا الترك حتى خالطوهم في مواقفهم وأزالوهم عنها . وكان بين المسلمين وبينهم نهر لم يتجاسر أحد على عبوره إلا بنو تميم ، فلما زالوا عن مواقفهم عبر الناس واتبعوهم وأثخنوا فيهم بالقتل ، وخرج خاقان وابنه وفتح الله على المسلمين ، وكتب بذلك إلى الخجاج .

ولما استوت الهزيمة جاء طرخون ملك الصغد ومعه فارسان ، ودنا من عسكر قتيبة يطلب الصلح على فدية يؤدّيها فأجابه قتيبة وعقد له ، ورجع قتيبة ومعه نيزك ، وقد خافه لما رأى من الفتوح ، فاستأذنه في الرجوع وهو بآمد ، فرجع يريد طخارستان ، وأسرع السير . وبعث قتيبة إلى المغيرة بن عبد الله يأمره بحبسه ، وتبعه المغيرة فلم يدركه ، وأظهر نيزك الخلع ودعا لذلك الأصبهنيّ ملك بلخ وبازان ملك مرو الروذ وملك الطالقان وملك القاربات وملك الجوزجان فأجابوه ، وتوعدوا^(٢) لغزو قتيبة . وكتب إلى كاتب شاه يستظهر به وبعث اليه باثقاله وأمواله ، واستأذنه في الاتيان ان اضطر إلى ذلك .

(١) كذا . وهي : خذاه . وقد تقدم هكذا .

(٢) كذا . ولعلها تواعدوا . ومعناه : وعد بعضهم بعضاً . أما التوعد فتعني : التهديد وواضح أن لا معنى له هنا .

وكان جَيْفُونَةُ ملك طخارستان نيزك عنده ، فاستضعفه وقبض عليه وقيده خشية من خلافه ، وأخرج عامل قتيبة من بلده . وبلغ قتيبة خبرهم قبل الشتاء وقد تفرق الجند ، فبعث أخاه عبد الرحمن ابن مسلم في اثني عشر ألف إلى البروقان ، وقال أقم بها ولا تحدث شيئاً ، فإذا انقضى الشتاء تقدّم إلى طخارستان وأنا قريب منك . ولما انصرم الشتاء استقدم قتيبة الجنود من نيسابور وغيرها فقدموا ، فسار نحو الطالقان وكان ملكها قد دخل معهم في الخلع ، ففتحها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وصلب منهم سباطين أربعة فراسخ في مثلها ، واستخلف عليها أخاه محمد بن مسلم وسار إلى القاربات فخرج إليه ملكها مطيعاً . واستعمل عليها وسار إلى الجوزجان فلقية أهلها بالطاعة ، وهرب ملكها إلى الجبال واستعمل عليها عامر ابن ملك الحماس .

ثم أتى بلخ وتلقاه أهلها بالطاعة ، وسار يتبع أخاه عبد الرحمن إلى شعب حملة ، ومضى نيزك إلى بغلان وخلف المقاتلة على فم الشعب ولا يهتدي إلى مدخل ، ومضايقوه يمنعون . ووضع أثقاله في قلعة من وراء الشعب . وأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على فم الشعب ولا يهتدي إلى مدخل ، حتى دله عليه بعض العجم هنالك على طريق سرب منه الرجال إلى القلعة فقاتلوهم ، وهرب من بقي منهم ومضى إلى سمنجان ثم إلى نيزك ، وقدم أخاه عبد الرحمن . وارتحل نيزك إلى وادي فرغانة ، وبعث أثقاله وأمواله إلى كابل شاه ، ومضى

إلى السكون فتحصن به ولم يكن له إلا مَسَلْكٌ واحد صعب على الدواب ،
فحاصره قتيبة شهرين حتى جهدوا وأصابهم جهد الجُدري .

وقرب فصل الشتاء فدعا قتيبة بعض خواصه ممن كان يصادق
نيزك فقال : انطلق اليه وأثن عليه بغير أمان ، وإن أعياك فأمنه .
وان جئت دونه صلبتك . فمضى الرجل وأشار عليه بلقائه وأنه
عازم على أن يشق هنالك ، فقال أخشاه ! فقال له لا يخلصك الا
اتيانك ، وتنصح له بذلك وبأنه يخشى عليه من غدر أصحابه الذين
معه . ولم يزل يقتل له ^(١) في الذروة والغارب ، وهو يمتنع حتى
قال له انه قد أَمَنَكَ . فأشار عليه أصحابه بالقبول لعلمهم بصدقه ،
وخرج معه نيزك ومعهم جيفونة ملك طخارستان الذي كان قيده ،
حتى انتهوا إلى الشعب وهناك خيل أكمه الرجل ما كان فيه ،
وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك ، فوافاه كتابه لاربعين
يوماً بقتله فقتله ، وقتل معه صول طرخان خليفة جيفونة وابن أخي
نيزك ومن أصحابه سبعمائة وصلبهم ، وبعث برأسه إلى الحجاج .
وأطلق جيفونة وبعث إلى الوليد .

ثم رجع إلى مرو . وأرسل إليه ملك الجوزجان يستأمنه ،
فأمنه على أن يأتيه ، فطلب الرهن فأعطاه وقدم . ثم رجع فمات
بالطالقان وذلك سنة احدى وتسعين . ثم سار إلى شومان فحاصرها ،
وقد كان ملكها طرد عامل قتيبة من عنده ، فبعث اليه بعد

(١) قوله يقتل له الخ . هو مثل من أمثال العرب يضرب في الخداع والمباكرة اهـ . من الميداني .

مرجه من هذه الغزاة أن يؤدي ما كان صالح عليه ، فقتل الرسول ، فبار اليه قتيبة وبعث له صالح أخو قتيبة وكان صديقه ينصحه في مراجعة الطاعة فأبى ، فحاصره قتيبة ونصب عليه المجانيق ، فهدم الحصن وجمع الملك ما في الحصن من مال وجوهر ورمى به في بئر لا يدرك قعره ، ثم استمات وخرج فقاتل حتى قتل . وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، ثم بعث أخاه عبد الرحمن إلى الصغد وملكهم طرخون ، فأعطى ما كان صالح عليه قتيبة . وسار قتيبة إلى كش ونسف فصالحوه ، ورجع ولقي أخاه ببخارى وساروا إلى مرو .

ولما رجع عن الصغد حبس الصغد ملكهم طرخون لاعطائه الجزية ، وولوا عليهم غورك ، فقتل طرخون نفسه . ثم غزا في ستة اثنيتين وتسعين إلى سجستان يريد رتبيل ، فصالحه وانصرف . وكان ملك خوارزم قد غلبه أخوه خراد على أمره وكان أصغر منه ، وعاث في الرعية وأخذ أموالهم وأهلهم ، فكتب إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها اليه على أن يمكنه من أخيه ومن عصاه من دونهم . فأجابه قتيبة ولم يطلع الملك أحداً من مرابيته على ذلك . وتجهز قتيبة سنة ثلاث وتسعين وأظهر غزو الصغد ، فأقبل أهل خوارزم على شأنهم ولم يحتفلوا بغزوه وإذا به قد نزل هزار سب قريباً منهم ، وجاء أصحاب خوارزم شاه اليه يدعوه للقتال . فقال ليس لنا به طاقة ! ولكن نصالحه على شيء نعطيه كما فعل غيرنا . فوافقوه

وسار إلى مدينة الفَيد من وراء النهر ، وهذا حصن بلاده . وصالحه بعشرة آلاف رأس وعين ومتاع ، وأن يعينه على خامِ جُرد . وقيل على مائة ألف رأس^(١) .

وبعث قتيبة أخاه عبد الرحمن إلى خامِ جرد وهو عدو لخوارزم شاه ، فقاتله وقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه ، وأسر منهم أربعة آلاف فقتلهم . وسلم قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه من أمرائه فقتلهم ، ودفع أموالهم إلى قتيبة . ولما قبض قتيبة أموالهم أشار عليه المُحشَرُ بن مُخَازِمِ السَلَمِيِّ بغزو الصُّغد وهم آمنون على مسافة عشرة أيام . فقال اكتم ذلك ، فقدم أخاه الفرسان والرماة ، وبعثوا بالأنثقال إلى مرو ، وخطب قتيبة الناس وحثهم على الصغد وذكرهم الضغائن فيهم . ثم سار فأتى الصغد بعد ثلاث من وصول أخيه ، فحاصروهم بسمرقند شهراً واستجاشوا ملك الشاش واخشاد^(٢) خاقان وفرغانة ، فانتخبوا أهل النجدة من أبناء الملوك والمرازمة والاساورة ، وولوا عليهم ابن خاقان وجاؤوا إلى المسلمين . فانتخب قتيبة من عسكره ستمائة فارس ، وبعث بهم أخاه صالحاً لاعتراضهم في طريقهم - ، فلقوهم بالليل وقاتلوهم أشد قتال ، فهزموهم وقتلوهم وقتلوا ابن خاقان ولم يفلت منهم إلا القليل وغنموا ما معهم . ونصب قتيبة المجانيق فرماهم بها وثلم السور واشتد في قتالهم .

(١) قوله على مائة ألف رأس لعله من يأخذ منهم خراجاً ، وإلا فمن البعيد استرقاق هذا العدد وأخذه منهم . وماذا يصنعون بهذا العدد وأي طعام يكفيهم كل يوم - من خط الشيخ العطار .

(٢) قوله واخشاد لعله أخشيد فرغانة لأن ملك فرغانة يقال له الأخشيد - من خط الشيخ العطار .

وحمل الناس عليهم إلى أن بلغوا الثلثة . ثم صالحوه على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام . وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، وأن يمكنوه من بناء مسجد بالمدينة ويخلوها حتى يدخل فيصلي فيه . فلما فعل ذلك ودخل المدينة أكرههم على إقامة جند فيها . وقيل انه شرط عليهم الاصنام وما في بيوت النار . فأعطوه فأخذ الحلية وأحرق الاصنام وجمع من بقايا مساميرها . وكانت ذهباً ، خمسين ألف مثقال . وبعث بجارية من سبيها من ولد يزدجرد إلى الحجاج ، فأرسلها الحجاج إلى الوليد وولدت له يزيد . ثم قال فورك لقتيبة انتقل عنا ، فانتقل وبعث إلى الحجاج بالفتح . ثم رجع إلى مرو ، واستعمل على سمرقند إياس بن عبد الله على حربها ، وعبيد الله بن أبي عبيد الله مولى مسلم على خراجها ، فاستضعف أهل خوارزم إياساً وجمعوا له ، فبعث قتيبة عبد الله عاملاً على سمرقند . وأمره أن يضرب إياساً وحبايا السطي مائة مائة ويخلعهما . فلما قرب عبد الله من خوارزم مع المغيرة بن عبد الله فبلغهم ذلك ، وخشي ملكهم من أبناء الذين كان قتلهم ففرّ إلى بلاد الترك . وجاء المغيرة فقتل وسبى وصالحه الباقون على الجزية . ورجع إلى قتيبة فولاه على نيسابور . ثم غزا قتيبة سنة أربع وتسعين إلى ما وراء النهر ، وفرض البعث على أهل بخارى وكشّ ونسف وخوارزم ، فسار منهم عشرون ألف مقاتل فبعثهم إلى الشاش . وسار هو إلى خجندة فجمعوا له واقتلوا مراراً كان الظفر فيها للمسلمين ، وفتح الجند الذين ساروا الى

مدينة الشاش وأحرقوها ، ورجعوا إلى قتيبة وهو على كشان مدينة فرغانة وانصرف إلى مرو . ثم بعث الحجاج اليه جيشاً من العراق وأمره بغزو الشاش فسار لذلك وبلغه موت الحجاج فرجعوا إلى مرو .

خبر يزيد بن المهلب وأخوته

كان الحجاج قد حبس يزيد وأخوته سنة ست وثمانين ، وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان فأقاموا في محبسهم إلى سنة تسعين ، وبلغه أن الاكراد غلبوا على فارس . فعسكر قريباً من البصرة للبعث ، وأخرج معه بني المهلب وجعلهم في فسطاط قريباً منه ، ورتب عليهم الحرس من أهل الشام . ثم طلب منهم ستة آلاف ألف ، وأمر بعذابهم وبكت أختهم هند بنت المهلب زوجة الحجاج فطلقها . ثم كف عنهم وجعل يستأدبهم ، وبعثوا إلى أخيه مروان وكان على البصرة أن يعدّ لهم خيلاً ، وكان حبيب منهم يعذب بالبصرة . فصنع يزيد للحرس طعاماً كثيراً وأمر لهم بشراب ، فأقاموا يتعاقرون . واستغفلهم يزيد والمفضل وعبد الملك وخرجوا ولم يفتنوا لهم .

ورفع الحرس خبرهم إلى الحجاج فخشيهم على خراسان ، وبعث البريد إلى قتيبة يخبرهم ليحذرهم ، وكان يزيد قد ركب السفن إلى البطائح ، واستقبلته الخيل المعدة له هناك ، وساروا إلى الشام على السماوة ومعهم دليل من كلب . ونمي خبرهم ، فبعث إلى الوليد بذلك ، وقدموا إلى فلسطين فنزلوا على وهيب بن عبد الرحمن

الازدي ، وكان كريماً على سليمان فأخبره بحالهم ، وأنهم استجاروا به من الحجاج ، فقال ائتني بهم فقد أجزتهم . وكتب الحجاج إلى الوليد أن بني المهلب خانوا مال الله وهربوا مني فلحقوا بسليمان ، فسكن ما به لانه كان خشيمهم على خراسان كما خشيمهم الحجاج ، وكان غاضباً للمال الذي ذهبوا به . فكتب سليمان إلى الوليد أن يزيداً عندي وقد أمّنته ، وكان الحجاج أغرمه ستة آلاف ألف فأد نصفها وأنا أودّي النصف .

فكتب الوليد لا أؤمنه حتى تبعث به ، فكتب سليمان لأجيئن معه . فكتب الوليد إذن لا أؤمنه . فقال يزيد لسليمان لا يتشاءم الناس بي لكما . فكتب معي وتلطّف ما أطق ، فأرسله وأرسل معه ابنه أيوب ، وكان الوليد أمر أن يبعث مقيداً . فقال سليمان لابنه ادخل على عمك أنت ويزيد في سلسلة . فقال الوليد لما رأى ذلك لقد بلغنا من سليمان . ثم دفع أيوب كتاب أبيه بالشفاعة وضمن المال عن يزيد ، فقرأه الوليد واستعطفه أيوب في ذمة أبيه وجواره ، وتكلم يزيد واعتذر ، فأمنه الوليد ورجع إلى سليمان ، وكتب الوليد إلى الحجاج بالكف عنهم فكف عن حبيب ، وأبي عبسة وكانا عنده ، وأقام يزيد عند سليمان يهدي اليه الهدايا ويصنع له الاطعمة .

ولاية خالد القسري على مكة واخراج سعيد بن جبير عنها ومقتله

ولما كان في سنة ثلاث وتسعين كتب عمر بن عبد العزيز إلى

الوليد يقص عليه أفعال الحجاج بالعراق ، وما هم فيه من ظلمه وعدوانه ، فبلغ بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد : إِنَّ كثيراً من المُرَّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر وأصابه من ذلك وهن . فولَّى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسري^(١) وعُثمَان بن حَيَّانَ بإشارة الحجاج ، وعزل عمر عن الحجاز وذلك في شعبان من السنة . ولما قدم خالد مكة أخرج من كان بها من أهل العراق كرهاً ، وتهدّد من أنزل عراقياً أو أجره داراً ، وكانوا أيام عمر بن عبد العزيز يلجأ إلى مكة والمدينة كل من خاف الحجاج فيأمن . وكان منهم سعيد بن جبير هارباً من الحجاج ، وكان قد جعله على عطاء الجند الذين وجههم مع عبد الرحمن بن الأشعث إلى قتال رتبيل . فلما خرج عبد الرحمن كان سعيد فيمن خلع ، فكان معه إلى أن هزم وسار إلى بلاد رتبيل ، فلحق سعيد بأصبهان وكتب الحجاج فيه إلى عاملها فتحرّج من ذلك ، ودس إلى سعيد فسار إلى أذربيجان . ثم طال عليه المقام فخرج إلى مكة فكان بها مع ناس أمثاله من طلبة الحجاج يستخفون بأسمائهم .

فلما قدم خالد بن عبد الله مكة أمره الوليد بحمل أهل العراق إلى الحجاج ، فأخذ سعيد بن جبير ومجاهداً وطلق بن حبيب ، وبعث بهم إلى الحجاج فمات طلق في الطريق وجيء بالآخرين إلى الكوفة ، وأدخلوا على الحجاج . فلما رأى سعيداً شتم خالداً القسري على إرساله

(١) خالد هذا من جبابرة أمراء الدولة المروانية على شاكلة الحجاج ا هـ - من خط الشيخ | العطار.

وقال : لقد كنت أعرف أنه بمكة ، وأعرف البيت الذي كان فيه ، ثم أقبل على سعيد وقال : ألم أشركك في أمانتي ؟ ألم أستعملك ؟ ثم تفعل ! يعدد أياديه عنده . فقال : بلى ! قال : فما أخرجك على قتالي ؟ أنا امرؤ من المسلمين أخطئ مرة وأصيب أخرى . ثم استمر في محاورته فقال : انما كانت بيعة في عنقي فغضب الحجاج وقال : ألم آخذ بيعتك لعبد الملك بمكة بعد مقتل ابن الزبير ؟ ثم جددت له البيعة بالكوفة فأخذت بيعتك ثانياً ؟ قال بلى ! قال : فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين ، وتوفي بواحدة للفاعل ابن الفاعل ، والله لاقتلنك . فقال : اني لسعيد كما سمتني أمي ، فضربت عنقه ، فهل رأسه ثلاثاً أفصح منها بمرّة . ويقال ان عقل الحجاج التبس يومئذ وجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوها قيود سعيد بن جبير ، فأخذوها من رجله وقطعوا عليها ساقه ، وكان إذا نام يرى سعيد ابن جبير في منامه آخذاً بمجامع ثوبه يقول : يا عدو الله فيم قتلتنني فينتبه مرعوباً يقول ما لي ولسعيد بن جبير .

وفاة الحجاج

وتوفي الحجاج في شوال سنة خمس وتسعين لعشرين سنة من ولايته العراق ، ولما حضرته الوفاة استخلف على ولايته ابنه عبد الله ، وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كَبْشَة ، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهم الوليد بعد وفاته . وكتب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان : قد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجهدك وجهادك أعداء

المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي تحب ، فاتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك ، حتى كأني أنظر إلى بلادك والشجر الذي أنت فيه ، ولم يغير الوليد أحداً من عمال الحجاج .

أخبار محمد بن القاسم بالسند

كان محمد بن القاسم بالملتان وأتاه خبر وفاة الحجاج هنالك فرجع إلى الدور والثغور ^(١) وكان قد فتحها ثم جهزه الناس إلى السلماس مع حبيب فأعطوا الطاعة ، وسأله أهل شرست وهي مغزى أهل البصرة ، وأهلها يقطعون في البحر . ثم سار في العسكر إلى ^(٢) فخرج إليه دهر فقاتله محمد وهزمه وقتله ، ونزل أهل المدينة على حكمه فقتل وسبا . ولم يزل عاملاً على السند إلى أن ولي سليمان بن عبد الملك ، فعزله وولى يزيد بن أبي كبشة السكسكي على السند مكانه . فقيده يزيد وبعث به إلى العراق ، فحبسه صالح ابن عبد الرحمن بواسط ، وعذبه في رجال من قرابة الحجاج على قتلهم . وكان الحجاج قتل أخاه آدم على رأي الخوارج . ومات يزيد ابن أبي كبشة لثمان عشرة ليلة من مقدمه .

فولى سليمان على السند حبيب بن المهلب ، فقدمها وقد رجع ملوك السند إلى ممالكهم ، ورجع حبشة بن داهر إلى برهماباد ،

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٣٣ : «فرجع إلى الدور والبغور وكان قد فتحها» .

(٢) هذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ١٣٤ : «ثم إلى محمد الكيرج فخرج إليه دهر» .

فتزل حبيب على شاطيء مهرا ، وأعطاه اهل الروم الطاعة ، وحارب
 فظفر . ثم أسلم الملوك لما كتب عمر بن عبد العزيز الى الاسلام على
 ان يملكهم وهم اسوة المسلمين فيما لهم وعليهم ، فأسلم حبشة والملوك
 وتسموا بأسماء العرب وكان عمر بن مسلم الباهلي عامل عمر على
 ذلك الثغر ، فغزا بعض الهند وظفر . ثم ولي الجنيد بن عبد الرحمن
 على السند ايام هشام بن عبد الملك . فأتى شط مهرا . ومنعه حبشة
 ابن داهر العبور وقال : اني قد اعملت وولاني الرجل الصالح ، ولست
 آمنك فأعطاه الرهن ثم ردها حبشة وكفر وحارب ، فحاربه الجنيد
 في السفن وأسره ثم قتله .

وهرب صصة بن داهر الى العراق شاكياً لغدر الجنيد ، فلم
 يزل يؤنسه حتى جاءه فقتله . ثم غزا الجنيد المكيرج من آخر الهند
 وكانوا انقضوا ، فاتخذ كباشاً^(١) زاحفه ثم صك بها سور المدينة
 فثلّمها ، ودخل فقتل وسبى وغنم وبعث العمال الى الرمد والمعدل
 ودهج ، وبعث جيشاً الى ارين فأغاروا عليها وأحرقوا ربضها ،
 وحصل عنده سوى ما حمل أربعون ألف ألف ، وحمل مثلها وولى
 تميم بن زيد الضبي فضعف ووهن ومات قريباً من الدبيل . وفي
 أيامه خرج المسلمون عن بلاد الهند وتركوا مراكرهم . ثم ولي الحكم

(١) ليس المراد بالكباش ههنا الغنم ، وإنما هي آلة من خشب وحديد يجرونها بنوع من الحيل فتلق الحائط
 فيهدم ، وقد بطلت هذه الآلة كالمنجنيق لما حدثت الآلات النارية من المدافع وغيرها ، كبطلان النبال فليس الآن من
 الآلات القديمة إلا السيف والرمح قليلة اهـ . من خط الشيخ العطار .

ابن سَوَّام الكَلْبِيّ ، وقد كفر أهل الهند الا أهل قَصَّةَ ، فبنى مدينة سماها المحفوظة وجعلها مأوى المسلمين . وكان معه عمر بن محمد بن القاسم ، وكان يفوض اليه عظام الامور وأغزاه عن المحفوظة . فلما قدم وقد ظهر أمره فبنى مدينة وسماها المنصورة وهي التي كان امراء السند ينزلونها ، واستخلص ما كان غلب عليه العدو ورضي الناس بولايته . ثم قتل الحكم وضعفت الدولة الاموية عن الهند . وتأتي أخبار السند في دولة المأمون .

فتح مدينة كاشغر

أجمع قتيبة لغزو مدينة كاشغر سنة ست وتسعين وهي أدنى مدائن الصين ، فسار لذلك وحمل مع الناس عيالا تهم ليضعها بسمرقند وعبر النهر ، وجعل على المجاز مسلحة ^(١) يمنعون الرجوع من العساكر الا باذنه . وبعث مقدمة الى كاشغر فغنموا وسبوا وختم أعناق السبي ، وأوغل حتى قارب الصين . فكتب اليه ملك الصين يستدعي من أشرف العرب من يخبره عنهم وعن دينهم . فانتخب قتيبة عشرة من العرب كان منهم هُبَيْرَةُ بن شَمْرَج الكَتَابِي . وأمر لهم بعدة حسنة ومتاع من الخَزْ والوَشْي وخيول أربعة وقال لهم أعلموه اني حالف اني لا أنصرف حتى أظأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم . ولما قدموا على ملك الصين دعاهم في اليوم الأول فدخلوا ، وعليهم الغلائل والأردية . وقد تطيبوا ولبسوا النعال ،

(١) المسلحة جماعة من العسكر يقفون في الطريق للحاجة إليهم ا هـ - من خط الشيخ العطار.

فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن حضره ، وقالوا بعد انصرافهم هؤلاء نسوان . فلبسوا الوشي والمطارف وعمائم الخز وغدوا عليه ، فلم يكلمهم وقالوا هذه أقرب الى هيئة الرجال . ثم دعاهم الثالثة فلبسوا اسلحهم وعلى رؤوسهم البيضات والمغافر ، وتوشحوا السيوف واعتقلوا الرماح ، ونكبوا القيسي فها لهم منظرهم . ثم انصرفوا وركبوا فتطاردوا ، فعجب القوم منهم . ثم دعا زعيمهم هُبَيْرَةَ بن شَمْرَجَ فسأله لم خالفوا في زيهم ؟ فقال : أمّا الأول فانا نساء في أهلنا ، وأمّا الثاني فزينا عند امرائنا ، وأمّا الثالث فزينا لعدونا . فاستحسن ذلك ثم قال له : قد رأيتم عظم ملكي ، وأنه ليس أحد يمنعكم مني ، وقد عرفت قلتكم فقولوا لصاحبكم ينصرف والا بعثت من يهلككم . فقال هبيرة كيف نكون في قلة وأول خيلنا في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وأمّا القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه ، ولنا آجال اذا حضرت فلن نتعدها ، وقد حلف صاحبنا أنه لا ينصرف حتى يطاء أرضكم ويختم ملوككم ويأخذ جزيتكم . قال الملك فانا نخرجه من يمينه ، نبعث له بتراب من أرضنا فيظؤه ، ويقبض أبناءنا فيختمهم وبهدية ترضيه ، ثم أجازهم فأحسن . وقدموا على قتيبة فقبل الجزية ووطىء التراب ، وختم الغلمان وردداهم ثم انصرف من غداته . وأوفد هبيرة الى الوليد وبلغه وهو في الفرات موت الوليد .

وفاة الوليد وبيعة سليمان

ثم توفي الوليد في منتصف جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان من أفضل خلفاء بني أمية وبني المساجد الثلاثة . مسجد المدينة ومسجد القدس ومسجد دمشق . ولما أراد بناء مسجد دمشق كانت في موضعه كنيسة فهدمها وبنائها مسجداً . وشكوا ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال : نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فانها خارج المدينة مما فتح عنوة وبنينها مسجداً فتركوا ذلك . وفتح في ولايته الاندلس وكاشغر والهند ، وكان يتخذ الضياع وكان متواضعاً يمرّ بالبقال فيسأله بكم حزمة البقل ؟ ويسعر عليه . وكان يختم القرآن في ثلاث وفي رمضان في يومين وكان أراد أن يخلع أخاه سليمان ويبايع لولده عبد العزيز ، فأبى سليمان ، فكتب الى عماله ودعا الناس الى ذلك ، فلم يجبه الا الحجاج وقتيبة وبعض خواصه . واستقدم سليمان ثم استبطأه ، فأجمع السير اليه ليخلعه فمرت دون ذلك . ولما مات بوبع سليمان من يومه وهو بالرملّة فعزل عثمان بن حيان من المدينة آخر رمضان ، وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، وعزل ولاية الحجاج عن العراق ، فولى يزيد بن المهلب على المصّرّين وعزل عنهما يزيد بن أبي مسلم . فبعث يزيد أخاه زياداً على عمان وأمر سليمان يزيد بن المهلب بنكبة آل أبي العُقيل قوم الحجاج وبني ابيه ، وبسط أصناف العذاب عليهم ، فولى على ذلك عبد الملك بن المهلب .

مقتل قتيبة بن مسلم

ولما ولي سُلَيْمَانُ خافه قُتَيْبَةُ لما قَدَّمناه من موافقته الوليد على خلعه ، فخشى أن يولي يزيد بن المَهْلَبِ خُرَاسَانَ ، فأجمع خلعه وكتب اليه لئن لم تقرني على ما كنت عليه وتؤمني لا خلعتك ، ولاملأنها عليك خيلاً ورجلاً ، فامنه وكتب له العهد على خراسان . وبعث اليه رسوله بذلك ، فبعث الرسول وهو بِحُلُوانٍ انه قد خلع ، وكان هو بعد بعثة الكتاب الى سليمان قد اشتد وجهه ، وأشار عليه أخوه عبد الله بالمعاجلة ، فدعا الناس الى الخلع وذكرهم بوائقه وسوء ولاية من تقدّمه فلم يجبه أحد ، فغضب وشتهم وعدّد مثالبهم قبيلة قبيلة ، فأنشئ على نفسه بالاب والبلد والمعرش . فغضب الناس وكرهوا خلع سليمان وأجمعوا على خلع قتيبة وخلافه . وعذل قتيبة أصحابه فيما كان منه ، فقال : لما لم تجيبوني غضبت فلم أدر ما قلت .

وجاء الازد الى حُصَيْنِ بن المنذر « بالضاد المعجمة » فقالوا : كيف ترى هذا يدعو إلى فساد الدين ويشتمنا ، فعرف مغزاهم فقال : ان مضر بخراسان كثير ، وتميم أكثرهم وهم شوكتها ، ولا يرضون بغيرهم فيصيبوا قتيبة ولا أرى لها إلا وكيعاً . وكان وكيع موثقاً من قتيبة بعزله وولاية ضرار بن حُصَيْنِ الضبي مكانه . وقال حَيَّانُ النَّبَطِيُّ مولى بني شَيْبَانَ ليس لها غير وكيع ، ومشى الناس بعضهم إلى بعض سرّاً ، وتولى كِبَرُ ذلك حيان . ونُمِيَ خبره إلى قتيبة فأمر بقتله إذا دخل عليه ، وتنصح بعض خدم قتيبة

بذلك إلى حيان ، فلما دعاه تمارض ، واجتمع الناس إلى وكيع وبايعوه . فمن أهل البصرة والعالية من المقاتلة تسعة آلاف ، ومن بكر سبعة آلاف رئيسهم حضين بن المنذر ، ومن تميم عشرة آلاف عليهم ابن زُخْر ، ومن الموالي سبعة آلاف عليهم حيان النبطي ، وقيل من الديلم ، وسمي نَبْطِيًّا للكنته .

وشرط على وكيع أن يحول له الجانب الشرقي من نهر بلخ فقبل ، وفشا الخبر وبلغ قتيبة فلدس ضرار بن حيان الضبي إلى وكيع فبايعه ، وجاء إلى قتيبة بالخبر ، فأرسل قتيبة إلى وكيع فاعتذر بالمرض فقال لصاحب شرطته ائمني به وان أبي ائمني برأسه فلما جاء إلى وكيع ركب ونادى في الناس فأتوه أرسالاً . واجتمع إلى قتيبة أهل بيته وخواصه وثقاته وبنو عمه ، وأمر فنودي في الناس قبيلةً قبيلةً ، وأجابوه بالجفوة . يقول أين بنو فلان ؟ فيقولون حيث وضعتهم ! فنادى بأذكركم الله والرحم ، فقالوا أنت قطعها ! فنادى لكم العتي ، فقالوا لا ! انا لنا الله إذا . فدعا ببرذون ليركبه فمنعه ورمحه ، فعاد إلى سريرته . وجاء حيان النبطي في العجم ، فأمره عبد الله أخو قتيبة أن يحمل على القوم ، فاعتذر وقال لابنه إذا لقيتني حولت قلنسوتي فمل بالأعاجم إلى وكيع ، ثم حولها ، وسار بهم ورمى صالح أخو قتيبة بسهم ، فحمل إلى أخيه . ثم تهايج الناس وجاء إلى عبد الرحمن أخي قتيبة الغوغاء ونحوهم فأحرقوا آرياً^(١)

(١) الأري : حبس الدابة أو حمل تشد به : جمعها أوارى وأوار.

فيه ابل قتيبة ودوابه ، ثم زحفوا به حتى بلغوا فسطاطه فقطعوا
أطنابه . وجرح جراحات كثيرة . ثم قطعوا رأسه ، وقتل معه اخوته
عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحُصَيْن وعبد الكريم ومسلم وابنه
كثير ، وقيل قتل عبد الكريم بقزوين فكان عدة من قتل من أهله
أحد عشر رجلاً . ونجا أخوه عمر مع أخواله من تميم . ثم صعد
وكيع المنبر وأنشد الشعر في الثناء على نفسه وفعله والذم من قتيبة ،
ووعده بحسن السيرة . وطلب رأس قتيبة وخاتمه من الازد ، وهددهم
عليه فجاءوا به فبعثه إلى سليمان ، ووفى وكيع لحيان النبطي
بما ضمن له .

ولاية يزيد بن المهلب خراسان

كان يزيد بن المهلب لما ولاه سليمان العراق على الحرب والصلاة
والخراج ، استكره أن يحيف على الناس في الخراج فتلحقه المذمة
كما لحقت الحجاج ، ويخرب العراق وان قصر عن ذلك لم يقبل
منه . فرغب من سليمان أن يعفيه من الخراج . وأشار عليه بصالح
ابن عبد الرحمن مولى تميم . فولاه سليمان الخراج وبعثه قبل يزيد .
فلما جاء صالح إلى يزيد ضيق عليه صالح وكان يزيد يطعم على ألف
خوان . فاستكرهه صالح فقال اكتب ثمنها علي وغير ذلك .
وضجر يزيد ، وجاء خبر خراسان ، ومقتل قتيبة . فطمع يزيد في
ولايتها وادس عبد الله بن الازهم على سليمان أن يوليه خراسان ولا
يشعر بطلبته بذلك ، وسيره على البريد فقال له سليمان ان يزيد

كتب إليّ يذكر عملك بالعراق ! فقال نعم بها ولِدْتُ وبها نشأت .
ثم استشاره فيمن يوليه خراسان . ولم يزل سليمان يذكر الناس
وهو يردّهم ، ثم حذره من وكيع وغدره قال : فَسَمَّ أَنْت ! قال
شريطة الكمال الاجازة ممن أشير به ، وإذا علم بكره ذلك . ثم
قال هو يزيد بن المهلب ، فقال سليمان العراق أحب اليه ! فقال
ابن الأَهِم : قد علمت ولكن نكرهه فسيتخلف على العراق ويسير
إلى خراسان ، فكتب عهد يزيد على خراسان وبعثه مع ابن
الأَهِم . فلما جاءه بعث ابنه مخاداً على خراسان وبعثه مع ابن الأَهِم .
ثم سار بعده ، واستخلف على واسط الجراح بن عبد الله الحَكَمِيّ ،
وعلى البصرة ابن عبد الله بن هلال الكَلَابِيّ ، وعلى الكوفة حَرَمَلَة
ابن عبد اللّٰخَمِيّ . ثم عزله لاشهر بشير بن حيان النهدي ، فكانت
قيس تطلب بثأراً قتيبة وتزعم أنه لم يخلع . فأوصى سليمان يزيد أن
أقامت قيس بينة انه لم يخلع أن يقيده من وكيع .

الصَّوَائِفُ

أخبار الصوائف وحصار قسطنطينية

كانت الصوائف^(١) تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدثت
الفتن ، واشتدت الفتن أيام عبد الملك ، اجتمعت الروم واستجاشوا
على أهل الشام ، فصالح عبد الملك صاحب قُسْطَنْطِينِيَّة على أن

(١) الصوائف هي الجيوش التي كانت تجهز في أوام الصيغ لسد الثغور وحرب الكفار ، استمر ذلك من صدر
الإسلام إلى أواخر الدولة العباسي ١ هـ . - من خط الشيخ العطار .

يؤدي اليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين ونظراً لهم ، وذلك سنة سبعين لعشر سنين من وفاة معاوية . ثم لما قتل مُصْعَبُ وسكنت الفتنة بعث الجيوش سنة احدى وسبعين في الصائفة . فدخل فافتتح قيسارية ، ثم ولى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمد بن مروان سنة ثلاث وسبعين ، فدخل في الصائفة إلى بلاد الروم فهزمهم . ودخل عثمان بن الوليد من ناحية أرمينية في أربعة آلاف ، ولقيه الروم في ستين ألفاً ، فهزمهم وأتخن فيهم بالقتل والاسر . ثم غزا محمد بن مروان سنة أربع وسبعين ، فبلغ انبولىة وغزا في السنة بعدها في الصائفة من طريق مرعش ، فدوَّخ بلادهم وخرج الروم في السنة بعدها إلى العتيق ، فغزاهم من ناحية مرعش ثانية ، ثم غزاهم سنة ست وسبعين من ناحية ملطية ودخل في الصائفة سنة سبع وسبعين الوليد بن عبد الملك ، فأتخن فيهم ورجع . وجاء الروم سنة تسع وسبعين ، فأصابوا من أهل انطاكية وظفروا بهم ، فبعث عبد الملك سنة احدى وثمانين ابنه عبيد الله بالعسكر ، ففتح قاليقلا . ثم غزا محمد بن مروان سنة اثنتين وثمانين أرمينية وهزمهم ، فسألوه الصلح فصالحهم وولى عليهم أبا شيخ بن عبد الله فغدروه وقتلوه ، فغزاهم سنة خمس وثمانين . وصاف فيها وشتى ، ثم غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ودوَّخها ، ورجع وعاد اليها سنة سبع وثمانين . فأتخن فيهم بناحية المصيصة وفتح حصوناً كثيرة ، منها حصن بولق والأخزم وبولس وقمقيم . وقتل

من المُسْتَقْرِبَةِ أَلْفَ مَقَاتِلَ ، وسبى أهاليهم . ثم غزا بلاد الروم سنة تسع وثمانين مُسْلِمَةً بن عبد الملك والعبَّاسُ بن الوليد ، فافتتح مسلمة حِصْنَ سوريّة ، وافتتح العباس اردولية ولقي جمعاً من الروم فهزمهم .

وقيل : ان مسلمة قصد عَمُورِيَّةَ فلقي بها جمعاً من الروم فهزمهم ، وافتتح هِرْقَلَةَ وَقُمُولِيَّةَ ، وغزا العباس الصائفة من ناحية البَلَدْبُدُونِ . وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك سنة تسع وثمانين من ناحية أَذْرَبَيْجَانَ ففتح حصوناً ومدائن هناك . ثم غزا سنة تسعين ، ففتح الحصون الخمس التي بسورية . وغزا العباس حتى بلغ أَرْدُنَّ وسورية .

وفي سنة احدى وتسعين غزا عبد العزيز بن الوليد في الصائفة مع مسلمة بن عبد الملك ، وكان الوليد قد ولي مسلمة على الجزيرة وأرمينية ، وعزل عمه محمد بن مروان عنها ، فغزا الترك من ناحية أَذْرَبَيْجَانَ حتى الباب ، وفتح مدائن وحصوناً ثم غزا سنة اثنتين وتسعين بعدها ، ففتح ثلاثة حصون وجلا أهل سَرَسَنَةَ الى بلاد الروم ثم غزا العباس بن الوليد سنة ثلاث بعدها بلاد الروم ففتح سَبِطَلَةَ ، وغزا مروان بن الوليد فبلغ حَنْجَرَةَ . وغزا مسلمة ففتح مَاشِيَةَ وحصن الحديد وغزاة من ناحية مَلْطِيَّةَ . وغزا العباس بن الوليد سنة أربع وتسعين ، ففتح انطاكية . وغزا عبد العزيز بن الوليد ففتح غزاة ، وبلغ الوليد بن هشام المَعِيطِيَّ مروج الحمام ،

ويزيد بن إبي كَبْشَةَ أرض سورية .

وفي سنة خمس وتسعين غزا العباس الروم ففتح هِرَقْلَةَ . وفي سنة سبع وتسعين غزا مسلمة أرض الرضاخية وفتح الحصن الذي فتحه الرصاص ، وغزا عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ أرض الروم في البحر فشتى بها ، وبعث سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وبعث ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المِراة ، وفي سنة ثمان وتسعين مات ملك الروم ، فجاء أَلْقُونُ الى سليمان فأخبره وضمن له فتح الروم . وسار سليمان الى وَايَقَ وبعث الجيوش مع أخيه مسلمة ، ولما دنا من القُسْطَنْطِينِيَّةِ أمر أهل المعسكر أن يحمل كل واحد مدين مدين من الطعام ويلقوه في معسكرهم ، فصار أمثال الجبال ، واتخذ البيوت من الخشب . وأمر الناس بالزراعة ، وصاف وشتى وهم يأكلون من زراعتهم وطعامهم الذي استاقوه مُدَّخَرًا .

ثم جهد أهل القسطنطينية الحصار وسألوا الصلح على الجزية ديناراً على الرأس ، فلم يقبل مسلمة ، وبعث الروم الى أَلْقُونِ إن صرفت عنا المسلمين ملكناك ، فقال لمسلمة لو أحرق هذا الزرع علم الروم انك قصدتهم بالقتال فناخذهم باليد ، وهم الآن يظنون مع بقاء الزرع انك تطاولهم . فأحرق الزرع فقوي الروم ، وغدر القون وأصبح محارباً ، وأصاب الناس الجوع فأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، وسليمان مقيم بوابق وحال الشتاء بينهم وبينه ، فلم يقدر ان يمدهم حتى مات . وأغارَت بِرْجَانُ على مسلمة

وهو في قلة فهزمهم وفتح مدينتهم . وغزا في هذه السنة الوليد بن هشام ، فَأَتَّخَنَ في بلاد الروم .

وغزا داود بن سليمان سنة ثمان وتسعين ، ففتح حِصْنَ المِراةِ مما يلي مَلْطِيَّةَ . وفي سنة تسع وتسعين بعث عمر بن عبد العزيز مسلمة وهو بأرض الروم ، وأَمَدَهُ بالنفول بالمسلمين ، وبعث اليه بالخيل والدواب وحث الناس على معונتهم . ثم أمر عمر بن عبد العزيز أهل طريدة بالجلأ عنها الى ملطية وخرَّبها . وكان عبد الله بن عبد الملك قد اسكنها المسلمين ، وفرض على أهل الجزيرة مَسْلَحَةً تكون عندهم الى فصل الشتاء ، وكانت متوغلة في أرض الروم فخرَّبها عمر ، وولى على ملطية جَعُونَةَ بن الحرث من بني عامر بن صَعَصَعَةَ . وأَغْزَى عمر سنة مائة من الهجرة بالصائفة الوليد بن هشام المعيطي وعمر ابن قيس الكِنْدِيِّ .

فتح جرجان وطبرستان

كان يزيد بن المهلب يريد فتحهما لما أنهما كانتا للكفار ، وتوسطتا بين فارس وخراسان ولم يصبهما الفتح ، وكان يقول وهو في جوار سليمان بالشام اذا قُصَّتْ عليه أخبار قتيبة وما يفعله بخراسان وما وراء النهر ، ما فعلت جَرَّجَانُ التي قطعت الطريق وأفسدت يوسَسَ ونيسابور ، وليست هذه الفتوح بشيء ، والشأن في جرجان . فلما ولاه سليمان خراسان سار اليها في مائة ألف من أهل العراق والشام وخراسان سوى الموالي والمتطوعة ، ولم تكن جرجان يومئذ

مدينة انما هي جبال ومَخَارِمُ ، يقوم الرجل على باب منها فيمنعه . فابتدأ بِقَهْستَان فحاصرها وبها طائفة من الترك ، فكانوا يخرجون فيقاتلون وينهزمون في كل يوم ويدخلون حصنهم . ولم يزل على ذلك حتى بعث اليه دهقان بَتَسْتَاذِن^(١) يسأل في الصلح وَيُسَلِّمُ المدينة وما فيها ، فصالحه وأخذ ما فيها من الاموال والكنوز والسُّبِيَّ ما لا يحصى ، وقتل أربعة عشر ألفاً من الترك ، وكتب الى سليمان بذلك .

ثم سار الى جرجان ، وكان سعيد بن العاصي قد صالحهم على الجزية مائة ألف في السنة ، فكانوا احياناً يجبون مائة وأحياناً مائتين وأحياناً ثلثمائة ، وربما أعطوا ذلك وربما منعوا ، ثم كفروا ولم خراجاً ، ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا الطريق الى خراسان على^(٢) فكان الناس يسلكون على فارس وسَلْماس . ثم فتح قتيبة طريق قومِسَ ، وبقي أمر جرجان حتى جاء يزيد فصالحوه . ولما فتح يزيد قَهْستَان وجَرْجَان طمع في طبرستان ، فاستعمل عبد الله بن معمر اليَشْكُرِيَّ على ساسان وقهستان ، وخلف معه أربعة آلاف فارس ، وسار الى ادنى جرجان من جهة طبرستان ، ونزل بآمد .

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٦ «فارسل حول دهقان قهستا إلى يزيد يطلب منه أن يصالحه ويؤمنه على نفسه وأهله وماله ليدفع له المدينة بما فيها فصالحه ووفى له» .
(٢) هنا بياض في الأصل وفي الكامل ج ٤ ص ١٤٦ : «لم يأت جرجان بعد سعيد أحد، ومنعوا ذلك الطريق، فلم يكن يسلك طريق خراسان أحد إلا على فارس» .

ونسأ راشد بن عمر في أربعة آلاف ، ودخل بلاط طبرستان فسأل صاحبها الأصْبَهَيْدَ في الصلح ، وأن يخرج من طبرستان . فأبى يزيد ورجا أن يفتحها ، ووجه أخاه عُيَيْنَةَ من وجه ، وابنه خالد بن يزيد من وجه ، وإذا اجتمعا فعيينة على الناس . واستجاش الاصْبَهَيْدَ أهل جيلان والديلم والتقوا ، فانهزم المشركون ، واتبعهم المسلمون الى الشَّعْبِ ، وصعد المشركون في الجبل ، فامتنعوا على المسلمين وصعد أبو عيينة بمن معه خلفهم ، فهزمهم المشركون في الوعر ، فكفوا . وكاتب الاصْبَهَيْدَ أهل جرجان ومقدمهم المرزبان أن يبيتوا للمسلمين عندهم ليقطعوا المادة عن يزيد والطرق بينه وبين جرجان ، ووعدهم بالمكافأة على ذلك . فساروا بالمسلمين وهم غارون ، وقتل عبد الله بن مَعْمَرٍ وجميع من معه ولم ينج أحد . وكتبوا الى الاصْبَهَيْدَ بأخذ المضائق والطرق ، وبلغ ذلك يزيد وأصحابه فعظم عليهم وهالهم ، وفزع يزيد الى حيان النبطي وكان قد غرّمه مائتي ألف درهم بسبب أنه كتب الى ابنه مخلد كتاباً فبدأً بنفسه ، فقال له لا يمنعك ما كان مني اليك من نصيحة المسلمين ، وقد علمت ما جاء من جرجان فاعمل في الصلح . فأبى حيان الاصْبَهَيْدَ ومت اليه بنسب العجم وتنصل له ، وقتل له في الذروة والغارب حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم واربعمائة وقر^(١) زعفران او قيمته

(١) الوقْر: الحمل الثقيل . وأكثر ما يستعمل في حمل الحمار والبغل . أما حمل الجمل فيسمى الوسق .

من العين ، وأربعمائة رجل على يد كل رجل منهم ترس وطيّلسان وجام من فضة وخرقة حرير وكسوة ، فأرسل يزيد لقبض ذلك ورجع اهـ .

وقيل في سبب مسير يزيد الى جرجان أنَّ صولاً^(١) التركي كان على قهستان والبحيرة ، جزيرة في البحر على خمسة فراسخ من قهستان ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم ، وكان يغير على فيروز بن فولقول مرزبان جرجان . وأشار فيروز بنصيب من بلاده ، فسار فيروز الى يزيد هارباً منه ، وأخذ صول جرجان ، وأشار فيروز على يزيد أن يكتب الى الاصبهيد ويرغبه في العطاء ان هو حبس صولاً بجرجان حتى يحاصر بها . ليكون ذلك وسيلة الى معاكسته وخروجه عن جرجان ، فيتمكن يزيد منه . فكتب الى الاصبهيد وبعث بالكتاب الى صول ، فخرج من حينه الى البحيرة . وبلغ يزيد الخبر فسار الى جرجان ومعه فيروز ، واستخلف على خراسان ابنه مُخْلِدًا ، وعلى سَمَرْقَنْدَ وكَشَّ ونَسَفَ وبُخَارَى ابنه معاوية ، وعلى طَخَارِسْتَانَ ابن قُبَيْصَةَ بن المُهَلَّبِ ، وأتى جرجان فلم يمنعها دونها أحد ودخلها . ثم سار منها الى البحيرة وحصر صولاً بها شهراً حتى سأل الصلح على نفسه وماله وثلاثمائة ، ويسلم اليه البحيرة ، فأجابه يزيد وخرج صول عن البحيرة ، وقتل يزيد من

(١) قوله صول هو اسم ملك من ملوك الترك وقول بعض العرب :
ما أقدر الله أن يدني على شحط من داره الحزن من داره صول
أي داره دار صول اهـ . من خط الشيخ العطار .

الأتراك أربعة عشر ألفاً وأمر ادريس بن حَنْظَلَةَ العمى أن يحصي ما في البحيرة ، ليعطي الجند فلم يقدر ، وكان فيها من الحنطة والشعير والأرز والسمسم والعسل شيءٌ كثير ، ومن الذهب والفضة كذلك . ولما صالح يزيد اصبهبد طبرستان كما قدّمناه سار الى جرجان وعاهد الله ان ظفر بهم ليطحنن القمح على سائل دماثهم ويأكل منه . فحاصرهم سبعة اشهر وهم يخرجون اليه فيقاتلونه ويرجعون ، وكانوا متمنعين ^(١) في الجبل والاوعار .. وقصد رجل من عجم خراسان فأتبع ^(٢) بخلا في الجبل ، وانتهى الى معسكرهم وعرف الطريق اليه ودل الادلة على معالمة ، وأتى يزيد فأخبره . فانتخب ثلثمائة رجل مع ابنه خالد ، وضم اليه جَهْمَ بن ذَخْرٍ وبعثه ، وذلك الرجل يدل به ، وواعده أن يناهضهم العصر من الغداة . ولما كان الغد وقت الظهر أحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطربت النيران ، ونظر العدو الى النار فهالهم وحاملوا للقتال آمنين خلفهم ، فناشبههم يزيد الى العصر ، واذا بالتكبير من ورائهم فهربوا الى حصنهم ، واتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد . فقتل المقاتل وسبى الذرية وقاد منهم اثني عشر ألفاً الى وادي جرجان ، ومكن أهل الثأر منهم حتى استلحموهم . وجرى المساء على الدم وعليه الارحاء فطحن وخبز وأكل ، وقتل منهم أربعين ألفاً . وبني

(١) كذا بالأصل ومقتضى السياق والأصح متمنعين .

(٢) هنا بياض بالأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٥٠ : فبينما هم على ذلك إذ خرج رجل من عجم

خراسان يتصيد ، وقيل رجل من طيء . فأبصر وعلا في الجبل فتبعه .

مدينة جرجان ولم تكن بنيت قبل ، ورجع الى خراسان وولى على جرجان جهم بن ذخر الجعفي ، ولما قتل مقاتلهم صلبهم فرسخين عن يمين الطريق ويساره .

وفاة سليمان وبيعة عمر بن عبد العزيز

ثم توفي سليمان بدابق من أرض قنسرين من سنة تسع وتسعين في صفر منها ، وقد كان في مرضه أراد أن يعهد الى ولده داود ، ثم استصغره وقال له كاتبه رجاء بن حيوة ابنك غائب عنك بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ ولا يعرف حياته من موته ، فعدل الى عُمَرَ بن عبد العزيز وقال له : اني والله لأعلم انها تكون فتنة ولا يتركونه أبداً يلي عليهم الا أن أجعل أحدهم بعده . وكان عبد الملك قد جعل ذلك له ، وكتب بعد البسملة : هذا كتاب من عبدالله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز : اني قد وليتك الخلافة بعدي ، ومن بعدك يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وابتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم وختم الكتاب .

ثم أمر كعب بن جابر العبسي صاحب الشرطة أن يجمع أهل بيته ، وأمر رجاء بن حيوة أن يدفع لهم كتابه وقال : اخبرهم انه كتابي فليبايعوا من وليت فيه ، فبايعوه رجلاً رجلاً وتفرقوا . وأتى عمر الى رجاء يستعمله ويناشده الله والمودة ، يستعفي من ذلك ، فأبى . وجاءه هشام أيضاً يستعمله ليطلب حقه في الأمر فأبى ، فانصرف أسفاً أن يخرج من بني عبد الملك . ثم مات سليمان وجمع رجاء

أهل بيته فقراً عليهم الكتاب . فلما ذكر عمر قال هشام : والله لا نبايعه أبداً . فقال له رجاء : والله نضرب عنقك . فقام أسفاً يجر رجله ، حتى جاء الى عمر بن عبد العزيز ، وقد أجلسه رجاء على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فبايعه واتبعه الباكون . ودفن سليمان وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، والوليد كان غائباً عن موت سليمان ، ولم يعلم ببيعة عمر ، فعقد لواءً ودعا لنفسه وجاء الى دمشق . ثم بلغه عهد سليمان فجاء الى عمر واعتذر اليه وقال : بلغني أن سليمان لم يعهد ، فخفت على الأموال أن تنهب فقال عمر : لو قمت بالأمر لقعدت في بيتي ولم انازعك ، فقال عبد العزيز : والله لا أحب لهذا الأمر غيرك ! وأول ما بدأ به عمر لما استقرت البيعة أنه ردّ ما كان لفاطمة بنت عبد الملك زوجته من المال والحلي والجوهر الى بيت المال . وقال : لا اجتمع أنا وانت وهو في بيت واحد ، فردته جميعه . ولما ولي أخوها يزيد من بعد رده عليها فأبت وقالت : ما كنت اعطيه حياً أعطيه ميتاً ، ففرقه يزيد على أهله . وكان بنو أمية يسبون علياً ، فكتب عمر الى الآفاق بترك ذلك ، وكتب الى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقول بالمسلمين .

عزل يزيد بن المهلب وجبه والولاية على عماله

ولما استقرت البيعة لعمر كتب في سنة مائة الى يزيد بن المهلب أن يستخلف على عماله ويقدم ، فاستخلف مخلداً ابنه وقدم من خراسان ، وقد كان عمر وليّ على البصرة عديّ بن أرطاة

الفَزَارِيِّ ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطَّاب ، وضم إليه أبا الزناد ، فكتب الى عدي بن أرطاة موسى أن يقبض على يزيد بن المهلب ويبعثه مقيداً ، فلما نزل يزيد واسط ، وركب السفن يريد البصرة بعث علي بن أرطاة موسى بن الرُّحَيْبَةَ الحِمَيْرِيَّ فلقيه في نهر معقل عند الجسر ، فقيده وبعث به الى عمر ، وكان عمر يبغضه ويقول انه وراء وأهل بيته جبابرة .

فلما طالبه بالأموال التي كتب بها الى سليمان من خمس جرجان قال : انما كتبت لأسمع الناس ، وعلمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بذلك . فقال له عمر : اتق الله ، وهذه حقوق المسلمين لا يسعني تركها . ثم حبسه بحصن حلب ، وبعث الجراح بن عبد الله الحَكَمِيَّ والياً على خراسان مكانه . وانصرف يزيد بن يزيد فقدم على عمر واستعطفه لأبيه . وقال له يا أمير المؤمنين ان كانت له بيعة فخذ بها والا فاستحلفه ، والا فصالحه او فصالحني على ما تسأل ، فأبى عمر من ذلك وشكر من مخلص ما فعل ثم البس يزيد جبة صوف ، وحمله على جمل وسيره الى دَهْلَك . ومرَّ يزيد على الناس وهو ينادي بعشيرته وبالنكير لما فعل به ، فدخل سلامة بن نعيم الخولاني على عمر ، وقال اردد يزيد الى محبسه لئلا ينزعه قومه ، فانهم قد غضبوا فردّه الى أن كان من أمر فزارة ما يذكر .

ولاية عبد الرحمن بن نعيم القشيري على خراسان

ولما عزل يزيد عن خراسان وكان عامل جرجان جهُم بن ذُخْر

الجَعْفِيّ ، فأرسل عامل العراق على جرجان عاملاً مكانه ، فحبسه جهم وقيده . فلما جاء الجراح الى خراسان أطلق أهل جرجان عاملهم ، ونكر الجراح على جهم ما فعل . وقال لولا قرابتك مني ما سَوَّغْتُكَ هذا ! يعني أن جهماً وجعفاً معاً ابنا سعد العشيرة . ثم بعث في الغزو وأوفد على عمر وفداً فكلّم فيه بعضهم عمر بأنّه يعرّي الموالي بلا عطاء ولا رزق ، ويؤاخذ من أسلم من أهل الذمة بالخراج . ثم عرّض بأنّه سيف من سيوف الجراح قد علم بالظلم والعدوان ، فكتب عمر الى الجراح انظر من صلى قبلك فخل عنه الجزية ، فسارع الناس الى الاسلام فراراً من الجزية فامتنحهم بالختان وكتب الى عمر بذلك .

فكتب اليه عمران : الله بعث محمداً داعياً ، ولم يبعثه خاتناً ، واستقدم الجراح وقال : احمل معك أبا مُخلد واستخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم القُشَيْرِي . ولما قدم على عمر قال : متى خرجت ؟ قال في شهر رمضان . قال صدقك من وصفك بالجفاء ، ألا أقمت حتى تفطر ثم تسافر . ثم سأل عمر أبا مِخلد عن عبد الرحمن ابن عبد الله فقال : يكافىء الأكفاء ، ويعادي الأعداء ويقدم إن وجد ما يساعده . قال فعبد الرحمن بن نعيم ؟ قال يحب العافية وتأتيه ! قال هو أحب اليّ ، فولّاه الصلاة والحرب ، وولى عبد الرحمن القشيري الخراج . فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى قتل يزيد بن المهلب ، وولي مسلمة . فكانت ولايته أكثر من سنة

ونصف . وظهر من أيام الجراح بخراسان دعاء بني العباس فيمن بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الى الآفاق حسبما يذكر في أخبار الدولة العباسية .

وفاة عمر بن عبد العزيز وبيعة يزيد

ثم توفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة احدى ومائة بدير سمعان ، ودفن بها لسنتين وخمسة أشهر من ولايته ، ولأربعين من عمره ، وكان يدعى أشج بني امية ، رمحته دابة وهو غلام فشجته . ولما مات ولي بعده يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان كما تقدم ، وقيل لعمر حين احتضر : اكتب إلى يزيد فأوصه بالأمة ، فقال بماذا أوصيه ؟ انه من بني عبد الملك ! ثم كتب : أما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة حين لا تقال العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، انك تترك ما أترك لمن لا يحمذك وتصير الى من لا يعذك والسلام . ولما ولي يزيد عزل أبا بكر بن محمد بن عمر بن حزم عن المدينة ، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، وغير كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز ، وكان من ذلك شأن خراج اليمن . فان محمداً أخا الحجاج جعل عليهم خراجاً مجدداً ، وأزال ذلك عمر الى العشر او نصف العشر . وقال : لئن يأتيني من اليمن حبة ذرة أحب الي من تقرير هذه الوظيفة . فلما ولي يزيد أعادها وقال لعامله خذها منهم ولو صاروا حراً . وهلك عمه محمد بن مروان فولى مكانه علي الجزيرة وأذربيجان وأرمينية عمه الآخر مسلمة بن عبد الملك .

اقتيال يزيد بن المهلب ومقتله

قد تقدّم لنا حبس يزيد بن المهلب ، فلم يزل محبوساً حتى اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز فعَمِل في الهرب مخافة يزيد بن عبد الملك لأن زوجته بنت أخي الحجاج . وكان سليمان أمر ابن المهلب بتعذيب قرابة الحجاج كلهم ، فنقلهم من البلقاء وفيهم زوجة يزيد وعذبتها . وجاءه يزيد بن عبد الملك الى منزله شافعاً فلم يشفعه ، فضمن حمل ما قرّر عليها فلم يقبل ، فتهدّده فقال له ابن المهلب : لئن وليت أنت لأرمينك بمائة ألف سيف ، فحمل يزيد بن عبد الملك عنها مائة ألف دينار ، ولما اشتدّ مرض عمر خاف من ذلك وأرسل الى مواليه أن يغدوا اليه بالابل والخيول في مكان عينه لهم . وبعث الى عامل حلب باشفاقه من يزيد ، وبذل له المال والى الحرس الذين يحفظونه فخلّى سبيله ، وأتى الى دوابه فركبها ولحق بالبصرة . وكتب الى عمر اني والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك . ولكن خفت أن يقتلني يزيد شر قتلة . فقرأ عمر الكتاب وبه رمق ، فقال اللهم ان كان ابن المهلب يريد بالمسلمين سوءاً فألحقه به وهضبه فقد هاض . انتهى .

ولما بويع ليزيد بن عبد الملك ، كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، والى عديّ بن اوطاة بالبصرة بهربه والتحرز منه ، وأبى عديّ أن يأخذ المهلب بالبصرة ، فحبس المفضل حبيباً ومروان ابني المهلب ، وبعث عبد الحميد من الكوفة جنداً عليهم هشام بن

ساحق بن عامر فأتوا العُدَيْبَ ومَرَّ بيزيد عليهم فوق القَطَقَطَانَةِ فلم يقدموا عليه . ومضى نحو البصرة وقد جمع عَدِيُّ بن أَرطاة أهل البصرة وخندق عليها ، وبعث على خيلها المَغِيرَةَ بن عبد الله بن أبي عقيل . وجاء يزيد على أصحابه الذين معه ، وانضم إليه أخوه محمد فيمن اجتمع اليه من قومهم . وبعث عدي بن أَرطاة على كل خمس من أخماس البصرة رجالاً : فعلى الأزْدِ المَغِيرَةَ بن زياد بن عمر العَتَكِيُّ ، وعلى تميم مُخَرِّزَ بن حمدان السَّعْدِيُّ ، وعلى بَكْرَةَ نوح بن شَيْبَانَ بن مالك بن مُسَمِّعَ ، وعلى عبد القيس مالك بن المنذر بن الجارود ، وعلى أهل العالِيَةِ عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، وهم قُرَيْشٌ وَكِينَانَةُ وَالْأَزْدُ وَبُجَيْلَةُ وَخَثْعَمٌ وَقَيْسُ عَيْلَانَ وَمُزَيْنَةُ ، فلم يعرضوا ليزيد وأقبل فانزل . انتهى .

واختلف الناس اليه ، وأُرْسِلَ إلى عَدِيٍّ أَنْ يطلق له إخوته فينزل به البصرة ، ويخرج حتى يأخذ لنفسه من يزيد ، وبعث حميد ابن أخيه عبد الملك بن المهلب يستأمن له من يزيد بن عبد الملك ، فأجاره خالد القسري وعمر بن يزيد الحَكَمِيُّ بأمان يزيد له ولأهله . وقد كان بعد منصرف حميد فرَّق في الناس قطع الذهب والفضة فانتالوا عليه ، وعدي يعطي درهمين درهمين . ثم تناجزوا الحرب وحمل أصحاب يزيد على أصحاب عدي فانهزموا ، ودنا يزيد من القصر ، وخرج عدي بنفسه ، فانهزم أصحابه . وخاف اخوة يزيد وهم في النخيس أَنْ يقتلوا قبل وصوله ، فأغلق الباب

وامتنعوا ، فجاءهم الحرس يعالجون فأجفلهم الناس عنه ، فخلوا عنهم وانطلقوا الى أخيههم .

ونزل يزيد دار مسلم بن زياد الى جنب القصر ، وتسور القصر بالسلام وفتحه ، وأتى بعدي بن ارطاة فحبسه . وهرب رووس البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر الى الكوفة والشام . وخرج المغيرة بن زياد بن عمر العتكي الى الشام ، فلقى خالداً القسري وعمر بن يزيد ، وقد جاؤوا بأمان يزيد بن المهلب مع حميد ابن أخيه فأخبرهما بظهور يزيد على البصرة ، وحبسه عدياً ، فرجعا الى وعد لهما فلم يقبلا ، فقبض عبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة على خالد بن يزيد بن المهلب وحماد بن ذخر وحملهما وسيرهما الى الشام ، فحبسهما يزيد حتى هلكا بالسجن . وبعث يزيد بن عبد الملك الى أهل الكوفة لثني عليهم ويمنيهم الزيادة ، وجهز أخاه مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد الى العراق في سبعين ألف مقاتل أو ثمانين من أهل الشام والجزيرة ، فقدموا الكوفة ونزلوا النخيلة .

وتكلم العباس يوماً ببعض الكلام فأساء عليه حيّان النبطي بالكشة الأعجمية . ولما سمع ابن المهلب بوصول مسلمة وأهل الشام فخطب الناس وشجعهم للقائهم وهون عليهم أمرهم ، وأخبرهم أن أكثرهم له . واستوثق له أهل البصرة وبعث عماله على الأهواز وفارس وكرمان . وبعث الى خراسان مذكرك بن المهلب وعليها عبد الرحمن بن نعيم ، وبعث بنو تميم ليمنعوه . ولقيه الأزد على

رأس المغارة فقالوا ارجع عنا حتى نرى مآل أمركم . ثم خطب يزيد الناس يدعوهم الى الكتاب والسنة ويحثهم على الجهاد ، وأن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم ، ونكر ذلك الحسن البصري والنضر بن أنس بن مالك ، وتابعهما الناس في النكير .

وسار يزيد من البصرة الى واسط واستخلف عليها أخاه مروان ابن المهلب . وأقام بواسط أياماً ، ثم خرج منها سنة اثنتين ومائة : واستخلف عليها أمان معونة . وقدم أخاه عبد الملك بن المهلب نحو الكوفة ، فاستقبله ابن الوليد بسور له ، فاقتتلوا وانهزم عبد الملك ، وعاد الى يزيد . وأقبل مسلمة على شاطئ الفرات الى الأنهار فعقد الجسر وعبر وسار ، حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وفزع اليه ناس من أهل الكوفة ، وكان عسكره مائة وعشرين . وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة ، وشق المياه وجعل الأرصاد على أهل الكوفة أن يفرغوا الى يزيد بن المهلب ، وبعث بعثاً الى مسلمة مع صبرة بن عبد الرحمن بن مُخْنِف ، فعزل مسلمة بن عبد الحميد عن الكوفة ، واستعمل عليها محمد بن عمر بن الوليد ابن عُقْبَةَ .

ثم أراد يزيد بن المهلب أن يبعث أخاه محمداً بالعساكر يبيتون مسلمة ، فأبى عليه أصحابه وقالوا قد وعدناهم بالكتاب والسنة ووعدوا بالاجابة فلا نغدرهم . فقال يزيد : ويحكم تصدقونهم انهم يخادعونكم ليكمروا بكم فلا يسبقوكم اليه ، والله ما في بني مروان

امكر ولا أبعد غوراً من هذه الجردة الصغرى يعني مسلمة . وكان مروان بن المهلب بالبصرة يحث الناس على اللحاق بيزيد أخيه والحسن البصري يثبّطهم ويتهدّده فلم يكف . ثم طلب الذين يجتمعون اليه فافترقوا ، فأقام مسلمة بن عبد الملك يطاول يزيد بن المهلب ثمانية أيام . ثم خرج يوم الجمعة منتصف صفر فعبى أصحابه ، وعبى العباس بن الوليد كذلك ، والتقوا واشتدّ القتال ، وأمر مسلمة فأحرق الجسر فسطع دخانه . فلما رآه أصحاب يزيد انهزموا ، واعترضهم يزيد يضرب في وجوههم حتى كثروا عليه ، فرجع وترجل في أصحابه . وقيل له قتل أخوك حبيب ، فقال لا خير في العيش بعده ولا بعد الهزيمة .

ثم استمات ودلّف الى مَسَلَمَةَ لا يريد غيره ، فعطف عليه أهل الشام فقتلوه هو وأصحابه ، وفيهم أخوه محمد . وبعث مسلمة برأسه الى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عُقْبَةَ . وقيل : إنّ الذي قتله الهذيل بن زفر بن الحرث الكلابي ، وأنف أن ينزل فيأخذ رأسه فأخذه غيره . وكان المفضل بن المهلب يقاتل في ناحية المعترك ، وما علم بقتل يزيد ، فبقي ساعة كذلك يكرّ ويَفِرُّ حتى أُخْبِرَ بقتل اخوته ، فافترق الناس عنه ومضى الى واسط . وجاء أهل الشام الى عسكر يزيد فقاتلهم أبو رُوْبَةَ رأس الطائفة المُرْجئة ومعه جماعة منهم صدق ، فقاتلوا ساعة من النهار ثم انصرفوا . وأسر مسلمة ثلثمائة أسير حبسهم في الكوفة .

وجاء كتاب يزيد الى محمد بن عمر بن الوليد بقتلهم ، فأمر العريان بن الهيثم صاحب الشرطة بذلك ، وبدأ بثمانين من بني تميم فقتلهم . ثم جاء كتاب يزيد باعفائهم فتركهم . وأقبل مسلمة فنزل الحيرة ، وجاء الخبر بقتل يزيد الى واسط ، فقتل ابنه معاوية عدي بن ارطاة ومحمداً ابنه ومالكاً وعبد الملك ابنا مسمع في ثلاثين ، ورجع الى البصرة بالمال والخزائن . واجتمع بعمة المفضل وأهل بيتهم ، وتجهزوا للركوب في البحر ، وركبوا الى قنْدَابِيل وبها وداع بن حميد الأسدي ، ولاء عليها يزيد بن المهلب ملجأ لاهل بيته ان وقع بهم ذلك ، فركبوا البحر بعيالهم وأموالهم الى جبال كَرْمَان فنزلوا بها ، واجتمع إليهم الفلُّ من كل جانب .

وبعث مسلمة مدرك بن ضَبُّ الكلبِي في طلبهم فقاتلهم ، وقتل من أصحاب المفضل النُّعْمَانُ بن ابراهيم ، ومحمد بن اسحق بن محمد ابن الأشعث وأسر ابن صول قهستان . وهرب عثمان بن اسحق ابن محمد الأشعث ، فقتل وحمل رأسه الى مسلمة بالحيرة . ورجع ناس من أصحاب بني المهلب فاستأمنوا ، وأمنهم مسلمة منهم مالك ابن ابراهيم بن الأشر والورد بن عبد الله بن حبيب السَّعْدِي التميمي . ومضى الى آل المهلب ومن معهم يقنْدَابِيل ، فمنعهم وداع ابن حميد من دخولها ، وخرج معهم لقتال عدوهم . وكان مسلمة قد ردَّ مدرك ابن ضَبُّ بعد هزيمتهم في جبال كَرْمَان ، وبعث في أثرهم هلال بن أَخْوَر التميمي فلحقهم بقنْدَابِيل ، فتبعوا لقتاله .

وبعث هلال راية أمان . فمال اليه وداع بن حميد ، وعبدالله ابن هلال ، وافترق الناس عن آل المهلب . ثم استقدموا فاستأنوا فقتلهم عن آخرهم : المفضل وعبد الملك وزياذ ومروان بنو المهلب ، ومعاوية بن يزيد بن المهلب ، والمنهال بن أبي عيينة بن المهلب ، وعمر ابن يزيد بن المهلب ، وعثمان بن المفضل بن المهلب برتبيل^(١) ملك الترك . وبعث هلال بن أخوَزَ برووسهم وسبيهم واسراهم الى مسلمة بالحيرة ، فبعث بهم مسلمة الى يزيد بن عبد الملك ، فسيرهم يزيد الى العباس بن الوليد في حلب ، فنصب الرووس . وأراد مسلمة أن يبتاع الذرية فاشتراهم الجراح بن عبدالله الحكيمي بمائة ألف وخلي سبيلهم . ولم يأخذ مسلمة من الجراح شيئا .

ولما قدم بالأسرى على يزيد بن عبد الملك وكانوا ثلاثة عشر أمر يزيد فقتلوا وكلهم من ولد المهلب ، واستأمنت هند بنت المهلب لأخيها عيينة الى يزيد بن عبد الملك فأمنه ، وأقام عمرو وعثمان عند رتبيل حتى أمنهما أسد بن عبدالله القسري وقدا عليه بخراسان .

ولاية مسلمة على العراق وخراسان

ولما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب بني المهلب ولاءه يزيد بن عبد الملك على العراق وجمع له ولاية البصرة والكوفة وخراسان ، فأقر على الكوفة محمد بن عمر بن الوليد ، وكان قد

(١) كذا بالأصل ويظهر أن هنا عبارة سقطت في النسخ . واليك ما جاء في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٧٥ : وحلت رؤوسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه إلا أبا عيينة بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل .

قام بأمر البصرة بعد بني المهلب شبيب بن الحرث التميمي ، فبعث عليها مسلمة عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وعلى شرطتها عمر بن يزيد التميمي . وأراد عبد الرحمن أن يقتل شيعة ابن المهلب بالبصرة ، فعزله وولى على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان . وأقرَّ عمر بن يزيد على الشرطة . واستعمل مسلمة على خراسان صهره على (١) سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العباس ، ويلقب سعيد خدينة .

دخل عليه بعض العرب بخراسان وعليه ثياب مصبغة ، وحوله مرافق مصبغة . وسئل عنه لما خرج فقال : خدينة ، وهي الدهقانة ربة البيت . ولما ولاه على خراسان ، سار إليها فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند . فسار إليها وقدم الصغد ، وكان أهلها كفروا أيام عبد الرحمن بن نعيم ، ثم عادوا الى الصلح . فوبخ ساكنها من العرب وغيرهم بالجبن ، فاعتذروا بأمر أميرهم علي بن حبيب العبدي . ثم حبس سعيد عمال عبد الرحمن بن عبد الله وأطلقهم ، ثم حبس عمال يزيد بن المهلب ، رفع لهم انهم اختانوا الأموال فعذبهم ، فمات بعضهم في العذاب ، وبقي بعضهم في بالسجن حتى غزاهم الترك والصغد فأطلقهم .

العهد لهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد

لما بعث يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب مع

(١) هنا يياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٧٧ : « واستعمل مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية » .

مسلمة أخيه والعباس بن أخيه الوليد قال له العباس : انا نخاف أن يرجف أهل العراق بموتك ، ويبث ^(١) ذلك في أعضادنا ، وأشار عليه بالعهد لعبد العزيز أخيه بن الوليد ، وبلغ ذلك مسلمة فجاءه وقال : أخوك أحق فان ابنك لم يبلغ ، وأشار عليه بأخيه هشام وابنه الوليد من بعده ، والوليد ابن احدى عشرة سنة فبايع لهما كذلك . ثم بلغ ابنه الوليد فكان اذا رآه يقول : الله بيني وبين من قدم هشاماً عليك .

غزوة الترك

لما ولي سعيد خراسان استضعفه الناس وسموه خُدَيْتَةً ، واستعمل شُعْبَةَ على سَمَرْقَنْدَ ثم عزله كما مرّ ، وولى مكانه عثمان بن عبد الله ، ابن مُطْرِفَ بن الشَّخِيرِ فطمعت الترك ، وبعثهم خاقان الى الصُّغْدِ ، وعلى التُّرْكِ كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهليّ ، وفيه مائة اهل بيت بذرايرهم ، وكتبوا الى عثمان بسمرقند وخافوا أن يبطلوا المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة . وندب عثمان الناس فانتدب المسيّب بن بشر الرياحيّ ، ومعه أربعة آلاف من سائر القبائل . فقال لهم المسيّب من أراد الغزو والصبر على الموت فليتقدّم ! فرجع عنه ألف ، وقالها بعد فرسخ فرجع ألف ألف آخر ، ثم أعادها ثالثة بعد فرسخ فاعتزله ألف .

(١) كذا . وبث تعني نشر أو اذاع ولا معنى لما هنا . ولعلها «يفت» أي يكسر قوتنا ، ويفرق أعواننا .

وسار حتى كان على فرسخين من العدو ، فأخبره بعض الدهاقين
بقتل الرهائن وميعادهم غداً . وقال أصحابي ثلثمائة مقاتل وهم
معكم ، فبعث المسيب الى القصر رجلين عَجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا يَأْتِيَانِهِ بِالْخَبَرِ ،
فجاءوا في ليلة مظلمة ، وقد أجرت الترك الماء بدائر القصر لئلا
يصل اليه احد ، فصاح بهما فقالا له اسكت وادع لنا فلاناً . فأعلماه
قرب العسكر وسألا هل عندكم امتناع غداً ؟ فقال لهما نحن
مستमितون . فرجعا الى المسيب فأخبراه ، فعزم على تبييت الترك ،
وبايعه أصحابه على الموت ، وساروا يومهم الى الليل . ولما أمسى
حثهم على الصبر وقال : ليكن شعاركم يا محمد ، ولا تتبعوا موكباً ،
واعقروا الدواب فانه أشد عليهم ، وليست بكم قلة فإن سبعمائة سيف
لا يضرب بها في عسكر الا أوهنته ، وان كثر أهله . ثم دنوا من
العسكر في السحر ، وثار الترك وخالطهم المسلمون ، وعقروا الدواب
وترجل المسيب في أصحاب له فقاتلوا قتالاً شديداً ، وقتل عظيم
من عظماء الترك فانهزموا . ونادى منادي المُسَيَّبِ لا تتبعوهم ،
واقصدوا القصر واحملوا من فيه ، ولا تحملوا من متاعهم الا المال .
ومن حمل امرأة أو صبياً أو ضعيفاً حِسْبَةً فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، والا فله
أربعون درهماً . وحملوا من في القصر الى سمرقند . ورجع الترك من
الغد فلم يروا في القصر أحداً . ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين
جاءونا بالأمس .

غزو الصغد

ولما كان من انتفاض الصغد واعانتهم الترك على المسلمين ما ذكرنا ، تجهز سعيد لغزوهم وعبر النهر ، فلقية الترك وطائفة من الصُغد ، فهزمهم المسلمون . ونهاهم سعيد عن أتباعهم ، وقال : هم جباية أمير المؤمنين فانكفوا عنهم . ثم سار المسلمون إلى وادٍ بينهم وبين المرج ، فقطعه بعض العسكر وقد أكن لهم الترك ، فخرجوا عليهم . وانهزم المسلمون إلى الوادي ، وقيل بل كان المنهزمون مَسْلَحَةً للمسلمين . وكان فيمن قتل شُعْبَةُ بن ظهر في خمسين رجلاً . وجاء الأمير والناس فانهمز العدو . وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا وسبوا ردَّ السُّبِّيِّ وعاقب السَّريَّةَ ، فثقل سعيد على الناس وضمَّفه . ولما رجع من هذه الغزاة وكان سَوْرَةُ بن الأَبْجَرِ قد قال لحيان النَّبْطِي يوم أمر سعيد بالكف عن الصغد وانهم جباية أمير المؤمنين^(١) . فقال سورة ارجع عنهم يا حيان ! فقال : عقيرة الله لا أدعها ! فقال : انصرف يا نَبْطِي . قال أنبط الله وجهك . فحقدها عليه سورة وأغرى به سعيد خدينة وقال : انه أفسد خراسان على قتيبة ، ويثب عليك ويتحصن ببعض القلاع . فقال له سعيد : لا يسمع هذا منك أحد ، ثم حاول عليه وسقاه لبناً قد ألقى فيه ذهباً مسحوقاً . ثم ركض

(١) قوله هم جباية أمير المؤمنين معناه أنه يأخذ منهم المال، ففي استئصالهم ضياع له اهـ. من خط الشيخ العطار.

والناس معه أربعة فراسخ ، فعاش حيان من بعدها ليالي قلائل
ومات .

ولاية ابن هبيرة على العراق وخراسان

كان مَسْلَمَةً لما ولي على هذه الاعمال لم يدفع من الخراج شيئاً ،
واستجيا يزيد من عزله ، فكتب اليه بالقدوم وأن يستخلف على
عمله . وسار لذلك سنة ثلاث وأربعمائة ، فلقبه عُمَرُ بن هُبَيْرَةَ
بالطريق على دواب البريد وقال : وجهني أمير المؤمنين لحيازة
أموال بني المُهَلَّب ، فارتاب لذلك ، وقال له بعض اصحابه : كيف
يبعث ابن هبيرة من عند الجزيرة لمثل هذا الغرض ؟ ثم أتاه أن
ابن هبيرة عزل عماله . وكان عمر بن هبيرة من النجابة بمكان ،
وكان الحجاج يبعثه في البعوث ، وهو ممن سار لقتال مُطَرَفِ بن
المُغِيرَةَ حين خلع ، ويقال انه الذي قتله وجاء برأسه .

فسيره الحجاج إلى عبد الملك فأقطعه قرية قريبة من دمشق ،
ثم بعثه إلى كروم ابن مُرثِدَ الفزاري ليخلص منه مالا ، فارتاب
وأخذ المال ولحق بعبد الملك عائداً به من الحجاج . وقال قتلت
ابن عمه ولست آمنه على نفسي ، فأجاره عبد الملك ، وكتب
الحجاج اليه فيه . فقال أمسك عنه ، وعظم شأنه عبد الملك وبنوه
واستعمله عمر بن عبد العزيز على الروم من ناحية أرمينية ،
وأثخن فيهم وأسر سبعمائة منهم وقتلهم . واستخدم أيام يزيد لمحبوبته

حَبَابَةَ^(١) ، فسعت له في ولاية العراق ، فولاه يزيد مكان أخيه مسلمة .
ولما ولي قدم عليه المَجْشُرُ بن مزاحم السَّلَمِيَّ وعبد الله بن عمر الليثي
في وفد ، فشكوا من سعيد وحُدَيْفَةَ عاملهم ، وهو صهر مَسْلَمَةَ ، فعزله
وولى مكانه على خراسان سعيد بن عمر الحُرَيْشِي من بني الحُرَيْش بن
كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَةَ ، فسار خدينة عن خُراسان ،
وقدم سعيد فلم يعرض لعماله

ولما قدم على خُراسان كان الناس بازاء العاوِّ ، وقد نكثوا
فحثهم على الجهاد ، وخاف الصُّغْدُ منه بما كانوا أَعَانُوا الترك
أيام حُدَيْفَةَ ، فقال لهم ملكهم احملوا له خراج ما مضى ، واطمنوا
خراج ما يَأْتِي ، والعمارة والغزو معه ، وأعطوه الرهن بذلك . فأبوا
إلا أَنْ يستجبروا بملك فَرَّغَانَةَ وخرجوا من بلادهم إلى خَجَنْدَةَ وسألوا
الجوار وَأَنْ ينزلوا شِعْبَ عَصَام . فقال : أمهلونا عشرين يوماً
أو أربعين لنخيله لكم ، وليس لكم عليَّ جوار قبل دخولكم اياه .
ثم غزاهم الحُرَيْش سنة أربع ومائة ، فقطع النهر وترك قصر الريح
على فرسخين من الدَّنُوسِيَّةِ ، وأتاه ابن عم ملك فرغانة يغريه بأهل
الصُّغْدِ وَأَنْهم بخجندة ، ولم يدخلوا جواره بعد ، فبعث معه عبد
الرحمن القسري في عسكر ، وجاء في أثره حتى نزلوا على خجندة ،
وخرج أهل صُغْدٍ لقتالهم فانهزموا ، وقد كانوا حفروا خندقاً وغطوه بالتراب

(١) حَبَابَةُ هذه جارية أحبها يزيد حباً تجاوز به الحد وضرب به المثل اهـ . من خط الشيخ | العطار .

ليسقط فيه المسلمون عند القتال ، فلما انهزموا ذلك اليوم أخطأهم الطريق وأسقطهم الله في ذلك الخندق .

ثم حاصروهم الحُرَيْشِيُّ ونصب عليهم المجانيق ، وأرسلوا إلى ملك فرغانة ليجيرهم . فقال قد شرت عليكم أن لا جوار قبل الاجل الذي بيني وبينكم . فسألوا الصلح من الحُرَيْشِيِّ على أن يردّوا ما في أيديهم من سُبِيّ العرب ، ويعطوا ما كسر من الخراج ولا يتخلف أحد منهم بخجندة وان أحدثوا حدثاً استبيحت دماؤهم . فقبل منهم وخرجوا من خجندة ، ونزلوا في العسكر على كل من يعرفه . وبلغ الحريشي أنهم قتلوا امرأة فقتل قاتلها ، فخرج قبيل منهم فاعترض الناس وقتل جماعة . وقتل الصُّغْدُ من أسرى المسلمين مائة وخمسين ، ولقي الناس منهم عنفاً ، ثم أحاطوا بهم وهم يقاتلون بالخشب ليس لهم سلاح ، فقاتلوا عن آخرهم ثلاثة آلاف أو سبعة آلاف .

وكتب الحُرَيْشِيُّ إلى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب لعمر بن هُبَيْرَةَ ، فأحفظه ذلك ثم سرح الحريشي سليمان بن أبي السرى إلى حصن يطيف به وراء الصُّغْدِ ومعه خوارزم شاه وملك أجرون وسومان ، فسار سليمان وعلى مقدمته المُسَيَّبُ بن بشر الرياحي ، ولقيه أهل الحصن فهزمهم ثم حاصروهم ، فسألوا الصلح على أن لا يعرض لسبيهم ويسلموا القلعة بما فيها فقبل ، وبعث إلى الحريشي فقبضه ، وبعث من قبضه . وسار الحُرَيْشِيُّ إلى كَشْ فصالحوه على عشرة آلاف رأس ووَلَّى نصر بن سيار على قبضها . واستعمل

على كش ونسف حرباً وخراجاً سليمان بن السرى واستنزل مكانه آخر اسمه قَشْقَرِي من حصنه على الامان وجاء به إلى مَرَوْ فشنقه وصلبه .

ولاية الجراح على أرمينية ونجح بلنجم

ولما سار ابن هبيرة على الجزيرة وأرمينية تشبب^(١) البهراني ، فحفل لهم الخزر وهم التركمان ، واستجاشوا بالقفجاق وغيرهم من أنواع الترك ولقوا المسلمين بمرج الحجارة ، فهزموهم ، واحتوى التركمان على عسكرهم وغنموا ما فيه . وقدم المنهزمون على يزيد بن عبد الملك ، فولى على أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمي وأمدّه بجيش كثيف ، وسار لغزو الخزر فعادوا لباب الأبواب . ونزل الجراح بردعة فأراح بها قليلاً . ثم سار نحوهم وعبر نهر الكُرّ ، وأشاع الإقامة ليرجع بذلك عيونهم اليهم . ثم أسرى من ليلته وأجّد السير إلى مدينة الباب ، فدخلها وبثّ السرايا للنهب والغارة .

وزحف اليه التركمان وعليهم ابن ملكهم ، فلقبهم عند نهر الزمان واشتدّ القتال بينهم ، ثم انهزم التركمان وكثر القتل فيهم ، وغنم المسلمون ما معهم ، وساروا حتى نزلوا على الحصن ، ونزل أهلها على الامان فقتلهم . ثم سار إلى مدينة برغوا فحاصرها ستة أيام ، ثم نزلوا على الامان ونقلهم ، ثم ساروا إلى بلنجر ، وقتلهم

(١) التشبيب: وصف المحاسن . ولعلها هنا بمعنى ابتداء .

التركمان دونها فانهزموا وافتتح الحصن عنوة . وغنم المسلمون جميع ما فيه . فأصاب الفارس ثلثمائة دينار ، وكانوا بضعة وثلاثين ألفاً . ثم إن الجراح رجع حصن بلنجر إلى صاحبه ، وردّ عليه أهله وماله ، على أن يكون عيناً للمسلمين على الكفار . ثم نزل على حصن الوبيد وكان به أربعون ألف بيت من الترك ، فصالحوا الجراح على مال أعطوه إياه . ثم تجمع الترك والتركمان وأخذوا الطرق على المسلمين ، فأقام في رستاق سبي وكتب إلى يزيد بالفتح وطلب المدد ، وكان ذلك آخر عمر يزيد . وبعث هشام بعد ذلك إليه بالمدد وأقره على العمل .

ولاية عبد الواحد القسري على المدينة ومكة

كان عبد الرحمن بن الضحّاك عاملاً على الحجاز منذ أيام عمر بن عبد العزيز ، وأقام عليها ثلاث سنين ثم جدّته نفسه خطبة فاطمة بنت الحسين فامتنعت ، فهدّدها بأن يجلد ابنها في الخمر ، وهو عبد الله بن الحسين المثنّى . وكان على حيوان المدينة عامل من أهل الشام يسمى ابن هرْمَز . ولما رفع حسابه وأراد السير إلى يزيد ، جاء ليودّع فاطمة ، فقالت اخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحّاك وما يتعرّض لي . ثم بعث رسولها بكتابها إلى يزيد يخبره . وقدم ابن هرْمَز على يزيد ، فبينما هو يحدثه عن المدينة قال الحاجب : بالباب رسول فاطمة بنت الحسين ، فذكر ابن هرْمَز ما حملته .

فنزول عن فراشه وقال : عندك مثل هذا وما تخبرني به ؟ فاعتذر بالنسيان .

فأدخل يزيد الرسول وقرأ الكتاب ، وجعل ينكت الأرض بخيزرانة ويقول : لقد اجتراً ابن الضحاك ، هل من رجل يسمعي صوته في العذاب ؟ قيل له عبد الواحد بن عبد الله القسري . فكتب إليه بيده : قد وليتك المدينة ، فانهض إليها واعزل ابن الضحاك وغرّمه أربعين ألف دينار ، وعذبه حتى أسمع وأنا على فراشي . وجاء البريد بالكتاب إليه ، ولم يدخل على ابن الضحاك . فأحضر البريد ودس إليه بألف دينار فأخبره الخبر ، فسار ابن الضحاك إلى مسلمة ابن عبد الملك واستجار به ، وسأل مسلمة فيه يزيد . فقال والله لا أعفيه أبداً . فردّه مسلمة إلى عبد الواحد بالمدينة فعذبه ولقي شراً ، ولبس جبّة صوف يسأل الناس ، وكان قد آذى الانصار فذموه ، وكان قدوم القسري في شوال سنة أربع ومائة ، وأحسن السيرة فأحبه الناس . وكان يستشير القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله .

عزل الحريشي وولاية مسلم الكلبي على خراسان

كان سعيد الحريشي عاملاً على خراسان لابن هُبَيْرَة كما ذكرنا ، وكان يستخف به ويكاتب الخليفة دونه ، ويكنيه أبا المثني . وبعث من عيونه من يأتيه بخبره ، فبلغه أعظم مما سمع ، فعزله وعذبه حتى أدى الاموال ، وعزم على قتله ثم كف عنه . وولى ابن هُبَيْرَة على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرْعَة الكلابي ، ولما

جاء إلى خراسان حبسه وقيده وعذبه كما قلنا . فلما هرب ابن هبيرة بعد ذلك عن العراق أرسل خالد القسري في طلبه الحُرَيْثِيَّ فَأَدْرَكَه على الفرات . وقال لابن هبيرة ما ظنك بي ؟ قال انك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قسر . قال هو ذاك ثم انصرف وتركه .

وفاته يزيد وبيعة هشام

ثم توفي يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومائة لاربع سنين من خلافته ، وولى بعده أخوه هشام بعهدده اليه بذلك كما مرّ ، وكان بحمص فجاءه الخبر بذلك ، فعزل عمر بن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري فسار إلى العراق من يومه .

غزو مسلم الترك

غزا مسلم بن سعيد الترك سنة خمسة ومائة ، فعبر النهر وعاث في بلادهم ولم يفتح شيئاً ، وقفل فأتبعه الترك ولحقوه على النهر ، فعبر بالناس ولم ينالوا منه . ثم غزا بقية السنة وحاصر أفشين حتى صالحوه على ستة آلاف رأس ، ثم دفعوا اليه القلعة . ثم غزا سنة ست ومائة . وتباطأ عنه الناس ، وكان ممن تباطأ البُخْتَرِي ابن دِرْهَم فردّ مُسْلِمٌ نَصْرَ بن سَيَّارَ إلى بَلْخٍ وأمره أن يخرج الناس اليه . وعلى بلخ عمر بن قتيبة أخو مسلم ، فجاء نصر وأحرق باب البختري وزباد بن طريف الباهلي . ثم منعهم عمر من دخول بلخ ، وقد قطع سعيد النهر ، ونزل نصر بن سيار البروقان ، وأتا

جند الضلابيان ، وتجمعت ربيعة والأزد بالبروقان على نصف فرسخ من نصر ، وخرجت مضر إلى نصر ، وخرج عمر بن مسلم إلى ربيعة والأزد وتوافقوا ، وسفر الناس بينهما في الصلح ، وانصرف نصر .

ثم حمل البخثري وعمر بن مسلم على نصر ، فكرّ عليهم فقتل منهم ثمانية عشر وهزمهم ، وأتى بعمر بن مسلم والبخثري وزياد بن طريف فضربهم مائة مائة ، وحلق رؤوسهم ولحاهم وألبسهم المسوح . وقيل ان سبب تعزيز عمر بن مسلم انهزام تميم عنه ، وقيل انهزام ربيعة والأزد ، ثم أمنهم نصر بعد ذلك وأمرهم أن يلحقوا بمسلم بن سعيد . ولما قطع مسلم النهر ولحقه من لحق من أصحابه ، سار إلى بخارى فلحقه بها كتاب خالد بن عبد الله القسري بولايته ويأمره باتمام غزاته ، فسار إلى فرغانة وبلغه ان خاقان قد أقبل اليه ، فارتحل . ولحقه خاقان بعد ثلاثة مراحل لقي فيها طائفة من المسلمين فأصابهم . ثم أطاف بالعسكر وقاتل المسلمين ، وقتل المسيب بن بشر الرياحي والبراء من فرسان المهلب وأخو غورك .

وثار الناس في وجوههم فأخرجوهم من العسكر . ورحل مسلم بالناس ثمانية أيام ، وترك مطيفون بهم بعد أن أمر باحراق ما ثقل من الأمتعة . فأحرقوا ما قيمته ألف ألف . وأصبحوا في التاسع قريب النهر دونه أهل فرغانة والشاش . فأمر مسلم الناس

ان يخرطوا سيوفهم ويحملوا . فأفرج أهل فرغانة والشاش عن النهر ، ونزل مسلم بعسكره ثم عبر من الغد وأتبعهم ابن خاقان . فكان حميد بن عبد الله على الساقة من وراء النهر وهو مشخن بالجراحة . فبعث إلى مسلم بالانتظار ، وعطف على الترك فقاتلهم ، وأسر قائدهم وقائد الصغد ثم أصابه سهم فمات ، وأتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد ، ولقيهم هنالك كتاب أسد بن عبد الله القسري أخي خالد بولايته على خراسان واستخلافه عبد الرحمن بن نعيم ، فقرأ مسلم الكتاب وقال سمعاً وطاعة .

ولاية أسد القسري على خراسان

ولما غزا خالد بن عبد الله خراسان واستخلف عليها أخاه أسد ابن عبد الله ، فقدم ومسلم بن سعيد بفرغانة ، فلما رجع وأتى النهر ليقطعه منعه الأشهب بن عبد الله التميمي ، وكان على السفن بآمد ، حتى عرفه أنه الأمير ، فأذن له . ثم عبر أسد النهر ونزل بالمرج وعلى سمرقند هانيء بن هانيء ، فخرج بالناس وتلقى أسداً وأدخله سمرقند . وبعث أسد إلى عبد الرحمن بن نعيم بالولاية على العسكر ، فقفل بالناس إلى سمرقند ، ثم عزل أسداً عنها وولى مكانه الحسن ابن أبي العمرطة الكندي . ثم قدم مسلم بن سعيد بن عبد الله بخراسان ، فكان يكرمه . ومرّ بابن هبيرة وهو يروم الهرب وأسلم على يديه . ثم غزا الغور وهي جبال هراة . فوضع أهلها أثقالهم في الكهوف ولم يكن اليهم طريق . فاتخذ التوابيت ووضع فيها

الرجال ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه . ثم قطع كماق النهر ، وجاءه خاقان ولم يكن بينهما قتال . وقيل عاد مهزوماً من الجسر ثم سار إلى عوبرين وقتلها ، وأبلى نصر بن سيار ومسلم بن أخوَز ، وانهزم المشركون ، وحوى المسلمون عسكرهم بما فيه .

ولاية أشرس على العراق

كان أسد بن عبد الله في ولايته على خراسان يتعصب ، حتى أفسد الناس . وضرب نصر بن سيار بالسياط ، وعبد الرحمن بن نعيم ، وسورة بن أبجر والبُخْترى بن أبي درهم ، وعامر بن مالك الحماني وحلقهم وسيرهم إلى أخيه ، وكتب إليه أنهم أرادوا الوثوب بي . فلامه خالد وعنفه وقال : هلا بعثت برووسهم ؟ وخطب أسد يوماً فلحن أهل خراسان . فكتب هشام بن عبد الملك إلى خالد اعزل أخاك ، فعزله في رمضان سنة تسع ، وولى مكانه الحكم بن عوانة الكلبي ، فقعد عن الصائفة تلك السنة . فاستعمل هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي ، وأمره أن يراجع خالداً فكان خيراً ففرح به أهل خراسان .

عزل أشرس

أرسل أشرس إلى سمرقند سنة عشر ومائة أبا الصيدا صالح ابن ظريف مولى بني ضبة ، والربيع بن عمران التميمي إلى سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم إلى الاسلام ، على أن توضع عنهم الجزية ، وعليها الحسن بن العمرطة الكندي ، على حربها وخراجها ،

فدعاهم إلى ذلك وأسلموا . وكتب غورك إلى الأشرس ان الجراح قد انكسر ، فكتب أشرس إلى ابن العمرطة بلغني أن أهل الصغد وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وإنما أسلموا نفوراً من الجزية ، فانظر من اختتن وأقام الفرائض ، وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجة .

ثم عزل ابن العمرطة عن الخراج وولى عليها ابن هانيء ، ومنعهم أبو الصيد أخذ الجزية ممن أسلم ، وكتب هانيء إلى أشرس بأنهم أسلموا وبنوا المساجد . فكتب اليه وإلى العمال أن يعيدوا الجزية على من كانت عليه ولو أسلم ، فامتنعوا واعتزلوا في سبعة آلاف على فراسخ من سمرقند . وخرج معهم أبو الصيد وربيع بن عِمْران والهيثم الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وعامر بن قُشَيْر وبشير الجُحْدري وبيان العَبْرِي واسماعيل بن عُقْبَة لينصروهم . وبلغ الخبر إلى أشرس فعزل ابن العمرطة عن الحرب وولى مكانه المجشر بن مُزَاحم السَلَمِيّ وعُمَيْرَة ابن سعد الشيباني ، فكتب المجشر إلى أبي الصيد يستقدمه هو وأصحابه فقدم ومعه ثابت قُطْنَة فحبسهما وسيرهما إلى أشرس ، واجتمع الباقون وولوا عليهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئاً فكتب أشرس ووضع عنهم الخراج فرجعوا وضعف أمرهم وتتبعوا فحبسوا كلهم .

وألح هانيء في الخراج ، واستخف بفعل العجم والدهاقين . واقيموا في العقوبات وحرقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأُخذت الجزية ممن أسلم . فكفرت الصُغْد وبُخارى واستجاشوا بالترك ، وخرج أشرس غازياً فنزل آمد وأقام أشهراً . وقدم قُطْنُ

ابن قتيبة بن مسلم في عشرة آلاف فعبر النهر ولقي الترك وأهل الصغد وبُخارى ومعهم خاقان ، فحاصروا قطناً في خندقه . وأغار الترك على سرح المسلمين ، وأطلق أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله ابن بسطام بن مسعود بن عمر ، وبعثه معه في خيل ، فاستقدمه من أيدي الترك ما أخذوه . ثم عبر أشرس بالناس ولحق بقطن ولقيهم العدو فانهزموا أمامهم . وسار أشرس بالناس حتى جاء بيكند فحاصرها المسلمون ، وقطع أهل البلد عنهم الماء ، وأصابهم العطش فرحلوا إلى المدينة . واعترضهم دونها العدو فقاتلوهم قتالاً شديداً ، وأبلى الحرث بن شريح ، وقطن بن قتيبة بلاءً شديداً وأزالوا الترك عن الماء . فقتل يومئذ ثابت قطنة وصخر بن مسلم بن النعمان العبدي ، وعبد الملك بن دثار الباهلي وغيرهم .

وحمل قطن بن قتيبة في جماعة تعاقدوا على الموت ، فانهزم العدو واتبعهم المسلمون يقتلونهم إلى الليل . ثم رجع أشرس إلى بخاري وجهز عليهم عسكرياً ، يحاصرونها ، وعليهم الحرث بن شريح الأزدي . ثم حاصر خاقان مدينة كمرجة من خراسان وبها جمع من المسلمين ، وقطعوا القنطرة وأتاهم ابن جسر وابن يزدجرد وقال : ان خاقان جاء يردّ عليّ منكبي وأنا آخذ لكم الامان ، فشتموه وأتاهم يزغري في مائتين ، وكان داهيةً ، وكان خاقان لا يخالفه . فطلب رجلاً يكلمه ، فجاء يزيد بن سعد الباهلي فرغبه باضعاف العطاء والاحسان على النزول ، ويسIRON معهم ، فلاطفه ورجع إلى أصحابه ، وقال هؤلاء يدعونكم لقتال المسلمين ، فأبوا وأمر خاقان فألقى الحطب

الرطب في الخندق ليقطعه . وألقى المسلمون البهائم ليأكلوها ويحشوا
جلودها تراباً ويملؤا بها الخندق . وأرسل الله سبحانه فاحتمل
السيل ما في الخندق إلى النهر الأعظم ، ورمى المسلمون بالسهم
فأصيب يزغري بسهم ومات من ليلته ، فقتلوا جميع ما عندهم
من الأسرى والرهن . ولم يزالوا كذلك حتى نزلت جيوش المسلمين
فرغانة ، فجردوا عليهم واشتد قتالهم ، وصالحهم المسلمون على أن
يسلموا لهم كَمَرَجَة ويرحلوا عليها إلى سمرقند والدنوسية ، وتراهنوا
على ذلك . وتأخر خاقان حتى يخرجوا ، وخلف معهم كورصول
ليبلغهم إلى مأمئهم ، فارتحلوا حتى بلغوا الدنوسية . وأطلقوا الرهن
وكان مدة الحصار ستين يوماً .

عزل أشرس عن خراسان وولاية الجند

وفي سنة إحدى عشرة ومائة عزل هشام أشرس بن عبد الله
عن خراسان ، وولى مكانه الجُنَيْد بن عبد الرحمن بن عمر بن الحرث
ابن خَارِجَة بن سِنَان بن أَبِي حارثة المُرِّي ، أهدى إلى أم حكيم
بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جواهر ، فأعجبت
هشاماً فأهدى له أخرى مثلها ، فولاه خراسان وحمله على البريد . فقدم
خراسان في خمسمائة ، ووجد الخطَّاب بن مُحَرِّز السَّلمِي خليفة أشرس
على خراسان . فسار الجنيد إلى ما وراء النهر ومعه الخطاب ، واستخلف
على مَرَوْ المَجْشَر بن مُزاحم السلمي وعلى بَلْخ سورة بن أبجر
التميمي ، وبعث إلى أشرس وهو يقاتل أهل بخارى والصُّغْد ان

يبعث اليه بسرية مخافة أن يعترضه العدو .

فبعث اليه أشرس عامر بن مالك الجابي ، فعرض له الترك والصغد فقاتلوهم ثم استداروا وراء معسكر الترك وحمل المسلمون عليهم من أمامهم ، فانهزم الترك ولحق عامر بالجنيد ، فأقبل معه وعلى مقدمته عَمَارَةُ بن حُزَيْم ، واعترضه الترك فهزمهم . وزحف اليه خاقان بنواحي سَمَرْقَنْدَ وَقَطَنَ بن قتيبة على ساقته ، فهزم خاقان وأسر ابن أخيه وبعث به إلى هشام ، ورجع إلى مرو ظافراً ، واستعمل قطن بن قتيبة على بخارى ، والوليد بن القعقاع العبسي على هراة ، وحبيب ابن مُرَّة العبسي على شرطته ، ومسلم بن عبد الرحمن الباهلي على بَلْخَ وعليها نصر بن سيار . فبعث مسلم إلى نصر وجيء به في قميص دون سراويل ، فقال شيخ مُضَرِّ جَثَمَ به على هذه الحالة ؟ فعزل الجنيد مسلماً عن بلخ وأوفد وفداً إلى هشام بخبر غزاته .

مقتل الجاهل الحكمي

قد كان تقدّم لنا دخوله إلى بلاد الخَزَرِ سنة أربع ومائة ، وانهزامهم أمامه ، وأنه أثخن فيهم وملك بَلَنْجَرَ ورَدَّها على صاحبها ، وأدركه الشتاء فأقام هنالك . وإنَّ هشاماً أقرَّه على عمله ثم ولاه أرمينية ، فدخل بلاد التُّرْكُمَانِ من ناحية تَفْلَيْس سنة احدى عشرة ففتح مدينتهم البَيْضَاءَ وانصرف ظافراً ، فاجتمع الخزر والترك من ناحية اللاف ، وزحف اليهم الجَرَّاح سنة اثنتي عشرة ، ولقيهم بمرج أَرْدَبِيل ، فاقتتلوا أشدَّ قتال . وتسكاثر العدو عليه فاستشهد

ومن معه ، وقد كان استخلف أخاه الحجاج على أرمينية . ولما قتل طمع الخزر وهم التركمان ، وأوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل ، وقيل كان قتله ببلنجر . ولما بلغ الخبر هشاماً دعا سعيداً الحريشي فقال : بلغني أنَّ الجراح انهزم . قال الجراح اعرف بالله من أن ينهزم ، ولكن قتل ، فابعثني على أربعين من دواب البريد ، وابعث إليَّ كل يوم أربعين رجلاً مدداً ، واكتب إلى الأمراء الأجناد يواسوني . ففعل وسار الحريشي ، فلا يمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها ، فيجيبه من أراد الجهاد .

ووصل مدينة أزور ، فلقية جماعة من أصحاب الجراح فردهم معه . ووصل إلى خلاط فحاصرها وفتحها ، وقسم غنائمها . ثم سار عنها يفتح القلاع والحصون إلى برؤعة فنزلها وابن خاقان يومئذ بأذربيجان يحاصر مدينة ورثان منها ويبعث في نواحيها وبعث الحريشي إلى أهل ورثان يخبرهم بوصوله ، فأخرج العدو عنهم ووصل إليهم الحريشي . ثم اتبع العدو إلى أردبيل ، وجاءه بعض عيونه بأن عشرة آلاف من عسكرهم على أربعة فراسخ منه ، ومعهم خمسة آلاف بيت من المسلمين أسارى وسبايا ، فبيتهم وقتلهم أجمعين ، ولم ينج منهم أحد . واستنقذ المسلمين منهم .

وسار إلى باجروان فجاءه عين آخر ودله على جمع منهم ، فسار إليهم واستلحمهم أجمعين ، واستنقذ من معهم من المسلمين ، وكان فيهم أهل الجراح وولده ، فحملهم إلى باجروان . ثم زحف إليهم

جموع الخزر مع ابن ملكهم ، والتقوا بأرض زَرَنْدَ واشتدَّ القتال والسبي من معسكر الكفار ، فبكى المسلمون رحمة لهم ، وصدقوا الحملة . فانهزم الكفار وأتبعهم المسلمون إلى نهر أَرَس ، وغنموا ما كان معهم من الأموال واستنقذوا الأسرى والسبايا وحملوهم إلى باجروان ثم تناصر الخزر في ملكهم ورجعوا فنزلوا نهر البَيْلَقَانَ واقتتلوا قتالاً شديداً . ثم انهزموا فكان من غرق أكثر ممن قتل وجمع الحريشي الغنائم وعاد إلى باجروان فقسمها ، وكتب إلى هشام بالفتح . واستقدمه وولى أخاه مسلمة على أرمينية وأذربيجان .

وقعة الشعب بين الجنيد و خاقان

وخرج الجنيدُ سنة اثنتي عشرة ومائة من خراسان غازياً إلى طخارستان ، وبعث إليها عمارة بن خُزَيْمَ في ثمانية عشر ألفاً . وبعث ابراهيم بن سام الليثي في عشرة آلاف إلى وجه آخر ، وحاشتك التركي . وزحف بهم خاقان إلى سمرقند وعليها سَوْرَةٌ بن أبجر . فكتب إلى الهند مستغيثاً ، فأمر الجنيد بعبور النهر . فقال له المجشر بن مُزَاحم السَلَمِيّ وابن بَسْطَام الأزدي إن الترك ليسوا كغيرهم ، وقد مزقت جندك . فسلم ابن عبد الرحمن بالنبرأود والبُخْترِي بَهْرَةَ ، وعمارة بن حزيم بطخارستان . ولا تعبر النهر في أقل من خمسين ألفاً . فاستقدم عمارة وأمهل ، فقال أنخي على سورة وعبر الجنيد ، فنزل كش وتأهب للسير . وغور الترك الآبار في طريق كش وسار الجنيد على التعبية ، واعترضه خاقان ومعه أهل

الصُّغْدِ وفرغانة والشاش ، وحملوا على مقدّمته ، وعليها عثمان بن عبد الله بن الشَّخِير فرجعوا وترك في اتباعهم .

ثم حملوا على المدينة ، وأمدهم الجنيد بنصر بن سيار ، وشدّوا على العدو وقتل أعياناً منهم . وأقبل الجنيد على الميمنة ، وأقبل تحت راية الأزد ، فقال له صاحب الراية : ما قصدت كرامتنا لكن علمت انا لا نصل اليك ومنا عين تطرف ! فصبروا وقتلوا حتى كلّت سيوفهم . وقطع عبيدهم الخشب فقاتلوا بها حتى أدركهم الملل . وتعانقوا ثم تحاجزوا ، وهلك من الأزد في ذلك المعترك نحو من ثمانين فيهم عبد الله بن بسطام ، ومحمد بن عبد الله بن جودان ، والحسين بن شيخ ، ويزيد بن المفضل الحرّاني . وبينما الناس كذلك اذ طلعت أوائل عسكر خاقان ، فنادى منادي الجنيد بالنزول فترجلوا ، وخندق كل كائن على رجاله . وقصد خاقان جهة بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحرث فحملت بكر عليهم فأفرجوا واشتدّ القتال .

وأشار أصحاب الجنيد عليه بأن يبعث إلى سورة بن أبجر من سمرقند ليتقدّم الترك اليه ليكون لهم شغل به عن الجنيد وأصحابه . فكتب يستقدمه فاعتذر ، فأعاد عليه وتهدّده وقال : اخرج وسر مع النهر لا تفارقه ، فلما خرج هو استبعد طريق النهر ، واستخلف على سمرقند موسى بن أسود الحنظلي . وسار محمد في اثني عشر ألفاً حتى إذا بقي بينه وبين الجنيد وعساكره فرسخ لقيه خاقان عند

الصباح ، وحال بينهم وبين الماء واضرم النار في اليبس حواليتهم فاستماتوا وحملوا ، وانكشف الترك وأظلم الجو بالعجاج . وكان من وراء الترك لهب سقط فيه جميع العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت فخذة . ثم عطف الترك فقتلوا المسلمين ولم يبق منهم إلا القليل ، وانحاش بالناس المهلب بن زياد والعجمي في ستمائة أو ألف ، ومعه قريش بن عبد الله العبدى إلى رَسْتَقِ المَرْغَابِ ، وقاتلوا بعض قصوره ، فأصيب المهلب وولوا عليهم الرَّحْبَ بن خالد .

وجاءهم الاسكيد صاحب نَسْفٍ وغورك ملك الصُّغْد فنزلوا معه إلى خاقان ، فلم يجز أمان غورك وقتلهم ولم ينج منهم أحد . ثم خرج الجنيد من الشعب قاصداً سمرقند ، وأشار عليه مَجَشَّرُ بن مُزاحم بالنزول فنزل ، ووافقته جموع الترك . فجال الناس جولة ، وصبر المسلمون ، وقاتل العبيد وانهزم العدو . ومضى الجنيد إلى سمرقند فحمل العيالات إلى مرو ، وأقام بالصغد أربعة أشهر . وكان صاحب الرأي بخراسان في الحرب المجشر بن مزاحم السلمي ، وعبد الرحمن بن أصبح المخزومي ، وعبيد الله بن حبيب الهجري . ولما انصرف الترك بعث الجنيد نهار بن تُوْسَعَةَ بن تيم الله ، وزميل بن سُوَيْد بن شَيْم بالخبر . وتحامل فيه على سورة بن أبجر بما عصاه من مفارقة النهر حتى نال العدو منه . فكتب اليه هشام قد بعث اليك من المدد عشرة آلاف من البصرة ، ومثلها من الكوفة ، وثلاثون ألف رمح ومثلها سيفاً . وأقام الجنيد بسمرقند ، وسار خاقان إلى بخارى

وعليها قطن بن قتيبة بن مسلم ، فخاف عليه من الترك . واستشار عبد الله بن أبي عبد الله مولى بن سليم بعد أن اختلف عليه أصحابه ، فاشتراط عليه أن لا يخالفه . فأشار بحمل العيالات من سمرقند ، فقدمهم واستخلف بسمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير في أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ، ووفر أعطياتهم . وسار العيالات في مقدمته حتى ^(١) من الضيق ودنا من الطواويس ، فأقبل اليه خاقان بكير ميمنة أول رمضان سنة اثنتي عشرة واقتتلوا قليلاً . ثم رجع الترك وارتحل من الغد ، فاعترضه الترك ثانياً وقتل مسلم بن أحوز بغض عظمائهم ، فرجعوا من الطواويس . ثم دخل الجنيد بالمسلمين بخارى ، وقدمت الجنود من البصرة والكوفة . فصرح الجنيد معهم حورثة بن زيد العنبري فيمن انتدب معه .

ولاية عاصم على خراسان وعزل الجنيد

بلغ هشاماً سنة ست عشرة أن الجنيد بن عبد الرحمن عامل خراسان تزوج بنت يزيد بن المهلب ، فغضب لذلك وعزله ، وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي ، وكان الجنيد قد مرض بالاستسقاء . فقال هشام لعاصم إن أدركته وبه رمق فأزق نفسه ، فلما قدم عاصم وجده قد مات ، وكانت بينهما عداوة ، فحبس عمارة ابن حُزيم ، وكان الجنيد استخلفه وهو ابن عذبة ، فعذبه عاصم

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٤ ص ٢١٢ : «حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ودنا من الطواويس» .

وعذب عمال الجنيد .

ولاية مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان

لما عاد مَسْلَمَةُ من غزو الخَزَرِ وهم التُّرْكُمَانُ إلى بلاد المسلمين ، وكان في عسكره مروان بن محمد بن مروان ، فخرج مختفياً عنه إلى هِشام ، وشكا له من مسلمة وتخاذله عن الغزو ، وما أدخل بذلك على المسلمين من الوهم . وبعث إلى العدو بالحرب ، وأقام شهراً حتى استعدوا وحشدوا ، ودخل بلادهم فلم يكن له فيهم نكاية وقصد ، أراد السلامة ورغب اليه بالغزو اليهم لينتقم منهم . وأن يمدّه بمائة وعشرين ألف مقاتل ويكتم عليه . فأجابه لذلك وولاه على أرمينية ، فسار إليها وجاءه المدد من الشام والعراق والجزيرة . فأظهر أنه يريد غزو اللان ، وبعث إلى ملك الخزر في المهادنة ، فأجاب وأرسل رسله لتقرير الصلح فأمسكهم مروان إلى أن تجهز ، وودّعهم وسار إلى أقرب الطرق . فوافاهم ورأى ملك الخزر أن اللقاء على تلك الحال غرر ، فتأخر إلى أقصى بلاده .

ودخل مروان فأوغل فيها وخرب وغنم وسبى إلى آخرها . ودخل بلاد ملك السريز وفتح قلاعها ، وصالحوه على ألف رأس نصفها غلمان ونصفها جوارى ، ومائة ألف مد . تحمل إلى الباب . وصالحه أهل تومان على مائة رأس نصفين وعشرين ألف مد . ثم دخل أرض وردكران فصالحوه . ثم أتى حَمْرِينَ وافتتح حصنهم ، ثم أتى سَبْدَانَ فافتتحها صلحاً ، ثم نزل صاحب اللكر في قلعته وقد

امتنع من أداء الوظيفة ، فخرج يزيد ملك الخزر ، فأصيب بسهم ومات وصالح أهل اللكز مروان ، وأدخل عامله ، وسار مروان إلى قلعة سروان فبأطاعوا ، وسار إلى الرودانية فأوقع بهم ورجع .

خلع الحرث بن شريح بخراسان

كان الحرث هذا عظيم الأزد بخراسان ، فخلع سنة ست عشرة ولبس السواد ، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والبيعة للرضا على ما كان عليه دعاة بني العباس هناك . وأقبل إلى الغاربات ، وجاءته رسل عاصم مقاتل بن حيان النبطي والخطاب بن مُحَرِّز السلمي فحبسهما وفروا من السجن إلى عاصم بدم الحرث وغدره . وسار الحرث من الغاربات إلى بلخ وعليها نصر بن سيار والنجيب ، فلقياه في عشرة آلاف وهو في أربعة ، فهزمهم وملك بلخ ، واستعمل عليها سليمان بن عبد الله بن حازم . وسار إلى الجوزجان ^(١) عليها ثم سار إلى مرو ، ونمي إلى عاصم أن أهل مرو يكاتبونه ، فاستوثق منهم بالقسامة وخرج وعسكر قريباً من مرو ، وقطع الجسور . وأقبل الحرث في ستين ألفاً ومعه فرسان الأزد وتميم ، ودهاقين الجوزجان والغاربات ، وملك الطالقان ، وأصلحوا القناطر . ثم نزع محمد بن المشنى في ألفين من الأزد ، وحماد بن عامر الجابي في مثلها من بني تميم إلى عاصم ، ولحقوا به ثم اقتتلوا . فانهزم الحرث وغرق

(١) هنا يباض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٢١٨ : « وسار إلى الجوزجان فغلب عليها وعلى الطالقان ومرو

الروز .

كثير من أصحابه في نهر مرو ، وقتلوا قتلاً ذريعاً . وكان ممن غرق حازم . ولما قطع الحرث نهر مرو ضرب رواقه واجتمع اليه بها ثلاثة آلاف فارس وكف عاصم عنهم .

ولاية أسد القسري القلبية بخراسان

كتب عاصم إلى هشام سنة سبع عشرة أن خراسان لا تصلح إلا أن تضم إلى العراق ليكون مددها قريب الغوث ، فضم هشام خراسان إلى خالد بن عبد الله القسري وكتب اليه ابعث أخاك يصلح ما أفسد فبعث خالد أخاه أسداً ، فسار على مقدمته محمد ابن مالك الهمداني . ولما بلغ عاصم الخبر راود الحرث بن شريح على الصلح ، وأن يكتباً جميعاً إلى هشام يسألانه الكتاب والسنة ، فان أبى اجتماعاً . وأبى بعض أهل خراسان ذلك فانتقض بينهما واقتتلا ، فانهزم الحرث وأسر من أصحابه كثير قتلهم عاصم . وبعث بالفتح إلى هشام مع محمد بن مسلم العنبري ، فلقيه أسد بالري . وجاء إلى خراسان فبعث عاصماً وطلبه بمائة ألف درهم ، وأطلق عمارة بن حُزيم وعمال الجنيد ، ولم يكن لعاصم بخراسان إلا مرو ونيسابور . وكانت مرو الروذ للحرث ، وواصل لخالد بن عبيد الله الهجري على مثل رأي الحرث . فبعث أسد عبد الرحمن بن نعيم في أهل الكوفة والشام إلى الحرث ، وسار هو بالناس إلى آمد . فخرج اليه زياد القرشي مولى حيّان النبطي في العسكر ، فهزمهم أسد وحاصرهم حتى سألوا الامان ، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني

وسار إلى بلخ . وقد بايعوا سليمان بن عبد الله بن حازم ، فسار حتى قدمها . ثم سار منها إلى ترمذ ، والحرث محاصر لهما . واعجزه وصول المدد اليها فخرج إلى بلخ ، وخرج أهل ترمذ فهزموا الحرث وقتلوا أكثر أصحابه .

ثم سار أسد إلى سمرقند ومراً بحصن زمّ وبه أصحاب الحرث ، فبعث اليهم وقال انما نكرتم منا سوء السيرة ، ولم يبلغ ذلك النساء واستخلال الفروج ، ولا مظاهر المشركين على مثل سمرقند ، وأعطاه الامان على تسليم سمرقند . وهذّده ان قاتل بأنه لا يؤمنه أبداً . فخرج إلى الامان وسار معه إلى سمرقند فنزلهم على الامان . ثم رجع أسد إلى بلخ وسرح جديعاً الكرمانى إلى القلعة التي فيها ثقل الحرث وأصحابه في طخارستان ، فحاصرها وفتحها وقتل مقاتلتهم ومنهم بنو بزري من ثعلب أصحاب الحرث . وباع سبيهم في سوق بلخ ، وانتقض على الحرث أربعمائة وخمسون من أصحابه بالقلعة ، ورئيسهم جرير بن ميمون القاضي . فقال لهم الحرث ان كنتم مفارقى ولا بدّ فاطلبوا الأمان ، وان طلبتموه بعد رحيلي لا يعطونه لكم ، فأبوا الا إن ارتحل ، فبعثوا بالأمان فلم يجيبهم اليه . وسرح جديعة الكرمانى في ستة آلاف ، فحصرهم حتى نزلوا على حكمه . وحمل خمسين منهم إلى أسد فيهم ابن ميمون القاضي . فقتلهم وكتب إلى الكرمانى باهلاك الباقيين ، واتخذ أسد مدينة بلخ داراً ، ونقل اليها الدواوين . ثم غزا طخارستان وأرض جبونة

فغمم وسبى .

مقتل خاقان

ولما كانت سنة تسع عشرة غزا أسد بن عبد الله بلاد الختل ، فافتتح منها قلاعاً وامتلات أيدي العسكر من السبي والشاء . وكتب ابن السائجي صاحب البلاد يستجيش خاقان على العرب ويضعفهم له ، فتجهز وخفف من الأزودة استعجالاً للعرب . فلما أحس به ابن السائجي بعث بالنذير إلى أسد فلم يصدق ، فأعاد عليه اني الذي استمددت خاقان لانك معرت^(١) البلاد . ولا أريد أن يظفر بك خشية من معاداة العرب ، واستطالة خاقان علي ، فصدقه حينئذ أسد وبعث الاثقال مع ابراهيم بن عاصم العقيلي ، الذي كان ولي سجستان ، وبعث معه المشيخة كثير بن أمية ، وأبا سفيان بن كثير الخزاعي ، وفضيل بن حيان المهري وغيرهم ، وأمدّهما بجند آخر . وجاء في أثرهم فأنتهى إلى نهر بلخ ، وقد قطعه ابراهيم بن عاصم بالسبي والاثقال ، فخاض النهر من ثلاثة وعشرين موضعاً ، وحمل الناس شياهم حتى حمل هو شاة ، فما استكمل العبور حتى طلعت عليهم الترك وعلى المسلحة الازد وتميم . فحمل خاقان عليهم فانكشفوا ، فرجع أسد إلى عسكره وخندق . وظنوا أن خاقان لا يقطع النهر ، فقطع النهر اليهم ، وقاتله المسلمون في معسكرهم ، وباتوا وترك محيطون بهم . فلما أصبحوا

(١) مع الرجل : افتقر وفي زاده .

لم يروا منهم أحداً فعلموا أنهم اتبعوا الاثقال والسبي ، واستعلموا علمها من الطلائع ، فشاور أسدُ الناس فأشاروا بالمقام ، وأشار نصرُ بن سيار باتباعهم يخلص الاثقال ويقطع شقة لا بد من قطعها ، فوافقه أسدُ وطيرَ النذير إلى ابراهيم بن عاصم ، وصبح خاقان للاثقال وقد خندقوا عليهم . فأمر أهل الصغد بقتلهم ، فهزمتهم مسلحة المسلمين فصعد على تل حتى رأى المسلمين من خلفهم .

وأمر الترك أن يأتوهم من هنالك ، ففعلوا وخالطوهم في معسكرهم ، وقتلوا صاغان خذاه وأصحابه ، وأحسوا بالهلاك . وإذا بالغبار قد رهج والترك يتنحون قليلاً قليلاً . وجاء أسد ووقف على التل الذي كان عليه خاقان . وخرج اليه بقية الناس ، وجاءته امرأة صاغان خذاه معولة ، فأعول معها ، ومضى خاقان يقود أسرى المسلمين في الآفاق ويسوق الابل الموقورة والجواري . وأراد أهل العسكر قتالهم ، فمنعهم أسد . ونادى رجل من عسكر خاقان وهو من أصحاب الحرث بن شريح يُعيرُ أسداً ويحرّضه ويقول : قد كان لك عن الختل مندوحة ، وهي أرض آبائي وأجدادي ، قد كان ما رأيت ، ولعل الله ينتقم منك .

ومضى أسدُ إلى بلخ فعسكر في مرجها حتى جاء الشتاء ، فدخل البلد وشتى فيها . وكان الحرث بن شريح بناحية طخارستان ، فانضم إلى خاقان وأغراه بغزو خراسان ، وزحفوا إلى بلخ . وخرج أسدُ يوم الأضحى ، فخطب الناس وعرفهم بأن الحرث بن شريح استجلب

الطاغية ليطفيء نور الله ويبدل دينهم ، وحرّضهم على الاستنصار بالله . وقال أقرب ما يكون العبد لله ساجداً . ثم سجد وسجد الناس وأخلصوا الدعاء ، وخرج للقائهم وقد استمدّ خاقان من وراء النهر ، وأهل طخارستان وحبونة في ثلاثين ألفاً ، وجاء الخبر إلى أسد وأشار بعض الناس بالتحصن منهم بمدينة بلخ واستمدّ خالد وهشام وأبي الاسد الا اللقاء ، فخرج واستخلف على بلخ الكرمانى ابن علي . وعهد اليه انه لا يدع أحداً يخرج من المدينة . واعتزم نصر بن سيار والقاسم بن نجيب وغيرهم على الخروج ، فأذن لهم وصلى بالناس ركعتين وطول . ثم دعا وأمر الناس بالدعاء ، ونزل من وراء القنطرة ينتظر من تخلف . ثم بدا له وارتحل ، فلقي طليعة خاقان وأسر قائدهم . وسار حتى نزل على فرسخين من الجوزجان . ثم أصبحوا وقد تراءى الجمعان ، وأنزل أسد الناس ثم تهيأ للحرب ومعه الجوزجان اه .

وحملت الترك على الميسرة فانهمزوا إلى رواق أسد ، فشدت عليهم الاسد وبنو تميم والجوزجان من الميمنة ، فانكشفوا إلى خاقان وقد انهزم والحرث معه . وأتبعهم الناس ثلاثة فراسخ يقتلونهم . واستاقوا مائة وخمسين ألفاً من الشاء ودواب كثيرة . وسلك خاقان غير الجادة والحرث بن شريح ^(١) ولقيهم أسد عند الطريق .

(١) هنا يبايض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٢٨ : «واخذ خاقان طريقاً في الجبل والحرث يحميه وسار منهزماً» .

وسلك الجوزجان بعثمان بن عبد الله بن الشخير طريقاً يعرفها ، حتى نزلوا على خاقان وهو آمن ، فتركوا الابنية والقصور تغلي ، وبناء العرب والموالي والعسكر مشحون من آنية الفضة ، وركب خاقان والحرث يمانع عنه . وأعجلوا امرأة خاقان عن الركوب فقتلها الخَصِيّ الموكل بها . وبعث أسد بجوار الترك دهاقين خراسان يفادون بها أسراهم ، وأقام خمسة أيام وانصرف إلى بلخ لتاسعة من خروجه . ونزل الجوزجان وخاقان هارب أمامه .

وانتهى خاقان إلى جَوْنَةَ الطَّخَارِيّ فنزل عليه ، وانصرف أسد إلى بَلَخَ ، وأقام خاقان عند جونة حتى أصلح آله وسار وسببها . فأخذه جَدُّ كَاوُشُ أَبُو فَشَيْنَ فَأَهْدَى إِلَيْهِ وَأَتَحَفَهُ وَحَمَلَ أَصْحَابَهُ ، يتخذ بذلك عنده يداً . ثم وصل خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند ، وحمل الحرث وابن شريح وأصحابه على خمسة آلاف برذون ، ولعب خاقان بالنرد كُورْضُولَ يوماً ، فغمزه كورضول فأنف وتشاجر ، فصك كورضول يد خاقان ، فحلف خاقان ليكسر يده فتنحى وجمع .

ثم بيّت خاقان فقتله ، واقترب الترك وحملوه وتركوه بالعراء ، فحمله بعض عظمائهم ودفنه . وكان أسد بعث بالفتح من بلخ إلى خالد بن عبد الله ، فأخبره وبعث به إلى هشام فلم يصدقه ، ثم بعده القاسم بن نجيب بقتل خاقان ، فبعث قَيْسُ أَسَدًا وَخَالِدًا وَقَالُوا لهشام : استقدم مُقَاتِلَ بْنَ حَيَّانَ . فكتب بذلك إلى خالد ، فأرسل

الى أسد أن يبعث به فقدم على هشام والأبرش وزيره جالس عنده ،
فقص عليه الخبر فسرّ بذلك وقال لمقاتل : ما حاجتك ؟ قال يزيد
ابن المهلب أخذ من حيان أبي مائة ألف درهم بغير حق ، فأمر
بردّها عليّ . فاستخلفه وكتب له بردها ، وقسمها مقاتل بين ورثة
حيان .

ثم غزا أسد الختل بعد مقتل خاقان ، وقدم مُصْعَبُ بن عُمرَ
الخُزَاعِيّ اليها فسار الى حصن بدر طرخان ، فاستأمن له أن يلقي
أسداً فأمنه ، وبعث الى أسد فسأل أن يقبل منه ألف درهم ،
وراوده على ذلك ، فأبى أسد وردّه الى مصعب ليردّه الى حصنه
فقال له مسلمة بن أبي عبد الله : - وهو من الموالي - إن أمير
المؤمنين سيندم على حبسه . ثم أقبل أسد بالناس ووعد له المجشّر
ابن مزاحم بدر طرخان أو قبول ما عرض ، فندم أسد وأرسل
الى مصعب يسأل عنه ، فوجده مقيماً عند مسلمة ، فجيء به وقطعت
يده . ثم أمر رجلاً من الأسد كان بدر طرخان قتل أباه ، فضرب
عنقه وغلب على القلعة ، وبعث العساكر في بلاد الختل ، فامتلات
أيديهم من الغنائم والسبيّ وامتنع ولد بدر طرخان وأمواله في قلعة فوق
بلدهم صغيرة فلم يوصل اليهم .

وفاته

وفي ربيع الأول سنة عشرين توفي ابن عبد الله القسريّ بمدينة
بَلَخَ ، واستخلف جعفر بن حَنْظَلَةَ النَهْرَوَانِي ، فعمل أربعة أشهر ثم

جاء عهد نصر بن سيار بالعمل في رجب .

ولاية يوسف بن عمر الثقفي على العراق وعزل خالد

وفي هذه السنة عزل هشام خالدًا من أعماله جميعها بسعاية أبي المثنى وحسان النبطي ، وكانا يتوليان ضياع هشام بالعراق ، فثقل على خالد ، وأمر الأشدق بالنهوض على الضياع . وأنهى ذلك حسان بعد أبي المثنى ، وأن غلته في السنة ثلاثة عشر ألف ألف ، فوقرت في نفس هشام . وأشار عليه بلال بن أبي بردة والعريان بن الهيثم أن يعرض أملاكه على هشام ، ويضمنون له الرضا فلم يجبههم . ثم شكّا من خالد بعض آل عمر والأشدق بأنّه أغلظ له في القول بمجلسه ، فكتب اليه هشام يوبخه ويأمره بأن يمشي ساعياً على قدميه الى بابه ويترضاه .

ونميت عنه من هذا أقوال كثيرة ، وأنه يستقل ولاية العراق فكتب اليه هشام يا ابن ام خالد ! بلغني أنك تقول ما ولاية العراق لي بشرف ، يا ابن اللخناء ! كيف لا تكون امرة العراق لك شرفاً وأنت من بَجِيلَةِ القليلة الدليلة ؟ أما والله اني لاظن أن أول من يأتيك صقر من قريش يشدّ يديك الى عنقك . ثم كتب الى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن ، يأمره أن يقدم في ثلاثين من أصحابه الى العراق فقد ولاه ذلك . فسار الى الكوفة ونزل قريباً منها ، وقد ختن طارق ، خليفة خالد بالكوفة ، ولده ، وأهدى اليه وصيفاً ووصيفة سوى الأموال والثياب .

ومرّ يوسف وأصحابه ببعض أهل العراق فسألوهم فعرضوا وظنّوهم خوارج ، وركب يوسف الى دور ثقيف فكتّموا ، ثم جمع يوسف بالمسجد من كان هنالك من مُضَرّ ، ودخل مع الفجر فصلى ، وأرسل الى خالد وطارق فأخذهما . وقيل إن خالدًا كان بواسط ، وكتب اليه بالخبر بعض أصحابه من دمشق ، فركب الى خالد وأخبره بالخبر وقال : اركب الى أمير المؤمنين واعتذر اليه ، قال لا أفعل بغير إذن ، قال فترسلني استأذنه ؟ قال لا ! قال فاضمن له جميع ما انكسر في هذه السنين وآتيك بعهدده وهي مائة ألف ألف . قال : والله ما أجد عشرة آلاف ألف . قال أتحملها أنا وفلان وفلان ، قال لا أعطي شيئاً وأعود فيه . فقال طارق : انما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا ، ونستبقي الدنيا وتبقى الدنيا عليك وعلينا خير من أن يجيء من يطالبنا بالأموال وهي عند الكوفة ، فنقتل ويأكلوا الأموال . فأبى خالد من ذلك كله ، فودعه طارق ومضى وبكى ورجع الى الكوفة .

وخرج خالد الى الحِمْيَر ، وجاء كتاب هشام بخطه الى يوسف بولاية العراق ، وأن يأخذ ابن النصرانية يعني خالدًا وعماله فيعذبهم فأخذ الاولاد وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنه الصلت . وقدم في جمادى الاخيرة سنة عشرين ومائة ، فنزل النجف وأرسل مولى كيسان فجاء بطارق ولقيه بالحيرة ، فضربه ضرباً مُبرِّحاً ودخل الكوفة . وبعث عثمان عطاء بن مُقَدِّم الى خالد بالحمّة ، فقدم عليه

وحبسه ، وصالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابه على سبعة آلاف ألف .
وقبل أخذ منه مائة ألف وكانت ولايته العراق خمس عشرة سنة .
ولما ولي يوسف نزلت الذلّة بالعراق في العرب ، وصار الحكم فيه
الى أهل الذمة .

ولاية نصر بن سيار خراسان وغزوه وصلح الصغد

ولما مات أسد بن عبد الله ولي هشام على خراسان نصر بن سيار ،
وبعث اليه على عهده عبد الكريم بن سليط الحنفي ، وقد كان
جعفر بن حنظلة لما استخلفه أسد عند موته ، عرض على نصر أن
يوليه بخارى . فقال له البُخترِيُّ بن مُجَاهِدٍ مولى بني شيبان لا تقبل !
فانك شيخ مُضَرَّ بخراسان ، وكان عهدك قد جاء على خراسان كلها
فكان كذلك . ولما ولي نصر استعمل على بلخ مُسْلِمَ بن عبد
الرحمن ، وعلى مَرُو الروذ وشاح بن بكير بن وشاح ، وعلى هَراة
الحِثَّ بن عبد الله بن الحَشْرَج ، وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن
القِسْري وعلى خَوَارَزْمَ أبا حَفْصِ علي بن حَقْنَةَ ، وعلى الصُّغْدِ قَطْنَ
ابن قُتَيْبَةَ . وبقي أربع سنين لا يستعمل في خراسان الا مُضَرِيًّا ،
فعمرت عمارة لم تعمر مثلها ، وأحسن الولاية والجباية .

وكان وصول العهد اليه بالولاية في رجب سنة عشرين فغزا
غزوات أولها الى ما وراء النهر من نحو باب الحديد . وسار اليها
من بلخ ، ورجع الى مَرُو ، فوضع الجزية على من أسلم من أهل
الذمة ، وجعلها على من كان يخفف عنه منهم . وانتهى عددهم

ثلاثين ألفاً من الصنفين ، وضعت عن هؤلاء وجعلت على هؤلاء
ثم غزا الثانية الى سمرقند ، ثم الثالثة الى الشاش سار اليها من
مرو ، ومعه ملك بخارى وأهل سَمَرْقَنْدَ وَكَشَّ وَنَسَفَ في عشرين
ألفاً .

وجاء الى نهر الشاش فحال بينه وبين عبوره كورصول عسكر
نصر في ليلة ظلماء ، ونادى نصر لا يخرج أحد . وخرج عاصم بن
عُمَيْر في جند سمرقند ، فجاولته خيل الترك ليلاً وفيهم كورصول ،
فأسره عاصم وجاء به الى نصر فقتله وصلبه على شاطئ النهر ،
فحزنت الترك لقتله وأحرقوا ابنيته وقطعوا آذانهم وشعورهم وأذنان
خيولهم . وأمر نصر باحراق عظامه لئلا يحملوها بعد رجوعه . ثم
سار الى فَرُغَانَةَ فسبى منها ألف رأس ، وكتب اليه يوسف بن
عِمْرَانَ ليسير الى الحرث بن شُرَيْح في الشاش ويخرب بلادهم ويسببهم .
فسار لذلك وجعل على مقدمته يحيى بن حُصَيْن ، وجاء بهم الى الحرث
وقاتلهم ، وقتل عظيمًا من عظماء الترك ، وانهزموا .

وجاء ملك الشاش في الصلح والهدنة والرهن . واشترط نصر
عليه اخراج الحرث بن شريح من بلده فأخرجه الى فاراب . واستعمل
على الشاش بَنْزِلَ بن صالح مولى عمرو بن العاص . ثم سار الى أرض
فرغانة وبعث أمه في اتمام الصلح ، فجاءت لذلك وأكرمها نصر وعقد
لها ورجعت . وكان الصغد لما قتل خاقان طمعوا في الرجعة الى
بلادهم ، فلما ولي نصر بعث اليهم في ذلك وأعطوه ما سألوه من

الشروط ، وكان أهل خراسان قد نكروا شروطهم ، وكان منها أن لا يعاقب من ارتدّ عن الاسلام اليهم ، ولا يؤخذ منهم اسرى الا ببينة وحكم ، وعاب الناس ذلك على نصر لما أمضاه لهم . فقال : لو عاينتم شكوتهم في المسلمين مثل ما عاينت ما أنكرتم . وأرسل الى هشام في ذلك فأمضاه وذلك سنة ثلاث وعشرين .

ظهر زيد بن علي ومقتله

ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجاً على هشام داعياً للكتاب والسنة ، والى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المجرومين ، والعدل في قسمة الفبيء وردّ المظالم وأفعال الخير ونصر أهل البيت . واختلف في سبب خروجه فقيل : ان يوسف بن عمر لما كتب في خالد القسري كتب الى هشام انه شيعة لأهل البيت ، وانه ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، وردّ عليه الامن . وانه أودع زيداً وأصحابه الوافدين عليه مثلاً ، فكان زيد قد قدم على خالد بالعراق هو ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وداود بن علي ابن عبدالله بن عباس ، فأجازهم ورجعوا الى المدينة . فبعث هشام عنهم وسألهم فأقرّوا بالجائزة . وحلفوا على ما سوى ذلك . وان خالداً لم يودعهم شيئاً . فصدقهم هشام وبعثهم الى يوسف ، فقاتلوا خالداً وصدقهم الآخر . وعادوا الى المدينة ونزلوا القادسية .

وراسل أهل الكوفة زيداً فعاد اليهم . وقيل في سبب ذلك : ان زيداً اختصم مع ابن عمه جعفر ابن الحسن المثنى في وقف عليّ ،

وكانا يحضران عند عامل خالد بن عبد الملك بن الحرث . فوقعت . بينهما في مجلسه مشاتمة ، وأنكر زيد من خالد اطالته للخصومة وأن يستمع لمثل هذا فأغلظ له زيد وسار الى هشام فحجبه ، ثم أذن له بعد حين . فحاوره طويلاً ثم عرض له بأنه ينكر الخلاف وتنقصه . ثم قال له اخرج ، قال نعم ثم لا أكون الا بحيث تكره ، فسار الى الكوفة . وقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ناشدتك الله الحق بأهلك ولا تأت الكوفة ، وذكره بفعلهم مع جدّه ، وجدّه يستعظم ما وقع به .

وأقبل الكوفة فأقام بها مستخفياً ينتقل في المنازل . واختلف اليه الشيعة وبايعه جماعة : منهم مَسْلَمَةُ بن كَهِيل ونصر بن خُزَيْمَةَ العَبْسِي ومعاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وناس من وجوه أهل الكوفة يذكر لهم دعوته ، ثم يقول اتبايعون علي ذلك ؟ فيقولون نعم فيضع يده على أيديهم ويقول عهد الله عليك وميثاقه وذمته وذمة نبيه بيقين تتبغني ولا تقاثلني مع عدوي ولتنصحنّ لي في السر والعلانية . فاذا قال نعم وضع يده على يده ثم قال : اللهم اشهد! فبايعه خمسة عشر ألفاً ، وقيل أربعون . وأمرهم بالاستعداد وشاع أمره في الناس ، وقيل : انه أقام في الكوفة ظاهراً ومعه داود بن علي بن عبد الله بن عباس لما جاؤا لمقاتلة خالد ، فاختلف اليه الشيعة ، وكانت البيعة . وبلغ الخبر الى يوسف ابن عمر فأخرجهم من الكوفة ، ولحق الشيعة بالقادسية أو الغليبة

وعذله داود بن علي في الرجوع معه ، وذكره حال جسدّه الحسين .
فقال الشيعه لزيد : هذا انما يريد الامر لنفسه ولأهل بيته ، فرجع
معه ، ومضى داود الى المدينة .

ولما أتى الكوفة جاءه مسلمة بن كهيل فصدّه عن ذلك ، وقال
أهل الكوفة لا يعولون ذلك . وقد كان مع جدك منهم أضعاف ممّا
معك ولم تغادله ، وكان أعز عليهم منك على هؤلاء . فقال له قد
بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وعنقهم . قال فتأذن لي أن أخرج
من هذا البلد ؟ فلا آمن أن يحدث حدث وأنا لا أهلك نفسي ، فخرج
لليمامة . وكتب عبدالله بن الحسن المثنى الى زيد يعذله ويصدّه ،
فلم يصغ اليه . وتزوّج نساء بالكوفة وكان يختلف اليهنّ ، والناس
يبايعونه ، ثم أمر أصحابه يتجهزون .

ونمي الخبر الى يوسف بن عمر فطلبه ، وخاف فتعجل الخروج
وكان يوسف بالحيرة ، وعلى الكوفة الحَكَمُ بن الصلت وعلى شرطته
عمر بن عبد الرحمن من القاهرة ، ومعه عبيد الله بن عباس الكندي
في ناس من أهل الشام . ولما علم الشيعة أن يوسف يبحث عن زيد
جاء اليه جماعة منهم فقالوا : ما تقول في الشيخين ؟ فقال زيد :
رحمهما الله وغفر لهما ، وما سمعت أهل بيتي يذكرهما الا بخير .
وغاية ما أقول اننا كنا أحقّ بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الناس فدفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك الكفر ، وقد عدلوا في الناس
وعملوا بالكتاب والسنة . قال : فاذا كان اولئك لم يظلموك

فلم تدعو الى قتالهم ؟ فقال ان هؤلاء ظلموا المسلمين أجمعين ، فانا ندعوهم الى الكتاب والسنة ، وأن نحبي السنن ونطفىء البدع ، فان أجبتهم سعدتم وان أبيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا : سبق الامام الحق يعنون محمداً الباقر ، وان جعفر ابنه امامنا بعده ، فسماهم زيد الرافضة ، ويقال انما سماهم الرافضة حيث فارقوه .

ثم بعث يوسف بن عمر الى الحكم بأن يجمع أهل الكوفة في المسجد ، فجمعوا وطلبوا زيدا في دار معاوية بن اسحق بن زيد ابن حارثة ، فخرج منها ليلاً واجتمع اليه ناس من الشيعة ، وأشعلوا النيران ونادوا يا منصور حتى طلع الفجر ، وأصبح جعفر بن أبي العباس الكندي فلقي اثنين من أصحاب زيد يناديان بشعاره ، فقتل واحداً وأتى بالآخر الى الحكم فقتله ، وأغلق أبواب المسجد على الناس . وبعث الى يوسف بالخبر ، فسار من الحيرة وقدم الرِّيَافُ ابن سلمة الأرائني في ألفين خيالة وثلثمائة ماشية . وافتقد زيد الناس فقبل انهم في الجامع محصورون ، ولم يجد معه الا مائتين وعشرين . وخرج صاحب الشرطة في خيله ، فلقي نصر بن خزيمة العبسي من أصحاب زيد ذاهباً اليه ، فحمل عليه نصر وأصحابه فقتلوه ، وحمل زيد على أهل الشام فهزمهم . وانتهى الى دار أنس بن عُمَر الأسدي من بايعه وناداه فلم يخرج اليه .

ثم سار زيد الى الكناسة فحمل على أهل الشام فهزمهم ، ثم

دخل الكوفة والرايات في اتباعه . فلما رأى زيد خذلان الناس قال لنصر بن خزيمة افعلتموها حسينية ؟ قال : أما أنا فوالله لأموتن معك وإنَّ الناس بالمسجد ، فامض بنا اليهم . فجاء الى المسجد ينادي بالناس بالخروج اليه . فرماه أهل الشام بالحجارة من فوق المسجد ، فانصرفوا عند المساء . وأرسل يوسف بن عمر من الغد العباس بن سعد المزني في أهل الشام ، فجاءه في دار الزرق ، وقد كان أوى إليها عند المساء . فلقى زيد بن ثابت فاقتتلوا فقتل نصر . ثم حملوا على أصحاب العباس ، فهزمهم زيد وأصحابه ، وعباهم يوسف بن عمر من العشي ثم سرحهم ، فكشفهم أصحاب زيد ولم تثبت خيلهم لخيله .

وبعث اليهم يوسف بن عمر بالقادسية ، واشتد القتال وقتل معاوية بن زيد . ثم رُمي زيد عند المساء بسهم أثبته ، فرجع أصحابه وأهل الشام يظنون أنهم تحاجزوا ، ولما نزع النصل من جبهته مات فدفنوه وأجروا عليه الماء . وأصبح الحَكَمُ يوم الجمعة يتبع الجرحى من الدور ، ودله بعض الموالي على قبر زيد فاستخرجه وقطع رأسه وبعث بها الى يوسف بالحيرة ، فبعثه الى هشام فنصبه على باب دمشق . وأمر يوسف الحكم أن يصلب زيداً بالكناسة ، ونصر بن خزيمة ومعاوية بن اسحق ويحرسهم . فلما ولي الوليد أمر باحراقهم ، واستجار يحيى بن زيد بعبد الملك بن شبر بن مروان فأجاره حتى سكن المطلب ، ثم سار الى خراسان في نفر من الزيدية .

ظهور أبي مسلم بالدعوة العباسية

كان أهل الدعوة العباسية بخراسان يكتُمون أمرهم منذ بعث مُحَمَّد بن عَلِيّ بن عبد الله بن عَبَّاس دعاته الى الآفاق سنة مائة من الهجرة ، أيام عمر بن عبد العزيز ، لما مرَّ أبو هاشم عبد الله ابن محمد ابن الحَنْفِيَّة ذاهباً وجائياً من الشام من عند سليمان بن عبد الملك ، فمرض عنده بالحُمِيَّة من أعمال البلقاء ، وهلك هنالك وأوصى له بالأمر . وكان أبو هاشم قد علم شيعة بالعراق وخراسان وأنَّ الأمر صائر في وَلَدِ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمداً وبايعوه سرّاً ، وبعث دعاته منهم إلى آفاق . وكان الذي بعث إلى العراق مَسِيرَةَ بن والي خراسان محمد بن حبّيش ، وأما عِكْرَمَةَ السراج ، وهو أبو محمد الصادق وحيان العطار خال ابراهيم بن سَلَمَةَ فجاءوا الى خراسان ودعوا اليه سرّاً وأجابهم الناس ، وجاءوا بكتب من أجاب الى مسيرة اه .

فبعث بها الى محمد ، واختار ابو محمد الصادق اثني عشر رجلاً من أهل الدعوة فجعلهم نقباء عليهم وهم : سُلَيْمَانُ بن كُثَيْر الخزاعي ، ولاهْزُ بن قُرَيْطِ التميمي ، وأبو النَجْمِ عِمْرَانُ بن اسماعيل مولى أَبِي مَعِيْط ، ومالك بن الهَيْثَمِ الخزاعي ، وطلحة بن زريق الخزاعي ، وأبو حمزة بن عُمَرَ بن أَعْيُن مولى خُرَاعَةَ وأخوه عيسى ، وأبو علي شِبْلَةَ بن طُهْمَانَ الهَرَوِي مولى بني حنيفة . واختار بعده سبعين

رجلاً ، وكتب اليه محمد بن علي كتاباً يكون لهم مثلاً يقتدون به في الدعوة ، وأقاموا على ذلك . ثم بعث مسيرة رُسله من العراق سنة اثنتين ومائة في ولاية سعيد خُدَيْنَةَ ، وخلافة يزيد بن عبد الملك . وسعى بهم الى سعيد فقالوا نحن تجار ، فضمنهم قوم من ربيعة واليمن فأطلقهم .

وولد محمد ابنه عبد الله السفاح سنة أربع ومائة ، وجاء اليه أبو محمد الصادق في جماعة من دعاة خراسان ، فأخرجه لهم ابن خمسة عشر يوماً وقال هذا صاحبكم الذي يتم الأمر على يده ، فقبلوا أطرافه وانصرفوا . ثم دخل معهم في الدعوة بكير بن همام جاء من السند مع الجُنَيْدِ بن عبا الرحمن . فلما عُزِلَ قدم الكوفة وَلَقِيَ أَبَا عَكْرَمَةَ وَأَبَا مُحَمَّدَ الصَّادِقَ وَمُحَمَّدَ بْنَ حُجَيْشٍ وَعَمَّارَ الْعَبَّادِي خَالَ الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِ ، دعاه الى خراسان في ولاية أَسَدِ الْقَسْرِيِّ أَيَّامَ هِشَامٍ وَوَشَى بِهِمْ إِلَيْهِ ، فَقَطَعَ أَيْدِي مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ وَصَلَبَهُ .

وَأَقْبَلَ عَمَّارُ إِلَى بَكِيرِ بْنِ هَمَّانَ فَأَخْبَرَهُ ، فَكَتَبَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بِذَلِكَ فَأَجَابَهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَ دَعْوَتَكُمْ وَمَقَالَتَكُمْ ، وَقَدْ بَقِيتَ فِيكُمْ قَتْلِي سَتَعِدُ . ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدَّمَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ إِلَى خُرَاسَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ زِيَادُ مَوْلَى هَمَّانَ ، بَعَثَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ سَنَةَ تِسْعَةٍ فِي وَلايَةِ أَسَدِ أَيَّامِ هِشَامٍ وَقَالَ لَهُ : انْزِلْ فِي الْيَمَنِ وَتَلَطَّفْ لِمُضَرٍّ وَنَهَاهُ عَنْ غَالِبِ النِّسَابُورِيِّ شَيْعَةِ بَنِي فَاطِمَةَ . فَشَتَى زِيَادَ بِمَرُوءِهِ ، ثُمَّ سَعَى بِهِ إِلَى أَسَدٍ فَاعْتَذَرَ بِالتَّجَارَةِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى

أمره . فأحضره أسد وقتله في عشرة من أهل الكوفة . ثم جاء بعدهم الى خراسان رجل من أهل الكوفة اسمه كُثَيِّر ، ونزل على ابي الشحم وأقام يدعو سنتين أو ثلاثة ، ثم أخذ أسد بن عبد الله في ولايته الثانية سنة سبع عشرة . أخذ سليمان بن كثير ، ومالك ابن الهيثم ، وموسى بن كعب . ولاهز بن قريط بثلاثمائة سوط ، وشهد حسن بن زيد الأسدي ببراءتهم فأطلقهم .

ثم بعث بكير بن همام سنة ثمانى عشر عمار بن زيد على شيعتهم بخراسان . فنزل مرو وتسمى بخراش ، وأطاعه الناس . ثم نزل دعوتهم بدعوة الخرمية ، فأباح النساء وقال : إن الصوم إنما هو عن ذكر الإمام ، وأشار الى اخفاء اسمه . والصلاة الدعاء له ، والحج القصد اليه . وكان خراش هذا نصرانياً بالكوفة ، واتبعه على مقالته مالك بن الهيثم والحريش بن سليم . وظهر أسد على خبره ، وبلغ الخبر بذلك الى محمد بن علي فنكر عليهم قبولهم من خراش ، وقطع مراسلتهم . فقدم عليه ابن كثير منهم يستعلم خبره ويستعطفه على ما وقع منهم ، وكتب معه اليهم كتاباً مختوماً لم يجدوا فيه غير البسملة ، فعلموا مخالفة خراش لأمره وعظم عليهم . ثم بعث محمد بن بكير بن أبان ، وكتب معه بكذب خراش فلم يصدقوه ، فجاء الى محمد وبعث معه عصياً مُضَبَّبةً بعضها بالحديد وبعضها بالنحاس . ودفع الى كل رجل عصا فعلموا انهم قد خالفوا السيرة فتابوا ورجعوا .

وتوفي محمد بن علي سنة أربع وعشرين ، وعهد الى ابنه ابراهيم بالأمر وأوصى الدعاة بذلك ، وكانوا يسمونه الامام . وجاء بكير بن هامان الى خراسان بنعيه ، والدعاء لابراهيم الامام سنة ست وعشرين ومائة . ونزل مرو ودفع الى الشيعة والنقباء كتابه بالوصية والسيرة فقبلوه ، ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من نفقاتهم ، فقدم بها بكير على ابراهيم .

ثم بعث اليهم أبا مسلم سنة أربع وعشرين وقد اختلف في أوليته اختلافاً كثيراً . وفي سبب اتصاله بابراهيم الامام أو أبيه محمد ، فقيل كان من وَلَدِ بَزْرَجَمَهَر ، ولد باصبهان وأوصى به أبوه الى عيسى بن موسى السراج ، فحملة الى الكوفة ابن سبع سنين . ونشأ بها واتصل بابراهيم الامام . وكان اسم أبي مسلم ابراهيم بن عُثْمَانَ ابن بَشَّار . فسماه ابراهيم الامام عبد الرحمن وزوجة أبيه أبي النجم عمران بن اسماعيل من الشيعة . فبنى بها بخراسان ، وزوج ابنته من مِحْرَز بن ابراهيم فلم يعقب . وابنته اسماء من فهم بن محرز ، فأعقبت فاطمة ، وهي التي يذكرها الخرمية .

وقيل في اتصاله بابراهيم الامام : ان أبا مسلم كان مع موسى السراج ، وتعلم منه صناعة السروج ، وكان يتجهز فيها باصبهان والجبال والجزيرة والموصل . واتصل بعاصم بن يونس العجلي صاحب عيسى السراج ، وابن أخيه عيسى وادريس ابني معقل ، وادريس هو جد أبي دكف . ونمي الى يوسف بن عمران العجلي من دعاة

بني العباس ، فحبسهم مع عمال خالد القسري . وكان أبو مسلم معهم في السجن بخدمتهم وقبل منهم الدعوة . وقيل لم يتصل بهم من عيسى السراج ، وإنما كان من ضياع بني العجلي بأصبهان أو الجبل . وتوجه سليمان بن كُثَيِّر ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريط ، وقحطبة ابن شبيب من خراسان ، يريدون ابراهيم الامام بمكة ، فمروا بعاصم ابن يونس وعيسى وادريس ابني معقل العجلي بمكانهم من الحبس فرأوا معهم أبا مسلم فأعجبهم وأخذوه . ولقوا ابراهيم الامام بمكة فأعجبه فأخذه وكان يخدمه . ثم قدم النقباء بعد ذلك على ابراهيم الامام يطلبون أن يوجه من قبله الى خراسان ، فبعث معه أبا مسلم . فلما تمكن ونوى أمره ادعى أنه من ولد سليط بن عبدالله بن عباس .

وكان من أولية هذا الخبر أن جارية لعبد الله بن العباس ولدت لغير رَشْدَةٍ^(١) فحدها واستعبد وليدها وسماه سليطاً ، فنشأ واختص بالوليد . وادّعى أن عبد الله بن عباس أقرّ بأنه ابنه ، وأقام البينة على ذلك . وخاصم عليّ بن عبد الله في الميراث وأذاه . وكان في صحابته عُمَرُ الدَّنُّ من وُلْدِ أَبِي رافع مولى رسول الله صلى عليه وسلم ، ودخل عليها سليط بالخبر ، فاستعدت الوليد على علي فأنكر وحلف ، فنبشوا في البستان فوجدوه . فأمر الوليد بعلي فضرب

(١) الرشدة ضد الزنية ، يقال : ولد لرشدة أي شرعي ، وولد لغير رشدة : أي ابن زنى .

ليدله على عمر الدن . ثم شفع فيه عَبَّادُ بن زيَادٍ فَأُخْرِجَ الى الحُمَيْمَةِ . لما وَلِيَ سليمان رده الى دمشق . وقيل أَنَّ أَبَا مسلم كان عبداً للعجليين ، وابن بكير بن هامان كان كاتباً لعمال بعض السِّند . وقدم الكوفة فكان دعاة بني العباس فحبسوا وبكير معهم .

وكان العجليون في الحبس ، وأبو مسلم العباسي بن معقل ، فدعاهم بكير الى رأيه فَأَجَابُوهُ ، واستحسن الغلام فاشتراه من عيسى ابن معقل بأربعمائة درهم ، وبعث به الى ابراهيم الامام فدفعه ابراهيم الى موسى السَّرَّاج من الشيعة . فسمع منه وحفظ ، وصار يتردّد الى خراسان . وقيل كان لبعض أهل هَرَاة ، وابتناعه منه ابراهيم الامام ، ومكث عنده سنين ، وكان يتردّد بكتبه الى خُرَّاسَان . ثم بعثه أميراً على الشيعة وكتب اليهم بالطاعة له ، والى أَبِي سَلَمَةَ الْخَلَّال داعيهم بالكوفة يأمره بانفاذه الى خراسان . فنزل على سليمان بن كَثِيرٍ وكان من أمره ما يذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى .

ثم جاء سليمان بن كثير ، ولاهزُ بن قُرَيْطَ وَقَحْطَبَةُ الى مكة سنة سبع وعشرين ، بعشرين ألف دينار للامام ابراهيم ، ومائتي ألف درهم ومسك ومتاع كثير ، ومعهم أبو مسلم وقالوا : هذا مولاك . وكتب بكير بن هامان الى الامام بأنه أوصى بأمر الشيعة بعده لأبي سلمة حفص بن سليمان الْخَلَّال وهو رضى .

فكتب اليه ابراهيم بالقيام بأمر أصحابه . وكتب الى أهل خراسان بذلك فقبلوه وصدقوه ، وبعثوا بخمس أموالهم ونفقة الشيعة للامام ابراهيم .

ثم بعث ابراهيم في سنة ثمانى وعشرين مولاه أبا مسلم الى خراسان . وكتب له : اني قد أمرته بأمرى فاسمعوا له وأطيعوا . وقد أمرته على خراسان وما غلبت عليه . فارتابوا من قوله ووفدوا على ابراهيم الامام من قابل مكة . وذكر له أبو مسلم انهم لم يقبلوه . فقال لهم : قد عرضت عليكم الأمر فأبىتم من قبله . وكان عرضه على سليمان بن كثير . ثم على ابراهيم بن مسلمة فأبوا . واني قد أجمع رأيي على مسلم ، وهو منا أهل البيت فاسمعوا له وأطيعوا . وقال لأبي مسلم انزل في أهل اليمن وأكرمهم . فان بهم يتم الأمر وآتهم البيعة . وأما مضر فهم العدو الغريب ، واقتل من شككت فيه . وان قدرت ان لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل ، وارجع الى سليمان بن كثير واكتف به مني وسرّحه معهم فساروا الى خراسان .

وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد

توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . لعشرين سنة من خلافته ، ووُلّي بعده الوليد بن أخيه يزيد بعهد يزيد بذلك كما مرّ ، وكان الوليد متلاعباً ، وله مجون وشراب وندمان . وأراد هشام خلعه فلم يمكنه . وكان

يضرب من يأخذه في صحبته ، فخرج الوليد في ناس من خاصته ومواليه ، وخلف كاتبه عياض بن مسلم ليكاتبه بالأحوال ، فضربه هشام وحبسه . ولم يزل الوليد مقيماً بالبرية حتى مات هشام ، وجاءه مولى أبي محمد السُفْيَانِي على البريد بكتاب سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل بالخبر ، فسأل عن كاتبه عياض فقال : لم يزل محبوساً حتى مات هشام ، فأرسل الى الحرّاق أن يحتفظوا بما في أيديهم حتى منعوا هشاماً من شيء طلبه . ثم خرج بعد موته من الحبس ، وختم أبواب الخزائن . ثم كتب الوليد من وقته الى عمه العباس بن عبد الملك أن يأتي الرصافة فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده وعماله وخدمه ، الا مسلمة بن هشام فانه كان يراجع أباه بالرفق بالوليد ، فأنتهى العباس لما أمر به الوليد . ثم استعمل الوليد العمال وكتب الى الآفاق بأخذ البيعة ، فجاءته بيعتهم . وكتب مروان ببيعته واستأذن في القدوم . ثم عقد الوليد من سنته لابنيه : الحكم وعثمان بعده وجعلهما وليي عهده ، وكتب بذلك إلى العراق وخرسان .

ولاية نصر للوليد على خراسان

وكتب الوليد في سنته الى نصر بن سيار بولاية خراسان وأفرده بها ، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى منه نصراً وعماله ، فردّ اليه الوليد خراسان . وكتب يوسف الى نصر بالقدوم ، ويحمل معه الهدايا والأموال وعماله جميعاً وكتب له الوليد بأن

يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة ، ويجمع له البراذين الغرة^(١) ويجمع بذلك اليه في وجوه أهل خراسان ، واستحثه رسول يوسف فأجازه . ثم سار واستخلف على خراسان عِصْمَةَ بن عبد الله الأَسَدِيّ ، وعلى شاس موسى بن ورقاء ، وعلى سَمَرْقَنْدَ حَسَّانَ بن^(٢) من أهل الصغانيان ، وعلى آمَدَ مُقَاتِلَ بن علي الصُّغْدِيّ وأسر اليهم أن يداخلوا الترك في المسير الى خراسان ليرجع اليهم . وبينما هو في طريقه الى العراق ببيهق لقيه مولى لبني ليث ، وأخبره بقتل الوليد والفتنة بالشام . وأن منصور بن جُمهُورَ قدم العراق وهرب يوسف بن عُمَرَ فرجع بالناس .

مقتل يحيى بن زياد

كان يحيى بن زياد سار بعد قتل أبيه وسكون الطلب عنه كما مرّ فأقام عنه الحريش بن عمرو ومروان في بلخ . ولما ولي الوليد كتب الى نصر بأن يأخذه من عند الحُرَيْشِ ، فأحضر الحريش وطالبه بيحيى فأنكر ، فضربه ستمائة سوط ، فجاء ابنه قُرَيْشٌ ودله على يحيى فحبسه . وكتب الى الوليد فأمره أن يخلي سبيله وسبيل أصحابه . فأطلقه نصر وأمره أن يلحق بالوليد ، فسار وأقام بِسَرَخْسَ ، فكتب نصر الى عبد الله بن قيس بن عِيَادَ يخرججه عنها ،

(١) كذا وربما كانت القره جمع فاره . ويقال للبرفون والحمال والبغل : فاره إذا كان سيورا . أما كلمة «الغرة» كما هي في الأصل فلا تتناسب كثيرا مع المعنى .

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٥٩ «وحسان من أهل الصغانيان لسمرقند» . وفي الطبري ج ٨ ص ٢٩٩ ؛ «وحسان من أهل صغانيان الأسدي سمرقند» .

فأُخرجهُ الى بَيْهَقَ ، وخاف يحيى بن يوسف بن عُمرَ فسار الى نيسابور وبها عمر بن زُرَّارَة وكان مع يحيى سبعون رجلاً ، ولقوا دوابَّ وأدركهم الاعيَاءُ فَأَخَذُواها بالثمن . وكتب عمر بن زرارَة بذلك الى نصر ، فكتب اليه يأمره بحربهم . فحاربهم في عشرة آلاف فهزموه وقتلوه ، ومروا بهرَة فلم يعرضوا لها . وسرح نصر بن سيار مسلم بن أَحوز المازني اليهم ، فلحقهم بالجوزجان فقاتلهم قتالاً شديداً وأصيب يحيى بسهم في جبهته فمات . وقتل أصحابه جميعاً وبعثوا برأسه الى الوليد ، وصلب بالجوزان . وكتب الوليد الى يوسف بن عمر بأن يحرق شلوزيد ، فأحرقه وذراه في الفرات . ولم يزل يحيى مصلوباً بالجوزجان حتى استولى ابو مسلم على خراسان فدفنه ونظر في الديوان أسماء من حضر لقتله فمن كان حياً قتله ، ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء .

مقتل خالد بن عبد الله القسري

قد تقدّم لنا ولاية يوسف بن عمر على العراق ، وأنه حبس خالداً أصحابُ العراق وخراسان^(١) قبلكه ، فأقام بحبسه في الحيرة ثمانية عشر شهراً مع أخيه اسماعيل وابنه يزيد بن خالد والمنذر ابن أخيه أسد . واستأذن هشاماً في عذابه فأذن له على أنه ان هلك قتل يوسف به فعذبه . ثم أمر هشام باطلاقه سنة احدى وعشرين ، فأنى الى قرية بازاء الرصافة فأقام بها ، حتى خرج زيد وقتل وانقضى

(١) يظهر العبارة مبهمه وهي كذا في الأصل ولدى مراجعتنا لكتب التاريخ الأخرى يظهر أن أصحاب فاعل .

أمره ، فسعى يوسف بخالد عند هشام بأنّه الذي داخل زيداً ، في الخروج ، فردّ هشام سعائته ووبخ رسوله وقال : لسنا ننتهم خالداً في طاعة . وسار خالد إلى الصائفة ، وأنزل أهله دِمَشْقَ وعليها كلثومُ بن عِيَّاضِ القُشَيْرِي ، وكان يبغض خالداً .

فظهر في دمشق حريق في ليالٍ ، فكتب كلثوم إلى هشام بأنّ موالي خالد يريدون الوثوب إلى بيت المال ، ويتطرقون ^(١) إلى ذلك بالحريق كل ليلة في البلد . فكتب إليه هشام بحبس الكبير منهم والصغير والموالي ، فحبسهم ثم على صاحب الحريق وأصحابه . وكتب بهم الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج ، ولم يذكر فيهم أحداً من آل خالد ومواليه ، فكتب هشام إلى كلثوم يوبخه ويأمره بإطلاق آل خالد وترك الموالي . فشفع فيهم خالد عند مقدمه من الصائفة ، فلما قدم دخل منزله وأذن للناس فاجتمعوا ببابه فوبخهم وقال : ان هشاماً يسوقهنّ إلى الحبس كل يوم . ثم قال : خرجت غازياً سامعاً مطيعاً فحبس أهلي مع أهل الجرائم كما يفعل بالمشرّكين . ولم يغير ذلك أحد منكم ، أخفتم القتل ؟ أخافكم الله . والله ليكفنّ عني هشام ، أو لأعودنّ إلى عراقيّ الهوى ، شاميّ الدار ، حجازيّ الأصل ، يعني محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وبلغ ذلك هشاماً فقال : خرف أبو الهيثم . ثم تتابعت كتب يوسف بن عمر إلى الشام بطلب يزيد بن خالد ، فأرسل إلى كلثوم

(١) تطرق إلى الأمر: ابغى إليه طريقاً.

بانفاذه اليه ، فهرب يزيد فطلبه كلثوم من خالد وحبسه فيه ، فكتب اليه هشام بتخليته ووبخه اه .

ولما ولي الوليد بن يزيد استقدم خالداً وقال : أين ابنك ؟ قال هرب من هشام ، وكنا نراه عندك حتى استخلفك الله فلم نره ، وطلبناه ببلاد قومه من الشراة فقال : ولكن خلفته طلباً للفتنة فقال : إنا أهل بيت طاعة . فقال لتأتينني به أو لأرهنن نفسك . فقال والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه . فأمر الوليد بضربه . ولما قدم يوسف بن عمر من العراق بالأموال اشتراه من الوليد بخمسين ألف ألف . فقال له الوليد ان يوسف يشتريك بكذا فاضمنها لي قبل أن أدفعك اليه . فقال ما عهدت العرب تباع ، والله لو سألتني عوداً ما ضمنته . فدفعه إلى يوسف ، فألبسه عباءة وحمله على غير وطاء ، وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه . ثم حمله إلى الكوفة فاشتد في عذابه ، ثم قتله ودفنه في عباءة ، يقال انه قتله بشيء وضعه على وجهه ، وقيل وضع على رجله الأعواد وقام عليها الرجال حتى تكسرت قدماه . وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة .

مقتل الوليد وبيعة يزيد

ولما ولي الوليد لم يُقْلِعَ عما كان عليه من الهوى والمجون ، حتى نسب اليه في ذلك كثير من الشنائع . مثل رميه المصحف بالسهم ، حين استفتح فوقه على قوله : وخاب كل جبار عنيد.

وينشدون له في ذلك بيتين تركتهما لشناعة مغزاهما^(١) . ولقد ساءت القالة فيه كثيراً ، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : انها من شناعات الاعداء ، الصقوها به . قال المدائني دخل ابن الغمر بن يزيد على الرشيد فسأله : ممن أنت ؟ فقال : من قريش . قال : من أيها ؟ فوجم . فقال : قل وأنت آمين ولو أنك مروان . فقال : أنا ابن الغمر بن يزيد . فقال : رحم الله الوليد ولعن يزيد الناقص ، فانه قتل خليفةً مُجمِعاً عليه ، ارفع حوائجك فرفعها وقضاها .

وقال شبيب بن شبة كنا جلوساً عند المهدي فذكر الوليد ، فقال المهدي كان زنديقاً ، فقام ابن علانة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ان الله عز وجل أعَدل من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة زنديقاً ، لقد أخبرني عنه من كان يشهده في ملاعبه وشربه ، ويراه في طهارته وصلاته ، فكان إذا حضرت الصلاة ، يطرح الثياب التي عليه المصيبة^(٢) المصبغة . ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويؤتي بثياب بيض نظيفة فيلبسها ويشغل بربه . أترى هذا فعل من لا يؤمن بالله ؟ فقال المهدي : بارك الله عليك يا ابن علانة ، وانما كان الرجل محسوداً في خلاله ، ومزاحماً بكبار عشيرته بيته من بني عمومته مع لهو كان يُصاحِبُهُ أَوْجَدَ لهم به السبيل على نفسه .

وكان من خلاله قرض الشعر الوثيق ونظم الكلام البليغ .

(١) تهلدي بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل: يارب خزقني الوليد

(٢) المصيبة : المرأة التي أصبت . أي كان لها صبي . ولا معنى لها ولعلها زائلة .

قال يوماً لهشام يعزيه في مسلمة أخيه : ان عقبي من بقي لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى ، واختل الثغر فهوى . وعلى أثر من سلف يمضي من خلف ، فتزودوا فان خير الزاد التقوى . فأعرض هشام وسكت القوم .

وأما حكاية مقتله فانه لما تعرّض له بنو عمه ، ونالوا من عرضه ، أخذ في مكافئتهم . فضرب سليمان ابن عمه هشام مائة سوط ، وحلقه وغرّبه إلى معان من أرض الشام ، فحبسه إلى آخر دولته . وحبس أخاه يزيد بن هشام ، وفرّق بين ابن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدّة من وُلد الوليد ، فرموه بالفسق والكفر واستباحة نساء أبيه . وخوفوا بني أُمّية منه بأنّه اتخذ ميتة^(١) جامعة لهم ، وطعنوا عليه في تولية ابنه الحَكَمَ وعُثْمَانَ العهد مع صِغَرِهِمَا . وكان أشدهم عليه في ذلك يزيد بن الوليد ، لانه كان يتنسك فكان الناس إلى قوله أميل .

ثم فسدت اليمامة عليه بما كان منه لخالد القسري . وقالوا : انما حبسه ونكبه لامتناعه منبيعة ولديه . ثم فسدت عليه قضاة ، وكان اليمن وقضاة أكثر جند الشام . واستعظموا منه ما كان منبيعة خالد ليوسف بن عمر ، وصنعوا على لسان الوليد قصيدة معيرة اليمانية بشأن خالد ، فازدادوا واختفى . وأتوا إلى يزيد ابن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة . وشاور عمر بن زيد

(١) في ابن الأثير ج ٤ ص ٢٦٤ : «اتخذ منه جامعة لبني مفهومه» .

الحكمي فقال : شاور أخاك العباس والا فأظهر انه قد بايعك ، فإنَّ الناس له أطوع . فشاور العباس فنهاه عن ذلك فلم ينته ، ودعا الناس سرّاً ، وكان بالبادية . وبلغ الخبر مروان بأرمينية فكتب إلى سعيد بن عبد الملك يعظم عليه الامر ويحذره الفتنة ويذكر له أمر يزيد ، فأعظم ذلك سعيد ، وبعث بالكتاب إلى العباس ، فتهدّد أخاه يزيد فكتمه فصدّقه .

ولما اجتمع ليزيد أمره أقبل إلى دمشق لاربع ليال متنكراً ، معه سبعة نفر على الحمر . ودخل دمشق ليلاً وقد بايع له أكثر أهلها سرّاً ، وأهل المزة . وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، فاستوياها فنزل قطنا ، واستخلف عليها ابنه محمداً . وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي . ونمي الخبر اليهما فكذبا ، وتواعد يزيد مع أصحابه بعد المغرب بباب الفراديس . ثم دخلوا المسجد فصلوا العتمة ، ولما قضاوا الصلاة جاء حرس المسجد لخراجهم فوثبوا عليهم ، ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد ابن الوليد ، فجاء به إلى المسجد في زهاء مائتين وخمسين ، وطرقوا باب المقصورة ، فأدخلهم الخادم . فأخذوا أبا العاج وهو سكران وخزان بيت المال .

وبعث عن محمد بن عبد الملك فأخذوه وأخذوا سلاحاً كثيراً كان بالمسجد ، وأصبح الناس من الغد من النواحي القريبة متسائلين للبيعة أهل المزة والسكاسك وأهل دارا . وعيسى بن

شَيْبُ الثَّعْلِيِّ فِي أَهْلِ دَرَهَةَ وَحَرَسْتَ ، وَحَمِيدُ بْنُ حَبِيبِ اللَّخْمِيِّ فِي أَهْلِ دُمَّرَعْرَان ، وَأَهْلُ حُرْشٍ وَالْحُدَيْثَةِ وَذَرِيرِكَ وَرَبْعِي بْنِ هِشَامِ الْحَرَثِيِّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ عَرٍّ وَسَلَامَانَ . وَيَعْقُوبُ بْنُ عُمَيْرِ ابْنِ هَانِيٍّ الْعَبْسِيِّ جُهَيْنَةَ وَمَوَالِيَهُمْ . ثُمَّ بَعَثَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مِصَادِي فِي مَائَتِي فَارِسٍ ، فَجَاءَ بِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحِجَاجِ مِنْ قَصْرِهِ عَلَى الْأَمَانِ . ثُمَّ جَهَّزَ يَزِيدُ الْجَيْشَ إِلَى الْوَلِيدِ بِمَكَانِهِ مِنَ الْبَادِيَةِ مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحِجَاجِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَمَنْصُورُ بْنُ جَمْهُورٍ . وَقَدْ كَانَ الْوَلِيدُ لَمَّا بَلَغَهُ الْخَبَرُ بَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَأَقَامَ بِطَرِيقِهِ قَلِيلًا .

ثُمَّ بَايَعَ لِيَزِيدَ ، وَأَشَارَ عَلَى الْوَلِيدِ أَصْحَابُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِحَمَصَ فَيَتَحَصَّنَ بِهَا . قَالَ لَهُ ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَخَالَفَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَنَبَسَةَ . وَقَالَ : مَا يَنْبَغِي لِلْخَلِيفَةِ أَنْ يَدْعَ عَسْكَرَهُ وَحَرَمَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَاتَلَ . فَسَارَ إِلَى قَصْرِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، وَمَعَهُ أَرْبَعُونَ مِنْ وَلَدِ الضُّحَاكِ وَغَيْرِهِ . وَجَاءَ كِتَابُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ بِأَنَّهُ قَادِمٌ عَلَيْهِ ، وَقَاتَلَهُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَمَنْصُورُ بَعْدَ أَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ زِيَادُ بْنُ حُصَيْنٍ الْكَلْبِيَّ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ . فَقَتَلَهُ أَصْحَابُ الْوَلِيدِ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَبَعَثَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ جَمْهُورٍ لَاعْتِرَاضِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَلِيدِ . فَجَاءَ بِهِ كَرَاهًا إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَأَرْسَلَ الْوَلِيدَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَوَلَايَةِ حَمَصَ مَا بَقِيَ عَلَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ فَأَبَى .

ثم قاتل قتالاً شديداً حتى سمع النداء بقتله وسبه من جوانب الحومة ، فدخل القصر فأغلق الباب ، وطلب الكلام من أعلى القصر ، فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكي فذكره بحرمة وفعله فيهم . فقال ابن عنبسة : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، وإنما ننقم عليك في انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله . قال حسبك الله يا أخا السكاسك ! فلعمري لقد أكثرت وأغرقت ، وإن فيما أحل الله سعة عما ذكرت . ثم رجع إلى الدار فجلس يقرأ في المصحف وقال : يوم كيوم عثمان : فتسوروا عليه ، وأخذ يزيد بن عنبسة بيده يقيه لا يريد قتله ، وإذا بمنصور بن جمهور في جماعة معه ضربوه واجتزوا رأسه ، فساروا به إلى يزيد فأمر بنصبه .

فتلطف له يزيد بن فروة مولى بني مرة في المنع من ذلك ، وقال : هذا ابن عمك وخليفة ، وإنما تنصب رووس الخوارج ، ولا آمن أن يتعصب له أهل بيته ، فلم يجبه وأطافه بدمشق على رمح ، ثم دفع إلى أخيه سليمان بن يزيد وكان معهم عليه . وكان قتله آخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين لستين وثلاثة أشهر من بيعته . ولما قتل خطب الناس يزيد فذمه وثلبه ، وانه إنما قتله من أجل ذلك . ثم وعدهم بحسن الظفر والاقتصار عن النفقة في غير حاجاتهم ، وسد الثغور والعدل في العطاء والأرزاق ورفع الحجاب ، والا فلکم ما شئتم من الخلع . وكان يسمى الناقص

لانه نقص الزيادة التي زادها الوليد في أعطيات الناس وهي عشرة عشرة . وردّ العطاء كما كان أيام هشام ، وبائع لآخيه ابراهيم بالعهد . ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، حملة على ذلك أصحابه القدرية لمرض طرقة^(١) ...

ولما قتل الوليد ، وكان قد حبس سليمان بن عمه هشام بعمان ، خرج سليمان من الحبس وأخذ ما كان هناك من الاموال ونقله إلى دمشق . ثم بلغ خبر مقتله إلى حمص ، وأنّ العباس بن الوليد أعان على قتله ، فانتقضوا وهدموا دار العباس وسبوها ، وطلبوه فلحق بأخيه يزيد . وكاتبوا الأجناد في الطلب بدم يزيد ، وأمروا عليهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك ، ومعاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ، وراسلهم يزيد فطردوا رسوله ، فبعث أخاه مسروراً في الجيش فنزل حواريين . ثم جاء سليمان بن هشام من^(٢) فردّ عليه ما أخذ الوليد من أموالهم ، وبعث على الجيش وأمر أخاه مسروراً بالطاعة .

واعتزم أهل حمص على المسير إلى دمشق ، فقال لهم مروان : ليس من الرأي أن تتركوا خلفكم هذا الجيش وانما نقاتله قبل ،

(١) هنا بياض في الأصل وفي الطبري ج ٩ ص ٢٢ : «شتم مروان بن محمد يزيد بن الوليد فقال الناقص بن الوليد فسهه الناقص ، فسهه الناس الناقص لذلك . وفي هذه السنة اضطرب جبل بني مروان وهاجت الفتنة . فكان من ذلك ثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعدما قتل الوليد بن يزيد بعمان» .

(٢) هنا بياض في الأصل . وفي الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٠ والطبري ج ٩ ص ٢٣ عبارة واحدة وهي : «ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام» .

فيكون ما بعده أهون علينا . فقال لهم السميّط بن ثابت إنما يريد خلافتكم وإنما هواه مع يزيد والقدرية ، فقتلوه وولوا عليهم محمداً السفياي وقصدوا دمشق ، فاعترضهم ابن هشام بغدرا فقاتلهم قتالاً شديداً . وبعث يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك في ثلاثة آلاف إلى ثنينة العقاب وهشام بن مضاد في ألف وخمسمائة إلى عقبة السلامية . وبينما سالم يقاتلهم إذ أقبلت عساكر من ثنية العقاب ، فانهزم أهل حمص ، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الله القسري : الله الله على قومك يا سليمان . فكف الناس عنهم وبايعوا ليزيد . وأخذ أبا محمد السفياي ويزيد بن خالد بن يزيد وبعثهما إلى يزيد فحبسهما اه .

واستعمل على حمص معاوية بن يزيد بن الحُصَيْن ، وكان لما قتل الوليد وثب أهل فلسطين على عاملهم سعيد بن عبد الملك فطردوه ، وتولى منهم سعيد وضبّعان ابنا رَوْح ، وكان وُلد سليمان ينزلون فلسطين ، فأحضروا يزيد بن سليمان وولوه عليهم ، وبلغ ذلك أهل الأَرْدُنّ ، فولوا عليهم محمد بن عبد الملك . وبعث يزيد سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفياي على ثمانين ألفاً ، وبعث إلى ابني روح بالاحسان والولاية ، فرجعا بأهل فلسطين . وقَدّم سليمانُ عسكرياً من خمسة آلاف إلى طَبْرِيةَ فنهبوا القرى والضياع ، وخشي أهل طبرية على من وراءهم ، فانتهبوا يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك ونزلوا بمنزلهم ،

فافتרכת جموع الأردن وفلسطين .. وسار سليمان بن هشام ، ولحقه أهل الأردن فبايعوا ليزيد ، وسار إلى طبرية والرَّمْلَة وأخذ على أهلها البيعة ليزيد ، وولى على فلسطين ضَبْعَانَ بن روح ، وعلى الأردن ابراهيم بن الوليد .

ولاية منصور بن جمهور على العراق ثم ولاية عبد الله بن عمر

لما وَلِيَ يزيد استعمل مَنصُورَ بن جُمهورَ على العراق وخُرَاسان ، ولم يكن من أهل الدين ، وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيلانية ، وحنقاً على يوسف بقتله خالداً القسري . ولما بلغ يوسف قتل الوليد ارتاب في أمره ، وحبس اليمانية لما تجتمع المضرة عليه فلم ير عندهم ما يحب ، فاطلق اليمانية . وأقبل منصور وكتب من عين البقرِ إلى قواد الشام في الحيرة بأخذ يوسف وعماله ، فأظهر يوسف الطاعة . ولما قرب منصور دخل دار عمر بن محمد بن سعيد بن العاصي ، ولحق منها بالشام سراً ، وبعث يزيد بن الوليد خمسين فارساً لتلقيه . فلما أحس بهم هرب واختفى ، ووجد بين النساء فأخذوه وجاؤوا به إلى يزيد ، فحبسه مع ابني الوليد ، حتى قتلهم مولى ليزيد بن خالد القسري .

ولما دخل منصور بن جمهور الكوفة لايام خلت من رجب ، أفاض العطاء وأطلق من كان في السجون من العمال وأهل الخراج ، واستعمل أخاه على الري وخراسان ، فسار لذلك فامتنع نصر بن سيار من تسليم خراسان له . ثم عزل يزيد منصور بن جمهور لشهرين

من ولايته ، وولى على العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وقال :
سر إلى أهل العراق ، فإنَّ أهله يميلون إلى أبيك فسار وانقاد له
أهل الشام ، وسلم اليه منصور العمل ، وانصرف إلى الشام . وبعث
عبد الله العمال على الجهات ، واستعمل عمر بن الغضبان بن القُبَعْرَا
على الشرطة وخراج السواد والمحاسبات ، وكتب إلى نصر بن
سَيَّار بعهدده على خراسان .

انتقال أهل اليمامة

ولما قتل الوليد كان علي بن المهاجر على اليمامة عاملاً ليوسف
ابن عمر ، فجمع له المَهَيْرُ بن سُلَيْمَانَ بن هِلَال من بني الدَّوْلِ بن
خَوْلَةَ . وسار اليه وهو في قصره بقاع هَجَرَ فالتقوا وانهزم علي ،
وقتل ناس من أصحابه ، وهرب إلى المدينة . وملك المهير اليمامة ،
ثم مات واستخلف عليها عبد الله بن النُّعْمَان من بني قيس بن ثَعْلَبَةَ
من الدَّوْلِ ، فبعث المُنْدَلِبَ بن ادريس الحنفي على الفلج قرية من
قرى بني عامر بن صَعَصَعَةَ ، فجمع له بني كعب بن ربيعة بن
عامر ، وبني عمير ، فقتلوا المندلب وأكثر أصحابه . فجمع عبد الله
ابن النعمان جموعاً من حنيفة وغيرها ، وغزا الفلج وهزم بني عقيل
وبني بشير وبني جُعْدَةَ وقتل أكثرهم .

ثم اجتمعوا ومعهم نُمَيْرٌ فلقوا بعض حنيفة بالصحراء فقتلهم
وسلبوا نساءهم ثم جمع عمر بن الوازع الحنفي الجموع وقال :
لست بدون عبد الله بن النعمان ، وهذه فترة من السلطان . وأغار

وامتلأت يده من الغنائم ، وأقبل ومن معه وأقبلت بنو عامر ، والتقوا فانهزم بنو حنيفة ومات أكثرهم من العطش . ورجع بنو عامر بالأسرى والنساء ، ولحق عمر بن الوازع باليمامة . ثم جمع عبيد الله ابن مسلم الحنفي جمعاً وأغار على قُشَيْرٍ وعُكَلٍ فقتل منهم عشرين ، وسمى المثنى بن يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ والياً على اليمامة من قبل أبيه حتى ولي العراق لمروان ، فتعرض المثنى لبني عامر وضرب عدّة من بني حنيفة وحلقهم ، ثم سكنت البلاد ، ولم يزل عبيد الله ابن مسلم الحنفي مستخفياً ، حتى قدم كسرى بن عبيد الله الهاشمي والياً على العامّة لبني العباس ودلّ عليه فقتله .

لَقَاتِلُ أَهْلِ خُرَاسَانَ

ولما قتل الوليدُ وقدم على نصر عهد خراسان من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز صاحب العراق ، انتقض عليه جَدِيعُ بن علي الكرّماني ، وهو أَرْدِي . وإنما سُمِّيَ الكرّماني لانه ولد بكرمان ، وقال لأصحابه هذه فتنة فانظروا لأموركم رجلاً ، فقالوا له أنت ! وولوه . وكان الكرّماني قد أحسن إلى نصر في ولاية أسد بن عبد الله ، فلما ولي نصر عزله عن الرياسة بغيره ، فتباعد ما بينهما . وأكثر على نصر أصحابه في أمر الكرّماني ، فاعتزم على حبسه ، وأرسل صاحب حرسه ليأتي به . وأراد الأزد أن يخلصوه فأبى ، وجاء إلى نصر يُعَدِّدُ عليه أياديه قبله ، من مراجعة يوسف بن عمر في قتله ، والغرامة عنه ، وتقديم ابنه للرياسة . ثم قال : فبدلت

ذلك بالاجماع على الفتنة ، فأخذ يعتذر ويتنصل ، وأصحاب نصر يتحاملون عليه ، مثل مسلم بن أخور وعِصْمَة بن عبد الله الأسدي .
ثم ضربه وجبسه آخر رمضان سنة ست وعشرين ، ثم نقب السجن واجتمع له ثلاثة آلاف ، وكانت الأزد قد بايعوا عبد الملك ابن حَرَمَلَةَ على الكتاب والسنة . ولما جاء الكرمانى قدمه عبد الملك ، ثم عسكر نصر على باب مرو الروذ ، واجتمع اليه الناس ، وبعث سالم بن أخور في الجموع إلى الكرمانى ، وسفر الناس بينهما على أن يؤمنه نصر ولا يجبسه . وأجاب نصر إلى ذلك ، وجاء الكرمانى اليه وأمره بلزوم بيته . ثم بلغه عن نصر شيء فعاد إلى حاله ، وكلموه فيه فأمنه ، وجاء اليه وأعطى أصحابه عشرة عشرة . فلما عزل جمهور عن العراق وولي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، خطب نصر قدام ابن جمهور وأثنى على عبد الله ، فغضب الكرمانى لابن الجمهور ، وعاد لجمع المال واتخاذ السلاح . وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة . ويصلي خارج المقصورة ، ويدخل فيسلم ولا يجبس . ثم أظهر الخلاف ، وبعث اليه نصر سالم بن أخور فأفحش في صرفه ، وسفر بينهما الناس في الصلح على أن يخرج الكرمانى من خراسان ، وتجهز للخروج إلى جرجان .

أما الميث بن شريح ونهجه من دار الميث

لما وقعت الفتنة بخراسان بين نصر والكرمانى خاف نصر أن يستظهر الكرمانى عليه بالحرث بن شريح ، وكان مقيماً ببلاذ

الترك منذ اثنتي عشرة سنة كما مرّ ، فأرسل مُقاتِلُ بن حَيَّانَ النَّبَطِيَّ يراوده على الخروج من بلاد الترك ، بخلاف ما يقتضي له الامان من يزيد بن الوليد . وبعث خالد بن زياد البديّ الترمذيّ وخاله ابن عمرة مولى بني عامر لاقتضاء الامان له من يزيد ، فكتب له الامان . وأمر نصرأ أن يرّد عليه ما أخذ له ، وأمر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة أن يكتب لهما بذلك أيضاً . ولما وصل إلى نصر بعث إلى الحرث بذلك ، فلقية الرسول راجعاً مع مقاتل بن حَيَّانَ وأصحابه ، ووصل سنة سبع وعشرين في جمادى الآخرة ، وأنزله نصر بمرورّد عليه ما أخذ له ، وأجرى عليه كل يوم خمسين درهماً ، وأطلق أهله وولده . وعرض عليه أن يوليه ، ويعطيه مائة ألف دينار فلم يقبل ، وقال : لست من الدنيا واللذات في شيء ، وإنما أسأل كتاب الله والعمل بالسنة ، وبذلك أساعدك على عدوك . وإنما خرجت من البلاد منذ ثلاث عشرة سنة انكاراً للجور ، فكيف تزيدني عليه . وبعث إلى الكرماني ، إن عمل نصر بالكتاب عضدته في أمر الله ، ولا أعتبك ان ضمننت لي القيام بالعدل والسنة . ثم دعا قبائل تميم فأجاب منهم ومن غيرهم كثير ، واجتمع اليه ثلاثة آلاف وأقام على ذلك .

انتقاض مروان لما قتل الوليد

كان مروان بن محمد بن مروان على أرمينية ، وكان على الجزيرة عبدة بن رياح العبّاديّ . وكان الوليد قد بعث بالصائفة أخاه ، فبعث

معه مروان ابنه عبد الملك . فلما انصرفوا من الصائفة لقيهم بجرزان حين مقتل الوليد ، وسار عبدة عن الجزيرة . فوثب عبد الملك بالجزيرة وجرزان فضبطهما ، وكتب إلى أبيه بأرمينية يستحثه ، فسار طالباً بدم الوليد بعد أن أرسل إلى الثغور من يضبطها . وكان معه ثابت بن نعيم الجذامي من أهل فلسطين ، وكان صاحب فتنة . وكان هشام قد حبسه على افساد الجند بأفريقية عند مقتل كلثوم بن عياض ، وشفع فيه مروان فأطلقاه واتخذاه عنده يداً . فلما سار من أرمينية داخل ثابت أهل الشام في العود إلى الشام من وجه الفرات . واجتمع له الكبير من جند مروان وناهضه القتال . ثم غلبهم وانقادوا له ، وحبس ثابت بن نعيم وأولاده ، ثم أطلقهم من حران إلى الشام وجمع نيفاً وعشرين ألفاً من الجزيرة ليسير بهم إلى يزيد ، وكتب اليه يشترط ما كان عبد الملك ولي أباه محمداً من الجزيرة والموصل وأذربيجان ، فأعطاه يزيد ولاية ذلك وبائع له مروان وانصرف .

وفاته يزيد وبيعة أخيه ابراهيم

ثم توفي يزيد آخر سنة ست وعشرين لخمسة أشهر من ولايته ، ويقال انه كان قدرياً وبايعوا لأخيه ابراهيم من بعده ، الا أنه انتقض عليه الناس ولم يتم له الأمر . وكان يسلم عليه تارة بالخلافة وتارة بالامارة ، وأقام على ذلك نحواً من ثلاثة أشهر ، ثم خلعه مروان ابن محمد على ما يذكر . وهلك سنة اثنتين وثلاثين .

مسير مروان إلى الشام

ولما توفي يزيد وولى أخوه ابراهيم وكان مضعفاً ، انتقض عليه مروان لوقته ، وسار إلى دمشق . فلما انتهى إلى قنسرين وكان عليها بشر بن الوليد عاملاً لأخيه يزيد ، ومعه أخوهما مسرور ، دعاهم مروان إلى بيعته . ومال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة ، وخرج بشر للقاء مروان . فلما تراءى الجمعان مال ابن هبيرة وقيس إلى مروان ، واسلموا بشراً ومسروراً فأخذهما مروان وحبسهما ، وسار بأهل قنسرين ومن معه إلى حمص ، وكانوا امتنعوا من بيعه ابراهيم . فوجه اليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك في جند أهل دمشق ، فكان يحاصرهم . فلما دخل مروان رحل عبد العزيز عنهم ، وبايعوا مروان ، وخرج للقاءه سليمان بن هشام في مائة وعشرين ألفاً ، ومروان في ثمانين فدعاهم إلى الصلح ، وترك الطلب بدم الوليد على أن يطلقوا ابنه الحكم وعثمان ولبى عهده ، فأبوا وقتلوه . وسرب عسكرياً جاورهم من خلفهم فانهزموا ، وأثخن فيهم أهل حمص فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً وأسروا مثلها . ورجع مروان بالفل وأخذ عليهم البيعة للحكم وعثمان ابني الوليد ، وحبس يزيد ابن العفار والوليد بن مصاد الكلبيين فهلكا في حبسه .

وكان ممن شهد قتل الوليد ابن الحجاج ، وهرب يزيد بن خالد القسري إلى دمشق ، فاجتمع له مع ابراهيم وعبد العزيز بن الحجاج وتشاوروا في قتل الحكم وعثمان ، خشية أن يطلقهما مروان

فيثأراً بأبيهما . وولوا ذلك يزيد بن خالد ، فبعث مولاه أبا الأسد فقتلها وأخرج يوسف بن عمر فقتله ، واعتصم أبو محمد السفيفاني ببيب في الحبس فلم يطيقوا فتحه ، وأعجلهم خيل مروان . فدخل دمشق وأتى بأبي الوليد ويوسف بن عمر مقتولين ، فدفنهما وأتى بأبي عمر السفيفاني في قيوده ، فسلم عليه بالخلافة وقال : انّ ولي العهد جعلها لك . ثم بايعه وسمع الناس فبايعوه ، وكان أولهم بيعة معاوية ابن يزيد بن حصين بن نمير وأهل حمص . ثم رجع مروان إلى خراسان واستأمن له ابراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام وقدماء عليه ، وكان قدوم سليمان من تدمر بمن معه من اخوته وأهل بيته ومواليه الذكوانية فبايعوا لمروان .

تاريخ العلامة أبو خلدون

كتاب العبر وديوان البستاء والنخبة
في أيام العرب وأهم والبربر ومن عاصم
من ذوي السطان الكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الثالث
من تاريخ العلامة ابن خلدون
القسم الثاني

القِسْمُ الْإِثْنَانِي

المَجْلَدُ الثَّالِثُ

من تاريخ الصلاة ابن خلدون

انتقلض الفلح على مروان

ولما رجع الى خراسان راسل ثابت بن نعيم من قَلْبَطِينَ أهل
حمص في الخلاف على مروان، فأجابوه وبعثوا الى من كان بتدسر
ممن طلب، وجاء الأصمغ بن دُوَالَةَ الْكَلْبِيِّ وأولاده، ومُعاوِيَةُ
السَّكْسَكِيُّ فارس أهل الشام وغيرها في ألف من فرسانهم، ودخلوا
حمص ليلة الفطر من سنة سبعة وعشرين . وزحف مروان في
العساكر من حَرَّانَ ومعه ابراهيم المخلوع، وسليمان بن هشام، ونزل
عليهم ثالث يوم الفطر، وقد سدوا أبوابهم فنادى مناديه : ما دعاكم
الى النكث ؟ قالوا لم ننكث ونحن على الطاعة . ودخل عُمرُ الوَضَّاحِ
في ثلاثة آلاف فقاتله المحتشدون هنالك للخلاف، وخرجوا من الباب
الآخر، وجفل مروان في اتباعهم، وعلا الباب . فقتل منهم نحو
خمسمائة وصلبهم وهدم من سورها علوه، وأفلت الاصمغ بن دُوَالَةَ
وابنه فرافصة .

ثم بلغ مروان وهو بمحمص خلاف أهل القوطة، وأنهم ولوا

عليهم يزيد بن خالد القسري ، وحاصروا دمشق وأميرها زامل بن عمر ، فبعث مروان اليهم أبا الورد بن الكَوَثَرِ بن زُفَر بن الحرث ، وعمر بن الوضاح ، في عشرة آلاف ، فلما دنوا من دمشق حملوا عليهم ، وخرج اليهم من كان بالمدينة فهزموهم ، وقتلوا يزيد بن خالد وبعثوا برأسه الى مروان وأحرقوا المزة وقرى البرامة . ثم خرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين وحاصر طَبْرِيَّةَ وعليها الوليد ابن معاوية بن مروان بن الحكم . فبعث مروان اليه أبا الورد ، فلما قرب منه خرج أهل طبرية عليه فهزموه ، ولقيه أبو الورد منهزماً فهزمه أخرى ، واقترب أصحابه ، وأسر ثلاثة من لده ، وبعث بهم الى مروان .

وتغيب ثابت وولي مروان على فلسطين الرَّماحِسَ بن عبد العزيز الكِنَانِي ، فظفر بثابت بعد شهرين ، وبعث به الى مروان موثقاً فقطعه وأولاده الثلاثة ، وبعثهم الى دمشق فصلبوا . ثم بايع لابنيه عبدالله وعبيدالله وزوجهما بنتي هشام ، ثم سار الى تَرْمَذَ من دير أيوب ، وكانوا قد غوروا المياه . فاستعمل المزد والقرَّب والابل ، وبعث وزيره الأَبْرَشَ الكَلْبِيَّ اليهم ، وأجابوا الى الطاعة . وهرب نفر منهم الى البلد ، وهدم الأبرش سورها ، ورجع بمن أطلع الى مروان . ثم بعث مروان يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ الى العراق لقتال الضَّحَّاك الشَّيْبَانِيَّ الخارجي بالكوفة ، وأمدّه ببعوث أهل الشام ، ونزل قَرْقِيسِيَا ليقدم ابن هبيرة لقتال الضحَّاك .

وكان سليمان بن هشام قد استأذنه بالمقام في الرصافة أياماً ويلحق به، فرجعت طائفة عظيمة من أهل الشام الذين بعثهم مروان مع ابن هبيرة، فأقاموا بالرصافة ودعوا سليمان بن هشام بالبيعة فأجاب، وسار معهم إلى قنسرين فمسكر بها، وكاتب أهل الشام فأتوه من كل وجه. وبلغ الخبر مروان فكتب إلى ابن هبيرة بالمقام، ورجع من قريسيا إلى سليمان فقاتله فهزمه، واستباح معسكره وأثنى فيهم وقتل أسراهم، وقتل إبراهيم أكبر ولد سليمان وخالد بن هشام المخزومي جا^(١) أبيه فيما ينيف على ثلاثين ألفاً وهرب سليمان إلى حصص في الفل فمسكر بها، وبني ما كان تهدم من سورها.

وسار مروان إليه، فلما قرب منه بيته جماعة من أصحاب سليمان تابعوا على الموت، وكان على احتراس وتعبية، فترك القتال بالليل وكنوا له في طريقه من الغد، فقاتلهم إلى آخر النهار، وقتل منهم نحواً من ستائة. وجاؤوا إلى سليمان فلحق بتدبر وخلف أخاه سعيداً بجمص، وحاصره مروان عشرة أشهر ونصب عليهم نيفاً وثمانين منجنيقاً، حتى استأمنوا له وأمكنوه من سعيد بن هشام وآخرين شرطهم عليهم.

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٨٧: «وقتل إبراهيم بن سليمان وأكثر ولده وخالد بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك، وادعى كثير من الإسماء للجند أنهم عبيد، فكف عن قتلهم وأمر ببيعهم لمن يريد مع من أصيب من عسكرهم، ومضى سليمان حتى انتهى إلى حصص».

ثم سار لقتال الضحَّاك الخارجي بالكوفة . وقيل ان سليمان بن هشام لما انهزم بقنسر بن لحق بعبد الله بن عمر بن عبد العزيز بالعراق، وسار معه الى الضحَّاك فبايموه، وكان النضر بن سعيد قد ولي العراق . فلما اجتمعوا على قتاله سار نحو مروان فاعترضه بالقاديسية جنود الضحَّاك من الكوفة مع ابن مَلْحَانَ فقتله النضر . وولى الضحَّاك مكانه بالكوفة المشني بن عِمْرَانَ، وسار الضحَّاك الى الموصل وأقبل ابن هبيرة الى الكوفة، فقتل بعيد التمر^(١) . وسار اليه المشني فهزمه ابن هُبَيْرَةَ وقتله وعدة من قواد الضحَّاك . وانهزم الخوارج ومعهم منصور بن بُجْهَمُور، ثم جاؤوا الى الكوفة واحتشدوا وساروا للقاء ابن هبيرة، فهزمهم ثانية ودخل الكوفة وسار الى واسط . وأرسل الضحَّاك عبدة بن سِوَارِ الثعلبي لقتاله، فقتل الصرَّاة، وقاتله ابن هبيرة هنالك فانهمزمت الخوارج كما يأتي في أخبارهم .

ظهر عبد الله بن معاوية

كان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدم على عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز الكوفة في اخوانه وولده، فأكرمهم عبد الله وأجرى عليهم ثلاثمائة درهم في كل يوم وأقاموا كذلك . ولما بويع ابراهيم بن الوليد بعد أخيه، واضطرب الشام وسار مروان الى دمشق، حبس عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده، وزاد

(١) بعين التمر . ولا تزال إلى الآن بهذا الاسم وتقع في الجنوب الغربي من كربلاء . ويسمونها «شفانة» أيضاً .

في رزقه بعده لمروان يبايعه ويقاتله^(١). فلما ظفر مروان بإبراهيم سار اسماعيل بن عبدالله القسري الى الكوفة وقاتله عبدالله ابن عمر، ثم خاف اسماعيل أن يفتضح، فكفوا خبرهم فوقعت المصيبة بين الناس من ايثار عبدالله بن عمر بعضاً من مضر وربيعاً بالعطاء دون غيرهم، فثارت ربيعة، فبعث اليهم أخاه عاصماً ملقياً بيده فاستحيوا ورجعوا. وأفاض^(٢) في رؤس الناس يستميلهم. فاستنفر الناس، واجتمعت الشيعة الى عبدالله بن معاوية فبايعوه وأدخلوه قصر الكوفة، وأخرجوا منه عاصم بن عمر. فلحق بأخيه بالحيرة وبابيع الكوفيون ابن معاوية ومنهم منصور بن جمهور واسماعيل أخو خالد القسري وعمر بن العطاء، وجاءته البيعة من المدائن وجمع الناس، وخرج الى عبدالله بن عمر بالحيرة، فصرح للقائه مولاه. ثم خرج في أثره وتلاقيا، ونزع منصور بن جمهور واسماعيل أخو خالد القسري وعمر بن العطاء. وجاءته البيعة من ابن عمر ولحقوا بالحيرة وانهمز ابن معاوية الى الكوفة. وكان عمر بن النضبان

(١) في هذه العبارة إبهام وعبارة الطبري في ج ٨ ص ٤٩: «فاحتبس عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده وزاده فيما كان يجري عليه وأعد له مروان بن محمد إن هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليبايع له ويقاتل به مروان».

(٢) هنا بياض في الأصل وفي الطبري ج ٨ ص ٥٠: «وبلغ الخبر ابن عمر فأرسل إليهم أخاه عاصماً فاتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا فألقى نفسه بينهم وقال هذه يدي لكم فاحكموا فاستحيوا وعظموا عاصماً وتشكروا له وأقبل على صاحبهم فسكتا وكفا فلما أمسى ابن عمر أرسل من تحت ليلته إلى عمر الغضبان بمائة ألف فقسمها في قومه بني همام وأرسل إلى ثامة بن حوشب بمائة ألف. فقسمها في قومه وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف وإلى عثمان بن الخثيري بعشرة آلاف».

قد حمل على ميمنة ابن عمر فكشفها، وانهزم أصحابه من ورائه . فرجع الى الكوفة وأقام مع ابن معاوية في القصر، ومعهم ربيعة والزيدية على أفواه السكك يقاتلون ابن عمر . ثم أخذ ربيعة الامان لابن معاوية ولانفسهم وللزيدية . وسار ابن معاوية الى المدائن، وتبعه قوم من أهل الكوفة، فتغلب بهم على حلوان والجل وهمذان وأصبهان والري الى أن كان من خبره ما نذكره .

غلبة الكوفيين على مرو وقتله للمث بن شريح

لما ولي مروان وولي على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة كتب يزيد الى نصر بعده على خراسان، فبايع لمروان بن محمد، فارتأب الحرث وقال : ليس لي أمان من مروان، وخرج فمسكر، وطلب من نصر أن يجعل الامر شورى فأبى . وقرأ جهم بن صفوان مولى وايسب وهو رأس الجهمية سيرته وما يدعو اليه على الناس، فرضوا وكثر جمعه . وأرسل الى نصر في عزل سالم بن أحوار عن الشرطة وتغير المال، فتقرر الامر بينهما على أن يردوا ذلك الى رجال أربعة : مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان بتعيين نصر، والمغيرة بن شعبان الجهمي ومعاذ بن جبلة بتعيين الحرث . وأمر نصر أن يكتب بولاية سرقند وطخارستان لمن يرضاه هؤلاء الأربعة .

وكان الحرث يقول انه صاحب السور، وانه يهدم سور دمشق، ويزيل ملك بني أمية . فأرسل اليه نصر : ان كان ما تقوله حقاً فتعال نسير الى دمشق، والا فقد أهلكك عشيرتك . فقال الحرث

هو حق، لكن لا تبايعني عليه أصحابي . قال فكيف تهلك عشرين ألفاً من ربيعة واليمن ؟ ثم عرض عليه ولاية ما وراء النهر ويعطيه ثلثمائة ألف فلم يقبل . فقال له فابدأ بالكرمانى فاقتله وأنا في طاعتك . ثم اتفقا على تحكيم جهم ومقاتل، فاحتكما بأن يعزله نصر، ويكون الامر شورى . فأتى نصر فخالفه الحرث، وقدم على نصر جمع من أهل خراسان حين سمعوا بالفتنة : منهم عاصم بن عمير الضرمي، وابو الديال الناجي ومسلم بن عبد الرحمن وغيرهم . فكانوا معه . وأمر الحرث أن يقرأ سيرته في الاسواق والمساجد، وأتاه الناس وقرئت على باب نصر .

فضرب غلمان نصر قارنفا فنادى بهم، وتجهزوا للحرب . ونقب الحرث سور مرو من الليل، ودخل بالنهار فاقتتلوا وقتل جهم بن مسعود الناجي، وأعين مولى حيان، ونهبوا منزل مسلم بن أخور، فركب سالم حين أصبح، فقاتل الحرث وهزمه، وجاء إلى عسكره فقتل كاتبه . وبعث نصر إلى الكرمانى، وكان في الأزدي وربيعة، وكان موافقاً للحرث لما قدمناه، فجاءه نصر على الأمان وحادثهم وأغلطوا له في القول فارتاب ومضى، وقتل من أصحابه جهم بن صفوان . ثم بعث الحرث ابنه حاتم إلى الكرمانى يستجيشه، فقال له أصحابه دع عدوك يضطربان، ثم ضرب بعد يومين وناوش القتال أصحاب نصر فهزمهم، وصرع تميم بن نصر ومسلم بن أخور .

وخرج نصر من مرو من الغد، فقاتلهم ثلاثة أيام، وانهزم
الكرماني وأصحابه، ونادى مناد يا معشر ربيعة واليمن! ان أبا
سيار قتل، فانهزمت مضر ونصر وترجل ابنه تميم، فقاتل وأرسل
إليه الحرث أني كافر عنك فان اليمانية يُعَيِّرُونَنِي بانهزامكم، فاجعل
أصحابك ازاء الكرماني. ولما انهزم نصر غلب الكرماني على مرو
ونهب الاموال، فأنكر ذلك عليه الحرث، ثم اعتزل عن الحرث
بشر بن جرموز الضبي في خمسة آلاف، وقال: انما كنا نقاتل
معك طلباً للعدل، فأما ان اتبعت الكرماني للعصبية فنحن لا نقاتل.
فدعى الحرث الكرماني الى الشورى فأبى، فانتقل الحرث عنه
وأقاموا أياماً. ثم تلم الحرث السور ودخل البلد وقاتله الكرماني
قتالاً شديداً فهزمه وقتله وأخاه سواده.

واستولى الكرماني على مرو، وقيل ان الكرماني خرج مع
الحرث لقتال بشر بن جرموز. ثم ندم الحرث على اتباع الكرماني.
واتى عسكر بشر فأقام معهم، وبعث الى مضر من عسكر
الكرماني فساروا اليهم، وكانوا يقتتلون كل يوم ويرجعون الى
خنادقهم. ثم نقب الحرث بعد أيام سور مرو ودخلها وتبعه الكرماني
واقتتلوا، فقتل الحرث وأخاه، وبشر بن جرموز وجماعة من بني
تميم. وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة، فانهزم الباقون، وصفت
مرو لليمن وهدموا دور المضرية.

ظهور الدعوة العباسية بخراسان

قد ذكرنا أن أبا مسلم كان يتردد الى الإمام من خراسان ، ثم استدعاه سنة تسعة وعشرين ليسأله عن الناس ، فسار في سبعين من النُّبَّاء مؤدِّين بالحج . ومرتسلاً فاستدعى أسيداً فأخبره بأن كتب الامام جاءت اليه مع الأذهر بن شُعَيْب وعبد الملك بن سعيد ، ودفع اليه الكتب . ثم لقيه يقوِّمُ كتاب الإمام اليه والى سليمان بن كثير اني قد بعثت اليك براءة النصر ، فارجع من حيث يلقاك كتابي ووجه قَخطبة الى الإمام بما معه من الاموال والعروض . وجاء أبو مسلم الى مرو وأعطى كتاب الإمام لسليمان ابن كَثِير ، وفيه الأمر باظهار الدعوة ، فنصبوا أبا مسلم ، وقالوا رجل من أهل البيت ، ودعوا الى طاعة بني العباس . وكتبوا الى الدعاة باظهار الأمر ، وترك أبو مسلم بقرية من قرى مرو في شعبان من سنة تسع وعشرين .

ثم بثوا الدعاة في طخارستان ومرو الروذ والطالقان وخوارزم ، وانهم ان أعجلهم عدوهم . دون الوقت عاجلوه وجردوا السيوف للجهاد ، ومن شغله العدو عن الوقت فلا حرج عليه أن يظهر بعد الوقت . ثم سار أبو مسلم فتزل على سليمان بن كَثِير الحُزاعي آخر رمضان ، ونصر بن سيار يقاتل الكرمانى وشيبان . فعقد للواء الذي بعث به الامام اليه ، وكان يدعى الظل على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً . ثم عقد الراية التي بعثها معه وتسمى السحاب

وهو يتلو : أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ الْآيَةَ .

ولبسوا السواد هو وسليمان بن كثير وأخوه سليمان ومواليه، ومن أجاب الدعوة من أهل تلك القرى، وأوقدوا النيران ليلتهم لشيعتهم في خرقان فأصبحوا عنده . ثم قدم عليه أهل السَّقَادِمِ مع أبي الوضاح في سبعمائة راجل ، وقدم من الدعاة أبو العباس المروزي، وحَصِنَ أبو مسلم بِسُفَيْدَنْجَ وَرَمَهَا، وحضر عيد الفطر، فصلى سليمان بن كثير ، وخطب على المنبر في العسكر وبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة . وكبر في الاولى ست تكبيرات ، وفي الثانية خمساً خلاف ما كان بنو أمية يفعلون . وكل ذلك مما سنه لهم الامام وأبوه .

ثم انصرفوا من الصلاة مع الشيعة، فطمعوا وكان أبو مسلم وهو في الخندق اذا كتب نصر بن سيار يبدأ باسمه ، فلما قوي بمن اجتمع اليه كتب الى نصر وبدأ بنفسه وقال : أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه عَيَّرَ قوماً في القرآن فقال : وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنُجِئَنَّكَ مِنَ اللَّهِ نَحِيلاً . فاستعظم الكتاب وبعث مولاه يزيد لمحاربة ابي مسلم لثمانية عشر شهراً من ظهوره ، فبعث اليه أبو مسلم مالك بن النخعي فدعاه الى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستكبروا ، فقاتلهم مالك وهو في مائتين يوماً بكماله . وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضبي و ابراهيم بن يزيد وزيايد بن عيسى ، فسرهم

الى مالك فقوي مالك بهم ، وقاتلوا القوم فجعل عبد الله الطائي على يزيد مولى نصر فأسره ، وانهزم أصحابه وأرسله الطائي الى أبي مسلم ومعه رؤوس القتلى ، فأحسن أبو مسلم الى يزيد وعالجه ، ولما اندملت جراحه قال ان شئت أقمت عندنا والا رجعت الى مولاك سالماً ، بعد أن تماهدنا على أن لا تحاربنا ولا تكذب علينا ، فرجع الى مولاه .

وتفرض نصر أنه عاهدكم فقال : والله هو ما ظننت وقد استخلفوني أن لا أكذب عليهم وانهم والله يصلون الصلاة لوقتها بأذان واقامة ، ويتلون القرآن ، ويذكرون الله كثيراً ويدعون الى ولاية آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أحسب أمرهم الا سيعلو . ولولا أنك مولاي لاقتهم ، وكان الناس يرجفون عنهم بعبادة الأوثان واستحلال الحرام .

ثم غلب حازم بن خزيمه على مرو الروذ ، وقتل عامل نصر بها . وكان من بني تميم من الشيعة ، وأراد بنو تميم منه . فقال انا منكم ، فان ظفرت فهي لكم وان قتلت كفيتم أمري فنزل قرية زاها . ثم تغلب على أهلها ، فقتل بشر بن جعفر السُغدي عامل نصر عليها أوائل ذي القعدة ، وبعث بالفتح الى أبي مسلم مع ابنه خزيمة بن حازم . وقيل في أمر أبي مسلم غير هذا ، وإن إبراهيم الامام أزوج أبا مسلم لما بعثه الى خراسان بابنة أبي النجم ، وكتب الى النعمان بطاعته .

وكان أبو مسلم من سواد الكوفة فهزما فانتهمي^(١) لإدريس ابن معقل العجلي . ثم سار إلى ولاية محمد بن علي ثم ابنه إبراهيم ثم للأئمة^(٢) من ولاية من ولده . وقدم خراسان وهو حديث السن ، واستصغره سليمان بن كثير فردّه . وكان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً وراء النهر . فلما جاء إلى مرو أقرأه كتاب الإمام وسألهم عن أبي مسلم ، فأخبروه أنّ سليمان بن كثير ردّه لحدائثة سنة وأنه لا يقدر على الأمر فنخاف على أنفسنا وعلى من يدعوّه . فقال لهم أبو داود : إنّ الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى جميع خلقه ، وأنزل عليه كتابه بشرائعه ، وأنبأ بما كان وما يكون ، وخلف علمه رحمة لأمته ، وعلمه انما هو عند عترته وأهل بيته ، وهم معدن العلم وورثة الرسول فيما علمه الله . أتشكون في شيء من ذلك ؟ قالوا لا . قال فقد شككتم والرجل لم يبعثه اليكم حتى علم اهليته لما يقوم به ، فبعثوا عن أبي مسلم وردّوه من قومس بقول أبي داود ، وولوه أمرهم وأطاعوه . ولم تزل في نفس أبي مسلم من سليمان بن كثير . ثم بعث الدعوة ودخل الناس في الدعوة أفواجاً واستدعاه الإمام سنة تسع وعشرين إن يوافيه بالرسوم ليأمره بأمره في اظهار الدعوة ، وإن يقدم معه قعطبة بن شبيب ، ويحمل ما اجتمع عنده من الاموال . فسار في جماعة من

(١) كذا في الأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠٠ : « وكان أبو مسلم من أهل خطرنية من سواد الكوفة وكان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلي » .

(٢) كذا . والظاهر أن « من ولاية » زائدة .

النقباء والشيعه ، فلقيه كتاب الامام بقومس يأمره بالرجوع
واظهار الدعوة بخراسان ، وبعث قحطبة بالمال ، وان قحطبة سار
الى جرجان . واستدعى خالد بن برمك وابا عون ، فقدما بما عندهما
من مال الشيعة فسار به نحو الامام .

مقتل الكرمانى

قد ذكرنا من قبل أن الكرمانى قتل الحرث بن شريح ،
فخلصت له مرو وتنحى نصر عنها . ثم بعث نصر سالم بن أحوَر
في رابطته وفُرسانيه الى مرو ، فوجد يحيى بن نعيم الشيباني في ألف
رجل من ربيعة ، ومحمد بن المثنى في سبعمائة من الأزد ، وأبو الحسن
ابن الشيخ في ألف منهم ، والحري السُغدي في ألف من اليمن .
فتلاحى سالم وابن المثنى وشم سالم الكرمانى فقاتلوه فهزموه وقتل
من أصحابه نحو مائة . فبعث نصر بعده عَصَّة بن عبدالله الأسدي
فكان بينهم مثل ما كان أولاً . فقاتلهم محمد السُغدي ، فانهزم
السغدي ، وقتل من أصحابه أربعمائة ، ورجع الى نصر . فبعث
مالك بن عمر التميمي فاقتتلوا كذلك ، وانهزم مالك وقتل من
أصحابه سبعمائة ، ومن أصحاب الكرمانى ثلثمائة .

ولما استيقن ابو مسلم ان كلا الفريقين قد أثخن صاحبه ،
وانه لا مدد لهم جعل يكتب الى شيان الخارجي يذم اليمانية تارة
ومُضَرَّ أخرى ويوصي الرسول بكتاب مضر أن يتعرض لليمانية
ليقرؤا ذم مضر ، والرسول بكتاب اليمانية ، ان يتعرض لمضر ليقرؤا

ذمَّ اليانئة، حتى صار هوى الفريقين معه. ثم كتب الى نصر بن سيار والكرماني أن الامام أوصاني بكم ولا أعدو رأيهم فيكم. ثم كتب يستدعي الشيعة: أسد ابن عبدالله الخزاعي بئسًا، ومقاتل بن حكيم ابن غزوان، وكانوا أول من سَوَّدَ ونادوا يا محمداً يا منصور! ثم سود أهل ابي وزد ومرو الروذوقري مرو، فاستدعاهم أبو مسلم، وأقبل فتزل بين خندق الكرماني وخندق نصر، وهابه الفريقان، وبعث الى الكرماني ابي معك، وقبل فانضم أبو مسلم اليه، وكتب نصر ابن سيار الى الكرماني يمجده منه، ويشير عليه بدخول مرو ليصلحه. فدخل ثم خرج من الغد، وأرسل الى نصر في اتمام الصلح في مائتي فارس، فرأى نصر فيه غرة، فبعث اليه ثلثمائة فارس فقتلوه، وسار ابنه الى ابي مسلم، وقتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الامارة الى بعض الدور. ودخل أبو مسلم مرو فبايعه علي بن الكرماني، وقال له أبو مسلم أقم على ما أنت عليه حتى آرك بأمرى. وكان نصر حين تزل أبو مسلم بين خندقه وخندق الكرماني ورأى قوته، كتب الى مروان بن محمد يعلمه بخروجه وكثرة من معه ودعائه لابراهيم بن محمد:

أَرَى خَلَّ الرَّمَادِ وَمِضَ جَرٌّ^(١) وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضَرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تَذْكُو وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ
فَإِنْ لَمْ تُطْفِئْهَا يُخْرِجُوهَا مُسَجَّرَةً يَشِيبُ لَهَا الْفُلَامُ

(١) مروية: نار.

أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَاطُ أُمِّيَّةُ أَمْ نِيَامُ
فَإِنْ يَكُ قَوْمُنَا أَضْحَوْا نِيَاماً قَلُّ قَوْمُوا فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ
تَمَزَّى عَنْ رِجَالِكَ ثُمَّ قَوْلِي عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ
فوجدته مشتغلاً بحرب الضحَّاك بن قيس، فكتب إليه: الشاهد
يرى ما لا يرى الغائب، فاحتهم التلؤل قبلك. فقال نصر: أما
صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده. وصادف وصول كتاب نصر
إلى مروان عثوره على كتاب من إبراهيم الإمام لابي مسلم
يؤنبه حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرماني اذ أمكنته، ويأمره
أن لا يدع بخراسان متكلاً بالعربية. فلما قرأ الكتاب بعث إلى
عامله بالبلقاء أن يسير إلى الحيسة، فيبعث إليه إبراهيم بن محمد
مشدوداً لوثاق فحبسه مروان.

اجتماع أهل خراسان على قتل أبي مسلم

لما أظهر أبو مسلم أمره سارع إليه الناس، وكان أهل مرو
يأتونه ولا يمنهم نصر، وكان الكرماني وشيخان الخارجي لا
يكرهان أمر أبي مسلم لأنه دعا إلى خلع مروان. وكان أبو
مسلم ليس له حرس ولا حجاب ولا غلظة الملك، فكان الناس
يأنسون به لذلك، وارسل نصر إلى شيخان الخارجي في الصلح
ليتفرغ لقتال أبي مسلم، أما ان يكون معه أو يكف عنه، ثم
نعود إلى ما كنا فيه. فهم شيخان بذلك، وكتب أبو مسلم إلى
الكرماني فحرضه على منع شيخان من ذلك، فدخل عليه وثناه

عنه . ثم بعث ابو مسلم النضر بن نعيم الضبي الى هراة فلكها ،
وطرد عنها عيسى بن عقيل بن معقل اللثي عامل نصر .
فجاء يحيى بن نعيم بن هيرة الشيباني الى الكرمانى وشيبان ،
واغرامها بمصالحة نصر . وقال : ان صالحتم نصرًا قاتله ابو مسلم
وترككم ، لان امر خراسان لمضرب . وان لم تصالحوه صالحه وقاتلكم ،
فقدموا نصرًا قبلكم . فأرسل شيبان الى نصر في المودعة فأجاب ،
وجاء مسلم بن احور بكتب المودعة فكتبوها . وبعث ابو مسلم
الى شيبان في مودعة ثلاثة اشهر . فقال ابن الكرمانى : اذا
ما صالحت نصرًا انما صالحه شيبان وانا موقوف بأبي . ثم عاود القتال
وقعد شيبان عن نصره ، وقال : لا يحل الغدر ، فاستنصر ابن
الكرمانى بأبي مسلم ، فأقبل حتى نزل الماخران لاثنتين واربعين
يومًا من نزوله بسفيدنج ، وخندق على معسكره وجعل له بايين ،
وعلى شرطته مالك بن الهيثم ، وعلى الحرس ابا اسحق خالد بن
عثمان ، وعلى ديوان الجند ابا صالح كامل بن مظفر ، وعلى الرسائل
اسلم بن صبيح ، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع النقيب .
وكان القاسم يصلي بأبي مسلم ويقرأ القصص بعد العصر ،
فيذكر فضل بني هاشم وسالف بني أمية . فلما نزل أبو مسلم
الماخران أرسل الى ابن الكرمانى بأنه معه ، فطلب لقاءه فجاءه أبو
مسلم وأقام عنده يومين ثم رجع ، وذلك أول المحرم سنة ثلاثين .
ثم عرض الجند ، وأمر كامل بن مظفر بكتب أسمائهم وأنسابهم في

دفتر، فبلغت عدته سبعة آلاف . ثم ان القبائل من ربيعة ومضر واليمن توادعوا على وضع الحرب والاجتماع على قتال أبي مسلم، فعظم ذلك عليه وتحول عن الماخرا ن لاربعة أشهر من زولها لانها كانت تحت الماء . وخشي أن يقطع فتحول الى طَبْسِينَ وخندق بها، وخندق نصر بن سيار على نهر عياض، وأزل عماله بالبلاد . فأزل أبا الدُّبَالِ في جنده لعلوسان، فأدوا أهلها وعسفوهم، وكان أكثرهم مع أبي مسلم في خندق، فسير اليهم جنداً فقاتلوه فهزموه وأسروا من أصحابه ثلاثين، فأطلقهم أبو مسلم، ثم بعث محرز بن ابراهيم في جمع من الشيعة ليقطع مادة نصر من مرو الروذ وبلخ وطخارستان، فخندق بين نصر وبين هذه البلاد، واجتمع اليه ألف رجل وقطع المادة عن نصر .

مقتل عبد الله بن معاوية

قد تقدّم لنا أنَّ عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بويج بالكوفة، وغلبه عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ولحق بالمدائن . وجاءه ناس من اهل الكوفة وغيرها، فسار الى الجبال وغلب عليها وعلى حلوان وقومس واصبهان والريّ واقام باصبهان . وكان محارب بن موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس، فجاء الى دار الامارة بأصطخر وطرده عامل عبد الله عنها، وباع الناس لعبد الله بن معاوية . ثم سار الى كرمان فأغار عليها وانضم اليه قواد من اهل الشام . فسار الى سالم بن المسيّب عامل عبد الله بن

عمر على شيراز ، فقتله سنة ثمان وعشرين . ثم سار مُحَارِبُ الى
اصبهان وحول عبدالله بن معاوية الى اصطخر ، بعد ان استعمل
على الجبال اخاه الحسن بن معاوية ، واتي الى اصطخر فتزل بها ،
واتاه بنو هاشم وغيرهم ، وجبى المال وبعث العمال . وكان معه
مَنْصُورُ بن جُهمُور وسليمان بن هشام ، واتاه شيبان بن عبد العزيز
الخارجي ، ثم اتاه ابو جعفر المنصور وعبدالله ابن اخيه عيسى .

ولما قدم يزيد بن عُمرَ بن هُبَيْرَةَ على العراق ارسل نَبَاتَةَ بن
حَنْظَلَةَ الكِلَابِي على الْأَهْوَازِ ، وان يقاتل عبدالله بن معاوية ، وبلغ
سليمان بن حبيب وهو بالاهواز فسرّح داود بن حاتم للقاء نباتة ،
وهرب سليمان من الاهواز الى نيسابور ، وقد غلب الاكراد عليها
فطردهم عنها ، وباع لابن معاوية ، فبعث اخاه يزيد بن معاوية
عليها . ثم إن مُحَارِبَ بن موسى فارق عبدالله بن معاوية وجع ،
وقصد نيسابور . فقاتله يزيد بن معاوية ، وهزمه فأتى كرمان .
واقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث ، فصار معه ثم نافر . فقتله
ابن الأشعث وابنة وعشرين ابناً له . ثم بعث يزيد بن هُبَيْرَةَ بعد
نَبَاتَةَ بن حَنْظَلَةَ ابنه داود بن يزيد في العساكر الى عبدالله بن
معاوية ، وعلى مقدّمته داود بن ضَبَارَةَ .

وبعث مَعْنُ بن زَائِلَةَ من وجه آخر ، فقاتلوا عبدالله بن معاوية
وهزموه واسروا وقتلوا ، وهرب منصور بن جمهور الى السند ،
وعبد الرحمن بن يزيد الى عُمان ، وعمر بن سُهَيْل بن عبد العزيز

ابن مروان الى مصر ، وبعثوا بالأسرى الى ابن هبيرة ، فأطلقهم ومضى ابن معاوية عن فارس الى خراسان . وسار معن بن زائدة في طلب منصور بن جمهور ، وكان فيمن اسر مع عبدالله بن معاوية عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس ، شفع فيه حرب ابن قطن من أخواله بني هلال ، فوهبه له ضبارة ، وغاب عبدالله بن معاوية عن ابن ضبارة . ورعى أصحابه باللواطة ، فبعث الى ابن هبيرة ليخبره ، وسار ابن ضبارة في طلب عبدالله بن معاوية الى شيراز ، فحاصره بها حتى خرج منها هارباً ومعه اخوه الحسن وزيد وجاعة من أصحابه فسلك المفازة على كرمان الى خراسان طمعا في أبي مسلم ، لانه كان يدعوا الى الرضا من آل محمد ، وقد استولى على خراسان فوصل الى نواحي هراة وعليها مالك فقال له : انتسب نعرفك . فانتسب له فقال : أما عبدالله وجعفر فمن أسماء آل الرسول ، وأما معاوية فلا نعرفه في أسمائهم . قال ان جدي كان عند معاوية حين ولد أبي ، فبعث اليه مائة ألف على أن يسمي ابنه باسمه . فقال لقد اشتريتم الأسماء الخبيثة بالثمن اليسير^(١) فلا نرى لك حقاً فيما تدعو اليه . ثم بعث بخبره الى أبي مسلم ، فأمره بالقبض عليه وعلى من معه فحبسهم . ثم كتب اليه باطلاق أخويه الحسن وزيد ، وقتل عبدالله فوضع الفراش على

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠٧ : ولقد اشتريتم الاسم الخبيث بالثمن

اليسير .

وجهه فمات .^(١) لما تعاقد نصر وابن الكرمانى وقبائل ربيعة واليمن ومضر على قتال أبي مسلم عظم على الشيعة ، وجمع أبو مسلم أصحابه ودس سليمان بن كثير إلى ابن الكرمانى يذكره بثأر أبيه من نصر ، فانتقضوا فبعث نصر إلى أبي مسلم بموافقة مضر ، وبعث إليه أصحاب ابن الكرمانى وهم ربيعة واليمن بمثل ذلك . واستدعى وفد الفريقين ليختار الركون إلى أحدهما ، وأحضر الشيعة لذلك وأخبرهم بأن مضر أصحاب مروان وعماله وشيعته وقبله يحيى بن يزيد . فلما حضر الوفد تكلم سليمان بن كثير ويزيد بن شقيق السلمى بمثل ذلك ، وبأن نصر بن سيار عامل مروان ويسميه أمير المؤمنين ، وينفذ أوامره فليس على هدى ، وإنما يختار علي بن الكرمانى . وأصحابه ووافق السبعون من الشيعة على ذلك وانصرف الوفد .

ورجع أبو مسلم من آيين إلى الماخران ، وأمر الشيعة ببناء المساكن ، وأمن من فتنة العرب . ثم أرسل إليه علي بن الكرمانى أن يدخل مرو من ناحيته ليدخل هو وقومه من الناحية الأخرى ، فلم يطمئن لذلك أبو مسلم وقال : ناشبهم الحرب من قبل فناشب ابن الكرمانى نصر بن سيار الحرب ، ودخل مرو من ناحيته ،

(١) هنا بياض في الأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٠٧ : «وقتل عبد الله بن معاوية فأمر من وضع فراشاً على وجهه فمات . وأخرج فصلي عليه ودفن ، وقبره بهراة معروف يزار رحمه الله» .

وبعث ابو مسلم بعض النقباء . فدخل معه ثم سار وعلى مقدفته
أسيد بن عبدالله الخزاعي ، وعلى ميمنته مالك بن الهيثم ، وعلى
ميسرته القاسم بن مجاشع . فدخل مرو . والفريقان يقتتلان ، ومضى
الى قصر الامارة وهو يتلو : ودخل المدينة على حين غفلة من
أهلها . وأمر الفريقين بالانصراف فانصرفوا الى معسكرهم وصفت
له مرو ، وأمر بأخذ البيعة من الجند ، وتولى أخذها أبو منصور
طلحة بن زريق أحد النقباء الذين اختارهم محمد بن علي من الشيعة
حين بعث دعائه الى خراسان سنة ثلاث وأربع ، وكانوا اثني عشر
رجلاً .

فمن خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزباد بن صالح
وطلحة بن زريق وعمر بن اعين . ومن طي : قطبة بن شبيب بن
خالد بن سعدان ، ومن تميم ابو عيثة موسى بن كعب ولاهز بن
قريط والقاسم بن مجاشع واسلم بن سلام . ومن بكر بن وائل ابو
داود خالد بن ابراهيم الشيباني وابو علي المروزي ، ويقال شبل بن
طهمان . وكان عمر بن اعين مكان موسى بن كعب وابو النجم
اسماعيل بن عمران مكان ابي علي المروزي وهو ختن ابي مسلم .
ولم يكن أحد من النقباء غير أبي منصور طلحة بن زريق
ابن سعد ، وهو أبو زينب الخزاعي ، وقد شهد حرب ابن الأشعث ،
وصحب المهلب وغزا معه . وكان أبو مسلم يشاوره في الأمور .
وكان نص البيعة : أبايكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى

الله عليه وسلم، والطاعة للرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعناق، والمشي الى بيت الله الحرام، وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى تبدأكم به ولا تكمن، وذلك سنة ثلاثين ومائة .

ثم أرسل أبو مسلم لاهز بن قُرَيْط في جماعة الى نصر بن سَيَّار يدعو الى البيعة، وعلم نصر أن أمره قد استقام ولا طاقة له بأصحابه، فوعده بأنه يأتيه يبايعه من الغد، وأرسل أصحابه بالخروج من ليلتهم الى مكان يأمنون فيه . فقال أسلم بن أحوز لا يتهماً لنا الليلة . فلما أصبح ^(١) أبو مسلم كتابه، وأعاد لاهز بن قُرَيْط الى نصر يستحثه، فأجاب وأقام لوضوئه . فقال لاهز : إن الملائكة يأتون بك ليقتلوك . فخرج نصر عند المساء من خلف حجرته ومعه ابنه قيس، والحكم بن غيلة التميمي، واراثة المَرْزُبَانَة، وانطلقوا هرباً . واستبطأ لاهز فدخل المنزل فلم يجد به وبلغ ابا مسلم هربه فجاء الى معسكره وقبض على أصحابه، منهم سالم بن أحوز صاحب شرطته، والبُخْتَرِي كاتبه، وابنان له ويونس بن عبد ربه، ومحمد بن قطن وغيرهم . وسار ابو مسلم وابن الصكرماني في طلبه ليلتهما، فأدركا اراثة قد خلفها وسار، فرجعوا الى مرو . وبلغ نصر من سرخس فأقام بطوس خمس عشرة ليلة . ثم جاء

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٠ : «فلما كان الغد دعا أبو مسلم أصحابه وكتبه» .

نيسابور فأقام بها ، وتعاقد ابن الكرمانى مع أبى مسلم على رأيه . ثم بعث الى شيان الحرورى يدعوهُ الى البيعة ، فقال شيان : بل أنت تبايعنى ^(١) واستنصر بابن الكرمانى فأبى عليه ، وسار شيان الى سرخس واجتمع له جمع من بكر بن وائل ، وبعث اليه أبو مسلم في الكف فسجن الرسل . فكتب الى بسام بن ابراهيم مولى بني لَيْثِ المكنى بأبى وَزْدٍ أن يسير اليه ، فقاتله وقتله ، وقتل بكر بن وائل الرسل الذين كانوا عنده .

وقيل ان ابا مسلم اتى وجهه الى شيان عسكرياً من عنده عليهم خُزَيْمَةُ بن حازم وِبَسَّامُ بن ابراهيم . ثم بعث أبو مسلم كعباً من النقباء الى أَبِيوَرْدَ فافتتحها ثم ابا داود خالد بن ابراهيم من النقباء الى بَلَخٍ وبها زياد بن عبد الرحمن القُشَيْرِيّ ، فجمع له أهل بلخ وتُرْمُذُ وجند طَخَارِسْتَانَ وِزْلَ الْجوزِجَانِ ، ولقيهم أبو داود فهزهم وملك مدينة بلخ . وساروا الى ترمذ فكتب أبو مسلم الى أبي داود يستقدمه ، وبعث مكانه على بلخ يحيى بن نعيم أبا المَيْلَا ، فدخله زياد بن عبد الرحمن في الخلاف على أبي مسلم ، واجتمع لذلك زياد ومسلم بن عبد الرحمن الباهلي وعيسى بن زُرْعَةَ السَّلَمِيّ ، وأهل بلخ وترمذ ، وملوك طخارستان وما وراء النهر . وزلوا على فرسخ من بلخ ، وخرج اليهم يحيى بن نعيم بمن معه .

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٣١١ : «فقال شيان : أنا أدعوك إلى بيعتي ، فأرسل إليه أبو مسلم إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت به» .

واتفقت كلمة مُضَرَ وربيعَةَ واليمنِ ومن معهم من العجم على قتال المُسَوَّدَةِ ، وولوا عليهم مُقَاتِل بن حَيَّان النَّبْطِي مخافة ان يتنافسوا . وبعث أبو مسلم أبا داود اليهم ، فأقبل بمساكره حتى اجتمعوا على نهر السَّرْحَانِ واقتتلوا . وكان زياد وأصحابه قد خلفوا أبا سعيد الفُرْثِي مُسَلَّحَةً وراهم خشية أن يؤثوا من خلفهم ، وكانت راياته سوداً وأغفلوا ذلك . فلما اشتد القتال زحف أبو سعيد في أصحابه لمددهم ، فظنوه كيناً للسودة فانهزموا وسقطوا في النهر ، وحوى أبو داود معسكرهم بما فيه ، وملك بلخ .

ومضى زياد ويحيى ومن معها الى تَرْمَذَ ، وكتب أبو مسلم يستقدم أبا داود . وبعث النُّضَر بن صَبِيح الأُرْزِي على بلخ . ولما قدم أبو داود أشار على أبي مسلم بالفرقة بين عليّ وعثمان ابني الكرمانى . فبعث عُثْمَان على بلخ وقدها فاستخلف الفَرَاغَصَةَ بن ظَهِير العبَّاسي ، وسار هو والنضر بن صبيح الى مرو الروذ . وجاء مسلم بن عبد الرحمن الباهلي من ترمذ في المضربة ، فاستولى على بلخ . ورجع اليه عثمان والنضر فهربوا من ليلتهم ، ولم يعن النضر في طلبهم ، وقتلهم عثمان ناحية عنه فانهزم ، ورجع أبو داود الى بلخ . وسار ابو مسلم الى نيسابور ، ومعه علي بن الكرمانى ، وقد اتفق مع أبي داود على قتال ابني الكرمانى ، فقتل أبو داود عثمان في بلخ ، وقتل أبو مسلم علياً في طريقه الى نيسابور .

مسير قحطبة للفتح

وفي سنة ثلاثين قدم قحطبة بن شبيب على ابي مسلم من عند الامام ابراهيم ، وقد عقد له لواء على محاربة العدو ، فبعثه أبو مسلم في مقدمته وضم اليه العساكر ، وجعل اليه التولية والعزل ، وأمر الجنود بطاعته . وقد كان حين غلب على خراسان بعث العمال على البلاد ، فبعث ساعي بن النعمان الأزدي على سمرقند و ابا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان ، ومحمد بن الاشعث الحزاعي على طَبْسِين ، وجعل مالك بن المهيم على شرطته . وبعث قحطبة الى طوس ومعه عدة من القواد : أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وخالد بن برمك ، وعثمان بن نهيك ، وحازم بن خزيمة وغيرهم ، فهزم أهل طوس وأفحش في قتلهم .

ثم بعث ابو مسلم القاسم بن مجاشع الى نيسابور على طريق الحجة ، وكتب الى قحطبة بقتال تميم بن نصر بالسودقان ، ومعه الثاني ابن سويد وأصحاب شيان ، وأمدّه بعشرة آلاف مع علي بن مَمِقْل . فزحف اليهم ودعاهم بدعوته وقتلهم ، فقتل تميم بن نصر وجاعة عظيمة من أصحابه ، يقال بلغوا ثلاثين ألفاً ، واستبيح معسكرهم ، وتحصن الباقي بالمدينة فاقترحمها عليهم ، وخلف خالد بن برمك على قبض الفنائم ، وسار الى نيسابور . فهرب منها نصر ابن سيار الى قومس ، ثم تفرق عنه أصحابه فسار الى نباتة بن حَنْظَلَةَ بِحَرْجَان وكان يزيد بن هَيَّرة بعثه مدداً لنصر ، فأتى فارس

واصبهان، ثم سار الى الري، ثم الى جرجان .

وقدم قحطبة نيسابور، فأقام بها دَمَضانَ وَشَوَّالَ، وارتحل الى جرجان، وجعل ابنه الحسن على مقدمته، وانتهى الى جرجان وأهل الشام بها مع نبأته، فهاجهم أهل خراسان، فخطبهم قحطبة وأخبرهم أن الامام أخبره أنهم يلقونه مثل هذه العدد فينصرونه عليهم. ثم تقدّم للقتال وعلى ميمنته ابنه الحسن، فانهزم أهل الشام وقتل نبأته في عشرة آلاف منهم، وبعث برأسه الى أبي مسلم، وذلك في ذي الحجة من السنة، وملك قحطبة جرجان . ثم بلغه أن أهل جرجان يرومون الخروج عليه، فاستعرضهم وقتل منهم نحواً من ثلاثين ألفاً، وسار نصر من قومن الى خوار الري وعليها أبو بكر العقيلي، وكتب الى ابن هبيرة بواسط يستمته، فحبس رسله. فكتب مروان الى ابن هبيرة، فجهز ابن هبيرة جيشاً كفيفاً الى نصر وعليهم ابن عطيف .

هالك نصر بن سيار

ثم بعث قحطبة ابنه الحسن الى محاصرة نصر في جوار الري في محرّم سنة احدى وثلاثين، وبعث اليه المدد مع أبي كامل وأبي القاسم محرز بن ابراهيم وأبي العباس المروزي . ولما تقادروا نزع ابو كامل الى نصر فكان معه، وهرب جند قحطبة وأصحاب نصر أصابهم شيء من متاعهم، فبعثه نصر الى ابن هبيرة، فاعترضه ابن عطيف بالري فأخذه فغاضبه نصر، فأقام ابن عطيف

بالري . وسار نصر الى الري وعليها حبيب بن يزيد النهشلي ، فلما قدما سار ابن عطيف الى همدان وكان فيها مالك بن أدهم ابن مُحَرِّز الباهلي ، فمدل بن عطيف عنها الى أَصْبَهَانَ وبها عامر ابن ضَبَّارَةَ ، وقدم نصر الري فأقام بها يومين ومرض وارتحل . فلما بلغ نهاوند مات لاثني عشر من ربيع الأول من السنة ودخل أصحابه همدان .

استيلاء قحطبة على الري

ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن بن قحطبة خزيمة بن حازم الى سمنان ، واقبل قحطبة من جرجان ، وقدم زياد بن دُرَادَةَ المُشِيرِيَّ وقد كان قدم على طاعة أبي مسلم ، واعتزم على اللحاق بابن ضَبَّارَةَ ، فبعث قحطبة في أثره المُسَيَّب بن زُهَيْر الضَّيِّي فهزمه ، وقتل عامة من مع ابن معاوية ورجع . ولحق قحطبة ابنه الحسن الى الري فخرج عنها حبيب بن يزيد النهشلي وأهل الشام ، ودخلها الحسن في صفر ، ثم لحق به أبوه وكتب برسالة إلى أبي مسلم .

وقد أكثر أهل الري الى بني أمية ، فأخذ ابو مسلم أملاكهم ولم يردّها عليهم الا السفاح بعد حين . فأقام قحطبة بالري ، وكتب ابو مسلم الى أَصْبَهَانَ طَبَرِسْتَانَ بالطاعة واداء الخراج فأجاب ، وكتب الى المَصْنَعَانِ صاحب دَنْبَاوَنْدَ وكبير الدَّيْلَمِ بمثل ذلك ، فافحش في الرد . فكتب ابو مسلم الى موسى بن كعب ان يسير إليه

من الري فصار ولم يتمكن منه لضيق بلاده . وكان الديلم يقاتلونه كل يوم، فكثرت فيهم الجراح والقتل، ومنعهم الميرة فأصابهم الجوع، فرجع موسى الى الري، ولم يزل المصننان مُتَمَتِّعاً الى ايام المنصور، فأغزاه حماد بن عمر في جيش كثيف، ففتح دنهاوند. ولما ورد كتاب قحطبة على ابي مسلم ارتحل عن مرو وژل نيسابور، ثم سير قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الري بثلاث ليال، فصار عنها مالك بن ادهم واهل الشام وخراسان الى نهاوند، وژل على اربعة فراسخ من المدينة، وأمدته قحطبة بأبي الجهم ابن عَطِيَّة مولى باهَلَّة في سبعمائة واقام محاصراً لها .

استيلاء قحطبة على اصبهان ومقتل ابن ضبارة وفتح نهاوند وشهرزبور

قد تقدم لنا ان ابن هبيرة بعث ابنه داود بن يزيد لقتال عبدالله بن معاوية بأصطخر، وبعث معه عامر بن ضبارة فهزموه واتبعوه الى كرمان سنة تسع وعشرين، فلما بلغ ابن هبيرة مقتل نباة يجرجان سنة ثلاثين، كتب الى ابنه داود بن ضبارة بالسير الى قحطبة، فصار من كرمان في خمسين ألفاً وژلوا اصبهان. وبعث اليهم قحطبة جماعة من القواد عليهم مُقَاتِلُ بن حكيم الكُتَيْبِي فژلوا قُومًا، وسار قحطبة الى نهاوند مدداً لولده الحسن الذي حاصرهم، فبعث مقاتلاً بذلك قحطبة، فصار حتى لحقه، وزحفوا للقاء داود بن ضبارة وهم في مائة ألف، وقحطبة في عشرين ألفاً. وحمل قحطبة واصحابه فانهزم بن ضبارة وقتل واحتوا على ما

كان في معسكرهم مما لا يعبر عنه من الاصناف وذلك في رجب. وطير قحطبة بالخبر الى ابنه الحسن وسار الى اصبهان ، فأقام بها عشرين ليلة ، وقدم على ابنه فحاصروا نهاوند ثلاثة اشهر الى آخر شوال ، ونصبوا عليها المجانيق وبعث بالامان الى من كان في نهاوند من اهل خراسان فلم يقبلوا ، فبعث الى اهل الشام فقالوا اشغل عنا اهل المدينة بالقتال نفتح لك المدينة من ناحيتنا ، ففعلوا وخرجوا اليه جميعاً ، فقتلوا اهل خراسان فيهم ابو كامل وحاتم بن شريح وابن نصر بن سيّار وعاصم بن عُمير وعليّ بن عقيل ويهس . وكان قحطبة لما جاء الى نهاوند بعث ابنه الحسن الى جهات حُلوان وعليها عبدالله بن العلاء الكِنديّ ، فتركها وهرب . ثم بعث قحطبة عبد الملك بن يزيد ومالك بن طرا في اربعة آلاف الى شهرزور ، وبها عثمان بن سفيان على مقدمته عبدالله بن محمد ، فقاتلوا عثمان آخر ذي الحجة ، فانهزم وقتل ، وملك ابو عوف بلاد الموصل . وقيل ان عثمان هرب الى عبدالله بن مروان ، وغنم ابو عون عسكره وقتل اصحابه ، وبعث اليه قحطبة بالمدد . وكان مروان بن محمد بحرّان ، فسار في اهل الشام والجزيرة والموصل ، وزل الزاب الأكبر وأتوا شهرزور الى المحرم سنة اثنتين وثلاثين .

حرب سفاح بن هبيرة مع قحطبة ومقتلها وفتح الكوفة

ولما قدم على يزيد بن هُبيرة ابنه داود منهزماً من حُلوان ،

خرج يزيد للقاء قَحْطَبَةَ في مدد لا يحصى، وكان مروان أمدّه بِحَوْثَرَةَ بن سُهَيْل البَاهِلِيِّ، فسار معه حتى نزل حلوان، واحتفر الخندق الذي كانت فافس احتفرته أيام الواقعة. وأقام وأقبل قحطبة الى حلوان، ثم عبر دِجْلَةَ الى الأنبار، فرجع ابن هبيرة مبادراً الى الكوفة. وقدم اليها حوثرَة في خمسة عشر ألفاً، وعبر قحطبة الفرات من الانبار ثمان من الهرم سنة اثنتين وثلاثين، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات، وعلى ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة، ومعه حَوْثَرَةُ وَقَلْبُ ابن ضَبَادَةَ. وأشار عليه أصحابه أن يدع الكوفة ويقصد هو خراسان، فيتبعه قحطبة، فأبى الا البدار الى الكوفة، وعبر اليها دجلة من المدائن، وعلى مقدمته حوثرَة، والفريقان يسيران على جانب الفرات.

وقال قحطبة لأصحابه ان الامام أخبرني بأن وقعة تكون بهذا المكان والنصر لنا، ثم دلوه على مخاضة فبر منها، وقاتل حوثرَة وابن نباتة فانهزم أهل الشام، وقعد قحطبة وشهد مُعَاتِلُ العِلَلِيِّ بأن قحطبة عهد لابنه الحسن بعهده، فبايع جميع الناس لآخيه الحسن، وكان في سرّية فبعثوا عنه وولوه. ووجد قحطبة في جدول هو وحزب بن كَمٍّ بن أَحْوَرٍ وقيل: ان قحطبة لما عبر الفرات وقاتل ضربه معن بن زائدة، فسقط وأوصى اذا مات أن يُلقى في الماء. ثم انهزم ابن نباتة وأهل الشام ومات قحطبة وأوصى بأمر الشيعة الى أبي مُسْلِمَةَ الخَلَّالِ بالكوفة ونزح آل محمد.

ولما انهزم ابن نباتة وحوثره لحقوا بابن هبيرة فانهزم الى واسط ، واستولى الحسن بن قحطبة على ما في معسكرهم .
وبلغ الخبر الى الكوفة فثار بها محمد بن خالد القسري بدعوة الشيعة ، خرج ليلة عاشوراء ، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي ، وعلى شرطته عبد الرحمن بن بشير العجلي وسار الى ^(١)
فهرب زياد ومن معه من أهل الشام ودخل القصر ورجع اليه حوثره ^(٢) وعن محمد عامة من معه ، ولزم القصر . ثم جاء قوم من يَحْيَلَة من أصحاب حوثره ، فدخلوا في الدعوة . ثم آخرون من كِنَانَة ، ثم آخرون من بحدل فارتحل حوثره نحوهم ^(٣)
وكتب محمد الى قحطبة وهو لم يعلم بهلاكه ، فقرأه الحسن على الناس . وارتحل نحو الكوفة ، فَصَبَحَهَا الرَّابِعَةَ من مسيره ، وقيل ان الحسن بن قحطبة سار الى الكوفة بعد قتل ابن هبيرة ، وعليها عبد الرحمن بن بشير العجلي ، فهرب عنها وسبق محمد بن خالد وخرج في احد عشر رجلاً ، فلقي الحسن ودخل معه ، وأتوا الى ابي مسلمة فاستخرجوه من بني مسلمة وعسكر بالثَّخَيْلَة ، ثم نزل حمام أعين .

(١) هنا بياض في الأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٢١ : «وسار محمد إلى القصر ، فارتحل زياد ومن معه من أهل الشام ودخل محمد القصر» .
(٢) هنا أيضاً بياض بالأصل وفي الكامل : «وسمع حوثره الخبر فساد نحو الكوفة ، فتفرق عن محمد عامة من معه» .
(٣) هنا أيضاً بياض بالأصل ، وفي الكامل : «ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل ، فلما رأى ذلك حوثره من صنع أصحابه ارتحل نحو واسط بمن معه» .

وبعث الحسن بن قحطبة الى واسط لقتال ابن هبيرة ، وبايع الناس أبا مُسلمة خُصَّ ابن سليمان الخُلال وزير آل محمد ، واستعمل محمد بن خالد القسري على الكوفة وكان يسمى الأمير حتى ظهر أبو العباس السَّفَّاح ، وبعث حميد بن قحطبة الى المدائن في قواد ، والمُسَيَّب بن هبيرة وخالد بن مَرَمَل الى ديرفنا وشراحيل الى عير ^(١) وبَسَّام بن ابراهيم بن بسام الى الأهواز ، وبها عبد الرحمن ابن عمر بن هبيرة ، فقاتله بسام وانهمز الى البصرة ، وعليها مسلم بن قُتَيْبَةَ الباهليّ عاملاً لآخيه . وبعث بسام في أثره سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب والياً على البصرة ، فجمع سالم قيساً ومضر وبني أمية . وجاء قائد من قواد ابن هبيرة في ألفي رجل ، وجمع سفيان اليانية وحلفاءهم من ربيعة ، واقتتلوا في صفر . وقتل ابن سفيان واسمه معاوية ، فانهمز لذلك . ثم جاء الى سالم اربعة آلاف مدداً من عند مروان ، فقاتل الازد واستباحهم ، ولم يزل بالبصرة حتى قتل ابن هبيرة ، فهرب عنها . واجتمع ولد الحرث بن عبد المطلب الى محمد بن جعفر فولوه أياماً ، حتى قدم أبو مالك عبدالله بن أسيد الحُزَاعِيّ من قبل أبي مسلم . فلما بويح ابو العباس السَّفَّاح ولّاها سُفْيَان بن معاوية .

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٣٢٢ : «وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك إلى دير قني وبعث المهلب وشراحيل إلى عين التمر» .

بيعة السفاح

قد كنا قد منّا خبر الدعاة وقبض مروان على ابراهيم بن محمد،
وانه حبسه بِجَرَّان، وكان نعى نفسه الى اهل بيته وأمرهم باللاحاق
بالكوفة، وأوصى على أخيه أبي العباس عبدالله بن الحرثية .
فسار ابو العباس ومعه اهل بيته، ومن اخوته أبو جعفر المنصور
وعبد الوهاب ومحمد ابن اخيه ابراهيم وعيسى ابن أخيه موسى،
ومن أعمامه داود وعيسى وصالح واسماعيل وعبدالله وعبد الصمد
بنو علي بن عبدالله بن عباس، وموسى ابن عمه داود ويحيى بن
جعفر بن تام بن العباس . فقدموا الكوفة في صفر، وأبو سلمة
والشيعه على حمام أعين بظاهر الكوفة، وأثرلهم أبو سلمة دار
الوليد بن سعد مولى بني هاشم في بني أؤد، وكنتم أمرهم عن
جميع القواد والشيعه أربعين ليلة، وأراد فيما زعموا أن يحول الامر
الى ابي طالب . وسأله ابو الجهم من الشيعة وغيره فيقول : لا
تقبلوا ليس هذا وقته .

ولقي أبو حميد محمد بن ابراهيم ذات يوم خادم ابراهيم
الامام، وهو سابق الخوَرَزَمِيّ فسأله عن الامام فقال : قتل ابراهيم
وأوصى الى اخيه ابي العباس، وها هو بالكوفة ومعه اهل بيته.
فسأله في اللقاء فقال : حتى استأذن : وواعده من الغد في ذلك
المكان، وجاء ابو حميد الى ابي الجهم فأخبره وكان في عسكر
ابي سلمة، فقال له تلتطف في لقائهم . فجاء الى موعد سابق ومضى

معه ودخل عليهم ، فسأل عن الخليفة فقال داود بن علي : هذا امامكم وخليفتكم ، يشير الى ابي العباس . فسلم عليه بالخلافة وعزاه بإبراهيم الامام ، ورجع ومعه خادم من خدمهم الى ابي الجهم ، فأخبره عن منزلهم وأنّ ابا العباس ارسل الى ابي سلمة ان يبعث اليه كراء الرّواحل التي جاؤا اليها ، فلم يبعث اليهم شيئاً . فمضى ابو الجهم وابو الحميد والخادم الى موسى بن كعب واخبروه بالامر ، وبعثوا الى الامام مائتي دينار مع خادمه .

واتفق رأي القوّاد على لقاء الامام ، فنهض موسى بن كعب وأبو الجهم عبد الحميد بن دَبيعي وسَلَمَةُ بن محمد وعبدالله الطائي واسحق بن ابراهيم وشراحيل وأبو حميد وعبدالله بن بَسَّام ومحمد ابن ابراهيم ومحمد بن حُصَيْن وسليمان بن الاسود ، فدخلوا على أبي العباس فسلموا عليه بالخلافة وعزوه في ابراهيم . ورجع موسى بن كعب وأبو الجهم وخلفوا الباقيين عند الامام ، وأوصوهم ان جاء أبو سلمة لا يدخلن الا وحده . وبلغه الخبر فجاء ودخل وحده كما حددوا له ، وسلم على أبي العباس بالخلافة ، وأمره بالعود الى معسكره ، وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول ، فلبسوا الصُّفاحَ واصطفوا للخروج الى أبي العباس وأتوه بالدواب له ولن معه من أهل بيته ، واركبهم الى دار الامارة . ثم رجع الى المسجد فخطب وصلى بالناس ، وبايعوه ثم صعد المنبر ثانية فقام في أعلاه ، وصعد معه داود فقام دونه وخطب

خطبته البليغة المشهورة ، وذكر حقهم في الامر وميراثهم له . وزاد الناس في أعطياتهم وكان موعواً فاشتد عليه الوعك فجلس على المنبر . وقام عمه داود على أعلى المراقي فخطب مثله ، وذم سيرة بني أمية ، وعاهد الناس على إقامة الكتاب والسنة وسيرة النبي ، ثم اعتذر عن عود السفاح بعد الصلاة الى المنبر ، وأنه أراد أن لا يخلط كلام الجمعة بغيرها ، وانما قطعه عن اقام الكلام شدة الوعك ، فادعوا الله له بالمعافاة . ثم بالغ ذم مروان ، وشكر شيعتهم من أهل خراسان ، وأن الكوفة متزلهم لا يتخلون عنها ، وأنه ما صعد هذا المنبر خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن ابي طالب أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين عبدالله بن محمد ، وأشار الى السفاح . وأن هذا الامر فينا ليس بخارج عنا حتى نسله لعيسى بن مريم .

ثم رُئِل أبو العباس وداود امامه حتى دخل القصر ، وأجلس أخاه أبا جعفر في المسجد يأخذ البيعة على الناس حتى جن الليل ، وخرج أبو العباس الى عسكر أبي سلمة وُرِّل معه في حجرته بينهما ستر . وحاجب السفاح يومئذ عبدالله بن بَسَّام . واستخلف على الكوفة عمه داود ، وبعث عمه عبدالله الى أبي عون بن يزيد بشهرزور ، وبعث ابن أخيه موسى الى الحسن بن قحطبة وهو يحاصر ابن هُيَّيْرَةَ بواسط ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس الى أحمد بن قحطبة بالمدائن . وبعث أبا اليقطين عثمان بن عُرْوَةَ بن

محمد بن عمار بن ياسر الي بسام بن ابراهيم بن بسام بالأهواز ،
 وبعث سلة بن عمر بن عثمان بن مالك بن الطوائف . وأقام السفاح
 بالمسكر شهراً ثم ارتحل ، فنزل قصر الامارة من المدينة الهاشمية ،
 وقد قيل أن داود بن علي وابنه موسى لم يكونا بالشام عند مسير
 بني العباس الى الكوفة ، وانهما لقياهم بدومة الجندل فرقا خبرهم .
 وقال لهم داود كيف تأتون الكوفة ؟ مروان بن محمد في حران
 في أهل الشام والجزيرة ، فطل على العراق ويزيد بن هبيرة بالعراق .
 فقال يا عم : من أحب الحياة ذل فرجع داود وابنه معه .

مقتل ابراهيم بن العلم

قد تقدم لنا أن مروان حبسه بحران ، وحبس سعيد بن هشام
 ابن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان والعباس بن الوليد بن عبد
 الملك وعبدالله بن عمر بن عبد العزيز وأبا محمد السفياي ، فهلك
 منهم في السجن من وباء وقع بحران العباس بن الوليد وابراهيم
 ابن الامام وعبدالله بن عمر ، وخرج سعيد بن هشام ومن معه من
 المحبوسين بعد أن قتلوا صاحب السجن ، فقتلهم الغوغاء من أهل
 حران . وكان فيمن قتلوه شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد
 الملك بن بشر الثعلبي ، وبطريق أزمينية واسمه كوشان . وتخلف
 أبو محمد السفياي في الحبس لم يستحل الخروج منه . ولما قدم
 مروان منهزماً من الزاب حل عنه فيمن بقي ، وقيل أن شراحيل
 ابن مسلمة كان محبوساً مع ابراهيم ، وكانا يتزاوران ويتهاديان ،

قدس في بعض الايام الى ابراهيم بن الامام بلبن مسموم على لسان
شراحيل فاستطلق بطنه . وقيل ان شراحيل قال : انا لله وانا
اليه راجعون ، احتيل والله عليه ، وأصبح ميتاً من ليلته .

هزيمة مروان بالزباب ومقتله بمصر

قد ذكرنا أن قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد
الأزدي الى شهرزور، فقتل عثمان بن سفيان وأقام بناحية الموصل،
وأن مروان بن محمد سار اليه من حرّان في مائة وعشرين ألفاً وسار
أبو عون الى الزاب، ووجه أبو سلمة عُيَيْتَةَ بن موسى والمِنْهَالِ بن
قَبّان واسحق بن طلحة كل واحد في ثلاثة آلاف مدداً له . فلما
بويح أبو العباس وبعث مسلمة بن محمد في ألفين ، وعبدالله الطائي في
ألف وخمسمائة ، وعبد الحميد بن ربيع الطائي في ألفين ، وهداس
بن فضلة في خمسمائة ، كلهم مدداً لابي عون . ثم ندب أهل بيته
الى المسير الى ابي عون ، فانتدب عبدالله بن علي فسار وقدم على
أبي عون ، فتحول له عن سُراديقه بما فيه . ثم أمر عُيَيْتَةَ بن موسى
بخمسة آلاف تعبر النهر من الزاب أوّل جمادى الاخير سنة اثنتين
وثلاثين ، وقاتل عساكر مروان الى المساء . ورجع ففقد مروان
الجسر من الغد ، وقدم ابنه عبدالله ، وعبر فبعث عبدالله بن علي
المُخَارِق بن عَفَّار في أربعة نحو عبدالله بن مروان ، فسرّح ابن مروان
الوليد بن مداوية بن مروان بن الحكم ، فانهزم أصحاب المُخَارِق ،
وأسر هو وجي . به الى مروان مع رؤوس القتلى . فقال انت

المخارق ؟ قال لا ا قال فتعرفه في هذه الرؤوس ؟ قال نعم ا قال هوذا، فخلى سبيله . وقيل بل أنكر أن يكون في الرؤوس فخلى سبيله .

وعاجلهم عبدالله بن علي بالحرب قبل ان يفسوا الخبر، وعلى ميمنته ابو عون وعلى ميسرته الوليد بن معاوية. وكان عسكره نحواً من عشرين ألفاً، وقيل اثني عشر . وأرسل مروان اليه في المواعدة فأبى، وحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو صهر مروان على ابنته، فقاتل ابا عون حتى انهزم الى عبدالله بن علي فأمر الناس فارتحلوا. ومشى قُدماً ينادي يا لثارات ابراهيم ا وبالا شعار يا محمد يا منصور . وأمر مروان القبائل بأن يحملوا فتخاذلوا واعتذروا حتى صاحب شرطته . ثم ظهر له الخللُ، فأباح الاموال للناس على ان يقاتلوا فأخذوها من غير قتال . فبعث ابنه عبدالله يصدّهم عن ذلك، فتبادروا بالفرار وانهزموا، وقطع مروان الجسر وكان من غرق اكثر ممن قتل . وغرق ابراهيم بن الوليد المخلوع، وقيل بل قتله عبدالله بن علي بالشام، ومن قتل يحيى ابن علي بن هشام، وكان ذلك في جمادى الاخرة سنة اثنتين وثلاثين .

واقام عبدالله في عسكره سبعة ايام، واجتاز عسكر مروان بما فيه . وكتب بالفتح الى ابي العباس السفاح، وسار مروان منهزماً الى مدينة الموصل وعليها هشام بن عمر الثعلبي وابن خزيمة

الاسدي ، فقطعوا الجسر ومنعاه العبور اليهم ، وقيل هذا امير المؤمنين ، فتجاهلوا وقالوا امير المؤمنين لا يفر . ثم أسمعوه الشتم والقبائح ، فسار الى حرّان وبها أبان ابن أخيه وسار الى حصص ، وجاء عبدالله الى حران ، فلقه أبو مسعود قائمته ، ولقي الجزيرة ولا بلغ مروان حصص أقام بها ثلاثاً وارتحل ، فاتبعه أهلها لينهبوه ، فقاتلهم وهزمهم وأثنى فيهم . وسار الى دمشق وعليها الوليد بن عمه ، فاوصاه بقتال عدوه .

وسار الى فلسطين فنزل نهر أبي فطرس ، وقد غلب على فلسطين الحكم بن ضبّان الجذامي ، فأرسل الى عبدالله بن يزيد ابن رَوْح بن زُبَاع الجذامي فأجاره . ثم سار عبدالله بن علي في أثره من حرّان بعد أن هدم الدار التي حبس فيها أخوه الامام ابراهيم . وانتهى الى قنّج فأطاعه أهلها ، وقدم عليه أخوه عبد الصّدّ، بعثه السفاح مدداً في ثمانية آلاف ، واقترب قواد الشيعة على أبواب دمشق فحاصروها أياماً . ثم دخلوها غنوةً لحس من رمضان واقتتلوا بها كثيراً ، وقتل عاملها الوليد بن معاوية . وأقام عبدالله بدمشق خمس عشرة ليلة ، وارتحل يريد فلسطين ، فأجفل مروان الى المريش .

وجاء عبدالله فنزل نهر ابي فطرس ، ووصله هناك كتاب السفاح بان يبعث صالح بن علي في طلب مروان ، فسار صالح في ذي القعدة ، وعلى مقدمته أبو عون وعامر بن اسماعيل الحارثي ،

فأجفل مروان الى النيل ثم الى الصعيد ، وئزل صالح الفسطاط ،
وتقدّمت عساكره فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم ، وأسروا منهم
ودلوهم على مكانه ببوصير . فسار اليه أبو عون وبيته هنالك
خوفاً من ان يفضحه الصبح ، فانهزم مروان وطعن فسقط في آخر
ذي الحجة الحرام وقطع رأسه ، وبعث به طليعة ابي عون اليه .
فبعثه الى السفاح ، وهرب عبدالله وعُيِّدُ الله ابنُ مروان الى
الجبّة وقاتلوهم ، فقتل عبيد الله ونجا عبد الله ، وبقي الى ايام
المهدي . فأخذه عامل فلسطين ، وسجنه المهدي . وكان طليعة
ابي عون عار بن اسماعيل الحارثي ، فوجد نساء مروان وبناته في
كنيسة بوصير قد وكل بهنّ خادماً يقتلنّ بعده ، فبعث بهنّ صالح .
ولما دخلنّ عليه سأله في الابقاء فلاهنّ على قتالهم عند بني أمية .
ثم عفا عنهنّ وحملنّ الى حران يكيين . وكان مروان يُلقَّبُ بالحمار
لحرنه في مواطن الحرب . وكان أعداؤه يلقبونه الجُنْدِيّ نسبة
الى الجُنْدِ بنِ دِرْهَمَ كان يقول بخلق القرآن ويتزندق . وأمر هشام
خالداً القسري بقتله فقتله . ثم تتبعوا بني أمية بالقتل . ودخل
أسديفُ يوماً على السّاح وعنده سليمان بن هشام وقد امنه
والده فقال :

لَا يَنْزُرُكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ أَنْ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
فَضَعَ السِّيفَ وَأَذْفَعَ السَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أَمْوِيًّا
فَأَرَى السَّفَاحَ بِسُلَيْمَانَ قَتَلَ . وَدَخَلَ شَيْبُلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي

هاشم على عبدالله بن عليّ وعنده ثمانون او تسعون من بني امية
ياكلون على مائدته فقال :

أَصْبَحَ الْمَلِكُ فِي ثَبَاتِ الْأَسَاسِ بِالْبَهَائِلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ
طَلَبُوا أَمْرَ هَاشِمٍ فَتَعَوْنَا بَعْدَ مِيلٍ مِنَ الزَّمَانِ وَبَاسِ
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِتَارًا فَاقْطَعَنَّ كُلَّ رِقْلَةٍ وَغَرَّاسِ
فَلَمَّا أَظْهَرَ التَّوَدُّدُ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَهْرَ الْمَوَاسِي
فَلَقَدْ غَاضَنِي وَغَاضَ سِوَانِي قُرْبُهُمْ مِنْ تَمَارِقٍ وَكَرَاسِي
أَثَرُهَا بِحَيْثُ أَثَرَهَا اللَّهُ بَدَارِ الْهَوْنِ وَالْإِنْعَاسِ
وَأَذْكُرُوا مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدًا وَقَبِيلًا بِجَانِبِ الْجَهْرَاسِ
وَالْقَتِيلَ الَّذِي بِمَجْرَانٍ أَضْحَى ثَاوِيًا دَهْنِ غُرْبَةٍ وَنُفَاسِ
فَأَمَرَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ فَشَدَّخُوا بِالْمُؤَدِّ ، وَبَسَطَ مِنْ فَوْقِهِمُ الْإِنْطَاعَ

فَأَكَلَ الطَّعَامَ عَلَيْهَا ، وَأَتَيْنَهُمْ يَسْمَعُ حَتَّى مَا تَوَا وَذَلِكَ بِنَهْرِ أَبِي
فَطْرَسَ . وَكَانَ فِيمَنْ قَتَلَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَالْمِزْ
ابْنَ يَزِيدَ وَعَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَبُو
عَبِيدَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَقِيلَ : أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَطْلُوعَ قَتَلَ
مَعَهُمْ ، وَقِيلَ إِنَّ أَسَدِيْفًا هُوَ الَّذِي أَنْشَدَ هَذَا الشَّعْرَ لِلْسَفَاحِ ، وَانْه
الَّذِي قَتَلَهُمْ . ثُمَّ قَتَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بِالْبَصْرَةِ
جَمَاعَةً مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ ، فَأَمَرَ بِأَسْلَافِهِمْ فِي الطَّرِيقِ ، فَأَكَلَتْهُمْ الْكِلَابُ
وَقِيلَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ أَمَرَ بِنَبْشِ قُبُورِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ ،
فَلَمْ يَجِدُوا فِي الْقُبُورِ إِلَّا شَبَّهَ الرَّمَادَ وَخِطَأًا فِي قَبْرِ مَعَاوِيَةَ ، وَجَمِيعَةَ

في قبر عبد الملك . وربما وجد فيها بعض الاعضاء الا هشام بن عبد الملك ، فانه وجد كما هو لم يبل ، فضربه بالسوط ثم صلبه وحرقه وذراه في الريح ، والله أعلم بصحة ذلك . ثم تقبعوا بني أمية بالقتل ، فلم يفلت منهم الا الرضعا ، أو من هرب الى الأندلس . مثل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، وغيرهم ممن تبعه من قرابته كما يذكر في أخبارهم .

بقية الصوائف في الدولة الأموية

قد انتهينا بالصوائف الى آخر أيام عمر بن عبد العزيز ، وفي اثنتين ومائة أيام اليزيد غزا عمر بن هبيرة الروم من ناحية أرمينية وهو على الجزيرة قبل أن يلي العراق ، فهزمهم وأسر منهم خلقاً وقتل منهم سبعمائة أسير . وغزا العباس بن الوليد الروم أيضاً ففتحها لسنة . ثم غزا سنة ثلاث بعدها فافتتح مدينة رَسَلَةَ . ثم غزا الجَرَّاحُ الحَكَمِيُّ أيام هشام سنة خمس فبلغ وراء بَلَنْجَرٍ ، وغنم وغزا في هذه السنة سعيد بن عبد الملك أرض الروم ، وبعث ألف مقاتل في سرية فهلكوا جميعاً . وغزا فيها مروان بن محمد بالصائفة اليمنى ، ففتح مدينة قريبة من أرض الزَوَّجَخِ . ثم غزا سعيد بن عبد الملك بالصائفة أيام هشام سنة ست . ثم غزا مُسَلِمَةُ ابن عبد الملك الروم من الجزيرة وهو والٍ عليها ، ففتح قيسارية . وغزا ابراهيم بن هشام ، ففتح حصناً . وغزا معاوية بن هشام في البحر قُبْرُسَ ، وغزا سنة تسع ففتح حصناً آخر يقال له طَبَسَةُ .

وغزا سنة عشر بالصائفة عبد الله بن عُقْبَةَ الْفَهْرِيَّ ، وكان على جيش البحر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج . وغزا بالصائفة اليسرى سنة إحدى عشرة معاوية بن هشام ، وبالصائفة اليمنى سعيد ابن هشام ، وفي البحر عبدالله بن أبي مريم . وافتتح معاوية في صائفة ثلاث عشرة مدينة خُرُشْفَةَ . وغزا سنة ثلاث عشرة عبدالله البطال ، فانهزم فثبت عبد الوهاب من أصحابه فقتل . ودخل معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية رَعَشَ . ثم غزا سنة أربع عشرة بالصائفة اليسرى وأصحاب رِبْضِ أَفْرَقَ ^(١) . والتقى عبدالله البطال مع قُسْطَنْطِينَ ، فهزمه البطال وأسرهُ . وغزا سليمان ابن هشام بالصائفة اليسرى ، فبلغ قيسارية . وهزم مسلمة بن عبد الملك خاقان وباب الباب . وغزا معاوية بن هشام بالصائفة سنة خمس عشرة . وغزا سفيان بن هشام بالصائفة اليسرى سنة سبع عشرة ، وسليمان بن هشام بالصائفة اليمنى من ناحية الجزيرة ، وفتح السرايا في أرض الروم وبعث فيها مروان بن محمد من أرمينية ^(٢) فافتتحوا من أرض اللان أهلها أخذها قومانشاه صلحاً . وغزا معاوية وسليمان أيضاً أرض الروم سنة ثمانى عشرة . وغزا فيها مروان بن محمد من أرمينية ، ودخل أرض وارقيس ، فهرب

(١) يفهم من سياق العبارة: وغزا أصحاب رِبْضِ أَفْرَقَ .

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٢١٩: «وفيها بعث مروان بن محمد وهو على أرمينية بعثين، وافتتح أحدهما حصوناً ثلاثة من اللان، ونزل الآخر على تومانشاه، فنزل أهلها على الصلح».

وارقيس الى الحرور ونازل حصنه فحاصره . وقتل وارقيس بعض من اجتاز به، وبعث برأسه الى مروان، ونزل أهل الحصن على حكمه، فقتل وسبي . وغزا سنة تسع عشرة مروان بن محمد من أرمينية ومرت بلاد اللان الى بلاد الخزر على بلنجر وسندرد، وانتهى الى خاقان، فهرب خاقان منه . وغزا سليمان بن هشام سنة عشرين بالصائفة فافتتح سندر، وغزا اسحق بن مسلم العقيلي قومانساه^(١)، وافتتح قلاع وخرب ارضه . وغزا مروان من أرمينية سنة احدى وعشرين، وأفنى قلعة بيت السرير فقتل وسبي، ثم قلعة أخرى كذلك، ودخل عرسك وهو حصن الملك فهرب منه الملك ودخل حصناً له يسمى جرج، فيه سرير الذهب، فنازله مروان حتى صالحه على ألف فارس كل سنة، ومائة ألف مدني . ثم دخل ارض أذرق ونصران فصالحه ملكها، ثم ارض نومان كذلك، ثم ارض حمدين فأخرب بلاده، وحصر حصناً له شهراً حتى صالحه، ثم ارض مسدادة ففتحها على صلح . ثم نزل كيلان فصالحه أهل طبرستان وكيلان . وكل هذه الولايات على شاطئ البحر من أرمينية الى طبرستان . وغزا مسلمة بن هشام الروم في هذه السنة فافتتح بها مطامير . وفي سنة اثنتين وعشرين بعد ما قتل البطال واسمه عبدالله بن الحسين الانطاكي، وكان كثير الغزو في بلاد الروم والاغارة عليهم . وقدمه مسلمة على عشرة آلاف

(١) في الكامل: تومانشاه.

فارس ، فكان يفرّو بلاد الروم الى أن قتل هذه السنة . وفي سنة أربعة وعشرين غزا سليمان بن هشام بالصائفة على عهد أبيه ، فلقى اليون ملك الروم فهزمه وغنم ، وفي سنة خمسة وعشرين خرجت الروم الى حصن زَنْطَرَه ، وكان افتتحه حبيب بن مسلمة الفهريّ وخزينة الروم ، وبني بناء غير محكم فأخربوه ثانية أيام مروان . ثم بناء الرشيد وطرقه الروم أيام المأمون فشعبوه فأمر بينائه وتحصينه . ثم طرقوه أيام المعتصم وخبره معروف . وفي هذه السنة غزا الوليد بن يزيد بالصائفة أخاه العمر ، وبعث الاسود ابن بلال الحارثي بالجيش في البحر الى قبرص ليجبر أهلها بين الشام والروم فافترقوا فريقين . وغزا أيام مروان سنة ثلاثين بالصائفة الوليد بن هشام وزل العنق وبني حصن مرعش .

عمال بني أمية على النواحي

استعمل معاوية أوّل خلافته سنة أربعين عبدالله بن عمرو بن العاصي على الكوفة ، ثم عزله واستعمل المغيرة بن شعبة على الصلاة ، واستعمل^(١) على الخراج وكان على النقباء بها شريح ، وكان حمران بن ابان قد وثب على البصرة عندما صالح الحسن معاوية ، فبعث معاوية بشر بن أذينة على البصرة وامدّه ،

(١) هنا بياض في الأصل وقد ذكر ابن الأثير في الكامل خبر تولية المغيرة بن شعبة على الكوفة وذكر أن معاوية استعمله بعدئذ على الصلاة فقط وعزله عن الخراج ولكن لم يذكر من استعمل على الخراج . وفي ج ٣ ص ٢٠٧ وأما الطبري في ج ٦ ص ٩٨ فقال : « وكان على الكوفة من قبله المغيرة بن شعبة وعلى القضاء شريح » . ولم يذكر خبر عزله عن الخراج .

فقتل اولاد زياد بن ابيه ، وكان عاملاً على فارس لعليّ بن ابي طالب . فقدم البصرة وقد ذكرنا خبره مع بني زياد فيما قيل . ثم ولى على البصرة عبدالله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وضم اليه خراسان وسجستان ، فجعل على شرطته حبيب ابن شهاب ، وعلى القضاء عُمَيْرَةُ بن تَبْرَى ، وقد تقدّم لنا اخبار قيس في خراسان . وكان عمرو بن العاصي على كما تقدّم ، فولى سنة احدى واربعين من قبله على أفریقیة عُقْبَةَ بن نافع بن عبد قيس ، وهو ابن خالته ، فانتهى الى لوانة ومزاةة فأطاعوه ثم كفروا ، ففزاهم وقتل وسبى . ثم افتتح سنة اثنتين واربعين بعدها غدامس وقتل وسبى ، وافتتح سنة ثلاثة واربعين بعدها بلدودان . وولى معاوية بالمدينة سنة اثنتين واربعين مروان بن الحكم ، فاستقضى عبدالله بن الحرث بن نوفل .

وولى معاوية على مكة في هذه السنة خالد بن العاصي بن هشام ، وكان على ارمينية حبيب بن مسلمة الفهري وولاه عليها معاوية ومات سنة اثنتين واربعين فولى مكانه ^(١) واستعمل ابن عامر في هذه السنة على ثغر الهند عبدالله بن سوار العبدي ، ويقال ولاه معاوية . وعزل ابن عامر في هذه السنة قيس بن الهيثم عن خراسان وولى مكانه الحرث بن عبدالله بن حازم . ثم

(١) ذكر ابن الأثير في حوادث سنة (٤٢) في ج ٣ ص ٢١٢ وفاة حبيب بن مسلمة الفهري في أرمينية ولكنه لم يذكر الذي تولى مكانه وأما الطبري فلم يذكر خبر وفاة هذا الرجل مطلقاً مع أن تاريخه مفصل جداً.

عزل معاوية عبد الله بن عامر عن البصرة سنة اربع واربعين ،
 وولى مكانه الحرث بن عبد الله الازدي ، ثم عزله لاربعة اشهر ،
 وولى اخاه زياداً سنة خمس واربعين . فولى على خراسان الحكم
 ابن عُمر النِقَارِيّ ، وجعل معه على الحراج اسلم بن زرعة الكلابي .
 ثم مات الحكم فولى خُلَيْد بن عبد الله الحنفي سنة سبع واربعين .
 ثم ولى على خراسان سنة ثمان بعدها غالب بن فضالة الليثي ،
 وتولى عمرو بن العاصي سنة تسع واربعين فولى مكانه سعيد بن
 العاصي ، فمزل عبد الله بن الحرث عن القضاء ، واستقضى ابا سَلَمَةَ
 ابن عبد الرحمن . وفي سنة خمسين توفي المُفِيرَةُ بن شُعْبَةَ فضم
 الكوفة الى اخيه زياد ، فجاء اليها واستخلف على البصرة سُمرَةُ
 ابن جُنْدَبَ ، وكان يقسم السنة بين المصريين في الاقامة نصفاً
 بنصف . وفي سنة خمسين هذه اقتطع معاوية افريقية عن معاوية
 ابن خديج بمصر ، وولى عُقْبَةَ بن نافع النَهْرِيّ ، وكان مقيماً
 بِرَقَّةَ وَرُؤَيْلَةَ من وقت فتحها ايام عمرو بن العاصي ، فأمدّه بعشرة
 آلاف ، فسار اليها . وانضاف اليه من اسلم من البربر ودوخ
 البلاد وبني القَيْرَوَانِ ، واُزِل عساكر المسلمين ، ثم استعمل معاوية
 على مصر وافريقية مولاه ابا المهاجر ، فأساء عزل عقبة . وجاء
 عقبة الى الشام فاعتذر اليه معاوية ووعدّه بعمله ، ومات معاوية
 فولاه يزيد سنة اثنتين وستين .

وذكر الواقدي ان عُقْبَةَ وَلِيَّ سنة اثنتين وستين واستعمل

أبا المهاجر فولّيَ الامصار ، فحبس عقبة وضيق عليه ، وأمره يزيد بإطلاقه ، فوفد عقبة فأعاده الى عمله . فحبس ابا المهاجر وخرج غازياً واثخن حتى قتله كَسِيلَةَ كما يأتي في اخباره . وفي سنة احدى وخمسين ولّيَ زيادُ على خراسان الربيع بن زياد الحرث مكان خُلَيْدِ ابن عبدالله الحنفي . وفي سنة ثلاث وخمسين توفي زياد واستخلف على البصرة سُورَةُ بن جُنْدُبَ ، وعلى الكوفة عبدالله بن خالد بن أسيد . ثم ولي الضحّاك بن قيس سنة خمس بعدها .

وفي هذه السنة مات الربيع بن زياد عامل خراسان قبل موت زياد ، واستخلفه ابنه عبدالله ، ومات لشهرين . واستخلف خُلَيْدُ ابن يربوع الحنفي ، وكان على صَفَايَزُوز الدَّيْلَمِي من قبل معاوية ، فمات سنة ثلاث وخمسين . وفي سنة أربع وخمسين عزل معاوية عن المدينة سعيد بن العاص ، وردّ اليها مروان بن الحكم ، ثم عزله سنة سبعة وولى مكانه الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي سُفْيَان . وعزل سنة تسعة وخمسين عن البصرة ابن جُنْدُبَ ، وولى مكانه عبدالله ابن عمر بن غِيلَانَ ، وولى على خراسان عبيدالله بن زياد ، ثم ولاه سنة خمس بعدها على البصرة مكان غيلان . ثم ولي على خراسان سنة ستة وخمسين سعيد بن عُثْمَانَ بن عَفَّان . وفي سنة ثمانية وخمسين عزل معاوية عن الكوفة الضحّاك بن قيس ، واستعمل مكانه ابن أمّ الحكم وهي أخته ، وهو عبد الرحمن بن عثمان التَّمِيمِي ، وطرده أهل الكوفة فولاه مصر . فردّه معاوية بن خديج ، وولى مكانه

على الكوفة سنة تسعة وخمسين الثمان بن بشير ، وولى فيها على خراسان عبد الرحمن بن زياد . قدّم اليها قيس بن الهيثم السلمي ، فحبس أسلم بن زُرْعَة ، فأغرمه ثلثمائة ألف درهم .

ثم مات معاوية سنة ستين وولاته على النواحي من ذكوانه ، وعلى سجستان عباد بن زياد ، وعلى كزمان شريك بن الأعور . وعزل يزيد لأول ولايته الوليد بن عُقْبَة عن المدينة والحجاز ، وولاها عُمر بن سعيد الأشدق . ثم عزله سنة احدى وستين ، ورد الوليد بن عُقْبَة ، وولى على خراسان سالم بن زياد ، فبعث سالم اليها الحرث بن معاوية الحرثي ، وبعث أخاه يزيد الى سجستان ، وكان بها أخوها عباد فخرج عنها . وقاتل يزيد أهل كابل فهزموه ، فبعث معلم على سجستان طلحة الطلحات ، وهو طلحة ابن عبدالله بن خلف الحزاعي فبقي سنة ، وبعث سنة اثنتين وستين عُقْبَة بن نافع الى أفريقية ، فحبس أبا المهاجر واستخلف على القيروان زهير بن قيس البلوي كما نذكر في أخباره .

وتوفي في هذه السنة مُسْلِمَة بن عُلْدِ الأنصاري أمير مصر . ثم هلك يزيد سنة أربع وستين ، واستخلف على أهل العراق عبيد الله بن زياد . وولى أهل البصرة عليهم عبدالله بن الحرث بن نوفل ابن الحرث بن عبد المطلب ويلقب بيه ، وهرب ابن زياد الى الشام . وجاء الى الكوفة عمار بن مسعود من قبل ابن الزبير ، وبلغه خلاف أهل الري وعليهم القرحان ، فبعث عليهم محمد بن

عُمَيْرُ بْنُ عَطَّارِدَ بْنِ حَاجِبٍ فَهَزَمُوهُ، فَبَعَثَ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءَ فَهَزَمَهُمْ .
 ثُمَّ بَوَّعَ مِرْوَانَ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ فَلَمَّا كَانَا مِنْ يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
 حَبَّامٍ الْقُرَشِيِّ دَاعِيَةً ابْنَ الزُّبَيْرِ وَوَلَّى عَلَيْهَا عُمَرَ بْنَ سَعِيدٍ . ثُمَّ بَعَثَهُ
 لِلْقَاءِ مُصَنَّبَ بْنَ الزُّبَيْرِ ، لَمَّا بَعَثَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الشَّامِ ، وَوَلَّى عَلَى
 مِصْرَ ابْنَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا وَالِيًّا إِلَى أَنْ هَلَكَ لِسَنَةِ
 خَمْسَةِ وَثَمَانِينَ ، فَوَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَيْهَا ابْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَخَلَعَ أَهْلَ خُرَاسَانَ بَعْدَ يَزِيدَ سَالِمَ بْنَ زِيَادٍ ، وَاسْتَخْلَفَ الْمُهَلَّبَ
 ابْنَ أَبِي صُفْرَةَ ، ثُمَّ وَلى مُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ حَازِمٍ ، فَاسْتَبَدَّ بِخُرَاسَانَ
 إِلَى حِينَ . ثُمَّ أَخْرَجَ أَهْلَ الْكُوفَةِ عُثْمَانَ بْنَ حُرَيْثٍ خَلِيفَةَ بْنَ زِيَادٍ ،
 وَبَايَعُوا لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَقَدِمَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ
 مِنْ قَبْلِهِ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ هَلَاكِ يَزِيدٍ ، وَامْتَنَعَ شُرَيْحُ بْنُ
 الْقَضَاءِ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ ^(١) وَاسْتَعْمَلَ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْمَدِينَةِ أَخَاهُ
 مُصَنَّبًا سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ مَكَانَ أَخِيهِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَثَارَ بَنُو تَقِيمٍ بِخُرَاسَانَ
 عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَازِمٍ فَغَلَبَهُ عَلَيْهَا بِكَيْرِ بْنِ وَشَّاحٍ . وَغَلَبَ الْمُخْتَارُ
 عَلَى ابْنِ مُطِيعٍ عَامِلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِينَ .
 ثُمَّ مَاتَ مِرْوَانُ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِينَ ، وَوَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ . وَوَلَّى

(١) هَذَا بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ وَفِي الطَّبْرِيِّ ج ٧ ص ٦٦ : «وَجَّحَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فِيهَا أَخُوهُ عُبَيْدُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَلَى الْكُوفَةِ عَبْدُ
 اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْخَطْمِيُّ، وَعَلَى قَضَائِهَا سَعْدُ بْنُ ثَمَرَانَ، وَأَبِي شُرَيْحٍ أَنْ يَقْضِيَ فِيهَا. وَقَالَ فِيهَا
 ذَكَرَ عَنْهُ: «أَنَا لَا أَقْضِي فِي الْفِتْنَةِ». وَعَلَى الْبَصْرَةِ عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّمِيمِيِّ،
 وَعَلَى قَضَائِهَا هِشَامُ بْنُ هَبِيرَةَ، وَعَلَى خُرَاسَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ».

ابن الزبير أخاه مصعباً على البصرة ، وولى مكانه بالمدينة جابر بن الأسود بن عوفٍ الزُّهريّ . ثم ملك عبد العزيز العراق سنة احدى وسبعين ، واستعمل على البصرة خالد بن عبدالله بن أسيد ، وعلى الكوفة أخاه بشر بن مروان ، وكان على خراسان عبدالله ابن حازم بدعوة ابن الزبير ، فقام بكير بن وشاح التميمي بدعوة عبد الملك وقتله ، وولاه عبد الملك خراسان . وكان على المدينة طلحة بن عبدالله بن عوفٍ بدعوة ابن الزبير بعد جابر بن الأسود ، فبعث عبد الملك طارق بن عمر مولى عثمان ، فقلبه عليها . ثم قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، وانفرد عبد الملك بالخلافة ، وولّى على الجزيرة وأرمينية أخاه محمداً . وعزل خالد بن عبدالله عن البصرة ، وضمها الى أخيه بشر ، فسار اليها واستخلف على الكوفة عمر بن حُرَيْث . وولى على الحجاز واليمن واليامة الحجاج ابن يوسف ، وبعثه من الكوفة لحرب ابن الزبير . وعزل طارقاً عن المدينة وسار من جنده .

وفي سنة أربع وسبعين استقضى أبا ادريس الخولاني ، وأمر بشر أخاه ان يبعث المهلب بن ابي صُفْرَةَ لحرب الازارقة . وعزل عن خراسان بكير بن وشاح ، وولى مكانه أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، فبعث أمية ابنه عبدالله على سجستان . وكان على افريقية زهير بن قيس البلوي ، فقتله البربر سنة تسع وستين . وشغل عبد الملك بفتنة ابن الزبير ، فلما فرغ منها بعث الى افريقية

سنة اربع وسبعين حسان بن النُّعْمَان القَيْسَانِيّ في عساكر لم يرَ مثلها،
فأُتِخِنَ فيها وافترقت جموع الروم والبربر . وقتل الكاهنة كما يذكر
في أخبار افريقية .

ثم ولي عبد الملك سنة خمس وسبعين الحجاج بن يوسف على
العراق فقط ، وولي على السند سعيد بن أسلم بن ذُرْعَةَ ، وقتل في
حروبها ، وكان امر الحوارج . وفي سنة ست وسبعين ولي على
المدينة ابان بن عثمان ، وكان على قضاء الكوفة شُرَيْح . وعلى
قضاء البصرة زُرْدَاةُ بن ابي أَوْفَى بعد هشام بن هُبَيْرَةَ ، وعلى قضاء
المدينة عبدالله بن قُشَيْر بن مَخْرَمَةَ . ثم كانت حروب الحوارج كما
نذكر في اخبارهم . وفي سنة ثمان وسبعين عزل عبد الملك أُمَيَّةَ
ابن عبدالله عن خراسان وسجستان وضمهما الى الحجاج بن يوسف ،
فبعث الحجاج على خراسان المهلب بن ابي صَفْرَةَ ، وعلى سجستان
عبدالله بن ابي بَكْرَةَ ، وولي على قضاء البصرة موسى بن آنس ،
واستغنى شُرَيْحُ بن الحرث من القضاء بالكوفة ، فولى مكانه ابا
بُرْدَةَ بن ابي موسى ، ثم ولي على قضاء البصرة عبد الرحمن بن
أُدَيْنَةَ . وخرج عبد الرحمن بن الأَشْعَثُ ، فملك سجستان وكرمان
وفارس والبصرة ، ثم قتل ورجعت الى حالها ، وذلك سنة احدى
وثمانين .

وفي سنة اثنيتين وثمانين مات المهلب بن ابي صفرَةَ ، واستخلف
ابنه يزيد على خراسان ، فأقره الحجاج . وفي هذه السنة عزل عبد

الملك ابان بن عثمان عن المدينة ، وولى مكانه هشام بن اسماعيل الحزومي ، فعزل هشام نوفل بن مساحق عن القضاء ، وولى مكانه عمر بن خالد الزوقي . وبني الحجاج مدينة واسط . وفي سنة خمس وثمانين عزل الحجاج يزيد بن المهلب عن خراسان ، وولى مكانه هشام اخاه المفضل قليلاً ، ثم ولي قتيبة بن مسلم وتوفي عبد الملك . وعزل الوليد لاوّل ولايته هشام بن اسماعيل عن المدينة وولى مكانه عمر بن عبد العزيز ، فولى على القضاء ابا بكر بن عمر بن حزم ، وولى الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله الحكيمي ، وولى على قضائها عبد الله بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة ابا بكر بن ابي موسى الأشعري .

وفي سنة تسع وثمانين ولى الوليد على مكة خالد بن عبد الله القسري ، وكان على ثغر السند محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم ابن ابي عقيل الثمقي ، وهو ابن عم الحجاج . ففتح السند وقتل ملكه . وكان على مصر عبد الله بن عبد الملك ، ولاد عليها أبوه فقل ملكها . فعزله الوليد في هذه السنة وولى مكانه قرة بن شريك ، وعزل خالداً عن الحجاز ، وولى عمر بن عبد العزيز .

وفي سنة احدى وتسعين عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وارمينية ، وولى مكانه اخاه مسلمة بن عبد الملك ، وكان على طنّة في قاصية المغرب طارق بن زياد عاملاً لمولاه موسى بن نصير عامل الوليد بالقيروان ، فأجاز البلاد والبحر الى بلاد

الاندلس ، وافتتحها سنة اثنتين وتسعين كما يذكر في أخبارها .
وفي سنة ثلاث وتسعين عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز وولي
مكانه خالد بن عبدالله على مكة ، وعثمان بن حيان على المدينة .
ومات الحجاج سنة خمس وتسعين ، ثم مات الوليد سنة ست
وتسعين ، وفيها قُتل قُتَيْبَةُ بن مُسْلِمٍ لانتفاضه على سُلَيْمَانَ ، وولاهها
سليمان يزيد بن المهلب . وفيها مات قُرَّةُ بن شريك ^(١)
وكان على المدينة ابو بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، وعلى
مكة عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء
الكوفة ابو بكر بن موسى ، وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن
أذينة وفي سنة سبع وتسعين ، عُزل سليمان بن موسى بن نصير
عن إفريقية وولي مكانه محمد بن يزيد القُرَشِيُّ حتى مات سليمان
فُعزل . واستعمل عُمرُ مكانه اسماعيل بن عبدالله . وفي سنة ثمان
وتسعين كان فتح طبرستان وجرجان أيام سليمان بن عبد الملك
على يد يزيد بن المهلب .

وفي سنة تسع وتسعين استعمل عمر بن عبد العزيز على
البصرة عَدِيَّ بن أَزْطَاة الْفَزَارِيِّ ، وأمره بإبقاء يزيد بن المهلب موثقاً ،
فولى على القضاء الحسن بن ابي الحسن البصري ، ثم أياس بن

(١) هنا بياض بالأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٤٣ : «وفي هذه السنة
مات قرة بن شريك العبسي أمير مصر في صفر ، وقيل مات سنة خمس وتسعين في الشهر
الذي مات فيه الحجاج» .

معاوية، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الحطّاب .
 وولى على المدينة عبد العزيز بن أرطاة، وولى على خراسان الجراح
 ابن عبدالله الحَكَمي، ثم عُزِلَ سنة مائة . وولى عبد الرحمن بن
 نعيم القرشي، وولى على الجزيرة عُمر بن هُبَيْرَة الفزاري، وعلى
 افريقية اسماعيل بن عبدالله مولى بني مخزوم، وعلى الأندلس
 السَنَح بن مالك الحولاني .

ثم في سنة احدى ومائة عزل اسماعيل عن افريقية، وولاها
 يزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج، فلم يزل عليها الى ان قتل .
 وفي سنة اثنتين ومائة ولى يزيد بن عبد الملك أخاه مسلعة على
 العراق وخراسان، فولى على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن
 الحرث بن الحكم بن ابي العاصي بن أمية، ويقال له سعيد
 خدينة . ثم استعيا من مسلعة في أمر الجراح فعزله، وولى مكانه
 ابن يزيد بن هبيرة . فجعل على قضاء الكوفة القاسم بن عبد
 الرحمن بن عبدالله بن مسعود، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن
 يعلى . وكان على مصر أسامة بن زيد، وليها بعد قرة بن شريك،
 وولى ابن هبيرة على خراسان سعيداً الجَرَلِيشي مكان حذيفة .

وفي سنة ثلاث ومائة جمع يزيد مكة والمدينة لعبد الرحمن بن
 الضحّاك، وعزل عبد العزيز بن عبدالله بن خالد عن مكة وعن
 الطائف، وولى مكانه عبد الواحد بن عبدالله البصري .

وفي سنة أربع ومائة ولى يزيد على ارمينية الجراح بن عبدالله

الحَكَمِيُّ، وعزل عبد الرحمن بن الضَّحَّاك عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته، وولى عليها مكانه عبد الواحد البصري، وعزل ابن هُبَيْرَةَ سعيداً الحَرِثِي عن خراسان، وولى عليها مسلم ابن سعيد بن أَسْلَمَ بن زُرْعَةَ الكلابي . وولى على قضاء الكوفة الحُسَيْن بن حُسَيْن الكِنْدِي .

ومات يزيد بن عبد الملك سنة خمس ، وولى هشام فعزل ابن هبيرة عن العراق ، وولى مكانه خالد بن عبدالله القسري ، واستعمل خالد على خراسان أخاه أسداً سنة سبع ومائة . وعزل مسلم بن سعيد وولى على البصرة عُقْبَةَ بن عبد الاعلى ، وعلى قضائها ثُمَامَةَ بن عبدالله بن أنس . وولى على السند الجُنَيْد بن عبد الرحمن . واستعمل هشام على الموصل الحرّ بن يوسف ، وعزل عبد الواحد البصري عن الحجاز ، وولى مكانه ابراهيم بن هشام بن اسماعيل الخزومي ، واستقضى بالمدينة محمد بن صفوان الجَلَحِي ، ثم عزله واستقضى الصَّلَت الكِنْدِي . وعزل الجراح بن عبدالله عن ارمينية وأذربيجان، وولى مكانه أخاه مُسْلِمَةَ ، فولى عليها الحرث بن عمر الطائي .

وكان على اليمن سنة ثمان يوسف بن عمر . وفي سنة تسع عزل خالد أخاه أسداً عن خراسان ، وولى هشام عليها أشرس بن عبدالله السلمي ، وأمره أن يكتب خالداً بعد ان كان خالد ولى الحكم بن عَوَانَةَ الكَلْبِي مكان أخيه فلم يقرّ، فعزله هشام .

ومات في سنة تسع عامل القيروان بِشْرُ بن صَفْوَانَ ، فولى هشام مكانه عُبَيْدَةَ بن عبد الرحمن بن الاغرَ السَّلَبي ، فعزل عبيدة يحيى بن سَلَمَةَ الكَلبي عن الاندلس ، واستعمل حُذَيْفَةَ بن الأَخْوَصِ الأَشْجَبِي . ثم عزل لسته أشهر ، ووليا عُثْمَانُ بن أبي تسعة الحَضَمِي . وفي سنة عشر ومائة جمع خالد الصلاة والأحداث والشرط والقضاء بالبصرة لِيَلَالِ بن ابي بُزْدَةَ ، وعزل ثُمَامَةَ عن القضاء . وفي سنة احدى عشرة عزل هشام عن خراسان أشرسَ بن عبدالله ، وولى مكانه الجُنَيْدَ بن عبد الرحمن بن الحرث بن خَارِجَةَ بن سِنَانِ ابن ابي حارثة المُرِّي ، وولى على ارمينية الجراح بن عبدالله الحكمي ، وعزل مسلمة . وفيها عزل عبيدة بن عبد الرحمن عامل افريقية ، وعثمان بن أبي تسعة عن الاندلس ، وولى مكانه الهيثم بن عبيد الكناني .

وفي سنة اثنتي عشرة قتل الجراح بن عبدالله صاحب ارمينية ، قتله التركان فولى هشام مكانه سعيداً المُرِّيَّيْنِ ، ومات الهيثم عامل الاندلس ، وولوا على أنفسهم مكانه محمد بن عبدالله الأَشْجَبِي شهرين ، وبعده عبد الرحمن بن عبدالله التَّافِي من قبيل ابن عبد الرحمن السلمي عامل افريقية ، وغزا افرنجة فاستشهد . فولى عبيدة مكانه عبد الملك بن قَطَنَ النُّهْرِي ، وعزل عبيدة عن افريقية وولى مكانه عبيدالله بن الحَبَابِ ، وكان على مصر فساد اليها .

وفي سنة أربع عشرة عزل هشام مسلمة عن ارمينية وولى مكانه مروان بن محمد بن مروان، وعزل ابراهيم بن هشام عن الحجاز، وولى مكانه على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام المخزومي . وفي سنة ست عشرة ومائة عزل هشام الجُعيد بن عبد الرحمن المُرمي عن خراسان، وولى مكانه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي . وفيها استعمل عبد الله بن الحُبَابِ على الاندلس عُقبة بن الحُجَّاج القيسي مكان عبد الملك بن قُطْن ففتح خليتيه . وفي سنة سبع عشرة ومائة عزل هشام عاصم بن عبد الله عن خراسان وولى مكانه خالد ابن عبد الله القُسرِيّ، فاستخلف خالد أخاه أسداً . وولى هشام على افريقية والاندلس عبيد الله بن الحُبَّاب، وكان على مصر فسار اليها . واستخلف على مصر ولده . وولى على الاندلس عُقبة ابن الحُجَّاج، وعلى طنجة ابنه اسماعيل . وبعث حبيب بن ابي عبيدة بن عُقبة بن نافع غازياً الى المغرب، فبلغ السوس الاقصى واراض السودان وفتح وغنم . واغزاه الى صِقْلِيَّة سنة اثنتين وعشرين ومائة ففتح اكثرها . ثم استدعاه لفتنة مَيْسَرَة كمان ذكره في اخبارهم .

وفي سنة ثمان عشرة عزل هشام عن المدينة خالد بن عبد الملك ابن الحرث، وولى مكانه محمد بن هشام بن اسماعيل . وفي سنة عشرين مات اسد بن عبد الله الحُرَّاسَانِيّ وولّى مكانه نصر بن

سيار . وعزل هشام خالداً القسريّ عن جميع أعماله بالعراقين وخراسان ، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ، استقدمه اليها من ولاية اليمن . فأقرّ نصر بن سيار على خراسان ، وكان على قضاء الكوفة ابن شبرمة وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة . وولى يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان ، واستقضى مكانه محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى . وكان على قضاء البصرة اياس بن معاوية ابن قرّة ، فات في هذه السنة . وفي سنة ثلاث وعشرين ، قتل كلثوم بن عياض الذي بعثه هشام لقتال البربر بالمغرب . وتوفي عتبة بن الحجاج أمير الاندلس ، وقيل بل خلعوه . وولى مكانه عبد الملك بن قطن ولايته الثانية كما يذكر . وفي سنة أربع وعشرين ظهر أمر ابي مسلم بخراسان ، وتلقب بلخ^(١) على الاندلس ، ثم مات . وكان سار اليها من قتل كلثوم بن عياض لما قتله البربر بالمغرب . وولى هشام على الاندلس ابا الخطار حسام بن ضرار الكلبي ، فأمر حنظلة بن صفوان ان يوليه فولاه . وكان ثعلبة بن خزيمة سلامة الجراي قد ولوه بعد بلخ ، فعزله ابو الخطار .

وفي هذه السنة ولي الوليد بن يزيد خالد بن يوسف بن محمد ابن يوسف الثقفي على الحجاز فأسره . ثم قتل الوليد سنة ست وعشرين ، فعزل يزيد عن العراق يوسف بن عمر ، وولى مكانه

(١) كذا بالأصل وهو تصحيف ، وفي الكامل لابن الأثير ، ج ٤ ص ٢٥٠ : «وقد

حصروا بلخ بن بشر العبسي» .

منصور بن 'جمهور'، فبعث عامله على خراسان، فامتنع نصر بن سيار من تسليم العمل له . ثم عزل يزيد منصور بن جمهور وولى مكانه على العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز، وغلب حنظلة على افريقية عبد الرحمن بن حبيب كما يذكر في خبرها . وعزل يزيد عن المدينة يوسف بن محمد بن يوسف، وولى مكانه عبد العزيز بن عمر بن عثمان، وغلب سنة سبع وعشرين عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر على الكوفة، وولى مروان على الحجاز عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز، وعلى العراق النضر بن سعيد الحريشي . وامتنع ابن عمر من استلام العمل اليه، ووقعت الفتنة بينهم . ولحق ابن عمر بالخوارج كما يذكر في اخبارهم . واستولى بنو العباس على خراسان .

وفي سنة تسع وعشرين ولى يوسف بن عبد الرحمن النهري على الاندلس بعد نوابة بن سلامة كما يأتي في اخبارهم . وولى مروان على الحجاز عبد الواحد^(١) وعلى العراق يزيد بن عمر ابن هبيرة . وفي سنة ثلاثين ملك ابو مسلم خراسان، وهرب عنها نصر بن سيار فأت بنواحي همدان سنة احدى وثلاثين . وجاء المسودة وعليهم قطبة، فطلبوا ابن هبيرة على العراق وملكوه، وبايعوا خليفتهم ابا العباس السفاح . ثم غلبوا مروان على الشام

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ٩ ص ٩٦: «وجع بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان».

ومصر وقتلوه . وانقرض امر بني أُمَيَّة ، وعاد الامر والخلافة لبني العباس . والملك لله يؤتیه من يشاء من عباده . وهذه اخبار بني أُمَيَّة مخرصة^(١) من كتاب ابي جعفر الطبري . ولترجع الى اخبار الخوارج كما شرطنا في اخبارها بالذکر . والله المبین لا رب غیره .

الخوارج

الفبر عن الخوارج وحكم اوليتهم وتكرار خروجهم في الملة الإسلامية

قد تقدم لنا خبر الحكمين في حرب صفين ، واعتزل الخوارج عليا منكرين للتحكيم مكفرين به ، ولاطفهم في الرجوع عن ذلك ، وناظرهم فيه بوجه الحق فلجؤا وأبوا إلا الحرب . وجعلوا شعارهم النداء بلا حاكم إلا الله . وبايعوا عبدالله بن وهب الراسي . وقتلهم علي^٢ بالنهر^(٣) ، فاستلحهم أجمين . ثم خرج من فلم طائفة بالأنبار ، فبعث اليهم من استلحهم . ثم طويقة أخرى مع هلال بن علية ، فبعث معقل بن قيس فقتلهم . ثم أخرى ثالثة كذلك ، ثم أخرى على المدائن كذلك ، ثم أخرى بشهرزور كذلك . وبعث شريح بن هاني فهزموه فجرح واستلحهم أجمين ، واستأمن من بقي فأمهم ، وكانوا نحو خمسين .

وافترق شمل الخوارج ، ثم اجتمع من وجدانهم الثلاثة الذين

(١) بمعنى الخلاصة .

(٢) ثلاث قرى بين واسط وبغداد .

تَوَعَدُوا لِقَتْلِ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ . فَقَتَلَ بِالسَّهْمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَلْجَمٍ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَاءَ بِأَثَمِهِ ، وَسَلَمَ الْبَاقُونَ . ثُمَّ اتَّفَقَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَى بَيْعَةِ مَعَاوِيَةَ سَنَةِ اَحَدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَاسْتَقَلَّ مَعَاوِيَةَ بِخِلَافَةِ الْإِسْلَامِ . وَقَدْ كَانَ فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ الْأَشْجَبِيُّ اعْتَرَلَ عَلِيًّا وَالْحَسَنَ ، وَزَلَ شَهْرُزُورَ وَهُوَ فِي خَمْسَائَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ . فَلَمَّا بَوَّعَ مَعَاوِيَةَ قَالَ فَرْوَةُ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ جَاءَ الْحَقُّ فَجَاهِدُوا وَاقْبَلُوا ، فَتَزَلُّوا النَّخِيلَةَ عِنْدَ الْكُوفَةِ ، فَاسْتَنْفَرَ مَعَاوِيَةُ أَهْلَ الْكُوفَةِ فَخَرَجُوا لِقِتَالِهِمْ ، وَسَأَلُوا أَهْلَ الْكُوفَةِ أَنْ يَخْلُوا بَيْنَهُمْ وَيُبَيِّنَ مَعَاوِيَةَ فَأَبَوْا ، فَاجْتَمَعَتْ أَشْجَعُ عَلَى فَرْوَةَ فَوَعْظُوهُ فَلَمْ يَرْجِعْ فَأَخَذُوهُ قَهْرًا وَأَدْخَلُوهُ الْكُوفَةَ . وَاسْتَعْمَلَ الْخَوَارِجُ بَعْدَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الْحُرَيْثِيِّ مِنْ طِيٍّ . وَقَاتَلُوا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَقَاتَلُوا وَابْنَ أَبِي الْحُرَيْثِيِّ مَعَهُمْ .

ثُمَّ اجْتَمَعُوا بَعْدَهُ عَلَى حَوْثَةِ بْنِ وَدَاعِ الْأَسَدِيِّ وَقَدَمُوا إِلَى النَّخِيلَةِ فِي مِائَةِ وَخَمْسِينَ ، وَمَعَهُمْ قُلُوبُ أَبِي الْحُرَيْثِيِّ . وَبَعَثَ مَعَاوِيَةُ إِلَى حَوْثَةَ أَبَاهُ لِيُرِدَّ عَنْ شَأْنِهِ فَأَبَى ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَوْفٍ فِي مَعْسَكٍ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ ، إِلَّا خَمْسِينَ دَخَلُوا الْكُوفَةَ وَتَفَرَّقُوا فِيهَا ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ اَحَدَى وَأَرْبَعِينَ . وَسَارَ مَعَاوِيَةُ إِلَى الشَّامِ وَخَلَفَ الْمُنِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، فَمَادَ فَرْوَةُ بْنُ نَوْفَلٍ الْأَشْجَبِيُّ إِلَى الْخُرُوجِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُنِيرَةَ خِيَلًا عَلَيْهَا ابْنُ دَبَّيٍّ ، وَيُقَالُ مَعْقِلُ بْنُ قَيْسٍ ، فَلَقِيَهُ بِشَهْرُزُورَ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ بَعَثَ الْمُنِيرَةَ إِلَى شَيْبِ بْنِ أَنْجَرٍ مِنْ قَتْلِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ

ابن ملجم . وهو الذي أتى معاوية يبشره بقتل عليّ ، فخافه على نفسه وأمر بقتله . فتنكر بنواحي الكوفة الى ان بعث المنيرة من قتله .

ثم بلغ المنيرة ان بعضهم يريد الخروج ، وذكر له مَعْنُ بن عبدالله المُطَارِيّ فحبسه ، ثم طالبه بالبيعة لحاوية فأبى فقتله . ثم خرج على المنيرة أبو مريم مولى بني الحرث بن كعب ، فأخرج معه النساء . فبعث المنيرة من قتله واصحابه . ثم حكم أبو ليلى في المسجد بمشهد الناس ، وخرج في اثنين من الموالي ، فأبى المنيرة معقل بن قيس الرياحي ، فقتله بسور الكوفة اثنتين وأربعين . ثم خرج على ابن عامر في البصرة سَهْمُ بن غانم الجُمَيْي في سبعين رجلاً منهم الحطيم ، وهو يزيد بن جَالِكِ البَاهِلِيّ ، ونزلوا بين الجسرين والبصرة . ومَرَّ بهم بعض الصحابة منقلباً من الغزو فقتلوه وقتلوا ابنه وابن أخيه ، وقالوا هؤلاء كفرة . وخرج اليهم ابن عامر فقتل منهم عدة وأمن باقيهم .

ولما أتى زياد البصرة سنة خمس وأربعين ، هرب منهم الحطيم الى الأهواز ، وجع ورجع الى البصرة فافترق عنه أصحابه ، فاختمى وطلب الامان من زياد فلم يؤمنه ، ثم دُلَّ عليه فقتله وصلبه بداره . وقيل بل قتله عبدالله بعد زياد سنة أربع وخمسين . ثم اجتمع الخوارج بالكوفة على المُتَوَرِّدِ بن عُقْلَةَ التَّيْمِيّ من قِمْ الرِّباب ، وعلى حَيَّان بن ضَبَّان السَّلَمِيّ ، وعلى مَعَاذِ بن جُوَيْن

الطائي، وكلهم من قَلَّ النهران الذين ارتعوا في القتلى، ودخلوا الكوفة بعد مقتل عليّ، واجتمعوا في اربعمائة في منزل حَيَّان بن ضَيَّان، وتشاوروا في الخروج، وتنافسوا الامارة. ثم اتفقوا على المستورد وبايعوه في جمادى الاخيرة. وكبسهم المنيرة في منزلهم، فسجن حيان وأفلت المستورد، فنزل الحيرة، وأختلف اليه الخوارج. وبلغ المنيرة خبرهم فخطب الناس وتهتد الخوارج، فقام اليه معقل بن قيس فقال: ليكفك كل رئيس قومه.

وجاء صَعْصَعَةُ بن صَوْحان الى عبد القيس، وكان عالماً بمنزلهم عند سليم بن مخدوج العبديّ الا أنه لا يسلم عشيرته، فخرجوا ولحقوا بالصَّرَاة في ثلثمائة فجهز اليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، وجعل معظمهم من شيعة عليّ، وخرج معقل في الشيعة، وجاء الخوارج ليعبروا النهر الى المدائن فنعمهم عاملها سمال بن عبد العباسي ودعاهم الى الطاعة على الامان فأبوا، فساروا الى المذار. وبلغ ابن عمار بالبصرة خبرهم فبعث شريك بن الأعور الحارثي في ثلاثة آلاف من الشيعة، وجاء معقل بن قيس الى المدائن وقد ساروا الى المذار، فقدم بين يديه أبا الرواح الشاكريّ في ثلثمائة، وسار ولحقهم أبو الرواح بالمذار فقاتلهم.

ثم لحقه معقل بن قيس متقدماً أصحابه عند المساء، فعملت الخوارج عليه فثبت وباتوا على تعبئة، وجاء الخبر الى الخوارج بنهوض شريك بن الأعور من البصرة فأسروا من ليلتهم راجعين.

وأصبح معقل واجتمع بشريك ، وبعث أبا الرواح في أتباعهم في
ستائة ، فلاحقهم يجران فقاتلهم فهزمهم الى ساباط وهو في اتباعهم .
ورأى المستورد أن هؤلاء مع أبي الرواح حماة أصحاب معقل ،
فقترب عنهم الى معقل وأبو الرواح في اتباعه . ولما لحق بمعقل
قاتلهم قتالاً ، وأدركهم أبو الرواح بعد أن لقي كثيراً من أصحاب
معقل منهزمين فردّهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل المستورد
معتقلاً ، طعنه بالرمح فانفذه ، وتقدم معقل والرمح فيه الى المستورد ،
فقسم دماغه بالسيف وماتا جميعاً . وأخذ الراية عمر بن محرز بن
شهاب التميمي بعهد معقل بذلك . ثم حمل الناس على الخوارج
فقتلوه ولم ينج منهم الا خمسة أو ستة .

وعند ابن الكلبي ان المستورد من تيم من بني رباح . خرج
بالبصرة أيام زياد قريب الأزد ، ورجأف الطائي ابنا الحنابلة ،
وعلى البصرة سمر بن جندب وقتلوا بعض بني ضبة ، فخرج عليهم
شبان من بني علي وبني واسب فرموهم بالنبل ، وقتل قريب
وجاء عبدالله بن أوس الطائي برأسه ، واشتد زياد في امر الخوارج
وسمر وقتلوا منهم خلقاً . ثم خرج سنة اثنتين وخمسين على زياد
ابن حراش العجلي في ثلثائة بالسواد فبعث اليهم زياد سعد بن
حذيفة في خيل فقتلوه ، وخرج أيضاً أصحاب المستورد حيان
ابن ضيان ومماذ من طي ، فبعث اليهما عن قتلهما وأصحابهما .
وقيل بل استأمنوا واقتربوا .

ثم اجتمع بالبصرة سنة ثمان وخمسين سبعون رجلاً من الخوارج من عبد القيس ، وبايعوا طواف بن ^(١) على أن يفتكوا بابن زياد ، وكان سبب ذلك أن ابن زياد حبس جماعة من الخوارج بالبصرة ، وحملهم على قتل بعضهم بعضاً وخلق سبيل القاتلين ففعلوا وأطلقهم ، وكان منهم طواف . ثم ندموا وعرضوا على أولياء المعتولين القود ولدية فأبوا ، وأفتاهم بعض علماء الخوارج بالجهاد لقوله تعالى : **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا الْآيَةَ** ، فاجتمعوا للخروج كما قلنا . وسعى بهم الى ابن زياد ، فاستمجلوا الخروج وقتلوا رجلاً ومضوا الى الجَلْحَاء كما قلنا . فندب ابن زياد الشرط والمخاربة فقاتلوهم . فانهزم الشرط أولاً ثم كثرتهم الناس فقتلوا عن آخرهم ، واشتد ابن زياد على الخوارج ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، منهم عُرْوَةُ بْنُ أَدْبَةَ أَخُو يَرْدَاسٍ وَأَدْبَةُ أُمِّهَا ، وأبوها جريد بن تميم .

وكان وقف على ابن زياد يوماً يعظه فقال : **أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً؟ تَعْبَثُونَ الْآيَاتِ** . فظن ابن زياد أن معه غيره ، فأخذه وقطعه وقتل ابنه . وكان أخوه يرداس من عظمائهم وعبادهم ، ومن شهد النهروان بالاستعراض . ويحرم خروج النساء ، ولا يرى بقتال من لا يقاتله . وكانت امرأته من العابدات من بني يَزْبُوع وأخذها ابن زياد فقطعها . وألح ابن زياد في طلب الخوارج

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ٣ ص ٢٥٤ : «طواف بن غلاف» .

وقتلهم ، وخلي سبيل مرداس من بينهم لما وصف له من عبادته ، ثم خاف فخرج الى الأهواز . وكان يأخذ مال المسلمين اذا مر به ، فيعطي منه أصحابه ويرد الباقي .

وبعث ابن زياد اليهم أسلم بن زُرْعَةَ السَّكَلَايِي في ثلثي رجب ، ودعاهم الى معاودة الجماعة فأبوا وقتلوه ، فنهزموا إلى قسطنطينية . فرح اليهم ابن زياد عَبَّادُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمَنَازِنِي ولحقهم بتوج وهم يصلون ، فقتلهم أجمعين ما بين راكم وساجد لم يتغيروا عن حالهم . ورجع الى البصرة برأس أبي بلال مرداس ، فرصده عُيَيْبَةُ بْنُ هَلَالٍ في ثلاثة نفر عند قصر الامارة ليستفتيه فقتلوه ، واجتمع عليهم الناس فقتلوا منهم . وكان على البصرة عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ ، فأمره زياد بتتبع الخوارج الى أن تقدم فحبسهم ، وأخذ الكفلاء على بعضهم ، وأتى بعروة بن أدبة فقال : أنا كفيلك وأطلقه .

ولما جاء ابن زياد قتل المحبوسين منهم والمكفولين ، وطالب ابن ابي بكرة بعروة بن أدبة ، فبحث عنه حتى ظفر به ، وجاء به الى ابن زياد فقطعه وصلبه سنة ثمان وخمسين . ثم مات يزيد واستفحل أمر ابن الزبير بمكة ، وكان الخوارج لما اشتد عليهم ابن زياد بعد قتل ابي بلال مرداس أشار عليهم نافع بن الأزرق منهم باللاحاق بابن الزبير ، لجهاد عساكر يزيد ، لما ساروا اليه قالوا : وان لم يكن على رأينا داحضاً عن البيت ، وقاموا يقاتلون معه

فلما مات يزيد وانصرفت المساكر كشفوا عن رأي ابن الزبير فيهم ، وجأؤوه يرمون من عثمان ويتبرؤون منه فصرح بمخالفتهم . وقال بعد خطبة طويلة أثنى فيها على الشَّيْخَيْنِ وعليّ وعثمان ، واعتذر عنه فيما يزعمون وقال : أشهدكم ومن حضرني أني وليّ لابن عفان وعدوّ لأعدائه ، قالوا : فبرئ . الله منك اقال بل برئ . الله منكم ! فافترقوا عنه .

وأقبل نافع بن الأزرق الحنظليّ ، وعبدالله بن صفّار السعديّ ، وعبدالله بن أباض وحنظلة بن يئس ، وبنو الماخور : عبدالله وعبيد الله والزُّبَيْرِ من بني سَليط بن زُبُوع وكلهم من تميم ، حتى اتوا البصرة . وانطلق أبو طالوت عن بني بكر بن وائل ، وأبو فديك عبدالله بن نور بن قيس بن ثعلبة وعطية بن الأسود اليشكريّ الى اليمامة ، فوثبوا بها مع أبي طالوت . ثم تركوه ومالوا عنه الى نجدة بن عامر الحنفيّ .

ومن هنا افترقت الحوارج على اربع فرق : الأزارقة اصحاب نافع بن الازرق الحنفي ، وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم ، والاستعراض وقتل الاطفال واستحلال الامانة لانه يراهم كفاراً . والفرقة الثانية التجديّة وهم بخلاف الازارقة في ذلك كله . والفرقة الثالثة الأباضية اصحاب عبدالله بن أباض المُرّي ، وهم يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المناققين ، فلا ينتهون الى الرأي الاول ، ولا يقفون عند الثاني ، ولا يجرّمون

مناكحة المسلمين ولا موارثتهم ، ولا المناقنين فيهم ، وهم عندهم كالمناققين ، وقول هؤلاء أقرب الى السنة . ومن هؤلاء اليهسية أصحاب أبي يونس هيصم بن جابر الضبي . والفرقة الرابعة الصفرية وهم موافقون للإباضية إلا في العقدة ، فإن الإباضية أشد على العقدة منهم .

وربما اختلفت هذه الآراء من بعد ذلك ، واختلف في تسمية الصفرية ، فقليل نسبوا الى ابن صفار وقيل اصغروا بما نهكتهم العبادة . وكانت الخوارج من قبل هذا الافتراق على رأي واحد لا يختلفون الا في الشاذ من الفروع . وفي أصل اختلافهم هذا مكاتبات بين نافع بن الأزرق وأبي يونس وعبدالله بن اباض ذكرها المبرد في كتاب الكامل فلينظر هناك .

ولما جاء نافع الى نواحي البصرة سنة أربع وستين ، فأقام بالاهواز يمترض الناس ، وكان على البصرة عبدالله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب . فصرح ليه مسلم عيسى بن كوث بن ربيعة من أهل البصرة بإشارة الأحنف بن قيس ، فدناقه عن نواحي البصرة وقاتله بالاهواز ، وعلى ميمنة مسلم الحجاج ابن باب الحثيري ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر العدائي . وعلى ميمنة ابن الأزرق عبيدة بن هلال ، وعلى ميسرته الزبير بن الماخور التميمي . فقتل مسلم ، ثم قتل نافع ، وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب ، والخوارج عبدالله بن الماخور . ثم قتل الحجاج

وعبدالله، فأمر أهل البصرة ربيعة بن الأَخْزَم، والحوارج عبيد الله بن الماخور. ثم اقتتلوا حتى امسوا، وجاء إلى الحوارج مدد فحملوا على أهل البصرة فهزموهم. وقتل ربيعة وولوا مكانه حارثة بن بدر، فقاتل وردّهم على الاعقاب ونزل الأهواز.

ثم عزل عن البصرة عبدالله بن الحرث، وبعث ابن الزبير عليها الحرث القَّبَّاع بن أبي ربيعة، فزحف الحوارج إلى البصرة وأشار الأحنف بن قيس بتولية المهلبِ الحروبيهم، وقد كان ابن الزبير ولاء خراسان، فكتبوا لابن الزبير بذلك فأجاب. واشترطوا للعسلم ما سأل من ولاية ما غلب عليه، والاعانة بالاموال، فاختر من الجند اثني عشر ألفاً، وسار إليهم فدفعهم عن الجسر. وجاء حارثة بن بدر بمن كان معه في قتال الحوارج، فردّهم الحرث إلى المهلب. وركب حارثة البحر يريد البصرة ففرق في النهر. وسار المهلب وعلى مقدمته ابنه المُنِيرَةُ فقاتلهم المقدمة ودفعوهم عن سوق الأهواز إلى مادَرَ. ونزل المهلب بسولاف، وقاتله الحوارج وصدقوا الحملة، فكشفوا أصحاب المهلب. ثم ترك من الغد قتلهم وقطع دُجَيْل ونزل المَقِيل، ثم ارتحل فنزل قريباً منهم، وخندق عليه وأذكى العيون والحرس.

وجاء منهم عبيدة بن هلال والزبير بن الماخور في بعض الليالي لِيَتَّوَا عسكر المهلب فوجدوهم حذرين. وخرج إليهم المهلب من الغد في تعبئة، والازد وتيم في ميمنته، وبكر وعبد

القيس في ميسرته، وأهل العالية في القلب. وعلى ميمنة الخوارج عبيدة بن هلال اليشكري، وعلى ميسرتهم الزبير بن الماخور، واقتتلوا وزل العبر. ثم شدوا على الناس فأجفل عسكر المهلب وانهزم، وسبق المنهزمين الى ربوة ونادى فيهم، فاجتمع له ثلاثة آلاف اكثرهم من الازد، فرجع بهم وقصد عسكر الخوارج، واشتد قتالهم ورموهم بالحجارة، وقتل عبدالله بن الماخور وكثير منهم وانكفؤا راجعين الى كرمان وناحية أصبهان منهزمين، واستخلفوا عليهم الزبير بن الماخور، وأقام المهلب بمكانه حتى جاء مصعب بن الزبير أميراً على البصرة وعزل المهلب.

وأما نجدة وهو نجدة بن عامر بن عبدالله بن سيار بن مقرج الحنفي، وكان مع نافع بن الازرق. فلما افترقوا سار الى اليمامة ودعا أبو طالوت الى نفسه، وهو من بكر بن وائل، وتابعه نجدة ونهب الحصارم بلد بني حنيفة، وكان فيها رقيق كثير يناهز أربعة آلاف، فقسما في أصحابه، وذلك سنة خمس وستين. واعترض عيراً من البحرين جاءت لابن الزبير، فأخذها وجاء بها الى أبي طالوت، فقسما بين أصحابه. ثم رأى الخوارج ان نجدة خير لهم من أبي طالوت، فخالقوه وبايعوا نجدة. وسار الى بني كعب بن ربيعة فهزمهم وأثنى فيهم، ورجع نجدة الى اليمامة في ثلاثة آلاف، ثم سار الى البحرين سنة سبع وستين، فاجتمع أهل البحرين من عبد القيس وغيرهم على محاربته. وسالته الازد والتقوا بالطيف،

فانهزمت عبد القيس، وأثخن فيهم نجدة وأصحابه، وأرسل سرية إلى الخط فظفروا بأهله . ولما قدم مصعب بن الزبير البصرة سنة تسع وستين، بعث عبدالله بن عمر الليثي الأعور في عشرين ألفاً، ونجدة بالعطيف فقاتلوه، وهزمهم نجدة وغنم ما في عسكرهم . وبعث عطية بن الأسود الحنفي من الخوارج إلى عُمان، وبها عبادة ابن عبدالله شيخ كبير، فقاتله عطية فقتله، وأقام أشهراً وسار عنها . واستخلف عليها بعض الخوارج، فقتله أهل عمان وولوا عليهم سعيداً وسليمان ابني عباد .

ثم خالف عطية نجدة وجاء إلى عُمان، فامتنعت منه . فركب البحر إلى كُزمان، وأرسل إليه المهلب جيشاً فهرب إلى سجستان، ثم إلى السند، فقتله خيل المهلب ببغداديل . ثم بعث نجدة المعروفين إلى البوادي بعد هزيمة ابن عُمر، فقاتلوا بني تميم بكاطلة وأعانهم أهل طويليع، فبعث نجدة من استباحهم وأخذ منهم الصدقة كرهاً . ثم سار إلى صنعاء فبايعوه وأخذ الصدقة من مخاليفها . ثم بعث أبا فديك إلى حضرموت، فأخذ الصدقة منهم . وحج سنة ثمان وستين في تسعمائة رجل، وقيل في ألفين، ووقف ناحية عن ابن الزبير على صلح عقد بينهما .

ثم سار نجدة إلى المدينة وتأهبوا لقتاله، فرجع إلى الطائف وأصاب بنتاً لعبدالله بن عمر بن عثمان، فضمها إليه . وامتحنه الخوارج بسؤاله بيعها فقال : قد أعتقت نصيبي منها . قالوا فزوجها،

قال هي أملك بنفسها، وقد كرهت الزواج . ولما قرب من الطائف جاءه عاصمُ بنُ عُرْوَةَ بن مسمود فبايعه عن قومه، وولى عليهم الخازنق، وعلى يَبَانَةَ والسَّراة . وولى على ما يلي نجران سعدَ الطلائع، ورجع الى البحرين، وقطع الميرة عن الحرَمَيْنِ . وكتب اليه ابن عباس أو ثُمَامَةُ بن أَشَاك لما أسلم قطع الميرة عن مكة وهم مشركون، فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل مكة أهل الله فلا تنهم الميرة فخلاها لهم، وانك قطعت الميرة ونحن مسلمون، فخلاها لهم نجدة .

ثم اختلف اليه أصحابه لان أبا سنانَ حَيَّ بن وائل أشار عليه بقتل من أطاعه تقيّة، فانتهره نجدة وقال : انما علينا أن نحكم بالظاهر . وأغضبه عَطِيَّةُ في منازعة جرت بينهما على تفضيله لسرية البرّ على سرية البحر في الفئيمة، فشتمه نجدة فغضب . وسأله في درء الحدّ في الحر عن رجل من شجعانهم، فأبى . وكتبه عبد الملك في الطاعة على أن يوليه اليامة، ويهدر لهم ما أصاب من الدماء . فاتهموه في هذه المكاتبه ونقموا عليه أمثال هذه، وفارقه عطية الى عمان . ثم انحازوا عنه وولوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور احد بني قيس بن ثعلبة . واستخفى نجدة، وألح أبو فديك في طلبه، وكان مستخفياً في قرية من قرى حجر . ثم نذر به فذهب الى اخواله من تميم، وأجمع المسير الى عبد الملك، فعلم به أبو فديك، وجاءت سرية منهم وقاتلهم فقتلوه . وسخط قتله جماعة من أصحاب

أي فديك، واعتمده مُسْلِمُ بن جُبَيْر فطعنهُ اثنتي عشرة طعنة، وقتل مسلم لوقته، وحمل أبو فديك الى منزله .

ثم جاء مصعب الى البصرة سنة ثمان وستين والياً على العراقيين عن أخيه، وكان المهلب في حرب الازارقة فأراد مصعب أن يوليه بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية، ليكون بينه وبين عبد الملك . فاستقدمه من فارس وولاه، وولى على فارس وحرب الازارقة عمر ابن عبدالله بن مَعْمَر . وكان الخوارج قد ولوا عليهم بعد قتل عبدالله بن الماخور سنة خمس وستين أخاه الزبير، فجاءوا به الى إصطخر، وقدم عمر ابنه عبيدالله اليهم فقتلوه، ثم قاتل الزبير عمر فهزمهم وقتل منهم سبعون . وقلق قطري بن الفجاءة، وشتر صالح ابن مخراق، وساروا الى نيسابور فقاتلهم عمر بها وهزمهم، فقصدوا أَصْبَهَانَ فاستجمعوا بها . ثم أقبلوا الى فارس وتجنبوا عسكر عمر، وروا على ساجور ثم أَرَجَانَ، فأقوا الاهواز قاصدين العراق . وأغذَّ عمر السير في اثرهم، وعسكر مصعب عند الجسر . فسار الزبير بالخوارج، فقطع أرض صَرْصَر، وشنَّ الغارة على أهل المدائن يقتلون الولدان، والرجال ويبقرون بطون الجبال .

وهرب صاحب المدائن عنها، وانتهت جماعة منهم الى الكرخ، فقاتلهم أبو بكر بن مخنف فقتلوه، وخرج أمير الكوفة وهو الحرث ابن أبي ربيعة القَبَّاع حتى انتهى الى الصراة، ومعه ابراهيم بن الأَشْثَر، وشبيب بن رَبَيعي، وأسماء بن خَارِجَة، ويزيد بن الحرث،

ومحمد بن عمير، وأشاروا عليه بمقد الجسر والعبور اليهم، فانهزموا الى المدائن . وأمر الحرث عبد الرحمن ابن مخنف باتباعهم في ستة آلاف الى حدود أرض الكوفة، فانتهموا الى الري وعليها يزيد بن الحرث بن دؤيم الشيباني، وما والاهم عليه أهل الري، فهزموه وقتلوه . ثم انخطوا الى أصبهان وبها عتاب بن رزقاء، فحاصروه أشهراً، وكان يقاتلهم على باب المدينة .

ثم دعا الى الاستماتة في قتالهم، فخرجوا وقتلوه، وانهزمت الخوارج، وقتل الزبير واحتوا على معسكرهم . ثم بايع الخوارج قطري بن الفجاءة المازني ويكنى أبا نعامه، وارتحل بهم الى كرمان حتى استجمعوا فرجموا الى أصبهان فامتنعت، فأتوا الاهواز وقاموا . وبعث مصعب الى المهلب فردّه الى قتال الخوارج، وولى على الموصل والجزيرة ابراهيم بن الاشر، وجاء المهلب فانتجعت الناس من البصرة، وسار الى الخوارج فلقبهم بسولاف . واقتتلوا ثمانية أشهر، وبعث مصعب الى عتاب بن ورقاء الرياحي عامل أصبهان بقتال أهل الري بما فعله في ابن دؤيم، فسار اليهم وعليهم الفرخان فقاتلهم وافتتحها عنوة وقلاعها وعاث في نواحيها .

خبر ابن للم ومقتله

كان عبيد الله بن الحر الجعفي من خيار قومه صلاحاً وفضلاً، ولما قتل عثمان حزن عليه، وكان مع معاوية على علي، وكانت له زوجة بالكوفة فتزوجت لطول مغيبه . فأقبل من الشام وخاصم

زوجها الى عليّ، فمدّ^(١) عليه شهوده صفين . فقال : أيمعني ذلك من عدلك ؟ قال لا . وردّ اليه امرأته . فرجع الى الشام وجاء الى الكوفة بعد مقتل عليّ، ولقي اخوانه وتفاوضوا في النكير على عليّ ومعاوية . ولما قتل الحسين تغيب على مَلَحَمَتِهِ، وسأل عنه ابن زياد فلم يره . ثم لقيه فأساء عذله، وعرض له بالكون مع عدوّه، فأنكر وخرج منفضباً . وراجع ابن زياد رأيّه فيه فطلبه فلم يجده، فبعث عنه فامتنع وقال : أبغضوه اني لا آتيه طائماً أبداً . وأتى منزل أحمد بن زياد الطائي، فاجتمع اليه أصحابه، وخرج الى المدائن . ومضى لمصارع الحسين وأصحابه فاستغفر لهم، ولما مات يزيد ووقعت الفتنة اجتمع اليه أصحابه، وخرج بنواحي المدائن، ولم يعترض للقتل ولا للمال، انما كان يأخذ مال السُلطان متى لقيه، فيأخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ويردّ الباقي، ويأخذ لصاحب المال بما أخذ .

وحبس المختار امرأته بالكوفة، وجاء فأخرجها من الحبس، وأخرج كل من فيه . وأراد المختار أن يسطو به، فمنعه ابراهيم ابن الاشر الى الموصل لقتال ابن زياد . ثم فارقه ولم يشهد معه، وشهد مع مصعب قتال المختار وقتله . ثم أغرى به مصعب فحبسه، وشفع فيه رجال من وجوه مَنَحِجَ فشفهم وأطلقه، وأتى اليه الناس يهنؤنه . فصرح بأن أحداً لا يستحق بعد الاربعة، ولا

(١) كذا. ولعلها: تند.

يحلّ ان يعقد لهم بيعة في أعناقنا، فليس لهم علينا من الفضل ما يستحقون به ذلك، وكلهم عاص مخالف، قوي الدنيا ضعيف الآخرة، ونحن أصحاب الأيام مع فارس، ثم لا يعرف حقنا وفضلنا، واني قد اظهرت لهم العداوة .

وخرج للحرب فأغار، فبعث اليه مصعب سيف بن هاني المرادي يعرض عليه الطاعة على ان يسطيه قطعة من بلاد فارس، فأبى فصرح اليه الأبرد بن قزوة الرياحي في عسكر، فهزمه عبيد الله، فبعث اليه حريث بن زيد فهزمه فقتله، فبعث اليه الحجاج بن حارثة الحنفي ومسلم بن عمر فقاتلها بنهر صرصر وهزمها، فأرسل اليه مصعب بالامان والولاية فلم يقبل . واتي الى فارس فهرب ذهقاًها بالمال، وتبعه ابن الحر الى عين التمر وعليه بسطام بن معلقة بن هيرة الشيباني، فقاتل عبيد الله . ووافاهم الحجاج بن حارثة فهزمها عبيد الله وأسرهما، وأخذ المال الذي مع الدهقان .

واقام بتكريت ليجي الحجاج، فصرح مصعب لقتاله الأبرد ابن قزوة الرياحي، والجون بن كعب الهمداني في ألف وامدّهم الملب بيزيد بن المقل في خمسمائة، وقاتلهم عبيد الله يومين في ثلثمائة . ثم تهاجروا وقال لأصحابه اني سائر بكم الى عبد الملك فتجهزوا ! ثم قال : اني خائف أن اموت ولم اذعر مُصعباً، وقصد الكوفة وجاءته المساكر من كل جهة . ولم يزل يهزمهم ويقتل

منهم بنواحي الكوفة والمدائن . واقام يغير بالسواد ويجبي الخراج . ثم لحق بعبد الملك فأكرمه وأجلسه معه على سرير ، وأعطاه مائة ألف درهم ، وقسم في اصحابه الاعطيات ، وسأل من عبد الملك ان يوجه معه عسكرياً لقتال مصعب فقال : سر بأصحابك وادع من قدرت عليه وانا ممدك بالرجال ، فصار نحو الكوفة ونزل بناحية الأنبار ، واذن لاصحابه في اتيان الكوفة ليخبروا اصحابه بقدومه . وبعث الحرث بن ابي ربيعة اليه جيشاً كثيفاً ، فقاتلهم وتفرق عنه اصحابه ، واثخنه الجراح فخاض البحر الى سفينة فركبها حتى توسط الفرات ، فأشرفت خيالة على السفينة وتبادروا به ، فقام يمشي في البحر فتعلقوا به فألقى نفسه في الماء مع بعضهم ففرقوه .

مروءة الخوارج مع عبد الملك والدجاج

ولما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب بعث على البصرة خالد بن عبدالله ، وكان المهلب يجارب الأزارقة ، فولاه على خراج الاهواز . وبعث أخاه عبد العزيز بن عبد الى قتال الخوارج ، ومعه مُقَاتِلُ بن مُسَمِّع ، وأتت الخوارج من ناحية كرمان الى دار بُجُرْدَ ، وبعث قَطْرِيّ بن الفُجاءة صالح بن يَخْرَاق في تسعمائة ، فاستقبل عبد العزيز ليلاً على غير تعبئة فانهزم . وقتل مقاتل بن مسمع وأسرت بنت المنذر بن الجارود امرأة عبد العزيز ، فقتلها الخوارج .

وتغير عبد العزيز إلى وأمهزم . وكتب خالد بالخبر إلى عبد الملك فكتب إليه ^(١) على ولاية أخيه الحرب وولاية المهلب جباية الخراج ، وأمره بأن يسرح المهلب بحريهم . وكتب إلى بشر بالكوفة بإمداده بخمسة آلاف مع من يرضاه ، فإذا فرغوا من قتال الخوارج ساروا إلى الري فكانوا هنالك مُسلّحة ، فأنفذ بشرُ العسكر وعليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكتب له عهده على الري ، وخرج خالد بأهل البصرة ، ومعه المهلب واجتمعوا بالأهواز . وجاءت الأزارقة فأحرقوا السفن . ومَرَّ المهلب بعبد الرحمن بن الأشعث وأمره أن يَخندق عليه ، وأقاموا كذلك عشرين ليلة . ثم زحف الخوارج بالناس ، فهاج الخوارج كثرتهم وانصرفوا .

وبعث خالد داود بن قحطم في آثارهم ، وانصرف إلى البصرة ، وكتب بالخبر إلى عبد الملك . فكتب إلى أخيه بشر أن يبعث أربعة آلاف من أهل الكوفة إلى فارس ويلحقوا بـداود بن قحطم في طلب الأزارقة . فبعث بهم بشر بن عتاب ، ولحقوا بـداود واتبعوا الخوارج حتى أصابهم الجهد ، ورجع حامتهم مشاة إلى الأهواز .

(١) هنا بياض بالأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٠ : « فكتب خالد إلى عبد الملك يخبره بذلك ، فكتب إليه عبد الملك قد عرفت ذلك وسألت رسولك عن المهلب فأخبرني أنه عامل على الأهواز فقيح الله رأيك حين تبعت أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب يجبي الخراج » .

ثم خرج أبو فديك من بني قيس بن ثعلبة، فقلب على البحرين، وقتل نجدة بن عامر الحنفي كما مرّ. وهزم خالداً فكتب إلى عبد الملك بذلك، وأمر عبد الملك عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر أن يندب الناس من أهل الكوفة والبصرة، ويسير لقتال أبي فديك. فانتدب معه عشرة آلاف، وسار بهم وأهل الكوفة على ميمنته عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله، وأهل البصرة في ميسرته عليهم عمر بن موسى أخيه، وهو في القلب. وانتهوا إلى البحرين، واصطفوا للقتال، وحملوا على أبي فديك وأصحابه، فكشفوا ميسرته حتى أبعدوا إلا المغيرة بن المهلب ومجاعة وعبد الرحمن وفرسان الناس، فانهم مالوا إلى أهل الكوفة باليمين ورجع أهل اليسرة. وحمل أهل اليمين على الخوارج فهزموهم واستباحوا عسكرهم، وقتلوا أبا فديك وحصلوا أصحابه بالمشقر حتى نزلوا على الحكم، فقتل منهم ستة آلاف وأسر ثمانمائة، وذلك سنة ثلاث وسبعين.

ثم ولي عبد الملك أخاه بشراً على البصرة، فسار إليها، وأمره أن يبعث المهلب إلى حرب الازارقة، وأن ينتخب من أهل البصرة من أراد، ويتركه ورأيه في الحرب، ويمدّه بعسكر كثيف من أهل الكوفة مع رجل معروف بالنجدة. فبعث المهلب لانتخاب الناس جديع بن سعيد بن قُبَيْصَةَ، وشق على بشر ولاية المهلب من عبد الملك وأوغرت صدره. فبعث على عسكر الكوفة عبد

الرحمن ابن مخنف، وأغراه بالمهلب في ترك مشورته، وتنقصه . وسار المهلب الى دَامَهْرُمَزَ وبها الخوارج، وأقبل ابن مخنف في أهل الكوفة، فنزل على ميل منه بحيث يترأى العسكران . ثم أتاهم نبأ بشر بن مروان، وأنه استخلف خالد بن عبدالله بن خالد على البصرة، وخليفته على الكوفة عُمرُ بن حُرَيْثَ، فافترق ناس كثيرة من أهل البصرة وأهل الكوفة فنزلوا الالهواز، وكتب اليهم خالد بن عبدالله يتهددهم فلم يلتفتوا اليه . وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة، وكتب اليهم عمر بن حريث بالانكير والعود الى المهلب، ومنهمم الدخول فدخلوا ليلاً الى بيوتهم .

ثم قدم الحجاج أميراً على العراقيين سنة خمس وسبعين، فخطب بالكوفة خطبته المعروفة كان منها : ولقد بلغني وفضكم المهلب واقبالكم الى مصركم عاصين بخالفين، وأيم الله لا أجد أحداً متخلفاً عن عسكره بعد ثلاثة الا ضربت عنقه، وأنهب داره . ثم دعا العرفاء وقال : أَلْحَقُوا النَّاسَ بِالْمَهْلَبِ وَأَتُونِي بِالْبَرَاءَةِ بِمَوَاقِفِهِمْ، وَلَا تَغْلِقَنَّ أَبْوَابَ الْجِسْرِ . ووجد عمر بن ضابي من المتخلفين، وأخبر أنه من قتلة عثمان فقتله . فأخرج جند المهلب وازدحموا على الجسر، وجاء العرفاء الى المهلب يراهمز فأخذوا كتابه بموافاة الناس، وأمرهم الحجاج بمناهضة الخوارج، فقاتلوهم شيئاً ثم انزاحوا الى كازرون، وسار المهلب وابن مخنف فنزلوا بهم . وخندق المهلب ولم يخندق ابن مخنف، وبيتهم الخوارج فوجدوا المهلب حذراً، قالوا الى ابن مخنف

فانهزم عنه أصحابه وقاتل حتى قتل . وفي حديث أهل الكوفة انهم لما تاهضوا الخوارج مالوا الى المهلب واضطروه الى معسكره، وأمدّه عبد الرحمن بعامة عسكره وبقي في خفّ من الجند . قال اليه الخوارج، فقتل وثرل معه الفراء وواحد وسبعون من أصحابه فقتلوا، وجاء المهلب من الند فدفنه وصلى عليه، وكتب بالخبر الى الحجاج، فبعث على معسكره عتاب بن ورقاء وارء بطاعة المهلب، فأجاب لذلك وفي نفسه منه شيء، وعاتبه المهلب يوماً ورفع اليه القضيب، فردّه ابنه المغيرة عن ذلك . وكتب عتاب يشكو المهلب الى الحجاج ويسأله العود، وصادف ذلك أمر شبيب فاستقدمه وبقي المهلب .

مروء الصفرية وشبيب مع الحجاج

ثم خرج صالح بن مسرح التميمي من بني امري القيس بن زيد مناة وكان يرى رأي الصفرية، وكان عابداً ومسكنه ارض الموصل والجزيرة، وله اصحاب يقرئهم القرآن والفقه . وكان يأتي الكوفة ويلقى أصحابه، ويمدّ ما يحتاج اليه . فطلبه الحجاج فترك الكوفة، وجاء الى أصحابه بالموصل، ودار فدعاهم الى الخروج وحث الناس عليه . وجاءه كتاب شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني من رؤسهم يحثه على مثل ذلك . فكتب اليه : اني في انتظارك فاقدم . فقدم شبيب في نفر من اصحابه منهم أخوه المصّاد، والحلل بن وائل اليشكري ولقيه بدارا، واجمع صالح الخروج . وبعث الى

أصحابه وخرجوا في صفر سنة ست وسبعين . وأمر بالدعاء قبل القتال وخيّر في الدماء والاموال . وعرضت لهم دواب لمحمد بن مروان بالجزيرة ، فأخذوها وحملوا عليها اصحابهم .

وبلغ محمد بن مروان وهو امير الجزيرة خروجهم ، فسرّح اليهم عدي بن عدي الكِنْدِيّ في ألف ، فسار من حرّان ، وكان ناسكاً فكره حروبهم ، وبعث اليهم بالخروج ، فحبسوا الرسول . فساروا اليه فظلموا عليه وهو يصلي الضحى ، وشييب في الميعة ، وسويد ابن سليم في الميسرة . وركب عدي على غير تمبيّة فانهزم ، واحتوى الخوارج على معسكره ومضوا الى آمد . وسرّح محمد بن مروان خالد بن حرّ السَلَمِيّ في ألف وخمسمائة ، والحِثّ بن جُؤَنَةَ العَامِرِيّ في مثلها وقال : أيكما سبق فهو أمير على صاحبه .

وبعث صالح شبيباً الى الحِثّ ، وتوجه هو نحو خالد وقتلوه . أشد القتال . واعتصم اصحاب محمد بخندقهم ، فسارت الخوارج عنهم ، وقطعوا ارض الجزيرة والموصل الى الدسكرة . فسرّح اليهم الحجاج الحِثّ بن عُثَيْرَةَ بن ذي الشِّعَارِ في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة ، فلقبهم على تخم ما بين الموصل وصرصر ، والخوارج في تسعين رجلاً . فانهزم سويد بن سليم ، وقتل صالح ، وصرع شبيب . ثم وقف على صالح قتيلاً فنادى بالمسلمين فلاذوا به ، ودخلوا حصناً هنالك ، وهم سبعون . وعاث الحِثّ بهم وأحرق عليهم الباب ، ورجع حتى يصبحهم من الغداة . فقال لهم شبيب بايعوا من شئتم من

أصحابكم واخرجوا بنا اليهم . فبايعوه واطفؤا النار بالماء في البود،
وخرجوا اليه فبيتوا، وسرح الحرث فحملوا على اصحابه وانهزموا
نحو المدائن، وحوى شبيب عسكرهم .

وسار شبيب الى أرض الموصل فلقي سلامة بن سنان التميمي
من تميم شيان، اخاه فضالة من أكابر الخوارج، وكان خرج
قبل صالح في ثمانية عشر رجلاً، وئزّل على ماء لبني عترة فقتلوه
وأثروا برؤسهم الى عبد الملك يتقربون له بهم . فلما دعا شبيب سلامة
الى الخروج شرط عليه أن ينتخب ثلاثين فارساً ويسير بهم الى
عترة . فيثار منهم باخيه، فقبل شرطه . وسار الى عترة فأئذن فيهم،
وجعل يقتل الجلة بعد الحلة . ثم اقبل شبيب الى داران في نحو
سبعين رجلاً ففرت منهم طائفة من بني شيان نحو ثلاثة آلاف، فزلوا
ديراً خراباً وامتنعوا منه وسار في بعض حاجاته، واستخلف اخاه
مضاد بن يزيد بمجاعة من بني شيان في أموالهم مقيمين، فقتل
منهم ثلاثين شيخاً، فيهم حوثة بن أسد . وأشرف بنو شيان
على مضاد وأصحابه، وسألوا الامان ليخرجوا اليهم ويسمعوا
دعوتهم فأخرجوا وقبلوا، وئزلوا اليهم واجتمعوا بهم . وجاء شبيب
فاستصوب فعلهم . وسار بطائفة نحو أذربيجان .

وكان الحجاج قد بعث سُفَيَّانَ بن أبي العالِيَةِ الخُفَيمِيَّ الى
طَبَرَسْتان يحاصرها في ألف فارس، وكتب اليه الحجاج أن يرجع .
فصالح أهل طبرستان، ورجع فأقام بالأسكرة يطلب المدد . وبعث

الحجاج أيضاً الى الحرث بن عميرة المَهْدَانِيّ قاتل صالح أن يأتيه
يحيى الكوفة والمدائن، والى سَوْزَةَ بن أَتَجَرِ التَّمِيمِيّ في خيل
المنابر. ويعجل سفيان في طلب شبيب، فلحقه بخانقين، فاستطردهم
وأكن كيناً لهم مع أخيه، واتبعوه في سفح الجبل فخرج عليهم
الكمين فانهزموا يغير قتال، وثبت سفيان وقاتل. ثم حمل شبيب
فانكشف ونجا الى بابل هزود، وكتب الى الحجاج بالخبر وبوصول
العساكر إلا سورة بن أبيجر. فكتب الحجاج الى سورة يتهدده
ويأمره أن يتخذ من المدائن خمائة فارس، ويسير الى شبيب
فسار. وانتهى شبيب الى المدائن ثم الى الهندوان، فترحم على
أصحابه هنالك. ويبتهم سورة هنالك وهم حذرون فلم يصب
منهم الفرة. ورجع نحو المدائن وشبيب في اتباعه.

وخرج ابن أبي العاصي عامل المدائن فقاتلهم، وهرب كثير
من جنده الى الكوفة، ومضى شبيب الى تكريت. ووصل
سورة الى الكوفة بالفل، فحبسه الحجاج ثم أطلقه. وسرح عثمان
ابن سعيد بن شرجيل الكِنْدِيّ ويلقب الجزل، في أربعة آلاف ليس
فيهم من المنهزمين أحد، وساروا لحرب شبيب وأصحابه. وقدم
بين يديه عياض بن أبي لينة الكِنْدِيّ وجملوا يتبعون شبيباً من
رستاق الى رستاق وهو على غير تعبئة، والجزل على التعبئة،
ويخندق على نفسه متى نزل. وطال ذلك على شبيب، وكان في
مائة وستين، فقسه على أربع فرق وثبت الجزل ومشايخه فلم

يصب منهم فرجع عنهم . ثم أصبحهم ثلثية فلم يظهر منهم بشي .
وسار الجزل في التبعية كما كان وشيب يسير في ارض الخوارج
وغيرها يكسب الجراج . وكتب الحجاج الى الجزل ينكر عليه
البطء ، ويأمره بالمناهضة . وبعث سعيد بن المجالدي على جيش
الجزل فجاءهم بالهندوان وونجهم وعجزهم . وجاءهم الخبر بان شيباً
قد دخل قطيطيا والدهقان يصلح لهم الغداء ، فنهض سعيد في
الناس وترك الجزل مع العسكر وقد صف بهم خارج الخندق .
وجاء سعيد الى قطيطيا وعلم به شيب ، فأكل وتوضأ وصلى .
وخرج فحمل على سعيد واصحابه مستعرضاً فانهمزوا وثبت سعيد
فقتله وسار في اتباعهم الى الجزل ، فقاتلهم الجزل حتى وقع بين
القتلى جريحاً . وكتب الى الحجاج بالخبر واقام بالمدائن . وانتهى
شيب الى الكرخ وعبر دجلة اليه ، وارسل الى سوق بغداد
فأتاهم في يوم سوقهم ، واشترى منه حاجاته ، وسار الى الكوفة .
فلما قرب منها بعث الحجاج سويد بن عبد الرحمن السعدي في
ألفي رجل ، فساروا الى شيب . وأمر عثمان بن قطن فمسكروا في
السبخة . وخالفه شيب الى أهل السبخة فقاتلوه . وجاء سويد في
آثاره فمضى نحو الحيرة وسويد في اتباعه . ثم رحل من الحيرة
وجاء كتاب الحجاج الى سويد يأمره باتباعه . فمضى في اتيانه
وشيب يغير في طريقه . وأخذ على القطقطانة ، ثم على قصر بني
مقاتل ، ثم على الأنبار ثم ارتفع على أدنى أذربيجان . ولما أبعد

سار الحجاج الى البصرة، واستعمل على الكوفة عُزْرَةَ بن المُفِيرَةَ ابن سُمَيْة، فجاءه كتاب دهقان بابل مهروء يخبره بقصد شييب الكوفة، فبعث بالكتاب الى الحجاج .

وأقبل شييب حتى نزل عَرْقُوبًا، ونزل وسار منها يسابق الحجاج الى الكوفة . وطوى الحجاج المنازل فوصل الكوفة عند العصر ووصل شييب عند المغرب . فأراح وطعموا، ثم ركبوا ودخلوا الى السوق . وضرب شييب القصر بعموده . ثم اقتحموا المسجد الاعظم فقتلوا فيه من الصالحين، ومروا بدار صاحب الشرطة فدعوه الى الامير ونكروهم، فقتلوا غلامه . ومروا بمسجد بني ذَهْلٍ فقتلوا ذَهْلَ بن الحرث، وكان يطيل الصلاة فيه . ثم خرجوا من الكوفة واستقبلهم النضر بن القَعْقَاع بن شَوْر الذُهلي، وكان ممن أقبل مع الحجاج من البصرة، فتخلف عنه . فلما رآه قال : السلام عليك أيها الامير ! فقال له شييب : قل أمير المؤمنين ويلك، فقالها . وأراد شييب أن يلقيه للقرابة بينهما . وكان النضر ناحية بيت هاني بن قُبَيْصَةَ الشَّيْبَانِي، فقال له يا نضر لا حكم الا لله، ففطن بهم وقال : انا لله وانا اليه راجعون، وشد عليه اصحاب شييب فقتلوه .

ونادى منادي الحجاج بالكوفة يا خيل الله اركبي وهو بباب القصر، وكان أول من أتاها عثمان بن قطن بن عبدالله بن الحسين ذي القصة . ثم جاء الناس من كل جانب، فبعث الحجاج

خاله بن الأسدي وزائدة بن قدامة التميمي وأبا الضريس مولى بني تميم، وعبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، وزباد بن عبد الله التميمي في ألفين ألفين وقال : ان كان حرب فأمركم زائدة بن قدامة . وبعث معهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله من سجستان ، وكان عبد الملك قد ولاه عليها، وأمر الحجاج أن يجهزه ويبعثه في آلاف من الجنود الى عمله، فجهزه وحدث أمر شبيب . فقال له الحجاج تجاهد ويظهر اسمك ثم تمضي الى عملك، فساروا جميعاً ونزلوا أسفل الفرات .

وأخذ شبيب نحو القادسية وجرد الحجاج ألفاً وثلاثمائة من نقابة الجند مع ذخر بن قيس، وأمره بمواقعة شبيب أينما أدركه، وان ذهب فاتركه . فأدركه بالسليخين، وعطف عليه شبيب، فقاتل ذخر حتى صرع وفيه بضعة عشر جرحاً . وانهزم أصحابه يظنون أنه قتل . ثم أفاق من برد السحر، فدخل قرية وسار الى الكوفة . ثم قصد شبيب واعوانه وهم على أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة، فقال : ان هزمناهم فليس دون الحجاج والكوفة مانع .

وانتهى اليهم وقد تعبوا للحرب وعلى الميمنة زياد بن عمر العتكي، وعلى الميسرة بشر بن غالب الاسدي، وكل أمير بمكانه . وعي شبيب أصحابه ثلاثة كتائب، فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمر فانكشفوا، وثبت زياد قليلاً ثم حمل الثانية فانهمزموا، وانهزم جريماً عند المساء . ثم حملوا على عبد الأعلى بن عبد الله

ابن عمار فانهزم ولم يقاتل ولحق يزيد بن عمر، وحملت الخوارج حتى انتهت الى محمد بن موسى بن طلحة عند الغروب، فقاتلوه وصبر لهم . ثم حمل مَضَادُّ أخو شبيب على بشر بن غالب في الميسرة فصبر وُرِّل في خمسين رجلاً فقاتلوه حتى قتلوا، وحملت الخوارج على ابي الضُرَيْس مولى بني تميم فهزموه حتى انتهى الى أعين، ثم حملوا عليه وعلى أعين فهزموها الى زائدة بن قدامة . فلما انتهوا اليه نادى نزال وقاتلهم الى السحر، ثم حمل شبيب عليه فقتله وقتل أصحابه، ودخل ابو الضريس مع القل الى الجوسق بازائهم .

ورفع الخوارج عنهم السيف ودعوهم الى البيعة لشبيب عند الفجر فبايعوه، وكان فيمن بايعه ابو يَزْدَةَ وبقي محمد بن موسى لم ينهزم، فلما طلع الفجر سمع شبيب أذانهم وعلم مكانهم فأذن وصلى، ثم حمل عليهم فانهزمت طائفة منهم وثبتت أخرى، وقاتل محمد حتى قتل . وأخذ الخوارج ما في العسكر وانهزم الذين بايعوا شبيباً فلم يبق منهم أحد، وجاء شبيب الى الجوسق الذي فيه أعين وأبو الضريس فتحصنوا منه، فأقام يوماً عليهم وسار عنهم، وأراد أصحابه على الكوفة وإزاءهم خوخي فتركها وخرج على نفر .

وسمع الحجاج بذلك فظن أنه يريد المدائن وهي باب الكوفة وأكثر السواد لما فهاله ذلك وبعث عثمان بن قطن أميراً على المدائن وخوخي والانباء، وعزل عنها عبدالله بن أبي عصفير . وقيل في مقتل محمد بن موسى غير هذا وهو أنه كان شهد مع عمر بن

عبدالله بن معمر قتال أبي فديك، فزوجه عمر ابنته وكانت أخته تحت عبد الملك، فولاه *سجستان* فرّاً بالكوفة وقيل للحجاج ان جاء الى هذا أحد ممن تطلبه منك منه، فمره بقتال شبيب في طريقه لعل الله يريحك منه، ففعل الحجاج وعدل محمد الى قتال شبيب، وبعث اليه شبيب بدهاء الحجاج وخديفته اياه وأن يعدل عنه فأبى الا شبيباً فبارزه وقتله شبيب، ولما انهزم الامراء وقتل موسى بن محمد ابن طلحة دعا الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث، وأمره أن ينتخب ستة آلاف فارس ويسير في طلب شبيب أين كان، فسار لذلك . ثم كتب اليه والى أصحابه يتهددهم ان انهزموا ومرّ ابن الاشعث بالمدائن وعاد الجزل من جراحته، فوصاه وحذّره وحمله على فرسه وكانت لا تجارى . وسار شبيب على دقوقا وشهرزور، وابن الاشعث في اتباعه الى أن وقف على أرض الموصل، وأقام يقاتله أهلها .

فكتب اليه الحجاج : أما بعد فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فاقتله أو تنفيه، فانما السلطان سلطان امير المؤمنين والجنّد جنده . فجعل ابن الاشعث يتبعه وشبيب يقصد به الارض الحشنة الفليطة، واذا دنا منه رجع بيته فيجده على حذرة حتى اتعب الجيش وأحفى دوابهم ونزل بطن أرض الموصل، ليس بينه وبين سواد *إلا نهر حولايا* في ^(١) دادان الاعلى من أرض

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٥٢: ثم أقبل إلى البت - وهي =

خوخى . ونزل عبد الرحمن في عواقل النهر وكانت أيام النحر، وطلب شبيب المودة فيها فأجابه قصداً للمطاوله . وكتب عثمان ابن قطن بذلك الى الحجاج فنكر، وبعث الى عثمان بن قطن بامارة المسكر وأمره بالمسير، وعزل عبد الرحمن بن الاشعث . وبعث على المدائن مطرف بن المغيرة مكان ابن قطن، وقدم ابن قطن على عسكر الكوفة عشية يوم التروية وناداهم الى الحرب فاستمهلوه وأثله عبد الرحمن بن الاشعث .

واصبحوا الى القتال ناك يومهم على تعبى، وفي الميمنة خالد ابن نهيك بن قيس، وفي الميسرة عقيل بن شداد السلولي وابن قطن في الرجال، وعبر اليهم شبيب في مائة وثلاثين رجلاً فوقف في الميمنة واخوه مضاد في القلب وسويد بن سليم في الميسرة، وحمل شبيب على ميسرة عثمان بن قطن فانهمزوا، ونزل عقيل ابن شداد فقاتل حتى قتل، وقتل معه مالك بن عبدالله الحمداني . وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزها، وقاتل خالد بن نهيك، فجاء شبيب من ورائه فقتله، وتقدم عثمان الى مضاد في القلب فاشتد القتال وحمل شبيب من وراء عثمان وعطف عليهم سويد ابن سليم ومضاد من القلب حتى احاطوا به فقتلوه . وانهمزت العساكر ووقع عبد الرحمن بن الاشعث، فأناه ابن ابي شبة

= من قرى الموصل - ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا حولايا وهو في راذان الأعلى من أرض جوخى .

الجُفَيّ وهو على بغلة فأردفه ونادى في الناس باللاحق بدير ابي مريم. ورفع شبيب السيف عن الناس ودعاهم الى البيعة فبايعوه ، ولحق ابن الاشعث بالكوفة فاخفى حتى آمنه الحجاج . ومضى شبيب الى ماء نهر اذان فأقام فيه فصل الصيف ، فلحق به من كان للحجاج عليه تبعة . ثم أقبل الى المدائن في ثمانمائة رجل ، وعليها مطرف بن المغيرة . وبلغ الخبر الى الحجاج فقام في الناس وتسخط وتوعد . فقال زُهْرَةُ بنُ حُوَيَّةَ وهو شيخ كبير لا يستطيع القيام الا معتمداً . أنت تبعث الناس متقطعين فيصيبون منهم ؟ فاستنفر الناس جميعاً وابعث عليهم رجلاً شجاعاً مجرباً ، يرى الفرار عاراً والصبر مجداً وكرماً . فقال الحجاج أنت ذلك الرجل ! فقال انما يصلح من يحمل الدرع والرمح ويهز السيف ويثبت على الفرس ، ولا أطيع من هذا شيئاً ، وقد ضُفِّ بَصْرِي ، ولكن أكون مع أمير وأشير عليه . فقال له جزاك الله خيراً عن الاسلام وأهله أول أورك وآخره .

ثم قال للناس سيروا فتجهزوا بأجمعكم ، فتجهزوا وكتب الحجاج الى عبد الملك بأن شبيباً شارف المدائن يريد الكوفة ، وهم عاجزون عن قتاله بما هزم جندهم وقتل أرواءهم ، ويستمدّه من جند الشام ، فبعث اليه عبد الملك سفيان بن الأَئَرِدِ الكَلْبِيّ في أربعة آلاف ، وحبيب بن عبد الرحمن الحَكَمِيّ في ألفين ، وذلك سنة ست وسبعين .

وكتب الحجاج الى عتاب بن وِزَقاة الرياحي يستقدمه من عند المهلب، وقد وقع بينهما كما مرّ فقدم عتاب وولاه على الجيش، فشكر زهرة بن حوية له وقال رميتهم بحجرهم، والله لا يرجع اليك حتى يظفر او يقتل. وبعث الحجاج الى جند الشام ينجدهم البيات ويوصيهم الاحتياط، وأن يأتوا على عين التمر. وعسكر عتاب يجماع أعين، ثم قطع شيب دجلة الى المدائن، وبعث اليه مطرف أن يأتيه رجال من وجوههم ينظر في دعوتهم، فرجا منه وبعث اليه بغيث بن سويد في جماعة مكثوا عنده أربعا ولم يرجعوا من مطرف بشي، وئزّل عتاب الصّراة وخرج مطرف الى الجبال خوفاً أن يصل خبره مع شييب الى الحجاج.

فخلا لهم الجوّ، وجاء مضادّ الى المدائن فعقد الجسر وئزّل عتاب سوق حَكَم في خمسين ألفاً. وسار شييب بأصحابه في ألف رجل، فصلى الظهر بساباط وأشرف على عسكر عتاب عند المغرب، وقد تخلف عنه أربعائة من اصحابه، فصلى المغرب وعصى اصحابه ستائة سويد بن سليم في مائتين في الميسرة، والحلل بن وائل في مائتين في الميمنة، وهو في مائتين في القلب. وكان على ميمنة عتاب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد، وعلى ميسرته نعيم بن عليم، وعلى الرّجالة حَنْظَلَةُ بن الحرث اليزبوعي وهو ابن عمه، وهم ثلاثة صفوف بين السيوف والرماح والرماة ثم حرّض الناس طويلاً وجلس في القلب ومعه زهرة بن مرثد،

وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث، وابو بكر بن محمد بن ابي جهم المدوي. واقبل شبيب حين اضاء القمر بين المشاءين فحمل على الميسرة وفيها ربعة فانفضوا وثبت قبيصة بن والقي وعبيد بن الجليس ونعيم بن عليم على رايهم حتى قتلوا. ثم حمل شبيب على عتاب بن ورقاء وحمل سويد بن سليم على محمد بن سليم في الميمنة في تميم وهمدان. واشتد القتال وخالط شبيب القلب، وانفضوا وتركوا عتاباً وفر بن الاشعث في ناس كثيرين، وقتل عتاب بن ورقاء وركب زهرة بن حوية فقاتل ساعة ثم طعنه عامر بن عمر الشلمي من الخوارج، ووطأته الحيل فقتله الفضل بن عامر الشيباني منهم، ووقف عليه شبيب. وتوجع له ونكر الخوارج ذلك وقالوا انتوجع لرجل كافر؟ فقال اعرف قديمه.

ثم رفع السيف عن الناس ودعا للبيعة فبايعوه وهربوا تحت ليلهم وحوى ما في العسكر، واتاه اخوه من المدائن واقام يومين. ثم سار نحو الكوفة، ولحق سفيان بن الابرود وعسكر الشام بالحجاج، فاستغنى بهم عن اهل الكوفة واشتد بهم وخطب، فوبخ اهل الكوفة وعجزهم. وجاء شبيب فتزل حمام اعين، فسرّح الحجاج اليه الحرث بن معاوية النخعي في نحو ألف من الشرط لم يشهدوا يوم عتاب، فبادر اليه شبيب فقتله، وانهزم اصحابه الى الكوفة واخرج الحجاج مواله فاخذوا بأفواه السكك، وجاء شبيب فتزل السبخة ظاهر الكوفة، وبني بها مسجداً وسرح الحجاج

مولاه ابا الورد في غلمان لقتاله ، فحمل عليه شبيب وقتله يظنه الحجاج . ثم اخرج اليه مولاه طهمان كذلك فقتله ، فركب الحجاج في اهل الشام وجعل سيرة بن عبد الرحمن بن مخنف على افواه السكك . وقعد على كرسيه ونادى في اهل الشام وحرصهم ، فغنصوا الابصار وجثوا على الركب وشرعوا الرماح .

واقبل شبيب في ثلاثة كرايس معه ومع سويد بن سليم ، ومع المحلل بن وائل . وحمل سويد ويئتوا وطاعنوه حتى انصرف . وقدم الحجاج كرسيه وحمل المحلل ثانية فكذلك ، وقدم الحجاج كرسيه فثبتوا له والحقوه بأصحابه وسرب شبيب سويد بن سليم الى اهل السكك ، وكان عليها عروة بن المغيرة بن شعبة ، فلم يطق دفاعه . ثم حمل شبيب فطاعنوه وردوه ، وانتهى الحجاج الى مسجده وصعده وملك المرصة ، وقال له خالد بن عتاب ائذن لي في قتالهم فاني موتور فأذن له فجاءهم من ورائهم وقتل اخا شبيب وغزاة امرأته ، وخرق عسكرهم وحمل الحجاج عليهم فانهمزوا . وتخلف شبيب رداً لهم ، فأمر الحجاج اصحابه بموادعتهم ودخل الكوفة فخطب وبشر الناس .

ثم سرح حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف فارس لاتباعه وحذره بياته ، فانتهى في اثره الى الأنبار ، وقد اقترب عن شبيب كثير من اصحابه للأمان الذي نادى الحجاج به ، فجاءه شبيب عند الغروب وقد قسم حبيب جنده ارباعاً وتواصوا

بالاستاتة، فقاتلهم شبيب طائفة بعد طائفة . فا زالت قدم انسان عن موضعها الى آخر الليل . ثم نزل شبيب واصحابه واشتد القتال وكثر القتلى، وسقطت الايدي وفتقت الاعين . وقتل من اصحاب شبيب نحو ثلاثين ومن اهل الشام نحو مائة . وادركهم الاعياء والفشل جميعاً . فانصرف شبيب باصحابه وقطع دجلة ومرت في ارض خوخي . ثم قطع دجلة أخرى عند واسط ومضى على الاهواز وفارس الى كرمان ليربح بها .

وقد قيل في هذه الحرب غير هذا، وهو ان الحجاج بعث اليه أمراء واحداً بعد واحد فقتلهم، وكان منهم أعين صاحب حمام أعين، وكانت غزاة امرأة شبيب نذرت أن تصلي في مسجد الكوفة ركعتين بالبقرة وآل عمران . فجاء شبيب ودخل الكوفة ليلاً وأوفت بنذرها ثم قاتلهم الناس وخرجوا . وقام الحجاج في الناس يستثيرهم، وبرز اليه قتيبة وعذله في بعث الرهاع ينهزمون ويموت قائدهم، والرأي أن تخرج بنفسك فتحالاه، فخرج من الفد الى السبخة وبها شبيب، واختفى مكانه عن القوم ونصب ابا الورد مولاه تحت اللواء فعمل عليه شبيب فقتله . ثم حمل على خالد بن عتاب في الميسرة ثم على مطرف بن ناجية في الميسنة فكشفهما . ونزل عند ذلك الحجاج واصحابه، وجلس على عباءة ومعه عَبَسَةُ بن سعيد . وبينما هم على ذلك اذ اختلف الخوارج وقال مصقلة بن مهمل الضبي لشبيب : ما تقول في صالح بن سرح ؟

قال برئت منه فبري. مصقلة منه وفارقه، وشعر الحجاج باختلافهم فرح خالد بن عتاب لقتالهم فقاتلهم في عسكرهم وقتل غزاة وبعث برأسها الى الحجاج، فأمر شييب من اعترضه فقتل حامله وجاء به ففسله ودفنه، وانصرف الخوارج وتبعهم خالد . وقتل مضاد أخو شييب، ورجع خالد عنهم بعد أن أبلى وسار شييب الى كرمان، وكتب الحجاج الى عبد الملك يستمئنه، فبعث اليه سفيان بن الأبريد الكلبي في المساكر، فانفق فيهم المال وسرّحه بعد انصراف الخوارج بشهرين، وكتب الى عامل البصرة، وهو الحكم بن أيوب زوج ابنته أن يبعث بأربعة آلاف فارس من جند البصرة الى سفيان، فبعثهم مع زياد بن عمر العتكي فلحقه ^(١) انقضاء الحرب .

وكان شييب بعد أن استجم بكرمان أقبل راجعاً، فلقي سفيان بالأهواز فمهر اليه جسر دجيل، وزحف في ثلاثة كرايس فقاتلهم أشد قتال وحلوا عليهم أكثر من ثلاثين حملة، وسفيان وأهل الشام مشتمعون يزحفون زحفاً حتى اضطر الخوارج الى الجسر، فقتل شييب في مائة من أصحابه وقاتل الى المساء، حتى اذا جاء الليل انصرف وجاء الى الجسر فقدم أصحابه وهو على اثرهم . فلما مرّ بالجسر اضطرب حجر تحت حافر فرسه وهو على

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ٧ ص ٢٥٦: فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف فلم ينته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشييب.

حرف السفينة فسقط في الماء. وغرق وهو يقول : وكان أمرُ الله مفعولاً، ذلك تقديرُ العزيزِ العليم . وجاء صاحب الجسر الى سفينان وهو يريد الانصراف بأصحابه، فقال ان رجلاً من الخوارج سقط، فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ومروا وتركوا عسكرهم، فكبر سفينان وأصحابه وركب الى الجسر وبعث الى عسكرهم فحوى ما فيه، وكان كثير الخيرات ثم استخرجوا شيباً من النهر ودفنوه .

خروج المطرف بن النخيلة بن شعبة

لما وَلِيَ الْحَجَّاجُ الكوفة وقدمها وجد بني المغيرة صلحاء أشرافاً، فاستعمل عُرْوَةَ على الكوفة ومُطَرِّفاً على المدائن، وحمزة على همدان، فكانوا أحسن العُمَال سيرةً وأشدَّهم على المريب . ولما جاء شبيب الى المدائن نزل نهر شير، ومُطَرِّف بمدينة الابواب، فقطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب ان يرسل اليه من يعرض عليه الدعوة، فبعث اليه رجلاً من أصحابه فقالوا : نحن ندعوا الى كتاب الله وسنة رسوله وانا نقمنا على قومنا الاستئثار بالفيء وتعطيل الحدود والتبسط بالجزية فقال مطرف دعوتم الى حق جوراً ظاهراً وانا لكم متابع فبايعوني على قتال هؤلاء الظلمة باحداثهم، وعلى الدعاء الى الكتاب والسنة وعلى الشورى

(١) هنا بياض في الأصل، وفي الطبري ج ٧ ص ٢٦٠ : ما دعوتهم إلا إلى حق ولا نقمتهم إلا جوراً ظاهراً.

كما تركها عمر بن الخطاب حتى يوتى المسلمون من يرضونه، فان العرب اذا علمت أن المزداد بالشورى الرضا من قريش رضوا فكثر مبايعكم، فقالوا لا نجيبك الى هذا .

وأقاموا أربعة أيام يتناظرون في ذلك ولم يتفقوا وخرجوا من عنده، ثم دعا مطرف أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين أصحاب شبيب، وأن رأيه خلع عبد الملك والحجاج فوجوا من قوله وأشاروا عليه بالكتمان فقال له يزيد بن أبي زياد مولى أبيه لن والله يخفى على الحجاج شي مما وقع، ولو كنت في السحاب لاستنزلك فالتجاء بنفسك، ووافقه أصحابه فسار عن المدائن الى الجبال، ولما كان في بعض الطريق دعا أصحابه الى الخلع والدعاء الى الكتاب والسنة، وأن يكون الامر شورى فربيع عنه بعض الى الحجاج منهم سيرة بن عبد الرحمن بن مخنف، وسار مطرف ومرتجلاً وبها سويد بن عبد الرحمن السعدي مع الاكراد فاعترضوه، فأوقع مطرف بهم وأثخن في الاكراد ومال عن همدان ذات اليمين وبها أخوه حمزة واستمده بمال وسلاح فأمدته سرًا . وسار الى قم وقاشان فبعث عماله في نواحيها وفزع اليه من كل جانب، فجاءه سويد بن سرحان التميمي وبكبير بن هارون التميمي من الري في نحو مائة رجل . وكان على الري عدي بن زياد الأيادي، وعلى أصبهان البراء بن قبيصة فكتب الى الحجاج بالخبر، واستمده فأمدته بالرجال وكتب الى عدي بالري أن يجتمع

مع البراء على حرب مطرف، فاجتمعوا في ستة آلاف وعدي أميرهم . وكتب الحجاج الى قيس بن سعد البجلي وهو على شرطة حمزة بهمدان، بأن يقبض على حمزة ويتولى مكانه، فجاءه في جمع من عجل وربيعة واقراء كتاب الحجاج فقال سمأ وطاعة وقبض قيس عليه وأودعه السجن . وسار عدي والبراء نحو مطرف فقاتلوه، وانهزم أصحابه وقتل يزيد مولى أبيه . وكان صاحب الراية، وقتل من أصحابه عبد الرحمن بن عبدالله بن عفيف الأزدي وكان ناسكاً صالحاً، وكان الذي تولى قتل مطرف عمر بن هبيرة الفزاري . وبعث عدي أهل البلاء الى الحجاج وأمر بكير بن هارون وسويد بن سرحان، وكان الحجاج يقول مطرف ليس بولد للمنيرة وإنما هو ابن مصقلة الحر، لان أكثر الخوارج كانوا من ربيعة ولم يكن فيهم من قيس .

أهل الأزارقة

قد تقدم لنا مقام المهلب في قتال الأزارقة على سابور بعد مسير عتاب عنه الى الحجاج، وانه أقام في قتالهم سنة . وكانت كرمان لهم وفارس للمهلب فانقطع عنهم المدد وضائق حالهم فتأخروا الى كرمان، وتبعهم المهلب وثرل خيردقت مدينة كرمان، وقتلهم حتى أزالهم عنها . وبعث الحجاج العمال على نواحيها وكتب اليه عبد الملك بتسوين^(١) للمهلب معونة له على الحرب، وبعث

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثيرج ٤ ص ٦٤: فكتب إليه عبد الملك أمره أن يترك بيد المهلب فساء، ودارا بجرد، وكورة اصطخر تكون له معونة على الحرب.

الحجاج الى المهلب البراء بن قُيَِّصَةَ يستعِثه لقتال الخوارج، فسار وقاتلهم والبراء مشرف عليه من ربوة واشتد قتاله، وجاء البراء من الليل فتمعجب لقتاله وانصرف الى الحجاج وأنهى غدر المهلب، وقاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يقدر منهم على شيء. ثم وقع الاختلاف بينهم فقتل في سببه ان المقعطر الضبي، وكان عاملاً لقطري على بعض نواحي كرمان قتل بعض الخوارج، فطلبوا القود منه فمنعه قَطْرِيٌّ وقال : تأول فأخطأ، وهو من ذوي السابقة، فاختلفوا وقيل بل كان رجل في عسكرهم يصنع النصول مسمومة فيرمي بها أصحاب المهلب، فكتب المهلب كتاباً مع رجل واردة أن يلتقيه في عسكرهم، وفيه وصلت نصالك وقد أنفذت اليك ألف درهم. فلما وقف على الكتاب سأل الصانع فأنكر فقتله، فأنكر عليه عبد ربه الكبير واختلفوا .

وقيل بعث المهلب نصرانياً وأمره بالسجود لقطري، فقتله بعض الخوارج وولوا عبد ربه الكبير وخلصوا قَطْرِيّاً فبقي في نحو الخمسين منهم، وأقاموا يقتتلون شهراً، ثم لحق قَطْرِيٌّ بطبرستان وأقام عبد ربه بكرمان، وقاتلهم المهلب وحاصرهم بخيرفت . ولما طال عليهم الحصار خرجوا بأموالهم وحریمهم وهو يقاتلهم حتى أثنى فيهم . ثم دخل خيرفت وسار في اتباعهم فلحقهم على أربعة فراسخ، فقاتلهم هو وأصحابه حتى أعيوا وكف عنهم . ثم استمات الخوارج ورجعوا فقاتلوه حتى يثس من نفسه . ثم نصره الله عليهم

وهزمهم وقتل منهم نحواً من أربعة آلاف كان منهم عبد ربه الكبير، ولم ينج منهم الا القليل .

وبعث المهلب المبشر الى الحجاج فأخبره وسأله عن بني المهلب فأثنى عليهم واحداً واحداً . قال فأيهم كان أنجد ؟ قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفها فاستحسن قوله وكتب الى المهلب يشكره ويأمره أن يُؤتَى على كرمان من يراه وينزل حامية ويقدم عليه ، فولى عليها ابنه يزيد، وقدم على الحجاج فاحتفل لقدمه وأجلسه الى جانبه وقال : يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب . وسرّح سُفَيَّانَ ابن الأبرّة الكَلْبِيَّ في جيش عظيم نحو طَبَرِستانَ لطلب قَطْرِيَّ وعُيَيْدَةَ بن هلال ومن معهم من الخوارج . والتقوا هنالك بإسحاق ابن محمد بن الاشعث في أهل الكوفة، واجتمعوا على طلبهم فلقوهم في شُعب من شُعَابِ طبرستان وقاتلوهم فاقترقوا عن قَطْرِيَّ ووقع عن دابته فَتَدَهَنَهُ الى أسفل الشعب، ومرّ به عليج فاستقامه على أن يعطيه سلاحه . فعمد الى أعلى الشعب وحدرّ عليه حَجَراً من فوق الشَّعب فأصابه في رأسه فأوهنه، ونادى بالناس فجاء في أولهم نفر من أهل الكوفة فقتلوه ^(١) منهم سَوْدَةُ بن أبيجر التميمي وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والسيّاح بن محمد بن الاشعث ، وحمل رأسه أبو الجهم الى اسحق بن محمد، فبعث به الى الحجاج،

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٤ ص ٦٨ : فجاء إليه نفر من أهل الكوفة فقتلوه، منهم سورة النخ .

وبعثه الحجاج الى عبد الملك .

وركب سُفَيَّانُ فأحاط بالخوارج وحاصرهم حتى أكلوا دوابهم، ثم خرجوا اليه واستأقوا فقتلهم أجمعين، وبعث برؤوسهم الى الحجاج ودخل ديباوند وطبرستان، فكان هناك حتى عزله الحجاج قبل دير الجاهم قال بعض العلماء : وانقرضت الازارقة بعد قطري وعبيدة آخر رؤسائهم وأول رؤسائهم نافع بن الازرق، واتصل أمرهم بضعاً وعشرين سنة الى أن افرقوا كما ذكرناه سنة سبع وسبعين فلم تظهر لهم جماعة الى رأس المائة .

خروج سودب

خرج سَوْدَبُ (١) هذا أيام عُمرَ بن عبد العزيز على رأس المائة، واسمه بَسْطَام وهو من بني يَشْكُرَ . فخرج في مائتي رجل وسار في خوخي، وعامل الكوفة يومئذ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب . فكتب اليه عمران أن لا يعرض لهم حتى يقتلوا أو يفسدوا فيوجه اليهم الجند مع صليب حازم، فبعث عبد الحميد ابن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين فأقام بازائه لا يجرّكه . وكتب عمر الى سودب : بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله وكنت أولى بذلك مني، فهلم إلي أناظرك فان كان الحق معنا دخلت مع الناس، وان كان الحق معك نظرنا في أرك . فبعث اليه عاصماً الحبشي مولى بني شيان ورجلاً من بني يشكر فقدموا عليه بمخاصر

(١) دعي في الكامل لابن الأثير: سودب، ج ٤ ص ١٥٥.

فسألها : ما أخرجكم وما الذي نقمت ؟ فقال عاصم ما نقمتا سيرتك
انك لتتحرى العدل والاحسان، فأخبرنا عن قيامك بهذا الامر
مشورة من الناس أم غلبت عليه ؟ قال عمر ما سألته وما غلبت
عليه . وعهد اليّ رجل قبلي فقامت ولم ينكر أحد، ومذهبكم
الرضا لكل من عدل، وان أنا خالفت الحق فلا طاعة لي عليكم .
قالا فقد خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم، فتبرأ منهم
والعنهم . فقال عمر : أنتم تريدون الآخرة وقد أخطأتم طريقها،
وان الله لم يشرع اللعن . وقد قال ابراهيم : ومن عصاني فأنك
غفورٌ رحيمٌ . وقال : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .
وبقي تسمية أعمالهم مظالم ذمًا، ولو كان لعن أهل الذنوب فريضة
لوجب عليكم لعن فرعون، أنتم لا تلعنونه وهو أخبث الخلق،
فكيف ألعن أنا أهل بيتي وهم مُصلّون صائمون ولم يكفروا بظلمهم ؟
لانّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الايمان والشرعة ، فمن
عمل بها قبل منه، ومن أحدث حدثاً فرض عليه الحد .

فقالا : فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى التوحيد والاقرار
بما نزل عليه . فقال عمر ليس أحد ينكر ما نزل عليه ولا يقول
لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن القوم أسرفوا
على أنفسهم . قال عاصم : فأبرأ منهم وردّ أحكامهم قال عمر :
أعلمان أن ابا بكرٍ سبى أهل الردّة وانّ عمر ردّها بالقدية ولم
يبرأ من ابي بكر، وأنتم لا تبرؤون من واحد منهما . قال : فأهل

النهران خرج أهل الكوفة منهم فلم يقتتلوا ولا استعرضوا، وخرج أهل البصرة قتلوا عبدالله بن حباب وجارية حاملاً ولم يتبرأ من لم يُقتل ممن قُتل واستعرض، ولا أنتم تعبرؤون من واحد منهما، وكيف ينفعكم ذلك مع علمكم باختلاف أعمالكم؟ ولا يعني أنا البراءة من أهل بيتي والدين واحد. فاتقوا الله ولا تقبلوا المردود وتردّوا المقبول، وقد آمنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد شهادة الاسلام وعصم ماله ودمه، وأنتم تقتلونهم ويأمن عندكم سائر الاديان وتحرمون دماءهم وأموالهم.

فقال اليشكري: من استأمن على قوم وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده الى رجل غير مأمون، أترام أدّى الحق الذي لزمه؟ فكيف تسلم هذا الامر بعدك الى يزيد مع علمك انه لا يعدل فيه. فقال اثنا ولاء غيري والمسلمون أولى بذلك بعدي. قال فهو حق ممن فعله وولاء، قال أنظراني ثلاثاً. ثم جاءه عاصم فرجع عن رأي الخوارج، وقال له اليشكري اعرض عليهم ما قلت واسمع حجتهم. وأقام عاصم عند عمر، وأمر له بالمطاء، وتوفي عمر لايام قلائل ومحمد بن جرير ينتظر عود الرسل.

ولما مات عمر كتب عبد الحميد الى محمد بن جرير بمناجزة سودب قبل ان يصل اليهم خبر عمر، فقالت الخوارج ما خالف هؤلاء ميعادهم الا وقد مات الرجل الصالح. واقتتلوا فانهزم محمد بن جرير واتبعه الخوارج الى الكوفة، ورجعوا وقدم على سودب

صاحبه وأخبراه بموت عمر، وسرح يزيد تميم بن الجباب في ألفين
فهزمه اصحابه، ثم بعث اليهم الشجاع بن وادع في ألفين فقتلوه
وهزموه بعد أن قتل منهم هدبة ابن عم سودب، وبقي الخوارج
بمكانهم. وجاء مُسلمة إلى الكوفة فأرسل سعيد بن عمرو الحريشي
في عسكر آلاف، فاستماتت الخوارج وكشفوا المساكر مراراً ثم
حملوا عليهم فطحنوهم طحناً.

وقتل سودب وأصحابه ولم يبق منهم أحد، وضعف أمر
الخوارج إلى ظهور^(١) أيام هشام سنة عشرين ومائة بهلول بن بشر
ابن شيان وبلغت كنارة^(٢). وكان لما عزم على الخوارج حج
ولقي بمكة من كان على رأيه، فأبعدوا إلى قرية من قرى الموصل
 واجتمعوا بها وهم أربعون وأمرؤا عليهم البهلول وأخفوا أنفسهم
بأنهم قدموا من عند هشام. ومروا بقرية كان بهلول ابتاع منها
خلاً فوجده خمرأ وأبي البائع من رده، واستمدي عليه عامل القرية
فقال: الخمر خير منك ومن قومك، فقتلوه وأظهروا أمرهم،
وقصدوا خالداً القسري بواسط، وتعللوا عليه بأنه يهدم المساجد
ويبني الكنائس ويولي المجرد على المسلمين.

وجاء الخبر إلى خالد فتوجه من واسط إلى الحيرة وكان بها
جند من بني العيين نحو ستائة بعثوا مدداً لعامل الهند، فبعثهم

(١) كذا بالأصل والأصح: إلى أن ظهر أيام هشام.

(٢) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٣١: بهلول بن بشر الملقب

«كثاره»، وهو من الموصل من شيان.

خالد مع مقدمهم لقتال بهلول وأصحابه ، وضم اليهم مائتين من الشُرَطِ والتقوا على الفرات، فقتل مقدمهم وانهمزوا الى الكوفة. وبعث خالد عابداً الشيباني من بني حوشب بن يزيد بن رُوَيْم فلقية بين الموصل والكوفة، فهزمهم الى الكوفة وارتحل يريد الموصل، ثم بدا له وسار يريد هشاماً بالشام، وبعث خالد جنداً من العراق وعامل الجزيرة جنداً وبعث هشام جنداً فاجتمعوا بين الجزيرة والموصل بكحيل وهم في عشرين ألفاً وبهلول في سبعين، فقاتلوا واستماتوا وصرع بهلول. وسأله أصحابه العهد فمهد الى دعامه الشيباني ثم الى عُمَرَ اليشكري من بعده. ومات بهلول من ليلته وهرب دعامه وتركهم، ثم خرج عمر اليشكري فلم يلبث ان قتل .

ثم خرج على خالد بعد ذلك بسنتين القَرِيُّ صاحب الأشهب، وبهذا كان يعرف، فبعث اليه السِمَطَ بن مُسَلِّم البَجَلِي في أربعة آلاف، فالتقوا بناحية الفرات فانهزمت الخوارج، ولقيهم عبيد اهل الكوفة وغوغاؤهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم .

ثم خرج وزير السخثياني على خالد بالحيرة فقتل وأحرق القرى، فوجه اليه خالد جنداً فقتلوا أصحابه وأثخن بالجراح، وأتى به خالد فوعظه فأعجبه وعظه فأعفاه من القتل . وكان يسار به بالليل وسعى بخالد الى هشام، وأنه أخذ حرورياً يستحق القتل فجعله سميماً، فكتب اليه هشام بقتله فقتله .

ثم خرج بعد ذلك الصحاري بن شبيب بالقرية فضى وندم

خالد فطلبه فلم يرجع، وأتى جبل وبها نفر من اللات بن ثعلبة فأخبرهم وقال انما أردت التوصل اليه لاقتله بفلان من قعدة الصفرية كان خالد قتله صبرا . ثم خرج معه ثلاثون منهم فوجه اليهم خالد جنداً فلقومهم بناحية المناذر فاقتتلوا فقتل الصحاري وأصحابه أجمعون .

ورد أمر الخوارج بعد ذلك مرة فلما وقعت الفتن ايام هشام بالعراق والشام وشغل مروان بمن انتفض عليه فخرج بأرض كفرعمون سعيد بن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة وكان على رأي الحرورية، وخرج بسطام البهسي في مثل عدتهم من ربيعة وكان مخالفاً لرأيه، فبعث اليه سعيد بن بهدل قائده الحبيري في مائة وخمسين فيقتلهم وقتل بسطاماً ومن معه، ولم ينج منهم الا أربعة عشر رجلاً . ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق فبات هناك، واستخلف الضحاك بن قيس الشيباني فبايعه السراة وأتى أرض الموصل وشهرزور . واجتمع اليه من الصُفْرى أربعة آلاف أو يزيدون .

وولي مروان على العراق النضر بن سعيد الحريشي وعزل به عبدالله بن عمر بن عبد العزيز، فامتنع عبدالله بالحيرة وسار اليه النضر وتحاربا أشهراً . وكانت الصفرية مع النضر عصابة لمروان لطلبه بدم الوليد وأمه قنسية وكانت اليمية مع ابن عمر عصابة لدخولهم في قتل الوليد بما فعله مع خالد القسري، فلما علم الضحاك

والخوارج باختلافهم أقبل الى العراق سنة سبع وعشرين وزحف اليهم فتراسل ابن عمر والنضر وتعاقدا واجتمعا لقتاله بالكوفة، وكل واحد منهما يصلي بأصحابه وابن عمر أمير على الناس . وجاء الخوارج فقاتلوهم فهزموهم الى خندقهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني كذلك، فسلك الناس الى واسط منهم النَّضْرُ بن سعيد الحُرَيْثِيَّ ومنصور بن جمهور واسماعيل اخو خالد القسري وغيرهم من الوجوه .

فلحق ابن عمر بواسط ، واستولى الضحاك على الكوفة ، وعادت الحرب بين ابن عمر والنضر . ثم زحف اليهما الضحاك فاتفقا وقاتلا حتى ضرستهما الحرب، ولحق منصور بن جمهور بالضحاك والخوارج وبايعهم ثم صالحهم ابن عمر ليشغلوا مروان عنه، وخرج اليهم وصلى خلف الضحاك وبايعه .

وكان معه سليمان بن هشام وصل اليه هاربا من حمص لما انتقض بها وعليه... عليها مروان فلحق بابن عمر وبايع معه الضحاك وصار معه وجرت ضا على مروان... انما لحق بالضحاك وهو يحاصر نُضَيْرًا وتَوَجَّحَ أخت شيان الحروري . فرجع الضحاك الى الكوفة وسار منها الى الموصل بعد عشرين شهرا من حصار واسط، بعد أن دخل أهل الموصل وعليهم القطرن أم أكه من بني شيان عامل لمروان فأدخلهم أهل البلد وقاتلهم القطرن فقتل ومن معه وبلغ الخبر الى مروان وهو يحاصر حمص فكتب الى ابنه عبدالله

أن يسير الى ... يمانع الضحاك عن توسط الجزيرة فسار في ثمانية آلاف فارس والضحاك في مائة ألف وحاصره بنصيبين . ثم سار مروان بن محمد اليه فالتقيا عند كفرعموت من نواحي ماردن فقاتله عامة يومه الى الليل وترجل الضحاك في نحو ستة آلاف وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وعثر على الضحاك في القتلى فبعث مروان برأسه الى ^(١) الجزيرة وأصبح الخوارج فبايعوا الحبيري قائد

(١) هنا أربع بياضات بالأصل كما ترى، وأن الكلام الذي بين البياضات مشحون بالأغلاط لذلك نقلنا ما ورد في تاريخ الطبري ج ٩ ص ٧٧: فذكر هشام عن أبي مخنف أن الضحاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقي مروان بكفرتوتا من أرض الجزيرة فقتل الضحاك يوم التقوا. وأبو هاشم نخلد بن محمد بن صالح قال: فيما حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضحاك، لما قتل عطية التغلبي صاحبه وعامله على الكوفة ملحان بقنطرة السليحين، وبلغه خبر قتل ملحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط وجه مكانه من أصحابه رجلاً يقال له مطاعن، واصطلح عبد الله بن عمر والضحاك على أن يدخل في طاعته. فدخل وصلى خلفه وانصرف إلى الكوفة. وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط. ودخل الضحاك الكوفة، وكاتبه أهل الموصل ودعوه إلى أن يقدم عليهم فيمكنوه منها، فسار في جماعة جنوده بعد عشرين شهراً حتى انتهى إليها، وعليها يومئذ عامل لمروان وهو رجل من بني شيبان من أهل الجزيرة، يقال له القطران بن أكمه. ففتح أهل الموصل المدينة للضحاك، وقاتلهم القطران في عدة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا. واستولى الضحاك على الموصل وكورها، وبلغ مروان خبره وهو محاصر حمص مشغل بقتال أهلها. فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه إلى مدينة نصيبين يشغل الضحاك عن توسط الجزيرة فشخص عبد الله إلى نصيبين في جماعة روابطه وهو في نحو من سبعة آلاف أو ثمانية، وخلف نجران قائداً في ألف أو نحو ذلك. وسار الضحاك من الموصل إلى عبد=

الضحاك، وعاودوا الحرب مع مروان فهزموه وانتهوا الى خيامه
فقطعوا أطنابهم وجلس الحبيري على فرشه والجائخان ثابتان، وعلى
المحنة عبدالله بن مروان وعلى الميسرة اسحق بن مسلم العقيلي
فلما انكشفت قلة الخوارج أحاطوا بهم في تحميم مروان فقتلوه
جميعاً والحبيري معهم ورجع مروان من نحو ستة أميال .
واسبح الخوارج .

=الله بنصيبين فقاتله فلم يكن له قوة لكثرة من مع الضحاك، فهو فيما بلغنا
عشرون ومائة ألف.

وأقام الضحاك على نصيبين محاصراً لها ووجه قائدين من قواده حتى وردا
الرقعة فقاتلهم من بها من خيل مروان وهم نحو من خمسمائة فارس. ووجه
مروان حين بلغه نزولهم خيله فاستسقطوا من ساقنتهم نيفاً وثلاثين رجلاً،
فقطعهم مروان حين قدم الرقة ومضى صامداً إلى الضحاك وجموعه حتى التقيا
بموضع يقال له الغز من أرض كفرتوثا فقاتله يومه ذلك. فلما كان عند المساء
ترجل الضحاك وترجل معه من ذوي الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف،
وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه وأحدثت بهم خيول مروان، فألحوا
عليهم حتى قتلوه عند العتمة. وانصرف من بقي من أصحاب الضحاك إلى
عسكرهم، ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضحاك قد قتل فيمن
قتل حتى فقدوه في وسط الليل. وجاءهم بعض من عاينه حين ترجل فأخبرهم
بخبره ومقتله فبكوه وناحوا عليه. وخرج عبد الملك بن بشر التغلبي القائد الذي
كان وجهه في عسكرهم إلى الرقة حتى دخل عسكر مروان، ودخل عليه فاعلمه
أن الضحاك قتل. فأرسل معه رسلاً من حرسه معهم النيران والشمع إلى
موضع المعركة، فقلبا القتلى حتى استخرجوه فاحتملوه حتى أتوا به مروان وفي
وجهه أكثر من عشرين ضربة، فكبر أهل عسكر مروان، فعرف أهل عسكر
الضحاك أنهم قد علموا بذلك وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة
فطيف به فيها. وقيل: أن الحبيري والضحاك إنما قتلا سنة ١٢٩.

وانصرف الخوارج وبايعوا شيان الحروري وهو شَيَّانُ بن عبد العزيز اليَشْكُرِيَّ ويكنى أبا الدلفاء . وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ وأقام في قتالهم أياماً، وانصرف عن شيان كثير منهم وارتحلوا الى الموصل بإشارة سليمان بن هشام وعسكروا شرقي دجلة وعقدوا الجسور، واتبعهم مروان فقاتلهم لتسعة أشهر، وقتل من الطائفتين خلق كثير . وأسير ابن أخ سليمان بن هشام اسمه أُمَيَّةُ بن معاوية فقطعه ثم ضرب عنقه . وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هُبَيْرَةَ وهو بقرقيسية يأمره بالسير الى العراق وولاه عليهما، وعلى الكوفة يومئذ المُثَنَّى بن عِمْرَانَ العائدي من قريش خليفة للخوارج، فلقي ابن هبيرة بعين التمر، فاقتتلوا وانهزمت الخوارج . ثم تجمعوا له بالنُخَيْلَةِ ظاهر الكوفة فهزمهم، ثم تجمعوا بالبصرة فأرسل شيان اليهم عُيَيْدَةَ بن سِوَار في خيل عظيمة فهزمهم ابن هبيرة، وقتل عبيدة واستباح عسكرهم واستولى على العراق .

وكان منصور بن جمهور مع الخوارج فضى الى الماهين وغلب عليها وعلى الجبل جميعاً، وسار ابن هبيرة الى واسط فحبس ابن عمر، وكان سليمان بن حبيب عامل ابن عمر على الاهواز، فبعث ابن هبيرة اليه نَبَاتَةَ بن حَنْظَلَةَ وبعث هو داود بن حاتم والتفيا على دجلة فانهزم داود وقتل . وكتب مروان الى ابن هبيرة أن يبعث اليه عامر بن ضَبَابَةَ المَزِينِيَّ فبعثه في ثمانية آلاف وبعث شيان

لاعتراضه الجون بن كلاب الخارجي في جمع فانهزم عار وتحصن بالسند، وجعل مروان يملأه بالجنود، وكان منصور بن جمهور بالجبل يمد شيبان بالاموال . ثم كثرت جموع عار فخرج الى الجون والحوارج الذين يحاصرونه فهزمهم وقتل الجون وسار قاصداً الحوارج بالموصل، فارتحل شيبان عنها وقدم عار على مروان فبعثه في اتباع شيبان، فرّ على الجبل وخرج على بيضاء فارس، وبها يومئذ عار ابن عبدالله بن حطوبة بن جعفر في جموع كثيرة .

فسار ابن معاوية الى كزمان وقاتله عار فهزمه ولحق بهراة، وسار عار بمن معه فلقى شيبان والحوارج بخيرفت فهزمهم واستباح عسكرهم، ومضى شيبان الى سبستان فهلك بها سنة ثلاثين ومائة. وقيل بل كان قتال مروان وشيiban على الموصل شهراً . ثم انهزم شيبان ولحق بفارس وعار بن صراة في اتباعه، ثم سار شيبان الى جزيرة ابن كاوان وأقام بها .

ولما ولي السفاح بعث حارثة بن خزيمة لحرب الحوارج هنالك لموجدة وجدها عليه، فأشير عليه ببعثه لذلك . فسار في عسكر الى البصرة وركب السفن الى جزيرة ابن كاوان، وبعث فضالة ابن نعيم النخيلي في خمسمائة، فانهزم شيبان الى عمان وقاتل هناك، وقتله جلتندي بن مسعود بن جعفر بن جلندي ومن معه سنة أربع وثلاثين . وركب سليمان بن هشام السفن بأهله ومواليه الى الهند بعد مسير شيبان الى جزيرة ابن كاوان، حتى اذا بويع السفاح

قدم عليه وأنشده سديف البيتين المعروفين وهما :
 لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ إِنَّ تَيْنَ الصُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
 فَضَعَ السَّيْفَ وَارْفَعَ الصَّوْتَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أَمْوِيًّا
 فقتله السفاح وانصرف مروان بعد مسير شيبان الى الموصل
 الى منزله بجران، فلم يزل بها حتى سار الى الزاب . ومضى شيبان
 بعد سَلَمَةَ الى خراسان والفتنة بها يومئذ بين نصر ابن سيار
 والكرماني والحارث بن شُرَيْح، وقد ظهر أبو مسلم بالدعوة العباسية
 فكان له من الحوادث معهم ما ذكرناه، واجتمع مع علي بن
 الكرماني على قتال نصر بن سيار. فلما صالح الكرماني أبا مسلم كما
 مر وفارق شيبان تنحى شيبان عن عمر لعله أنه لا يقاومه، ثم هرب
 نصر بن سيار الى سرخس، واستقام أمر أبي مسلم بخراسان فأرسل
 الى شيبان يدعو الى البيعة ويأذنه بالحرب، واستجاش بالكرماني
 فأبى . فسار الى سرخس واجتمع اليه الكثير من بكر بن وائل،
 وأرسل اليه أبو مسلم في المواعدة فحبس الرسل فكتب أبو مسلم
 الى بَسَّام بن ابراهيم مولى بني ليث بالمسير الى شيبان فسار اليه
 فهزمه وقتل في علة من بكر بن وائل، ويقال ان خزيمه بن حازم
 حضر مع بسام في ذلك .

خير أبي حمزة وطلب واستقل

كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي
 البصري وكان من الخوارج الإباضية، وكان يوافي مكة كل موسم

يدعو الى خلاف روان، وجاء عبدالله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ثمان وعشرين وهو من حضرموت فقال له انطلق معي فاني مطاع في قومي . فانطلق معه الى حضرموت وبايعه على الخلافة . وبعث عبدالله سنة تسع وعشرين مع بلخ بن عتبة الأزدي في سبعمائة قدموا مكة وحكموا بالموقف، وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فطلبهم في المواعدة حتى ينقضي الموسم .

وأقام للناس حَجُّمٌ وِزْلٌ بمِثْنَى، وبعث الى أبي حمزة عبيدالله ابن حسن بن الحسن، ومحمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد، وعبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن في أمثالهم . فكشَّر في وجه العلويِّ والعُثمانيِّ وانبط الى البكريِّ والممريِّ وقال لهما ما خرجنا الا بسيرة أبويكما، فقال له عبيدالله بن حسن ما جئنا لتفضيل بين آبائنا، وانما جئنا برسالة من الامير وربيعة يجهرك بها . ثم أحكموا معه المواعدة الى مدتها ونفر عبد الواحد في النفر الاول فمضى الى المدينة وضرب على اهلها البعث وزادهم في المعاء عشرة وبعث عليهم عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن عثمان، فانتهموا الى فديك . وجاءتهم رسل أبي حمزة يسألونهم التجافي عن حريمهم، وان يُحلَّوا بينهم وبين عدوهم . فلما نزلوا قديد وكانوا مترفين ليسوا بأصحاب حرب، فطلع عليهم أصحاب أبي حمزة من

الغياض فأثخنوا فيهم، وكان قتلاهم نحو سبعمائة من قريش .
وبلغ الخبر الى عبد الواحد فلحق بالشام . ودخل أبو حمزة
المدينة منتصف صفر سنة ثلاثين وخطب على المنبر وأعلن بدعوته
ووعظ، وذكر وردّ مقالات من عابهم وسفه رأيهم وأحسن السيرة
في أهل المدينة واستألمهم حتى سمعوه يقول : من زنا فهو كافر ومن
سرق فهو كافر، وأقام ثلاثة أشهر ثم ودّعهم وسار نحو الشام .
وكان مروان قد سرّح اليهم عبد الملك بن محمد بن عطية بن هوازن
في أربعة آلاف ليقا تل الخوارج حتى يبلغ اليمن، فلي ابا حمزة في وادي
القرى، فانهزمت الخوارج وقتل ابو حمزة ولحق فلهم بالمدينة . وسار
عطية في أثرهم الى المدينة فأقام بها شهراً . ثم سار الى اليمن، واستخلف
على المدينة الوليد ابن أخيه عروة، وعلى مكة رجلاً من أهل الشام .
وبلغ عبد الله طالب الحق مسيره اليه وهو بصنعاء فخرج للقائه
واقْتتلوا وقتل طالب الحق، وسار ابن عطية الى صنعاء وملكها
وجاء كتاب مروان باقامة الحج بالناس فسار في اثني عشر رجلاً
ومعه اربعون ألف دينار وخلف ثقله بصنعاء، ونزل الحرف فاعترضه
ابن حمية المرادي في جمع وقال له ولاصحابه : أنتم لصوب فاستظهروا
بعهد مروان فكذبوه، وقاتلهم فقتلوه . وركد ربح الخوارج من
يومئذ الى ان ظهرت الدولة العباسية وبويع المنصور بعد السفاح .
فخرج سنة سبع وثلاثين بالجزيرة ملبّد بن حرّملة الشيباني
فسارت اليه روابط الجزيرة في ألف فارس فهزمهم وقاد منهم . ثم

سار اليه يزيد بن حاتم المهلبى ومُهَلَّل بن صفوان مولى المنصور، ثم تَزَار من قواد خراسان، ثم زياد بن مسكان ثم صالح بن صبيح فهزمهم كلهم واحداً بعد واحد، وقتل منهم . ثم سار اليه حميد ابن قحطبة وهو عامل الجزيرة فهزمه وتحصن حميد منه، فبعث المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن اخا عبد الجبار في الجيوش ومعه زياد بن مسكان فأكمن له الملبّد وقاتلهم ثم خرج الكعبيين فانهزم عبد العزيز وقتل عامّة أصحابه، فبعث المنصور حازمُ بن خزيمّة في ثمانية آلاف من اهل خراسان فسار الى الموصل وعبر اليه الملبّد دجلة فقاتله فانهزم اهل الميمنة وأهل الميسرة من أصحاب حازم، وترجل حازم وأصحابه، وترجل ملبّد كذلك .

وأمر حازم أصحابه فنضحوهم بالنبل واشتد القتال وتراحت الميمنة والميسرة ورشقوهم فقتل ملبّد في ثمانمائة ممن ترجل معه وثلثمائة قبل ان يترجل وتبعهم فضالة صاحب الميمنة فقتل منهم زهاء مائة وخمسين . ثم خرج سنة ثمان وأربعين أيام المنصور بنواحي الموصل حسان بن مُخَالِد بن مالك بن الأجدع الهمداني أخو مسروق . وكان على الموصل الصُّفْرُ بن بجدّة وليها بعد حرب ابن عبدالله فسار اليهم فهزموه الى الدجلة . وسار حسان الى العمال ثم الى البحر، وركب الى السند وقاتل، وكاتب الخوارج بعمّان يدعوهم ويستأذنهم في اللحاق بهم فأبوا، وعاد الى الموصل فنخرج اليه الصفر بن الحسن بن صالح بن جنادة الهمداني وهلال،

فقتل هلالاً واستبقى ابن الحسن، فاتهمه بعض اصحابه بالمصيبة وفارقوه . وقد كان حسان أمه من الخوارج وخاله حفص بن أشتم من فقهاءهم . ولما بلغ المنصور خروجه قال خارجي^١ من همدان فقيل له انه ابن اخت حفص بن أشتم قال من هناك وانما أنكر المنصور ذلك لان عامة همدان شيعة .

وعزم المنصور على الفتك بأهل الموصل، فانهم عاهدوه على أنهم ان خرجوا فقد فلت ديارهم وأموالهم، وأحضر أبا حنيفة وابن أبي ليلى بن شبرمة واستفتاهم فتلطفوا له في العفو، فأشار إلى أبي حنيفة فقال: أباحوا ما لا يملكون كما لو أباحت امرأة فزوجها بغير عقد شرعي، فكف عن أهل الموصل .

ثم خرج أيام المهدي بخراسان يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرق واجتمع بشركس، فبعث إليه المهدي يزيد بن مزيد الشيباني ابن اخي ممن فاقتلوا قتالاً شديداً وأسره يزيد وبعث به إلى المهدي موثقاً وحمل من النهروان على بغير وحول وجهه إلى ذنبه كذلك، فدخلوا إلى الرصافة وقطعوا ثم صلبوا .

وكان حروباً متعوداً فغلب على بوشنج و مرو الروذ والطارقان والجوزجان، وكان على بوشنج مصعب بن زريق جد طاهر بن الحسين فهرب منه وكان من أصحابه معاذ الفارياني وقبض معه . ثم خرج معه أيام المهدي بالجزيرة حمزة بن مالك الخزاعي سنة تسع وستين وهزم منصور بن زياد وصاحب الخراج وقوي أمره، ثم

اغتاله بعض أصحابه فقتله .

ثم خرج آخر أيام المهدي بأرض الموصل خارجي من بني تميم اسمه ياسين يميل الى مقاتلة صالح بن مُسَرَّح، فهزم عسكر الموصل وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة، فبعث اليها المهدي القائد أبا هريرة محمد بن مروخ وهزيمة بن أعين مولى بني ضَبَّة فحارباه حتى قتل في عدة من أصحابه وانهزم الباقون . ثم خرج بالجزيرة أيام الرشيد سنة ثمان وسبعين الوليد بن طريف من بني تَغْلِبَ وقتل ابراهيم بن خالد بن خُزَيْمَةَ بنصيبين، ثم دخل أرمينية وحاصر خلاط عشرين يوماً وافتدوا بثلاثين ألفاً، ثم سار إلى أذَرَبَيْجان ثم إلى حُلوان وأرض السواد، وعبر إلى غرب دجلة وعاث في أرض الجزيرة فبعث اليه الرشيد يزيد بن مَزِيد بن زائدة الشيباني وهو ابن أخي معن في المساكر فكث يقاتله، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد فاغروا به الرشيد وأنه أبقى على الوليد برجم واثل . فكتب اليه الرشيد يتهدده فناجزه يزيد الحرب في رمضان سنة تسع وسبعين وقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل الوليد وجي برأسه . ثم أصبحت أخته مستلزمة للحرب فخرج اليها يزيد وضربها على رأسها بالرمح وقال لها اعدي فقد فضحت العشيرة، فاستحييت وانصرفت وهي تقول في رثائه الايات المشهورة التي منها :

أَيَا شَجَرَ الْخَبَائِرِ مَا لَكَ مَوْدِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

فَتَى لَا يُحِبُّ الزَادَ إِلَّا مِنَ التَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَسُيُوفٍ
وانقرضت كلمة هؤلاء بالمراق والشام، فلم يخرج بعد ذلك
إلا شذاذ متفرقون يستلحمهم الولاية بالنواحي، إلا ما كان من
خوارج البربر بافريقية فإن دعوة الخارجية فشت فيهم من لدن
مسيرة الظفري سنة ثلاث وعشرين ومائة . ثم فشت دعوة الاباضية
والصفرية منهم في هَوَادَة وَلِيَايَة وَتَفَزَة وَمَغِيلَة وفي مَمْرَاوَة وبني
يَفْرَنْ من زَنَاتَة حسبما يذكر في أخبار البربر، لسي رستم من الخوارج
بالمغرب دولة في تَاهَرْت من الغرب الاوسط نذكرها في أخبار
البربر أيضاً . ثم سار بافريقية منهم على دولة العبيديين خلفاء
القيروان أبو يزيد بن مخلد المغربي وكانت له معهم حروب وأخبار
نذكرها في موضعها .

ثم لم يزل أمرهم في تناقص الى أن اضمحلت ديانتهم واغترقت
جماعتهم، وبقيت آثار نحلتهم في أعقاب البربر الذين دانوا بها أول
الأمر . ففي بلاد زَنَاتَة بالصحراء منها أثر باقٍ لهذا العهد في قصور
ربع وواديه، وفي مَمْرَاوَة من شعوب زَنَاتَة يسمون الرَّاهِيَّة نسبةً
الى عبدالله بن وَهَبِ الرَّاهِي، أول من بويع منهم أيام علي بن
أبي طالب . وهم في قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن
مقال أهل السنة والجماعة . وكذلك في جبال طرابلس، وزَنَاتَة أثر
باق من تلك النحلة يدين بها أولئك البربر في المجاورة لهم مثل
ذلك . وتطير إلينا هذا العهد من تلك البلاد دواوين ومجلدات

من كلامهم في فقه الدين وتمهيد عقائده وفروعه مباينةً لمناحي السُّنة وطرقها بالكلية، إلا أنها ضاربة بسهم في اجادة التأليف والترتيب، وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة .

وكان بنو احي البحرين وعمان الى بلاد حَضْرَمَوْتْ وشرقي اليمن ونواحي الموصل آثار تفشي وعروق في كل دولة، الى أن خرج علي بن مهدي من خَوْلَان باليمن ودعا الى هذه النحلة . وغلب يومئذ من كان من الملوك باليمن، واستلحم بني الصليحي القائلين بدعوة المبيدين من الشيعة وغلبوهم على ما كان بأيديهم من ممالك اليمن، واستولوا أيضاً على زبيد ونواحيها من يد موالي بني نجاح ومولى ابن زياد كما نذكر ذلك كله في أخبارهم ان شاء الله سبحانه وتعالى، فلتصنح في أماكنها . ويقال : إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت والله يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء .

الحالة السياسية بعد افتراق الخلافة

لم يزل أمر الاسلام جميعاً دولةً واحدةً أيام الخلفاء الاربعة وبني أمية من بعدهم لاجتماع عَصِيَّةِ العرب . ثم ظهر من بعد ذلك امر الشيعة وهم الدعوة لاهل البيت، فقلب دعاة بني العباس على الامر واستقلوا بخلافة المُلْك، ولحق القُلُّ من بني أمية بالاندلس، فقام بأمرهم فيها من كان هنالك من مواليهم ومن هرب، فلم يدخلوا في دعوة بني العباس، وانقسمت لذلك دولة الاسلام بدولتين

لافتراق عصبية العرب . ثم ظهر دعاة اهل البيت بالمغرب والعراق من العلوية ونازعوا خلفاء بني العباس واستولوا على القاصية من النواحي كالادارة بالمغرب الاقصى والميادين بالقيروان وبمصر والقرايمطة بالبحرين والدواعي بطبرستان والديلم والاطروش فيها من بعده . وانقسمت دولة الاسلام بذلك دُولاً متفرقة نذكرها واحدة بعد واحدة . ونبدأ منها أولاً بذكر الشيعة ومبادئ دولهم وكيف انساقَت الى العباسية، ومن بعدهم الى آخر دولهم . ثم زجع الى دولة بني أمية بالاندلس . ثم زجع الى دولة الدعاة للدولة العباسية في النواحي من العرب والعجم كما ذكرناه في برنامج الكتاب والله الموفق الصواب .

مَبْدَأُ دَوْلَةِ الشَّيْعَةِ

اعلم ان مبدأ هذه الدولة ان اهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون انهم أحق بالامر، وأن الخلافة لرجلهم دون من سواهم من قريش . وفي الصحيح أن العباس قال لعلي في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه اذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الامر ان كان فينا علمنا ذلك، وان كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال له علي ان مُنْعَاهَا لَا يُعْطِينَاهَا الناس بعده . وفي الصحيح أيضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه : هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا

بعده ابدأ، فاختلقوا عنده في ذلك وتنازعوا ولم يتم الكتاب .
 وكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولعظمهم،
 حتى لقد ذهب كثير من الشيعة الى أن النبي صلى الله عليه وسلم
 أوصى في مرضه ذلك لعلي، ولم يصح ذلك من وجه يعول عليه .
 وقد انكرت هذه الوصية عائشة وكفى بانكارها . وبقي ذلك
 معروفاً من اهل البيت وأشياهم .

وفيا نقله أهل الآثار، ان عمر قال يوماً لابن العباس : إن
 قومكم يعني قريشاً ما ارادوا ان يجمعوا لكم، يعني بني هاشم،
 بين النبوة والخلافة فتحملوا عليهم، وأن ابن عباس نكر ذلك،
 وطلب من عمر اذنه في الكلام فتكلم بما عصب له . وظهر من
 محاورتهما انهم كانوا يعلمون ان في نفوس اهل البيت شيئاً من
 أمر الخلافة والمدول عنهم بها . وفي قصة الشورى : ان جماعة من
 الصحابة كانوا يقتسمون لعلي ويرون استحقاقه على غيره، ولما عدل
 به الى سواء تأهتوا من ذلك وأسفوا له : مثل الزبير ومعه عمار
 ابن ياسر والمقداد بن الأسود وغيرهم . إلا ان القوم لرسوخ
 قدمهم في الدين، وحرصهم على الالفة، لم يزيدوا في ذلك على النجوى
 بالتأفف والأسف .

ثم لما فشا التكبر على عثمان، والطمع في الآفاق، كان عبدالله
 ابن سبا ويعرف بابن السوداء، من اشد الناس خوضاً في التشنيع

لعليّ بما لا يرضاه من الطعن على عثمان وعلى الجماعة في العدول اليه عن عليّ، وانه ولي بغير حق، فأخرجه عبدالله بن عامر من البصرة، ولحق بمصر . فاجتمع اليه جماعة من امثاله جنحوا الى الثُلُوّ في ذلك، وانتحال المذاهب الفاسدة فيه : مثل خالد بن مُلجَمَ وسوذان ابن حمدان وكنانة بن بشر وغيرهم .

ثم كانت بيعة عليّ وفتنة الجمل وصفين، وانحراف الخوارج عنه بما انكروا عليه من التحكيم في الدين . وتعضت شيعته للاستماتة معه في حرب معاوية مع عليّ، وبويع ابنه الحسن وخرج عن الأمر لمعاوية، فسخط ذلك شيعة عليّ منه، واقاموا يتناجون في السرّ باستحقاق اهل البيت والميل اليهم، وسخطوا من الحسن ما كان منه، وكتبوا الى الحسين بالدعاء له فامتنع، وأوعدهم الى هلاك معاوية . فساروا الى محمد بن الحنفية ويايموه في السرّ على طلب الخلافة متى امكنه، وولّى على كل بلد رجلاً، واقاموا على ذلك ومعاوية يكف بسياسته من غريبهم، ويقتلع الداء اذا تعيّن له منهم، كما فعل بجبر بن عدي واصحابه، ويروض من شماس اهل البيت ويساعهم في دعوى تقدسهم واستحقاقهم . ولا يهيج احداً منهم بالاثريب عليه في ذلك .

الى أن مات وولّى يزيد، وكان من خروج الحسين وقتله ما هو معروف، فكانت من أشنع الوقائع في الاسلام . عظمت بها الشحناء، وتوغل الشيعة في شأنهم، وعظم النكير والطعن على

من تولى ذلك أو قعد عنه . ثم تلاوموا على ما أضاعوه من أمر الحسين، وانهم دعوه ثم لم ينصروه فندموا ورأوا أن لا كفارة في ذلك إلا الاستماتة دون ناره، وسموا أنفسهم التوابين . وخرجوا لذلك يقدمهم سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ الْخُزَاعِيُّ، ومعه جماعة من خيار أصحاب عليّ . وكان ابن زياد قد انتقض عليه العراق ولحق بالشام، وجمع وزرينج^(١) قاصد العراق، فزحفوا اليه وقاتلوه حتى قتل سليمان وكثير من أصحابه كما ذكرنا في خبره، وذلك سنة خمس وستين . ثم خرج المختار بن أبي عبيد ودعا لمحمد بن الحنفية كما قدمناه في خبره، وفشا التعصب لأهل البيت في الخاصة والعامة بما خرج عن حدود الحق، واختلفت مذاهب الشيعة فيمن هو أحق بالامر من أهل البيت، وبايعت كل طائفة لصاحبها سراً ورسخ الملك لبني أمية .

وطوى هؤلاء الشيعة قلوبهم على عقائدهم فيها وتستروا بها، مع تعدد فرقهم وكثرة اختلافهم كما ذكرناه عند نقل مذاهبهم في فصل الإمامة من الكتاب الاول . ونشأ زيد بن علي بن الحسين وقرأ على واصل بن عطاء امام المعتزلة في وقته، وكان واصل متردداً في اصابة عليّ في حرب صفين والجل فنقل ذلك عنه . وكان أخوه محمد الباقر يعذله في الاخذ بمن يرى سخطية

(١) كذا في الأصل وهي عبارة مبهمه وجاء في الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٣٥: «وكان مروان قد سير ابن زياد إلى الجزيرة ثم إذا فرغ منها سار إلى العراق» وفي ص ٣٤١: «وكان قد بلغهم أفعال عبيد الله بن زياد من الشام في جنود كثيرة».

جده، وكان زيد أيضاً مع قوله بافضلية عليّ على أصحابه يرى ان بيعة الشيخين صحيحة، وأن اقامة المفضل جائرة خلاف ما عليه الشيعة، ويرى انها لم يظلموا عليها .

ثم دعتهم الحال الى الخروج بالكوفة سنة احدى وعشرين ومائة، واجتمع له عامة الشيعة، ورجع عنه بعضهم لما سمعوه يشي على الشيخين، وانها لم يظلموا عليها . وقالوا لم يظلمك هؤلاء . ورفضوا دعوته فسموا الرافضة من أجل ذلك . ثم قاتل يوسف بن عمر فقتله يوسف وبعث برأسه الى هشام، وصلب شلوه بالكناسة، ولحق ابنه يحيى بخراسان فأقام بها . ثم دعتهم شيعة الى الخروج فخرج هنالك سنة خمس وعشرين، وسرح اليه نصر بن سيار العساكر مع سالم بن أحمور المازني فقتلوه، وبعث برأسه الى الوليد وصلب شلوه بالجوزجان، وانقرض شأن الزيدية . وأقام الشيعة على شأنهم وانتظار أمرهم والدعاء لهم في النواحي يدعون على الأحبال^(١) للرضا من آل محمد، ولا يصرحون بمن يدعون له حذراً عليه من أهل الدولة . وكان شيعة محمد بن الحنفية أكثر شيعة أهل البيت، وكانوا يرون أن الأمر بعد محمد بن الحنفية لابنه أبي هشام عبدالله . وكان كثيراً ما يخذو علي سليمان بن عبد الملك، فر في بعض أسفاره محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بمنزله بالحليمة

(١) الأحبال: جمع حبل . وهو القيد أو البياض أي يحملون الراية البيضاء بدل الراية العباسية السوداء .

من أعمال البلقاء، فنزل عليه وأدركه المرض عنده، فمات وأوصى له بالامر. وقد كان أعلم شيعة بالعراق وخراسان أن الامر صائر الى ولده محمد بن عليّ هذا، فلما مات قصدت الشيعة محمد بن عليّ وبايعوه سرّاً، وبعث الدعاة منهم الى الآفاق على رأس مائة من الهجرة أيام عمر بن عبد العزيز، واجابه عامة أهل خراسان. وبعث عليهم النقباء وتداول أمرهم هنالك. وقوفي محمد سنة أربع وعشرين، وعهد لابنه ابراهيم وأوصى الدعاة بذلك، وكانوا يسمونه الامام. ثم بعث أبو مسلم الى أهل دعوته بخراسان ليقوم فيهم بأمره، فهلك وكتب اليهم بولايتهم. ثم قبض مروان بن محمد على ابراهيم الامام وجبسه بخراسان، فهلك هنالك لسنة. وملك أبو مسلم خراسان وزحف الى العراق، فملكها كما ذكرنا ذلك كله من قبل، وغلبوا بني أمية على أمرهم وانقرضت دولتهم.

دولة بني العباس

الخبر عن بني العباس من دول الاسلام في هذه الطبقة الثالثة الحرب والولاية
أمرهم وانتشار دولتهم والامم بنكت أخبارهم وعيين لأحاديثهم

هذه الدولة من دولة الشيعة كما ذكرناه، وفرقها منهم يعرفون بالكيسانية، وهم القائلون بامامة محمد بن عليّ بن الحنفية بعد عليّ، ثم بعده الى ابنه أبي هشام عبدالله. ثم بعده الى محمد بن عليّ بن عبدالله بن عباس بوصيته كما ذكرنا. ثم بعده الى ابنه ابراهيم

الامام ابن محمد، ثم بعده الى أخيه أبي العباس السفاح، وهو عبد الله ابن الحارثية. هكذا مساقها عند هؤلاء الكيسانية، ويسمون أيضاً الحرماقية نسبة الى أبي مسلم لانه كان يلقب بجرماق. ولبنو العباس ايضاً شيعة يسمون الراوندية من أهل خراسان، يزعمون أن أحق الناس بالامامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم هو العباس لانه وارثه وعاصبه، لقوله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. وان الناس منعه من ذلك وظلموه الى ان رده الله الى ولده، ويذهبون الى البراءة من الشيخين وعثمان، ويميزون بيعة عليّ لانّ العباس قال له يا ابن أخي هلم أبايعك فلا يختلف عليك اثنان. ولقول داود بن عليّ - عمّ الخليفة العباسي - على منبر الكوفة يوم بويح السفاح: يا أهل الكوفة انه لم يقم فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عليّ بن ابي طالب، وهذا القائم فيكم، يعني السفاح.

دولة السفّاح

قد تقدم لنا كيف كان أصل هذه الدعوة وظهورها بخراسان على يد أبي مسلم، ثم استيلاء شيعتهم على خراسان والعراق، ثم بيعة السفاح بالكوفة سنة ثلاث وثلاثين ومائة، ثم قتل مروان ابن محمد وانقراض الدولة الاموية. ثم خرج بعض أشياهم وقوادهم وانتقضوا على أبي العباس السفاح، وكان أول من انتقض حبيب

ابن مُرَّة المُرِّي من قواد مروان، وكان بجولان والبلقاء، خاف على نفسه وقومه فخلع وبيض، ومعناه لبس البياض ونصب الرايات البيض مخالفة لشعار العباسية في ذلك . وتابعته قيس ومن يليهم، والسفاح يومئذ بالخيرة، بلغه أن أبا الورد مجزأة بن الكوثري بن ذفر ابن الحرث الكلابي انتقض بقنسرين، وكان من قواد مروان . ولما انهزم مروان وقدم عليه عبدالله بن علي بايعه ودخل في دعوة العباسية، وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له ببالس والناعورة، فعبث بهم وبنسائهم القائد الذي جاءهم من قبل عبدالله بن علي . وشكوا ذلك الى أبي الورد، فقتل القائد، وخلع معه أهل قنسرين، وكتبوا أهل حمص في الخلاف، وقدموا عليهم أبا محمد عبدالله بن يزيد بن معاوية، وقالوا هو السُفْيَانِي الذي يذكر .

ولما بلغ ذلك عبدالله بن علي، وادع حبيب بن مرة، وسار الى ابي الورد بقنسرين، ومرت بدمشق، فخلف بها أبا غانم عبد الحميد بن ربيعي الطائي في أربعة آلاف فارس مع حرمه وأثقاله، وسار الى حمص، فبلغه أن أهل دمشق خلعوا وبيضوا، وقام فيهم بذلك عثمان بن عبد الأعلى بن سُراقَة الأزدي . وأنهم هزموا أبا غانم وعسكره، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانتهبوا ما خلف عندهم، فأعرض عن ذلك وسار للقاء السفيناني وأبي الورد، وقدم أخاه عبد الصمد في عشرة آلاف، فكشف ورجع الى أخيه عبدالله منهزماً . فزحف عبدالله في جماعة القواد، ولقيهم بمرج

الأحزم وهم في أربعين ألفاً، فانهزموا وثبت أبو الورد في خمسمائة من قومه، فقتلوا جميعاً .

وهرب أبو محمد الى تَزْمَدَ، وراجع أهل قنسرين طاعة العباسية، ورجع عبدالله بن علي الى قتال أهل دمشق ومن معهم . فهرب عثمان بن سُرَاقَةَ، ودخل أهل دمشق في الدعوة، وبايعوا لعبدالله ابن علي . ولم يزل أبو محمد السفياي بأرض الحجاز مُتَجَبِّاً الى أيام المنصور، فقتله زياد بن عبدالله الحارثي عامل الحجاز يومئذ، وبعث برأسه الى المنصور مع ابنين له أسيرين فأطلقهما المنصور .

ثم خلع أهل الجزيرة وبيضوا، وكان السفاح قد بعث اليهم ثلاثة آلاف من جنده مع موسى بن كعب من قواده، وأرَّلمهم بجران، وكان اسحاق بن مسلم العقيلي عامل مروان على ارمينية . فلما بلغته هزيمة مروان سار عنها، واجتمع اليه أهل الجزيرة، وحاصروا موسى بن كعب بجران شهرين، فبعث السفاح أخاه أبا جعفر اليهم، وكان محاصراً لابن هُبَيْرَةَ بواسط، فسار لقتال اسحاق ابن مسلم، ومرّ بقرقيسيا والرقّة وأهلها قد خلعوا وبيضوا . وسار نحو حران، فأجفل اسحاق بن مسلم عنها، ودخل الرها، وبعث أخاه بَكَّار بن مسلم الى قبائل ربيعة بنو احي ماردن، ورئيسهم يومئذ بَرْمَكَةُ من الحرورية، فصعد اليهم أبو جعفر فهزمهم وقتل بَرْمَكَةَ في المعركة، وانصرف بكَّار الى اخيه اسحاق، فخلعه بالرَّها، وسار الى شَمَشَاطَ بمعظم عسكره . وجاء عبدالله بن علي

فحاصره ، ثم جاء أبو جعفر فحاصروه سبعة أشهر وهو يقول : لا أخلع البيعة من عُنْيِي حتى أتيقن موت صاحبها . ثم تيقن موت مروان ، فطلب الأمان ، واستأذنوا السفاح ، فأمرهم بتأمينه ، وخرج اسحاق الى أبي جعفر فكان من آثار أصحابه . واستقام أهل الجزيرة والشام ، وولى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ، فلم يزل عليها حتى استخلف . .

حصار ابن هبيرة بواسط ومقتله

ثم تقدم لنا هزيمة يزيد بن هبيرة امام الحسن بن قحطبة وتحصينه بواسط ، وكان جُوزَرة وبعض اصحابه اشاروا عليه بعد الهزيمة باللاحاق بالكوفة فأبى . وأشار عليه يحيى بن حُصَيْن باللاحاق بمروان وخوفه عاقبة الحصار ، فأبى خشيةً على نفسه من مروان واعتصم بواسط . وبعث أبو مسلمة الحسن بن قحطبة في المسكر لحصاره ، وعلى ميمنته ابنه داود ، فانهزم اهل الشام واضطروا الى دِجْلَة ، وغرق منهم كثير . ثم تحاجزوا ودخل ابن هبيرة المدينة ، وخرج لقتالهم ثانية بعد سبعة أيام فانهزم كذلك ، ومكثوا أياماً لا يقتتلون الا رمياً . وبلغ ابن هبيرة أن أبا أمية الثعلبي قد سَوّدَ فعبسه ، فغضبت لذلك ربيعةُ ومعنُ بن زائدة ، وجلسوا ثلاثة نفر من فزارة رهناً في أبي أمية . واعتزل معن وعبد الله ابن عبد الرحمن بن بشير المجلي فيمن معها ، فخلى ابن هبيرة سبيل ابي امية وصالحهم وعادوا الى اتفاقهم .

ثم قدم على الحسن بن قحطبة من ناحية سجستان ابو نصر مالك بن الهيثم، فأوفد غيلان بن عبدالله الخزاعي على السفاح يخبره بقدوم ابي نصر، وكان غيلان واجداً على الحسن، فرغب من السفاح ان يبعث عليهم رجلاً من أهل بيته . فبعث اخاه ابا جعفر، وكتب الى الحسن : العسكر لك، والقواد قوادك، ولكن احببت ان يكون اخي حاضراً فأحسن طاعته ومؤازرته .

وقدم ابو جعفر فأنزله الحسن في خيمته، وجعل على حرسه عثمان بن نهيك . ثم تقدم مالك بن الهيثم لقتال اهل الشام، وابن هيرة . فخرجوا لقتاله واكثروا معن بن زائدة وابا يحيى الجرافي . ثم استطردوا لابن الهيثم وانهزموا للخنادق . فخرج عليهم معن وابو يحيى فقاتلوهم الى الليل، وتحاجزوا واقاموا بعد ذلك اياماً . ثم خرج اهل واسط مع معن ومحمد بن نباتة، فهزمهم أصحاب الحسن الى دجلة، فتساقطوا فيها . وجاء مالك بن الهيثم فوجد ابنه قتيلاً في المركة، فحمل على اهل واسط حتى ادخلهم المدينة . وكان مالك يملأ السفن حطباً ويضرمها ناراً فتحرق ما تمر به، فيأمر ابن هيرة بأن تجر بالكلاليب، ومكثوا كذلك أحد عشر شهراً.

وجاء اسماعيل بن عبدالله القسري الى ابن هيرة بقتل مروان، وفشلت اليمانية عن القتال معهم، وتبعهم الفزارية فلم يقاتل معه الا الصعاليك . وبعث ابن هيرة الى محمد بن عبدالله بن الحسن

المثنى بأن يبايع له، فأبطأ عنه جوابه وكاتب السفاح البائية من اصحاب ابن هبيرة، واطمعمهم . فخرج اليه زياد بن صالح وزياد ابن عبيد الله الحرثيان، ووعدا ابن هبيرة ان يصلحا له جهة السفاح، ولم يفعلوا . وتردد الشعراء بين ابي جعفر وابن هبيرة في الصلح، وان يكتب له كتاب امان على ما اختاره ابن هبيرة، وشاور فيه العلماء اربعين يوماً حتى رضيه وأنفذه الى ابي جعفر، فانفذه الى السفاح وأمر بامضائه، وكان لا يقطع أمراً دون ابي مسلم . فكتب اليه يحيى بن هبيرة قد خرج بعد الامان الى ابي جعفر في الف وثلثمائة، فلقاه الحاجب سلام ابن سليم، فأثله واجلسه على وسادة، واطاف بحجرة ابي جعفر عشرة آلاف من اهل خراسان .

ثم أذن لابن هبيرة فدخل على المنصور وحادثه، وخرج عنه ومكث يأتيه يوماً ويذهب يوماً . ثم اغرى ابا جعفر اصحابه بأنه يأتي في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل فيمتر له العسكر . فأمر ابو جعفر ان يأتي في حاشيته فقط . فكان يأتي في ثلاثين ثم آخراً في ثلاثة . ثم ألح السفاح على ابي جعفر في قتله وهو يراجعه للأمان الذي كتب له، حتى كتب اليه السفاح : والله لتقتله أو لابعثن من يخرجك من حجرتك فيقتله . فبعث أبو جعفر الى وجوه القيسية والمضرية وقد أعد لهم ابن نهيك في مائة من الخراسانية في بعض حجره .

وجاء للقوم في اثنين وعشرين رجلاً يقدمهم محمد بن نبيّاة وجُوَيْرَةُ بن سُهَيْل، فدعاهم سلام الحاجب رجلين رجلين، وعثمان ابن نهيك يقيدهما الى ان استكملهم، وبعث ابو جعفر لحازم بن خزيمّة والمهيثم بن شعبة في مائة الى ابن هبيرة، فقالوا يزيد حمل المال، فدلهم حاجبه على الخزان. فأقاموا عندها الرجال، وأقبلوا نحوه، فقام حاجبه في وجوهمهم. فضربه المهيثم فصرعه، وقتل ابنه داود فقتل في جماعة من مواليه. ثم قتل ابن هبيرة آخرأ وحملت رؤوسهم الى أبي جعفر. ونادى بالامان للناس الا الحكم بن عبد الملك أبي بشر، وخالد بن مُسْلِمَةَ الخزومي، وعمر بن دُرّ، فهرب الحكم وأمن أبو جعفر خالداً، فلم يحز السفاح أمانه، وقتله واستأمن زياد بن عبيد الله لابن در فأمّنه.

مقتل أبي مسلمة بن الخلال وسليمان بن كثير

قد تقدّم لنا ما كان من أبي مسلمة الخلال في أمر أبي العباس السفاح، واتهام الشيعة في أمره، وتغير السفاح عليه وهو بِمَكْوَةِ أعين ظاهر الكوفة. ثم تحوّل الى مدينة الهاشميّة ونزل قصرها وهو يتنكر لابي مسلمة، وكتب الى ابي مسلم ببغيته وبرأيه فيه، فكتب اليه أبو مسلم بقتله. وقال له داود بن عليّ لا تفعل فيحتج بها أبو مسلم عليك، والذين معك أصحابه وهم له أطوع. ولكن اكتب اليه يبعث من يقتله، ففعل. وبعث أبو مسلم مرّاد بن أنس الضبيّ فقتله. فلما قدم نادى السفاح بالرضا عن

أبي مسلمة، ودعا به وخلع عليه . ثم دخل عنده ليلة أخرى، فسهر عامة ليلة ثم انصرف الى منزله، فاعترضه سرار بن أنس وأصحابه فقتلوه ، وقالوا قتله الخوارج . وصلى عليه من الغد يحيى اخو السفاح ، وكان يسمى وزير آل محمد، وأبو مسلم أمير آل محمد . وبلغ الخبر الى أبي مسلم، وسرح سليمان بن كُثَير بالنيكير لذلك فقتله أبو مسلم، وبعث على فارس محمد بن الأشعث وأمره ان يقتل ابن ابي مسلمة ففعل .

عمال السفاح

ولما استقام الامر للسفاح ولي على الكوفة والسواد عمه داود ابن علي، ثم عزله وولاه على الحجاز واليمن واليامة، وولي مكانه على الكوفة عيسى ابن أخيه موسى بن محمد . ثم توفي داود سنة ثلاث وثلاثين، فولى مكانه على الحجاز واليامة خالد بن زياد بن عبيدالله بن عبيد^(١) وعلى اليمن محمد بن يزيد بن عبيدالله ابن عبد... وولى السفاح على البصرة سفيان بن معاوية المهلبى، ثم عزله وولى مكانه عمه سليمان بن علي، وأضاف اليه كور دجلة والبحرين وعمان . وولّى عمه اسماعيل بن علي الاهواز، وعمه عبدالله ابن علي الشام، وأبا عون عبد الملك بن يزيد على مصر . وأبا

(١) هنا بياضان بالأصل، وفي الطبري ج ٩ ص ١٤٧ : «وفيها مات داود بن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول، وكانت ولايته فيها ذكر محمد بن عمر ثلاثة أشهر، واستخلف داود بن علي حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى . ولما بلغت أبا العباس وفاته وجه على المدينة ومكة والطائف واليامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ووجه محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد المدان على اليمن» .

مسلم على خراسان، ويرمك على ديوان الحراج . وولى عمه عيسى ابن عليّ على فارس، فسبقه اليها محمد بن الاشعث من قبل أبي مسلم . فلما قدم عليه عيسى همّ محمد بقتله، وقال أمرني أبو مسلم أن أقتل من جاءني بولاية من غيره . ثم أقصر عن قتله واستحلفه بأيمان لا يخرج لها أن لا يعلو منبراً ما عاش، ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد، فوفى عيسى بذلك بقية عمره .

واستعمل بعده على فارس عمه اسماعيل بن عليّ، واستعمل على الموصل محمد بن صول، فطرده أهلها وقالوا : بل علينا تولى خنعم، وكانوا منحرفين عن بني العباس، فاستعمل السّاقّ عليهم أخاه يحيى وبعثه في اثني عشر ألفاً، فنزل قصر الامارة وقتل منهم اثني عشر رجلاً، فثاروا به وحمل السلاح، فنودي فيهم بالامان لمن دخل المسجد الجامع، فتسائل الناس اليه، وقد أقام الرجال على أبوابه، فقتلوا كل من دخل . يقال قتل احد عشر ألفاً ممن لبث، وما لا يحصى من غيرهم . وسمع صياح النساء بالليل، فأمر من الغد بقتل النساء والصبيان، واستباحهم ثلاثة أيام .

وكان في عسكره أربعة آلاف من الزنوج فعاثوا في النساء . وركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف، فاعترضته امرأة وأخذت بعنان دابته وقالت له : ألسنت من بني هاشم؟ ألسنت ابن عمّ الرسول؟ أما تعلم أن المؤمنات المسلمات ينكحهنّ الزنوج؟ فأمسك عنها وجمع الزنج من الغد للمطأ، وأمر بهم فقتلوا

عن آخرهم . وبلغ السفاح سو- أسره في أهل الموصل فعزله، وولى مكانه اسماعيل بن علي، وولى يحيى مكان اسماعيل بالأهواز وفارس . وملك الروم مَلَطِيَّةَ وَقَالِقِيلا . وفي سنة ثلاث وثلاثين أقبِل قُسْطَنْطِينُ ملك الروم فحصر ملطية، والفتن يومئذ بالجزيرة، وعاملها يومئذ موسى بن كعب بن أسان . فلم يزل حاصرهم حتى نزلوا على الامان، وانتقلوا الى بلاد الجزيرة، وحلوا ما قدروا عليه . وخرب الروم ملطية، وساروا عنها الى مرج الحصى، وأرسل قسطنطين العساكر الى قالقिला من نواحي ماردن مع قائده كوشان الارمني، فحصرها وداخل بعض الأرمن من أهل المدينة فنقبوا له السور، فاقتحم البلد من ذلك النقب واستباحها .

الثوار بالنواحي^(١)

كان المُنْتَنِي بن يزيد بن عُمر بن هُبَيْرَة قد ولّاه أبو علي اليامة، فلما قتل يزيد أبوه امتنع هو باليامة، فبعث اليه زياد بن عبيد المدن بالعساكر من المدينة مع ابراهيم بن حَبَّان السَلَمِيّ، فقتله وقتل أصحابه، وذلك سنة ثلاث وثلاثين . وفيها خرج شريك ابن شيخ أسحاراً على أبي مسلم، ونقض أفعاله، واجتمع اليه أكثر من ثلاثين ألفاً، فبعث اليه أبو مسلم زياد بن صالح الخُزَاعِيّ فقاتله وقتله . وفيها توجه أبو داود وخالد بن ابراهيم الى الحتل، فتحصن ملكهم ابن السبيل منهما، ومنعه الدهاقين، فحاصره أبو

(١) المراد بالثوار الخارجون عن الطاعة المحاربون للخليفة - من خط الشيخ العطار اهـ .

داود حتى جهد الحصار، فخرج من حصنه مع الدهاقين ولحق بفرغانة . ثم سار منها الى بلد الصين، وأخذ أبو داود من ظفر به في الحصن فبعث بهم الى أبي مسلم .

وفيها الفتنة بين أخشيد قرغانة وملك الشاش، واستمد الأخشيد ملك الصين فأمدّه بمائة ألف مقاتل، وحصروا ملك الشاش حتى نزلوا على حكم ملك الصين، فلم يعرض له ولا لقومه بسوء . وبعث أبو مسلم زياد بن صالح لاعتراضهم، فلقبهم على نهر الطرار، فظفر بهم وقتل منهم نحواً من خمسين ألفاً، وأسر نحواً من عشرين ألفاً، ولحق بهم بالصين، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين . ثم انتقض بسام بن ابراهيم بن بسام من فرسان أهل خراسان، وسار من عسكر السفاح وجماعة على رأيه سرّاً الى المدائن، فبعث السفاح في أثرهم خازم بن خزيمة فقاتلهم وقتل أكثرهم واستباحهم، وبلغ ما واصلهم، فربذات المطامير وبها أخوال السفاح من بني عبد المدان في نحو سبعين من قرابتهم ومواليهم .

وقيل له : ان المفيرة من أصحاب بسام عندهم، فسألهم عنه فقالوا : مر بنا مجتازاً، فهدّوهم ان لم يأخذوا، فأغلطوا له في القول فقتلهم أجمعين، ونهب أموالهم، وهدم دورهم، وغضبت اليمانية لذلك ودخل بهم زياد بن عبيد الله الحرثي على السفاح وشكوا اليه ما فعل بهم فهم بقتله . وبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم ابن عطية فدخلوا على السفاح، وذكّراه سايقة الشيعة وطاعتهم،

وانهم آثروكم على الاقارب والاولاد وقتلوا من خالفكم، فان كان لا بدّ من قتله فابعثه لوجه من الوجوه، فان قتل هو الذي تريد، وان ظفر فلك . بعثه الى الخوارج الذين يجزّية ابن كاوان من عُمان، مع شَيْبَانَ بن عبد العزيز اليَشْكُرِي، فبعث معه سبعمائة رجل، فحملهم سليمان بن عليّ من البصرة في السفن، وقد انضمّ اليه من أهله وعشيرته ومواليه وعدّة من بني تميم من البصرة، فلما أرسوا يجزّية ابن كاوان قدّم حازم فَضَلّة بن نعيم المِثْلَبِيّ في خمسمائة الى شَيْبَانَ، فانهزم هو وأصحابه وكانوا صُفْرِيّة، وركبوا الى عُمان فقاتلهم الجَلَنْدِيّ في الأَبَاضِيّة، فقتل شَيْبَانَ ومن معه كما مرّ، وشَيْبَانَ هذا غير شَيْبَانَ بن سَلَمَة الذي قتل بخراسان، فربما يشتبهان .

ثم ركب خازم البحر الى ساحل عُمان، فنزل وقاتل الجَلَنْدِيّ أَيْمَاءً، أُرْ خازم اصحابه في آخرها ان يحملوا على اطراف أَيْسِيَّتِهِمُ المشاقة، ويدوروها بالنفط، ويشعلوها بالنيران، ويرموها في بيوت القوم، وكانت من خشب . فلما اضطربت فيها النار شغلوا بأهلهم واولادهم عن القتل، فعمل عليهم خازم وأصحابه فاستلحموهم . وقتل الجَلَنْدِيّ عشرة آلاف، فبعث خازم برؤوسهم الى البصرة فبعثها سليمان الى السفاح فندم ا هـ .

ثم غزا خالد بن ابراهيم أهل كش، فقتل الأخشيد ملكها وهو مطيع واستباحهم، وأخذ من الاواني الصنيّة المنقوشة المدهّبة،

ومن الديباج والسروج ومتاع الصين وظرفه ما لم ير مثله، وحمله الى ابي مسلم بسمرقند . وقتل عدة من دهاقين كش، ومالك طازان أخا الاخشيد على كش . ورجع ابو مسلم الى مرو بعد ان فتك في الصغد وبخارى، وأمر بيناء سور سمرقند . واستخلف زياد ابن صالح على بخارى وسمرقند، ورجع أبو داود الى بلخ . ثم بلغ السفاح انتقاض منصور ابن جمهور بالسند، فبعث صاحب شرطته موسى بن كعب، واستخلف مكانه على الشرطة المسيب بن زهير .

وسار موسى لقتال ابن جمهور، فلقيه بتخوم الهند وهو في نحو اثني عشر ألفاً، فانهزم ومات عطشاً في الرمال . ورحل عامله على السند بعياله وثقلته، فدخل بهم بلاد الخزر . ثم انتقض سنة خمس وثلاثين زياد بن صالح وراء النهر، فسار أبو مسلم اليه من مرو، وبعث ابو داود خالد بن ابراهيم نصر بن راشد الى ترمذ ليمنعها من زياد، فلما وصل اليها خرج عليه ناس من الطالقان فقتلوه، فبعث مكانه عيسى بن ماهان فسمع قتلة نصر فقتلهم . وسار أبو مسلم فانتهى الى آمد ومعه سباع بن النعمان الأزدي، وكان السفاح قد دس معه الى زياد بن صالح الأزدي ان ينتهز فرصة في أبي مسلم فيقتله . ونفى الخبر الى ابي مسلم فحبس سباعاً بآمد، وسار عنها وأمر عامله بقتله . ولقيه قواد زياد في طريقه وقد خلعوا زياداً، فدخل أبو مسلم بخارى، ونجا زياد الى دهقان

هناك فقتله وحمل رأسه الى أبي مسلم . وكتب أبو مسلم الى أبي داود فقتله، وكان قد شغل بأهل الطالقان، فرجع الى كش، وبعث عيسى بن ماهان الى بسام فلم يظفر منها بشيء، وبعث الى بعض اصحاب أبي مسلم يعيب أبا داود عيسى، فضربه وجبسه . ثم أخرجه فوثب عليه الجند فقتلوه، ورجع أبو مسلم الى مرو .

حج أبي جعفر وأبي مسلم

وفي سنة ست وثلاثين استأذن أبو مسلم السفاح في القدوم عليه للحج، وكان منذ ولي خراسان لم يفارقها، فأذن له في القدوم مع خمسمائة من الجند، فكتب اليه أبو مسلم اني قد عادت الناس ولست آمن على نفسي فأذن له في ألف، وقال ان طريق مكة لا تحتل العسكر، فسار في ثمانية آلاف فرقة ما بين نيسابور والري، وخلف أمواله وخزائنه بالري وقدم في ألف وخرج القواد بأمر السفاح لتلقيه، فدخل على السفاح وأكرمه وأعظمه . واستأذن في الحج فأذن له، وقال : لولا أن أبا جعفر يريد الحج لاستعملتك على الموسم . فأرّله بقرية وكان قد كتب الى أبي جعفر ان أبا مسلم استأذني في الحج وأذنت له، يريد ولاية الموسم، فاسألني انت في الحج، فلا تطمع ان يبعثك وأذن له فقدم الانبار . وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً من حيث بعث السفاح أبا جعفر الى خراسان ليأخذ البيعة له ولأبي جعفر من بعده، ويولي أبا مسلم على خواسان، فاستخلى

أبو مسلم بأبي جعفر . فلما قدم الآن أبو جعفر السفاح بقتله، وأذن له فيه، ثم ندم وكفه عن ذلك، وسار أبو جعفر إلى الحج ومعه أبو مسلم واستعمل على حران مقاتل بن حكيم العكبي .

موت السفاح وبيعة المنصور

كان أبو العباس السفاح قد تحول من الحيرة إلى الأنبار في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين، فأقام بها سنتين ثم توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين لثلاث عشرة ليلة خلت منه، ولأربع سنين وثمانية أشهر من لدن بويغ، وصلى عليه عمه عيسى ودفن بالأنبار . وكان وزيره أبو الجهم بن عطية، وكان قبل موته قد عهد بالخلافة لآخيه أبي جعفر، ومن بعده لعيسى ابن أخيهما موسى، وجعل العهد في ثوب وختمه بخواتيمه وخواتيم أهل بيته ودفعه إلى عيسى . ولما توفي السفاح، وكان أبو جعفر بمكة، فأخذ البيعة على الناس عيسى ابن موسى، وكتب إليه بالخبر فجزع واستدعي أبا مسلم وكان متأخراً عنه، فأقرأه الكتاب فبكى واسترجع، وسكن أبا جعفر عن الجزع فقال أخاف شرَّ عبدالله بن علي فقال أنا أكفيكه وعامة جنده أهل خراسان، وهم أطوع لي منه فسري عنه . وباع له أبو مسلم والناس، وأقبلا حتى قدما الكوفة . ويقال إن أبا مسلم كان متقدماً على أبي جعفر فان الخبر قد أثار قبله، فكتب أبو مسلم إليه يعزيه ويهنيه بالخلافة، وبعد يومين كتب له يبيعه . وقدم أبو جعفر الكوفة سنة سبع وثلاثين،

وسار منها الى الانبار، فسلم اليه عيسى بيوت الاموال والدواوين واستقام امر ابي جعفر .

انتقاض عبد الله بن علي وهزيمته

كان عبدالله بن عليّ قدم على السفاح قبل موته، فبعثه الى الصائفة في جنود أهل الشام وخراسان، فأنتهى الى دلوک ولم يدر حتى جاءه كتاب عيسى بن موسى بوفاة السفاح، وأخذ البيعة لابي جعفر وله من بعده كما عهد به السفاح، فجمع عبدالله الناس، وقرأ عليهم الكتاب، وأعلمهم أن السفاح حين أراد أن يبعث الجنود الى حرّان تكاسل بنو أبيه عنها، فقال لهم : من انتدب منكم فهو وليّ عهدي فلم ينتدب غيري، وشهد له أبو غانم الطائي وخفاف المروزي وغيرها من القواد وبایعوه، وفيهم حميد بن حكيم ابن قحطبة وغيره من خراسان والشام والجزيرة . ثم سار عبدالله حتى نزل حرّان وحاصر مقاتل بن حكيم العكي أربعين يوماً، وخشي من أهل خراسان فقتل منهم جماعة، ووليّ حميد بن قحطبة على حلب، وكتب معه الى عاملها زفر بن عاصم بقتله، فقرأ الكتاب في طريقه وسار الى العراق .

وجاء ابو جعفر من الحج، فبعث أبا مسلم لقتال عبدالله، ولحقه حميد بن قحطبة نازعاً عن عبدالله، فسار معه، وجعل على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي . ولما بلغ عبدالله خبر اقباله وهو على حران بذل الأمان لمقاتل بن حكيم ومن معه، وملك حران .

ثم بحث مقاتلاً بكتابه الى عُثمان بن عبد الأعلى، فلما قرأ الكتاب قتله وحبس ابنه، حتى اذا هزم عبدالله قتلهما. وأمر المنصور محمد بن صول وهو على أذربيجان ان يأتي عبدالله بن علي ليكر به، فجاء وقال: اني سمعت السفاح يقول: الخليفة بعدي صمي عبدالله، فشر بمكيدته وقلته، وهو جد ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب.

ثم اقبل عبدالله بن علي حتى نزل نصيبين وخندق عليه، وقدم ابو مسلم فيمن معه. وكان المنصور قد كتب الى الحسن ابن قحطبة عامله على ارمينية بان يوافي أبا مسلم. فقدم عليه الموصل، وسار معه. ونزل أبو مسلم ناحية نصيبين، وكتب الى عبدالله اني قد وليت الشام ولم أؤمر بقتالك، فقال أهل الشام لعبد الله سر بنا الى الشام لنمنع نساءنا وابنائنا. فقال لهم عبدالله: ما يريد الا قتالنا وانما قصد المكر بنا فأبوا إلا الشام، فارتحل بهم إلى الشام، ونزل ابو مسلم في موضع معسكره، وغور ما حوله من المياه، فوقف اصحاب عبدالله بكّار بن مسلم العُقيلي، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي، وعلى الحليل عبد الصمد بن عليّ أخو عبدالله وعلى ميمنة ابي مسلم الحسن بن قحطبة، وعلى ميسرته خازم بن خزيمة، فاقتتلوا شهراً.

ثم حمل أصحاب عبدالله على عسكر أبي مسلم فأزالوهم عن مواضعهم، وحمل عبد الصمد فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً. ثم

حمل عليهم ثانية فأزالوا صفهم . ثم نادى منادي ابي مسلم في اهل خراسان فتراجعوا . وكان يجلس اذا لقي الناس على عريش ينظر منه الى الحومة ، فان رأى خللاً أرسل بسده . فلا تزال رسله تختلف بينه وبين الناس حتى ينصرفوا . فلما كان يوم الاربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين اقتتلوا ، وأمر ابو مسلم الحسن بن قحطبة ان يضم الى الميسرة ويتزل في الميمنة حماة اصحابه ، فانضم اهل الشام من الميسرة الى الميمنة كما امرهم ، وأمر ابو مسلم اهل القلب فحطموهم وركبهم أصحاب ابي مسلم .

فانهزم . اصحاب عبد الله فقال لابن سراقه . ما ترى ؟ قال الصبر الى ان تموت ، فالقرار فيكم بمثلك قبيح . قال بل آتي العراق فأنا معك فانهزموا وحوى أبو مسلم عسكرهم . وكتب بذلك الى المنصور ، ومضى عبدالله وعبد الصمد . فقدم عبد الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى ، وأمنه المنصور . وقيل بل أقام بالرافقة حتى قدها جمهور بن مروان العجلي في خيول أرسلها المنصور ، فبعث به موثقاً مع أبي الخطيب ، فاطلقه المنصور . وأما عبدالله فقدم البصرة ، وأقام عند اخيه سليمان متواريًا حتى طلبه واشخص اليه . ثم ان ابا مسلم آمن الناس بعد الهزيمة وأمر

بالكف عنهم ^(١) كان أبو مسلم لما حج مع المنصور يؤيد نفسه عليه، ويتقدم بالاحسان للوفود واصلاح الطريق والمياه، وكان الذكر له، وكان الاعراب يقولون : هذا المكذوب عليه . ولما صدروا عن الموسم، تقدم أبو مسلم، ولقيه الخبر ب وفاة السفاح، فبعث الى أبي جعفر يعزيه، ولم يهنئه بالخلافة، ولا رجع اليه ولا أقام ينتظره . فغضب أبو جعفر وكتب اليه وأغلظ في العتاب، فكتب يهنئه بالخلافة ويقدم الى ^(٢) فدعا عيسى بن موسى الى أن يبايع له، فأبى وقدم أبو جعفر، وقد خلع عبيد الله بن علي، فسرّح أبا مسلم لقتاله، فهزمه كما مرّ وجمع الغنائم من عسكره . فبعث المنصور مولاة أبا الحبيب لجمعها، فغضب أبو مسلم وقال : أنا أعين على الدعاء فكيف أخون الأموال، وهمّ بقتل الحبيب ثم خلى عنه .

وخشي المنصور أن يمضي الى خراسان، فكتب اليه بولاية مصر والشام، فازداد نفاراً وخرج من الجزيرة يريد خراسان، وسار المنصور الى المدائن وكتب اليه يستقدمه، فأجابه بالامتناع والمسك بالطاعة عن بعد، والتهديد بالخلع ان طلب منه سوى ذلك، فكتب اليه المنصور ينكر عليه هذا الشرط، وانه لا يحسن طاعة . وبعث

(١) هنا بياض في الأصل وفي الطبري ج ٩ ص ١٥٩ : «وأمر بالكف عنهم، ويقال بل استأمن لعبد الصمد بن علي بن إسماعيل بن علي» .

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥٠ : «كتب إليه يهنئه بالخلافة، وتقدم أبو مسلم فأق الأنبار فدعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له» .

اليه عيسى بن موسى برسالة يؤنسه ويسليه، وقيل بل كتب اليه أبو مسلم يعرض له بالخلع، وانه قد تاب الى الله مما جناه من القيام بدعوتهم، وأخذ أبو مسلم طريق حُلوان، وأمر المنصور عمه عيسى ومشيخة بني هاشم بالكتاب على أبي مسلم يجرضونه على التمسك بالطاعة، ويجذرونه عاقبة البغي، ويأرونه بالمراجعة .

وبعث الكتب مع مولاه أبي حميد المرؤدُوي وأمره بملاينته والخضوع له بالقول حتى ييأس منه، فاذا يئس يخبره بقسم أمير المؤمنين لا وبكت أرك الى غيري، ولو خضت البحر خضته وراك ولو اقتحمت النار لاقتحمتها حتى أقتلك وأموت . فأوصل أبو حميد الكتب وتلطف له في القول ما شاء، واحتج عليه بما كان منه في التحريض على طاعتهم، فاستشار أبو مسلم مالك بن الهيثم فأبى له من الاصغاء الى هذا القول وقال : والله لئن أتيت ليقتلنك . ثم بعث الى نيزك صاحب الري يستشير، فأبى له من ذلك وأشار عليه بنزول الري وخراسان من ورائه، فيكون أمكن لسلطانه . فأجاب أبا حميد بالامتناع، فلما يئس منه أبلغه مقالة المنصور، فوجهم طويلاً ورعب من ذلك القول وأكبره . وكان المنصور قد كتب الى عامل أبي مسلم بخراسان يرعبه في الانحراف عنه بولاية خراسان فأجاب سراً، وكتب الى أبي مسلم يحذره الخلاف والمعصية، فزاده ذلك رعباً وقال لأبي حميد قبل انصرافه : قد كنت عزمت على المضي الى خراسان، ثم رأيت أن أوجه أبا اسحاق

الى أمير المؤمنين يأتيني برايته فاني أثق به .
ولما قدم أبو اسحاق تلقاه بنو هاشم واهل الدولة بكل ما
يجب، وداخله المنصور في صرف ابي مسلم عن وجهة خراسان
ووعده بولايتها، فرجع اليه وأشار عليه ببقاء المنصور، فاعتزم
على ذلك . واستخلف مالك بن المهيم على عسكره بجلوان، وسار
فقدم المدائن في ثلاثة آلاف، وخشي أبو أيوب وزير المنصور
أن يحدث منه عند قدومه فتك، فدعا بعض اخوانه، وأشار عليه
بأن يأتي أبا مسلم ويتوسل به الى المنصور في ولاية تسكر ليصيب
فيها مالا عظيماً، وأن يشرك أخاه في ذلك، فان أمير المؤمنين
عازم أن يوليه ما يوري به ويريح نفسه . واستأذن له المنصور
في لقاء أبي مسلم فأذن له، فلقي أبا مسلم وتوسل اليه وأخبره الخبر،
فطابت نفسه وذهب عنه الحزن . ولما قرب أمر الناس بتلقيه،
ثم دخل على المنصور فقبل يده وانصرف ليريح ليلته، ودعا
المنصور من القد حاجبه عثمان بن نهيك وأربعة من الحرس، منهم
شبيب بن رواح، وابن حنيفة حرب بن قيس، وأجلسهم خلف
الرواق، وأمرهم بقتل أبي مسلم اذا صفق بيديه .
واستدعى أبا مسلم، فلما دخل سأله عن سيفين أصابها لعمه
عبدالله بن علي، وكان متقلداً بأحدهما، فقال هذا أحدهما، فقال
أرني الآخر فانتضاه أبو مسلم وثاوله إياه، فأخذ يقلبه بيده ويهزه . ثم
وضعه تحت فراشه وأقبل يعاتبه، فقال : كتبت الى السفاح تنهاه

عن الموات كأنك تعلمه ! قال ظننت انه لا يحل، ثم اقتديت
 بكتاب السفاح وعلت انكم معدن العلم .
 قال : فتوركك عني بطريق مكة ! قال كرهت مزاحمتك
 على الما . ! قال فامتناعك من الرجوع اليّ حين بلغك موت السفاح
 أو الاقامة حتى ألحقك ! قال طلبت الرفق بالناس والمبادرة الي
 الكوفة ! قال فجارية عبدالله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك !
 قال لا انما وكلت بها من يحفظها .

قال : فَمَرَأَتُكَ وَمَسِيرُكَ إِلَى خِرَاسَانَ ! قال خشيت منك ،
 فقلت آتي خُرَاسَانِي وَأَكْتُبُ بِعَذْرِي فَأَذْهَبُ مَا فِي نَفْسِكَ مِنِّي !
 قال فاللّ الذي جمعه بِحَرَّانَ ! قال أنفقتَه في الجند تقوية لكم .
 قال ألسْتَ الْكَاتِبَ إِلَيَّ تَبْدَأُ بِنَفْسِكَ وَتُخْطِبُ آسِيَةَ بِنْتَ عَلِيٍّ وَتُرْعَمُ
 أَنْكَ ابْنُ سَلِيطٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ؟ لَقَدْ ارْتَقَيْتَ لَا أُمَّ لَكَ
 مَرْتَقَى صَعْبًا .

ثم قال له : وما الذي دعاكَ إلى قتل سُليمانَ بنِ كُثَيِّرٍ، مع أثره
 في دعوتنا، وهو أحد نقبائنا، من قبل أن ندخلك في هذا الامر ؟
 قال : أراد الخلافة فقتلته . ثم قال أبو مسلم : كيف يقال هذا
 بعد بلائي وما كان مني ؟ قال يا ابن الحبيشة لو كانت أمة مكانك
 لاغنت، انما ذلك بدولتنا وربحنا . وأكب أبو مسلم يقبل يده
 ويعتذر، فازداد المنصور غضباً . ثم قال أبو مسلم دع هذا ! فقد
 أصبحت لا أخاف الا الله . فستمه المنصور وصفق بيديه، فخرج

الحرس . وضربه عثمان بن نهيك فقطع حائل سيفه . فقال استبقني لعدوك ! فقال لا أبقاني الله إذا وأي عدو أعدى منك ، وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه ، وذلك لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين .

وخرج الوزير أبو الجهم فصرف الناس ، وقال الأمير قاتل عند أمير المؤمنين فانصرفوا ، وأمر لهم بالجواز ، وأعطى اسحاق مائة ألف . ودخل عيسى بن موسى على المنصور فسأل عنه ، وأخذ في الثناء على طاعته وبلائه ، وذكر رأي الامام ابراهيم فيه . فقال المنصور : والله ما اعلم على وجه الارض عدوا أعدى لكم منه ، هوذا في البساط . فاسترجع عيسى ، فأنكر عليه المنصور وقال : وهل كان لكم ملك معه ؟ ثم دعا جعفر بن خنظلة واستشاره في أمر أبي مسلم ، فأشار بقتله فقال له المنصور وفقك الله ! ثم نظر اليه قتيلا ، فقال له يا أمير المؤمنين عد خلافتك من هذا اليوم . ثم دعا أبا اسحاق عن متابعة أبي مسلم . وقال تكلم بما أردت ، وأخرجه قتيلا . فسجد أبو اسحاق ثم رفع رأسه يقول : الحمد لله ! أميت هو؟ والله ما جئته قط إلا تكفنت وتحنطت ورفع ثيابه وأراه كفنه وحنوطه . فرحمه وقال له استقبل طاعتك ، واحمد الله الذي أراحك .

وكتب المنصور بعد قتل أبي مسلم الى أبي نصر بن المهيم على لسان أبي مسلم يأمره بحمل أثقاله ، وقد كان أبو مسلم أوصاه

إن جاءك كتاب بخاتمي تأمأ فاعلم اني لم أكبه، فلما رآه كذلك فطن وانحدر الى همدان يريد خراسان، فكتب له المنصور بولاية شهرزور، وكتب الى زهير بن التركي بهمدان بجبسه . فرأى أبو نصر بهمدان وخادعه زهير ودعاه الى طعامه وجبسه . وجاء كتاب العهد بشهرزور لابي نصر، فأطلقه زهير، ثم جاءه بعد ذلك الكتاب بقتله، فقال جاءني كتاب عهده فخليت سبيله .

وقدم أبو نصر على المنصور فعذله في اشارته على أبي مسلم بخراسان، فقال نعم استنصحتني فنصحت له . وإن استنصحتني أمير المؤمنين نصحت وشكرت، واستعمله على الموصل . وخطب أبو جعفر الناس بعد قتل أبي مسلم وانهم وافترق أصحابه، وخرج منهم بخراسان رجل اسمه سنباد ويسمى فيروز أصبهد، وتبعه أكثر الجبال يطلبون بدم أبي مسلم، وغلب على نيسابور والري، وأخذ خزائن أبي مسلم التي خلفها بالري حين شخص الى السفاح . وسبى الحرم ونهب الأموال، ولم يعرض الى التجار . وكان يظهر أنه قاصد الى الكعبة يهدمها، فسرَّح اليه المنصور جمهور بن حرَّار السجلي والتقوا على طرق المفازة بين همدان والري، فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم نحواً من ستين ألفاً، وسبى ذراريهم ونساءهم .

ولحق سنباد بطبرستان، فقتله بعض عمال صاحبها وأخذ ما معه . وكتب الى المنصور بذلك، فكتب اليه المنصور في الاموال فانكرها، فسرَّح اليه الجنود فهرب الى الديلم . ثم ان جمهور بن

مراراً حوى ما في عسكر سباد، ولم يبعث به خاف من المنصور، فخلع واعتصم بالريّ فسرح اليه محمد بن الاشعث في الجيوش، فخرج من الريّ الى أصبهان فللكها، وملك محمد الريّ. ثم اقتتلوا وانهزم جمهور فلحق بأذربيجان، وقتله بعض أصحابه وحملوا رأسه الى المنصور وذلك سنة ثمان وثلاثين.

حبس عبدالله بن علي

كان عبدالله بن عليّ بعد هزيمته امام أبي مسلم لحق بالبصرة، ونزل على أخيه سليمان. ثم ان المنصور عزل سليمان سنة تسع وثلاثين، فاخفى عبدالله وأصحابه، فكتب المنصور الى سليمان وأخيه عيسى بأمان عبدالله وقواده ومواليه، واشخاصهم الى المنصور منها فشحصوا. ولما قدما عليه فأذن لهما فأعلماء بحضور عبدالله، واستأذناه له فشغلها بالحديث، وأمر بحبسه في مكان قد هيء له في القصر، فلما خرج سليمان وعيسى لم يجدوا عبدالله، فعلموا انه قد حبس وان ذمتها قد أخفرت، فرجما الى المنصور فحبسا عنه. وتوزع أصحاب عبدالله بين الحبس والقتل، وبعث ببعضهم الى أبي داود خالد بن ابراهيم بخراسان فقتلهم بها. ولم يزل عبدالله محبوساً حتى عهد المنصور الى المهدي سنة تسع وأربعين، وأمر موسى بن عيسى فجعله بعد المهدي، ودفع اليه عبدالله وأمره بقتله، وخرج حاجاً. وسار عيسى كاتبه يونس بن فروة في قتل عبدالله بن علي فقال: لا تفعل فانه يقتلك به، وان طلبه منك فلا تردّه اليه

سراً، فلما قفل المنصور من الحج دس على أعمامه من يجرّضهم على الشفاعة في أخيه عبد الله فشفعهم، وقال لعيسى : جئنا به ! فقال قتلته كما أمرتني . فأنكر المنصور وقال خذوه بأخيكم، فخرجوا به ليقتلوه حتى اجتمع الناس واشتهر الامر، فجاء به وقال هوذا حي سوي، فجعله المنصور في بيت أساسه ملح وأجرى عليه الماء فسقط ومات .

وقعة الراوندية

كان هؤلاء القوم من أهل خراسان، ومن أتباع أبي مسلم، يقولون بالتناسخ والخلول، وإن روح آدم في عثمان بن نهيك، وإن الله حل في المنصور وجبريل في المهيم بن معاوية . فحبس المنصور نحواً من مائتين منهم، ففضب الباقون، واجتمعوا وحملوا بينهم نعشاً كنهم في جنازة، وجاؤا الى السجن، فرموا بالنعش وأخرجوا أصحابهم، وحملوا على الناس في ستمائة رجل . وقصدوا قصر المنصور، وخرج المنصور من القصر ماشياً . وجاء ممن بن زائدة الشيباني وكان مستخفياً من المنصور لقتاله مع ابن هيرة، وقد اشتد طلب المنصور له، فحضر عنده هذا اليوم متلماً، وترجل وأبلى . ثم جاء الى المنصور ولبام بقلته في يد الربيع حاجبه، وقال : تنح ذا أنا أحق بهذا اللجام في هذا الوقت وأعظم، فنازل وقاتل حتى ظفر بالراوندية . ثم سأله فانتسب فأمته واصطنعه .

وجاء أبو نصر مالك ابن الهيثم ووقف على باب المنصور وقال : أنا اليوم بواب ثم قاتلهم أهل السوق، وفتح باب المدينة، ودخل الناس وحل عليهم خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة حتى قتلهم عن آخرهم . وأصاب عثمان بن نهيك في الحومة سهم فمات منه بعد أيام، وجعل على الحبس بعده أخاه عيسى، ثم بعده أبا العباس الطوسي، وذلك كله بالهاشمية . ثم أحضر مئناً ورفع منزلته وأثنى عليه بما كان منه في ذلك اليوم مع عمه عيسى، فقال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد جئت الى الحومة ورجلاً حتى رأيت شدتك، فعملني ذلك على ما رأيت مني، وقيل انه كان مختفياً عند أبي الحصبب حاجب المنصور، وانه جاء يوم الراوندية، فاستأذن أبو الحصبب وشاوره المنصور في أمرهم، فأشار بيث المال في الناس، وأبى المنصور الا الركوب اليهم بنفسه، فخرج بين يديه وأبلى حتى قتلوا، ثم تغيب فاستدناه وأمنه وولاه على اليمن .

انتقاض خراسان وسير البهمن إليها

كان السقاج قد ولى على خراسان أبا داود خالد بن ابراهيم الذهلي، بعد انتقاض بسام بن ابراهيم ومهلكه . فلما كان سنة أربعين ثار به بعض الجند وهو بكثماهن وجاؤا الى منزله، فاشرف عليهم ليلاً من السطح، فزلت قدمه فسقط ومات ليومه . وكان عصام صاحب شرطته، فقام بالامر بعده . ثم ولى المنصور على خراسان عبد الجبار بن عبد الرحمن، فقدم عليها وحبس جماعة من

القواد اتهمهم بالدعاء للعلوية منهم نجاشع بن حريث الأنصاري عامل بخاري، وأبو المرة خالد بن كثير مولى بني تميم عامل قهستان، والحريش بن محمد الذهلي ابن عم أبي داود في آخرين .

ثم قتل هؤلاء، وألح على عمال أبي داود في استخراج المال، وانتهت الشكوى الى المنصور بذلك، فقال لابي أيوب انك تريد بقاء شيعتنا الخلع، فأشار عليه أبو أيوب أن تبعث من جنود خراسان لتزرو الروم، فاذا فارقوه بعثت اليه من شئت، واستمكن منه . فكتب اليه بذلك فأجاب بأن الترك قد جاشت، وان فرقت الجنود خشيت على خراسان . فقال له أبو أيوب اكتب اليه بأنك ممدد بالجيش، وابعث معها من شئت يستمكن منه، فأجاب عبد الجبار بأن خراسان مغلبة في عامها، ولا تحتل زيادة العسكر . فقال له أبو يوسف هذا خلع فاجله . فبعث ابنه المهدي، فسار ونزل الري .

وقدم خازم بن خزيمه لحرب عبد الجبار، فقاتلوه فانهزم وجاء الى مقطنة وتواري فيها . فبعث اليه المحشد بن مزاحم من أهل مرو الروذ، وجاء به الى خازم، فحمله على بعير وعليه جبة صوف، ووجهه الى عجز البعير، وحمله الى المنصور في ولده وأصحابه، فبسط اليهم العذاب حتى استخرج الاموال، ثم قطع يديه ورجليه وقتله . وذلك سنة اثنتين وأربعين، وبعث بوليه الى دهلوك فمزلهم بها،

وأقام المهدي بخراسان، حتى رجع الى العراق سنة تسع وأربعين^(١) وفي سنة اثنتين وأربعين انتقض عينة بن موسى بن كعب بالسند، وكان عاملاً عليها من بعد أبيه، وكان أبوه يستخلف المسيب بن زهير على الشرط، فخشي المسيب ان حضر عينة عند المنصور أن يوليه على الشرط، فحذره المنصور وحرّضه على الخلاف فخلع الطاعة. وسار المنصور الى البصرة وسرح من هنالك عمر بن حفص بن أبي صفوة العتكي لحرب عينة، وولاه على السند والهند، فورد السند وغلب عليها. وفي هذه السنة انتقض الأصهب بطبرستان، وقتل من كان في ارضه من المسلمين، فبعث المنصور مولاه أبا الحبيب، وخازم بن خزيمة، وروح بن حاتم في العساكر فحاصروه في حصنه مدة، ثم تحيلوا ففتح لهم الحصن من داخله، وقتلوا المقاتلة، وسبي الذرية، وكان مع الاصبهيد سم فشربه فأت.

أمر بني العباس

بنو هاشم حين اضطرب أمر مروان بن محمد اجتمعوا اليه، وتشاوروا فيمن يعقدون له الخلافة، فاتفقوا على محمد بن عبدالله ابن الحسن المثنى بن علي، وكان يقال ان المنصور ممن يابعه تلك الليلة. ولما حج أيام أخيه السفاح سنة ست وثلاثين، تغيب عنه

(١) هنا يبايض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٧: «وأمر بتسيير ولده إلى دهلج - وهي جزيرة باليمن - فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبواهم فيمن سبوا».

محمد وأخوه إبراهيم، ولم يحضرا عنده مع بني هاشم. وسأل عنهما فقال له زياد بن عبيد الله الحرثي أنا آتيك بهما، وكان بمكة، فردّه المنصور إلى المدينة. ثم استخلف المنصور وطلق يسأل عن محمد ويختص بني هاشم بالسؤال سراً، فكلهم يقول أنك ظهرت على طلبه لهذا الامر، فخافك على نفسه، ويُحسِن العذر عنه إلا الحسن بن زيد ابن الحسن بن علي، فانه قال له والله ما آمن وثوبه عليك، فانه لا ينال منك. فكان موسى بن عبدالله بن حسن يقول بعد هذا: اللهم اطلب الحسن بن زيد بدمائنا. ثم ان المنصور حج سنة (١) وألح على عبدالله بن حسن في احضار ابنه محمد، فاستشار عبدالله سليمان بن علي في احضاره فقال له: لو كان عاقباً عفى عن عمه، فاستمر عبدالله على الكتمان، وبث المنصور العيون بين الاعراب في طلبه بسائر بوادي الحجاز ومياهاها. ثم كتب كتاباً على لسان الشيعة الى محمد بالطاعة والمساعدة، وبعثه مع بعض عيونه الى عبدالله، وبعث معه بالمال والالطاف كأنه من عندهم.

وكان للمنصور كاتب على سرّه يتشيع، فكتب الى عبدالله ابن حسن بالخبر، وكان محمد بجهينة، وألح عليه صاحب الكتاب أمر محمد ليدفع اليه كتاب الشيعة. فقال له اذهب الى علي بن

(١) هنا أيضاً بياض بالأصل، وأن المنصور حج سنة أربعين ومائة، كما في الكامل ج ٤ ص ٣٧٢. وفي الطبري ج ٩ ص ١٨٠ ذكر حج المنصور في حوادث سنة أربع وأربعين ومائة.

الحسن المدعو بالأغر يوصلك اليه في جبل جُهَيْنَةَ، فذهب وأوصله اليه. ثم جاءهم حقيقة خبره من كاتب المنصور، وبعثوا أبا هَبَّار الى محمد وعلي بن حسن يحذرهما الرجل، فجاء أبو هَبَّار الى علي ابن حسن وأخبره، ثم سار الى محمد، فوجد العين عنده جالسا مع أصحابه، فخلا به وأخبره. فقال وما الرأي؟ قال تقتله! قال لا أقارف دم مسلم. قال تقيده وتحمله معك! قال لا آمن عليه لكثرة الخوف والاعجال. قال فتودعه عند بعض أهلِكَ من جهينة! قال هذه اذن. ورجع فلم يجد الرجل، ولحق بالمدينة. ثم قدم على المنصور وأخبره الخبر، وسمى اسم أبي هَبَّار وكنيته، وقال معه وير. فطلب أبو جعفر وبرا المُرِّي، فسأله عن أمر محمد فأنكره، وحلف فضربه وجبسه. ثم دعا عُقْبَةَ بن سالم الأزدي، وبعثه متنكرا بكتاب والطف من بعض الشيعة بخراسان، الى عبدالله بن حسن ليظهر على أمره، فجاءه بالكتاب فانتهره، وقال: لا أعرف هؤلاء القوم. فلم يزل يتردد اليه حتى قبله وأنس به، وسأله عقبة الجواب فقال لا أكتب لاحد، ولكن أقرئهم مني سلاما، واعلمهم ان ابني خارجان لوقت كذا.

فرجع عقبة الى المنصور فأنشأ الحج، فلما لقيه بنو حسن رفع مجالسهم وعبدالله الى جنبه، ثم دعا بالغداء فاصابوا منه. ثم قال لعبدالله بن حسن قد أعطيتني العهود والمواثيق أن لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطانا، فقال وأنا على ذلك. فلحظ المنصور

عُثْبَةُ بن سالم، فوقف بين عبد الله حتى ملأ عينه منه فبادر المنصور يسأله الاقالة فلم يفعل، وأمر بجبسه . وكان محمد يتردد في النواحي، وجاء الى البصرة فتزل في بني راهب، وقيل في بني مرة بن عبيد، وبلغ الخبر الى المنصور، فجاء الى البصرة، وقد خرج عنها محمد، فلقى المنصور عمر بن عبيد فقال له : يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا ؟ فقال لا ! فانصرف واشتد الخوف على محمد وإبراهيم، وساروا الى عدن، ثم الى السند، ثم الى الكوفة، ثم الى المدينة . وكان المنصور حج سنة أربعين، وحج محمد وإبراهيم وعزما على اغتيال المنصور وأبي محمد من ذلك . ثم طلب المنصور عبد الله باحضار ولديه، وعنفه وهم به، فضمنه زياد عامل المدينة . وانصرف المنصور، وقدم محمد المدينة قدما، فتلطف له زياد وأعطاه الأمان له . ثم قال له : الحق بأي بلاد شئت . وسمع المنصور فبعث أبا الأزهري الى المدينة في جمادى سنة احدى وأربعين ليستعمل على المدينة عبد العزيز بن المطلب، ويقبض زيادا وأصحابه . فسار بهم فحبسهم المنصور، وخلف زياد بيت المال ثمانين الف دينار . ثم استعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري، وأمره بطلب محمد، واتفاق المال في ذلك . فكثرت نفقته واستبطاه المنصور واستشار في عزله، فأشار عليه يزيد بن أسيد السلمي من أصحابه باستعمال رباح بن عثمان بن حسان المزني، فبعثه أميرا على المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين، وأطلق يده في محمد

ابن خالد القسري .

فقدم المدينة وتهتد عبدالله بن حسن في احضار ابنه . وقال له عبدالله يومئذ انك لتريق المذبح فيما كما تذبح الشاة ، فاستشعر ذلك ووجد ، فقال له حاجبه أبو البخترى : ان هذا ما اطلع على الغيب . فقال ويلك ! والله ما قال الا ما سمع ، فكان كذلك . ثم حبس رباح محمد بن خالد وضربه وجده في طلب محمد ، فأخبرانه في شِمْبَانِ رَضْوَى من أعمال يَنْبَع وهو جبل جُحَيْتَة ، فبعث عامله في طلبه فأقلت منه . ثم ان رباح بن مرة حبس بني حسن وقيدهم وهم : عبدالله بن حسن بن الحسن ، واخوته حسن و ابراهيم وجعفر ، وابنه موسى بن عبدالله ، وبنو أخيه داود واسماعيل واسحاق بنو ابراهيم بن الحسن ، ولم يحضر معهم أخوه علي العائد . ثم حضر من الغد عند رباح ، وقال جثتك لتحبسني مع قومي فحبسه ، وكتب اليه المنصور أن يحبس معهم محمد بن عبدالله بن عمر بن هثان المعروف بالديباجة . وكان أخا عبدالله لأمه ، أمها فاطمة بنت الحسين .

وكان عامل مصر قد عثر على علي بن محمد بن عبدالله بن حسن ، بعثه أبوه الى مصر يدعو له ، فأخذه وبعث به الى المنصور ، فلم يزل في حبسه . وسمى من أصحاب أبيه عبد الرحمن بن أبي المولى وأبا جبير ، فضربها المنصور وحبسها . وقيل عبدالله حبس أولا وحده ، وطال حبسه . فأشار عليه أصحابه بحبس الباقيين فحبسهم

ثم حج المنصور سنة أربع وأربعين، فلما قدم مكة بعث اليهم وهم في السجن محمد بن عِمْرَان بن ابراهيم بن طلحة ومالك بن انس يسألهم ان يرفعوا اليه محمداً و ابراهيم ابني عبدالله، فطلب عبدالله الاذن في لقائه، فقال المنصور لا والله حتى يأتيني به وبأبيه، وكان محسناً مقبولاً لا يكلم احداً الا اجابه الى رأيه .

ثم ان المنصور قضى حجه وخرج الى الرَبَذَةِ، وجاء رباح ليودعه فأمر بأشخاص بني حسن ومن معهم الى العراق، فأخرجهم في القيود والاغلال، وأردفهم في محامل بغير وطء، وجعفر الصادق يعاينهم من وراء ستر ويكي . وجاء محمد و ابراهيم مع ابيهما عبدالله يسأرون مستترين بزي الاعراب ويستأذنه في الخروج فيقول : لا تعجلا حتى يمكنكما، وان منعنا ان تعيشا كريمين فلا تقمنا ان تموتا كريمين، وانتهوا الى الزيدية . واحضر الثماني الديقا عند المنصور فضربه مائة وخمسين سوطاً بعد ملاحاة جرت بينهما اغضبت المنصور. ويقال ان رباحاً أغرى المنصور به، وقال له ان اهل الشام شيعته ولا يخلف عنه منهم احد .

ثم كتب ابو عَوْن عامل خراسان الى المنصور، بأن اهل خراسان منتظرون أمر محمد بن عبدالله واحذر منهم . فأمر المنصور بقتل الثماني، وبعث برأسه الى خُراسان، وبعث من يخلف انه رأس محمد بن عبدالله، وان امه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قدم المنصور بهم الكوفة، وحبسهم بقصر ابن

هُبَيْرَة . يقال انه قتل محمد بن ابراهيم بن حسن منهم على اسطوانة وهو حي فات، ثم بعده عبدالله بن حسن ثم علي بن حسن، ويقال ان المنصور امر بهم فقتلوا، ولم ينج منهم الا سليمان وعبدالله ابنا داود، واسحاق واسماعيل ابنا ابراهيم بن حسن، وجعفر بن حسن والله اعلم .

ظهور محمد المهدي ومقتله

ولما سار المنصور الى العراق، وحمل معه بني حسن، رجع وراح الى المدينة والحّ في طلب محمد وهو مختف يتنقل في اختفائه من مكان الى مكان، وقد ارهقه الطلب حتى تدلى في بئر . فتدلى فقمس في مائها، وحتى سقط ابنه من جبل فتقطع، ودلّ عليه رباح بالمداد، فركب في طلبه فاخفى عنه ولم يره . ولما اشتد عليه الطلب، اجمع الخروج واغراه اصحابه بذلك . وجاء الخبر الى وراح بأنه الليلة خارج، فأحضر العباس بن عبدالله بن الحرث بن العباس، ومحمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد قاضي المدينة وغيرها وقال لهم : امير المؤمنين يطلب محمداً شرق الارض وغربها، وهو بين أظهركم . والله لئن خرج ليقْتَلَنَّكم اجمعين . وار القاضي باحضار عشيرة بني ذُهرَة فجاؤوا في جمع كثير، واجلسهم بالباب . ثم أحضر نفرأ من العلويين فيهم جَعْفَرُ بن محمد بن الحُسَيْن وحسين بن علي بن حسين بن علي، ورجال من قريش، فيهم اسماعيل ابن أيوب بن سَلَمَة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة، وابنه

خالد، وبينما هم عنده اذ سمعوا التكبير، وقيل قد خرج محمد فقال له ^(١) ابن مسلم ابن عقبة : أعطني اضرب أعناق هؤلاء قأبي، وأقبل من المداد في مائة وخمسين رجلاً، وقصد السجن، فأخرج محمد بن خالد بن عبدالله القسري، وابن أخيه النذير بن يزيد ومن كان معهم، وجعل على الرجال خوات بن جبير، وأتى دار الإمارة وهو ينادي بالكف عن القتل . فدخلوا من باب المقصورة وقبضوا على رباح وأخيه عباس وابن مسلم بن عقبة فحبسهم، ثم خرج الى المسجد وخطب الناس، وذكر المنصور بما نقمه عليه، ووعد الناس واستنصر بهم . واستعمل على المدينة عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله الخزومي، وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدار اوزدي، وعلى الشرط أبا القلمش عثمان بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعلى ديوان العطاء عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المنصور بن مخزومة .

وأرسل الى محمد بن عبد العزيز يلومه على القعود عنه، فوعده بالبصرة، وسار الى مكة، ولم يتخلف عن محمد من وجوه الناس الا نفر قليل : منهم الضحاك بن عثمان بن عبدالله بن خالد بن

(١) هنا بياض بالأصل ويستدل أن المؤلف أراد أن يذكر هنا اسم ابن مسلم بن عقبة ثم ترك مكانه بياضاً . ولدى مراجعة الطبري والكامل لابن الأثيريين أنها ذكرا هذا الرجل : «ابن مسلم بن عقبة» ولم يذكر اسمهم .

حرام، وعبدالله بن المنذر بن المغيرة بن عبدالله بن خالد، وأبو سلمة ابن عبيدالله بن عبدالله بن عمر، وحبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير . واستنقى أهل المدينة مالكا في الخروج مع محمد وقالوا : في أعناقنا بيعة المنصور . فقال : انما بايعتم مكرهين . فتشاور الناس الى محمد، ولزم مالك بيته، وارسل محمد الى اسماعيل بن عبدالله بن جعفر يدعوهُ الى بيعته، وكان شيخاً كبيراً فقال : أنت والله وابن أخي مقتول فكيف أبايك ؟ فرجع الناس عنه قليلاً، وأسرع بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر الى محمد، فجاءت جمادة أختهم الى عمها اسماعيل وقالت : يا عم ان مقاتك ثبطت الناس عن محمد واخوتي معه فأخشى أن يقتلوا فردّها . فيقال انها علّت عليه فقتلته، ثم حبس محمد بن خالد القسري بعد أن أطلقه واتهمه بالكتاب الى المنصور، فلم يزل في حبسه .

ولما استوى أمر محمد، ركب رجل من آل أؤيس بن أبي سرح اسمه الحسين بن صخر، وجاء الى المنصور في تسع فخبه الخبر، فقال أنت رأيته ؟ قال نعم ! وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم تابع الخبر، وأشفق المنصور من أمره، واستشار أهل بيته ودولته . وبعث الى عمه عبدالله وهو محبوس يستشيرهُ، فأشار عليه بأن يقصد الكوفة، فانهم شيعة لاهل البيت، فيملك عليهم أمرهم، ويخفها بالمسالح حتى يعرف الداخل والخارج، ويستدعي سالم ابن قتيبة من الري فيتحصّد معه كافة أهل الشام وبيعه،

وأن يبعث العطاء في الناس .

فخرج المنصور الى الكوفة ، ومعه عبدالله بن الربيع بن عبدالله بن عبد المدان . ولما قدم الكوفة أرسل الى يزيد بن يحيى ، وكان السّاق يشاوره ، فأشار عليه بأن يشعن الاهواز بالجنود ، وأشار عليه جعفر بن حنظلة الحرّاني بأن يبعث الجند الى البصرة . فلما ظهر ابراهيم بتلك الناحية تبين وجه اشارتهما . وقال المنصور لجعفر : كيف خفت البصرة ؟ قال : لان أهل المدينة ليسوا أهل حرب حبسهم أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء الطالبين ، ولم يبق الا البصرة .

ثم ان المنصور كتب الى محمد المهدي كتاب أمان ، فأجابه عنه بالردّ والتعريض بأمور في الانساب والاحوال ، فأجابه المنصور عن كتابه بمثل ذلك ، وانتصف كل واحد منهما لنفسه بما ينبغي الاعراض عنه ، مع أنها صحيحان مرويان نقلهما الطبري في كتاب الكامل ، فن اراد الوقوف فليتمسها في أماكنها . ثم ان محمد المهدي استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ، وعلى اليمن القاسم بن اسحاق ، وعلى الشام موسى بن عبدالله . فسار محمد بن الحسن الى مكة ، والقاسم معه ، ولقيهما السري بن عبدالله عامل مكة ببطن أذاخر ، فانهزم وملك محمد مكة ، حتى استنفره المهدي لقتال عيسى بن موسى ، فنفر هو والقاسم ابن عبدالله .

وبلغهما قتل محمد بنواحي قديد، فلحق محمد بإبراهيم، فكان معه بالبصرة . واختفى القاسم بالمدينة، حتى أخذت له الامان امرأة عيسى، وهي بنت عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر . وأما موسى بن عبدالله فسار الى الشام فلم يقبلوا منه، فرجع الى المدينة . ثم لحق بالبصرة مختفياً، وعثر عليه محمد بن سليمان بن علي، وعلى ابنه عبدالله، وبعث بهما الى المنصور، فضربهما وجسهما . ثم بعث المنصور عيسى بن موسى الى المدينة لقتال محمد فسار في الجنود ومعه محمد بن أبي العباس بن السفاح، وكثير بن حصين العبدي وحيد بن قحطبة وهوازمرّد وغيرهم، فقال له : ان ظفرت فأغمد سيفك وابذل الامان، وان تغيب فخذ أهل المدينة فانهم يعرفون مذاهبه، ومن لقيك من آل أبي طالب فرفني به، ومن لم يلقك فاقبض ماله .

وكان جعفر الصادق فيمن تغيب، فقبض ماله . ويقال انه طلبه من المنصور لما قدم بالمدينة بعد ذلك، فقال قبضه مهديكم . ولما وصل عيسى الى فته، كتب الى نفر من أهل المدينة يستدعيهم، منهم : عبد العزيز بن المطلب الخزومي، وعبيدالله بن محمد بن صفوان الجسحي، وعبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب . فخرج اليه عبدالله هو وأخوه عمر، وأبو عقيل محمد بن عبدالله ابن محمد بن عقيل، واستشار المهدي اصحابه في القيام بالمدينة ثم في الخندق عليها، فأمر بذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه

وسلم، وحفر الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم
 للاحزاب «ونزل عيسى الاعرض، وكان محمد قد منع الناس من الخروج
 فخيرهم، فخرج كثير منهم بأهلهم الى الجبال، وبقي في شردمة يسيرة
 ثم تدارك رأيه وأمر أبا الغلش بردّهم فأعجزوه، ونزل عيسى
 على أربعة أميال من المدينة، وبعث عسكراً الى طريق مكة
 يعتضون محمداً ان انهزم الى مكة، وأرسل الى المهدي بالامان
 والدعاء الى الكتاب والسنة، ويحذره عاقبة النبي . فقال : انما
 أنا رجل فررت من القتل . ثم نزل عيسى بالحرف لاثنتي عشرة
 من رمضان سنة خمس وأربعين فقام يومين، ثم وقف على مسلم
 ونادى بالامان لاهل المدينة، وأن يخلّوا بينه وبين صاحبه فشتموه،
 فانصرف وعاد من الغد، وقد فرّق القواد من سائر جهات المدينة
 وبرز محمد في أصحابه ورايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن
 الزبير وشعارهم أحد أحد .

وطلب أبو الغلش من أصحابه البراز فبرز اليه أخو أسد فقتله،
 ثم آخر فقتلوا، وقال أنا ابن الفاروق . وأبلى محمد المهدي يومئذ
 بلاء عظيمًا، وقتل بيده سبعين رجلاً . ثم أمر عيسى بن موسى
 حميد بن قحطبة فتقدّم في مائة من الرجال الى حائط دون الخندق
 فهدمه، وأجازوا الخندق وقاتلوا من وراءه، وصابروهم أصحاب
 محمد الى العصر . ثم أمر عيسى أصحابه فرموا الخندق بالحقائب،
 ونصبوا عليها الابواب، وجازت الخيل واقتتلوا، وانصرف محمد

فاغتسل وتحنَّط . ثم رجع فقال : اترك أهل المدينة والله لا أفعل
أو اقتل، وانت مني في سعة، فمشى قليلاً معه . ثم رجع وافترق
عنه جل اصحابه، وبقي في ثلثائة او نحوها . فقال له بعض اصحابه
نحن اليوم في عدة اهل بدر، وطفق عيسى بن حصين من اصحابه
يتأشده في اللحاق بالبصرة او غيرها، فيقول والله لا تبتلون بي
مرتين .

ثم جمع بين الظهر والعصر ، ومضى فاحرق الديوان الذي فيه
أسماء من بايعهم . وجاء الى السجن وقتل رياح بن عثمان وأخاه
عبَّاساً، وابن مسلم بن عقبة ، وتوثق محمد بن القسري بالأبواب
فلم يصلوا اليه . ورجع ابن حصين الى محمد فقاتل معه ، وتقدَّم
محمد الى بطن سَلَع، ومعه بنو سُجَاع من الحُس . فمروا دوابهم ،
وكسروا جفون سيوفهم ، واستماتوا وهزموا أصحاب عيسى مرتين
أو ثلاثة . وصعد نفر من أصحاب عيسى الجبل ، وانحدروا منه
الى المدينة . ورفع بعض نسوة الى العباس خماراً لها اسود على
منارة المسجد . فلما رآه أصحاب محمد وهم يقاتلون هربوا ، وفتح
بنو غَفَّار طريقاً لأصحاب عيسى ، فجاؤوا من وراء أصحاب محمد .
ونادى حميد بن قحطبة للبراز فأبى ، ونادى ابن حُصَيْن بالأمان
فلم يصغ اليه ، وكثرت فيه الجراح . ثم قتل وقتل محمد على
شلوه فهذه الناس عنه هداً حتى ضرب ، فسقط لركبته وطعنه ابن
قحطبة في صدره . ثم أخذ رأسه وأتى به عيسى فبعثه الى المنصور

مع محمد بن الكرام عبدالله بن علي بن عبدالله بن جعفر، وبالبشارة مع القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن، وأرسل معه رؤوس بني شجاع، وكان قتل محمد منتصف رمضان . وأرسل عيسى الألوية فنصبت بالمدينة للامان، وصلب محمد وأصحابه ما بين ثنية الوداع والمدينة، واستأذنت زينب أخته في دفنه بالبقيع، وقطع المنصور الميرة في البحر عن المدينة، حتى أذن فيها المهدي بعده، وكان مع المهدي سيف عليّ ذو الفقار، فأعطاه يومئذ رجلاً من التجار في حين كان له عليه .

فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة، أخذه منه وأعطاه من دينه . ثم أخذه منه المهدي، وكان الرشيد يتقلده وكان فيه ثمان عشرة فقرة، وكان معه من مشاهير بني هاشم أخو موسى وحمة بن عبدالله بن محمد بن عليّ بن الحسين، وحسين وعليّ ابنا زيد بن عليّ . وكان المنصور يقول عجباً خرجا عليّ ونحن أخذنا بشار أبيهما . وكان معه عليّ وزيد ابنا الحسن بن زيد بن الحسن، وأبوها الحسن مع المنصور والحسن وزيد وصالح بنو معاوية^(١) بن عبدالله ابن جعفر، والقاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر والمرجى عليّ ابن جعفر بن اسحاق بن عليّ بن عبدالله بن جعفر وأبوه عليّ مع المنصور، ومن غير بني هاشم محمد بن عبدالله بن عمر بن سعيد ابن العاص، ومحمد بن عجلان وعبدالله بن عمر بن حفص بن

(١) كذا . ولعلها: صالح بن .

عاصم، وأبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أبي سبرة، أخذ أسيراً
فضرب وحبس في سجن المدينة، فلم يزل محبوساً الى أن نازل
السودان بالمدينة على عبدالله بن الربيع الحارثي، وفر عنها الى
بطن نخل، وملكوا المدينة ونهبوا طعام المنصور.

فخرج ابن أبي سبرة مقيداً وأتى المسجد، وبعث الى محمد بن
عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما، وبعثوا الى السودان وردّوهم
عما كانوا فيه، فرجعوا ولم يصل الناس يومئذ جمعة. ووقف
الأصبغ بن أبي سفيان بن عاصم بن عبد العزيز لصلاة العشاء،
ونادى أصلي بالناس على طاعة أمير المؤمنين وصلي. ثم أصبح ابن
أبي سبرة وردّ من العبيد ما نهبوه، ورجع ابن الربيع من بطن
نخل، وقطع رؤسا. ^(١) العبيد.

وكان مع محمد ابن عبدالله أيضاً عبد الواحد بن أبي عون
مولى الازد، وعبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن
مخرمة، وعبد العزيز بن محمد الدراوذي، وعبد الحميد بن جعفر،
وعبدالله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع وبنوه تسعة،
وعيسى وعثمان ابنا خضير. وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير قتله
المنصور من بعد ذلك لما أخذ بالبصرة، وعبد العزيز بن ابراهيم
ابن عبدالله بن مطيع، وعلي بن المطلب بن عبدالله بن حنطب،

(١) يبااض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٤ : «ورجع ابن الربيع من بطن نخل،
فقطع يد وثيق ويعقل وغيرهما».

وابراهيم بن جعفر بن مُصَـبِّ بن الزُّبَيْر، وهشام بن عُـمَيْرَةَ بن الوليد بن ^(١) بن عبد الجبار وعبد الله بن يزيد بن هرمز وغيرهم .

شأن ابراهيم بن عبد الله وظهوره ومقتله

كان ابراهيم بن عبد الله أخو المهدي محمد قد اشتدَّ الطلب عليه وعلى أخيه منذ خمس سنين، وكان ابراهيم يتنقل في النواحي بفارس وبكرمان والجيل والحجاز واليمن والشام، وحضر مرة مائدة المنصور بالموصل، وجاء أخرى الى بغداد حين خطها المنصور مع النظار على قنطرة الفرات حين شدَّها، وطلبه ففاس في الناس فلم يوجد، ووضع عليه الرصد بكل مكان . ودخل بيت سُفْيَانَ بن حَيَّان العمى وكان معروفاً بصحبته، فتحيل علي خلاصه بأن أتى المنصور وقال : أنا آتيك بابراهيم، فاحملي وغلامي علي البريد، وابعث معي الجند ففعل . وجاء بالجند الى البيت، وأركب معه ابراهيم في زبي غلامه، وذهب بالجند الى البصرة، ولم يزل يفرقهم على البيوت ويدخلها موهماً أنه يفتشه، حتى بقي وحده فاخفى .

وطلبه أمير البصرة سفيان بن معاوية فأعجزه، وكان قدم قبل ذلك الاهواز، فطلبه محمد بن حُصَيْن، واخفى منه عند

(١) هنا أيضاً بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٥ ص ١٢ : « وهشام بن عبارة بن الوليد بن

عدي بن الحيار » .

الحسن بن حبيب، ولقي من ذلك غياً . ثم قدم ابراهيم البصرة سنة خمس وأربعين، بعد ظهور أخيه محمد بالمدينة يحمي بن زياد بن حَيَّان النَّبَطِي، وأزله بداره في بني ليث . فدعا الناس الى بيعة أخيه، وكان أول من بايعه ثُمَيْلَةُ بن رُرةَ النَّبَسِي، وعبدالله بن سفيان، وعبد الواحد بن زياد، وعمر بن سلمة المُجَنَّبِي، وعبدالله ابن حَيَّ بن حُصَيْن الرِّقَاشِي، وبشوا دعوته في الناس، واجتمع لهم كثير من الفقهاء وأهل العلم . وأحصى ديوانه أربعة آلاف، واشتهر أمره .

ثم حولوه الى وسط البصرة . وژل دار أبي مروان مولى بني سليم في مقبرة بني يشكر وليقرب من الناس، وولاه سفيان امير البصرة على أمره . وكتب اليه اخوه محمد يأمره بالظهور، وكان المنصور بظاهر، وارسل من القواد مدد السفيان على ابراهيم ان ظهر . ثم ان ابراهيم خرج أول رمضان من سنة خمس وأربعين، وصلى الصبح في الجامع، وجاء دار الامارة بابن سفيان وجبسه وجلس القواد معه، وجاء جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي في ستمائة رجل . وارسل ابراهيم اليها الممين بن القاسم الحنْدُورِي في خمسين رجلاً فهزمهما الى باب زينب بنت سليمان بن علي، واليها ينسب الزَيْتُونُ من بني العباس . فنادى بالامان واخذ من بيت المال ألفي ألف درهم، وفرض لكل رجل من اصحابه خمسين . ثم ارسل المغيرة على الأهواز في مائة رجل، فقلب عليها

محمد بن الحُصَيْن وهو في أربعة آلاف . وأرسل عمر بن شَدَاد الى فارس وبها اسماعيل وعبد الصمد ابنا علي ، فتحصنا في دار يُجْرَد ، وملك عُمرُ نواحيها ، فأرسل هارون بن شمس الجَلِّي في سبعة عشر ألفاً الى واسط ، فغلب عليها هارون بن حميد الأيادي وملكها . وأرسل المنصور لحربه عامر بن اسماعيل في خمسة آلاف ، وقيل في عشرين . فاقتتلوا أياماً ثم تهادنوا حتى يروا مآل الأمرين المنصور وإبراهيم . ثم جاء نعي محمد الى اخيه ابراهيم قبل الفطر ، فصلى يوم العيد وأخبرهم ، فازدادوا حنقاً على المنصور . ونفر في حره وعسكر من الفد ، واستخلف على البصرة غَيْلَة وابنه حسناً معه ، وأشار عليه أصحابه من اهل البصرة بالمقام ، وارسال الجُود وإمدادهم واحداً بعد واحد . وأشار اهل الكوفة بالالحوق اليها لأن الناس في انتظارك ، ولو رأوك ما توانوا عنك ، فسار .

وكتب المنصور الى عيسى بن موسى بأسراع القود وإلى مسلم بن قُتَيْبَة بالري ، وإلى سالم بقصد ابراهيم ، وضم اليه غيرها من القواد . وكتب الى المهدي بانفاذ خُزَيْمَة بن خازم الأهواز وفارس والمدائن وواسط والسواد ، وإلى جانبه اهل الكوفة في مائة ألف يتربصون به . ثم رمى كل ناحية بجرحاء ، وأقام خمسين يوماً على مصلاه ، ويجلس ولم يترع عنه جنته ولا قميصه وقد توسخا ، ويلبس السواد اذا ظهر للناس ، ويتزعه اذا دخل بيته . وأهديت له من المدينة امرأتان فاطمة بنت محمد بن عيسى بن

طلحة بن عبيد الله ، وأمة الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد فلم يحفل بها . وقال : ليست هذه أيام نساء حتى انظر رأس ابراهيم إليّ او رأسي له .

وقدم عليه عيسى بن موسى فبعثه لحرب ابراهيم في خمسة عشر ألفاً ، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة آلاف وسار ابراهيم من البصرة ومائة ألف حتى نزلوا بازاء عيسى بن موسى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة . وارسل اليه مُسلم بن قتيبة بأن يخذل على نفسه او يخالف عيسى الى المنصور فهو في حف من الجنون ، ويكون أسهل عليك . فمرض ذلك ابراهيم على اصحابه فقالوا : نحن هارون وابو جعفر في ايدينا فأسمع ذلك رسول سالم فرجع ، ثم تصافوا للقتال . وأشار عليه بعض اصحابه ان يجعلهم كراديس ، ليكون اثبت ، والصف اذا انهزم بعضه تداعى سائرهم ، فأبى ابراهيم الا الصف صف اهل الاسلام ، ووافقه بقية اصحابه .

ثم اقتتلوا وانهزم حميد بن قحطبة ، وانهزم معه الناس ، وعرض لهم عيسى يناشدهم الله والطاعة . فقال لهم حميد لا طاعة في الهزيمة . ولم يبق مع عيسى الا قل قليل ، فثبت واستمات . وبينما هو كذلك اذ قدم جعفر ومحمد بن سليمان بن عليّ ، وجاء من وراء ابراهيم واصحابه ، فانهطفوا لقتالهم واتبعهم اصحاب عيسى . ورجع المنهزمون من اصحابه باجمعهم ، اعترضهم امامهم فلا يطيقون

مخافة ولا وثوبة ، فلتهزم أصحاب ابراهيم وثبت هو في ستائة أو أربعمائة من أصحابه وحيد يقاتله . ثم أصابه سهم بنصره ، فأنزلوه واجتمعوا عليه . وقال حميد : شدوا على تلك الجماعة فأحسروهم عن ابراهيم ، وقطعوا رأسه وجاؤا به الى عيسى ، فسجد وبعثه الى المنصور ، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة الحرام سنة خمس وأربعين . ولما وضع رأسه بين يدي المنصور بكى وقال : والله اني كنت لهذا كارهاً ولكنني ابتليت بك وابتليت بي ، ثم جلس للعامة فأذن للناس فدخلوا ، ومنهم من يثلب ابراهيم مرضاة للمنصور ، حتى دخل جعفر بن خنظلة النهراي فسلم ثم قال : عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقك ، فتهلل وجه المنصور وأقبل عليه وكناه بابي خالد واستدناه .

بناء مدينة بغداد

وابتدا المنصور سنة ست وأربعين في بناء مدينة بغداد ، وسبب ذلك ثورة الراوندية عليه بالهاشمية ، ولانه كان يكره أهل الكوفة ، ولا يأمن على نفسه منهم . فتجافى عن جوارهم وسار الى مكان بغداد اليوم ، وجمع من كان هنالك من الطارقة ، فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحر والبرد والمطر والوحل والهوام ، واستشارهم فأشاروا عليه بمكانها . وقالوا تجيئك الميرة في السفن من الشام والرقية ومصر والمغرب الى المصرات . ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة ، ومن أرمينية

وما اتصل بها في ثامر حتى يتصل بالزاب . وأنت بين انهار كالحنادق لا تعبر الا على القناطر والجسور . واذا قطعتها لم يكن لعدوك مطمع ، وانت متوسط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل ، قريب من البر والبحر والجبل .

فشرع المنصور في عمارتها . وكتب الى الشام والجبل^(١) والكوفة وواسط والبصرة في الصُّنَاعِ والفَعْلَةِ، واختار من ذوي الفضل والعدالة واليَقَةِ والامانة والمعرفة بالهندسة، فأحضرهم لذلك . منهم الحاج بن أرطاة، وابو حنيفة الفقيه . وامر بنحطها بالرماد ، فشككت ابوابها وفضلانها وطاقتها ونواحيها، وجعل على الرماد حب القطن . فاضرم ناراً ثم نظر اليها وهي تشتعل ، فعرف رسمها وأمر ان تحفر الاسس على ذلك الرسم . ووكل بها اربعة من القواد يتولى كل واحد منهم ناحية . ووكل ابا حنيفة بعد الآجر واللين . وكان اراده على القضاء والمظالم فأبى . فحلف ان لا يقلع عنه حتى يعمل له عملاً ، فكان هذا . وامر المنصور ان يكون عرض اساس القصر من اسفله خمسين ذراعاً ومن اعلاه عشرين ، وجعل في البناء القصب والخشب ، ووضع بيده اول لبنة وقال : بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

(١) هي بلاد طبرستان فإنها تسمى بلاد الجبل وبلاد الديلم اهـ - من خط الشيخ العطار.

ثم قال ابنوا على بركة الله، فلما بلغ مقدار قامة جاء الخبر بظهور محمد المهدي، فقطع البناء وسار الى الكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه، ورجع من مدينة ابن هُبَيْرَة الى بغداد واستمر في بنائها، واستشار خالد بن برمك في نقض المدائن والايوان . فقال لا أرى ذلك لانه من آثار الاسلام^(١) وفتح العرب، وفيه مُصَلَّى علي بن أبي طالب، فاتمه بمحبة العجم، وأمر بنقض القصر الابيض، فاذا الذي ينفق في نقضه أكثر من ثمن الجديد فأقصر عنه . فقال خالد : لا أرى أقصارك عنه لثلا يقال عجزوا عن هدم ما بناء غيرهم ، فأعرض عنه ونقل الابواب الى بغداد من واسط ومن الشام ومن الكوفة، وجعل المدينة مدوّرة، وجعل قصره وسطها ليكون الناس منه على حدّ سواء . وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وعمل لها سورين، والداخل أعلى من الخارج . ووضع الحاجب بن أرطاة قبلة المسجد، وكان وزن اللبنة التي يبني بها مائة رطل وسبعة عشر رطلاً وطولها ذراع في ذراع، وكانت بيوت جماعة من الكتاب والقوادتشرع أبوابها الى رحبة الجامع، وكانت الاسواق داخل المدينة فأخرجهم الى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها، وجعل الطُّرُقَ أربعين ذراعاً، وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر

(١) قوله لأنه من آثار الإسلام الخ، هو في الحقيقة من بناء الأكاسرة وآثارهم بحسب الإنشاء، ومعنى كونه من آثار الإسلام أنه دل على أن الإسلام أباد هذه الدولة التي بنت هذا البناء وملكوا ملكهم وأذلّوهم اهـ - من خط الشيخ العطار.

والاسواق والفصلان والحنادق والابواب أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وثلاثة وثلاثين ألف درهم . وكان الاستاذ من البنائين يعمل يومه بغيراط، والروز كاري بجبتين، وحاسب القواد عند الفراغ منها فألزم كلاً بما بقي عنده، وأخذه حتى أخذ من خاله ابن الصلت منهم خمسة عشر درهماً بعد أن حبسه عليها .

العهد للمهدي وطع عيسى بن موسى

كان السقّاح قد عهد الى عيسى بن موسى بن علي وولاه علي الكوفة فلم يزل عليها، فلما كبر المهدي أراد المنصور أبوه أن يقدمه في العهد على عيسى، وكان يكرمه في جلوسه فيجلس عن يمينه والمهدي عن يساره، فكلّمه في التأخر عن المهدي في العهد فقال يا أمير المؤمنين كيف بالايان التي علي وعلى المسلمين وأبى من ذلك، فتغيّر له المنصور وباعده بعض الشيء . وصار يأذن للمهدي قبله ولعمه عيسى بن علي وعبد الصمد . ثم يدخل عيسى فيجلس تحت المهدي واستمر المنصور على التنكّر له وعزله عن الكوفة ثلاث عشرة سنة من ولايته، وولى مكانه محمد بن سليمان بن علي، ثم راجع عيسى نفسه فبايع المنصور للمهدي بالعهد، وجعل عيسى من بعده . ويقال انه أعطاه احد عشر ألف ألف درهم، ووضع الجند في الطرقات لاذاه واشهاد^(١) خالد بن برمك عليه جماعة من الشيعة بالخلع تركت جميعها لانها لا تليق بالمنصور وعدالته

(١) لعلها: وأشهد.

المقطوع بها فلا يصح من تلك الاخبار شي .

خروج استادسيس

كان رجل ادعى النبوة في جهات خراسان فاجتمع اليه نحو
ثلثمائة ألف مقاتل من أهل هراة وباذغيس وسجستان، وسار اليه
الأختم عامل مرو الروذ في العساكر، فقاتل الاختم وعامة أصحابه،
وتتابع القواد في لقائه فهزمهم . وبعث المنصور وهو بالبرذاق
خازم بن خزيمة الى المهدي في اثني عشر ألفاً، فولاه المهدي حربه
فزحف اليه في عشرين ألفاً . وجعل على ميمنته الهيثم بن شعبة
ابن ظهير، وعلى ميسرته نهار بن حصن السعدي، وفي مقدمته بكار
ابن مسلم العميلي، ودفع لواءه للزرقان . ثم راوهم في المزاخرة وجاء
الى موضع فخندق عليه وجعل له أربعة أبواب، وأتى أصحاب
أستاذسيس بالفؤس والمواعيل ليطموا الخندق، فبدؤا بالبواب الذي
يلي بكار بن مسلم، فقاتلهم بكار وأصحابه حتى ردوهم عن بابهم .
فأقبلوا على باب خازم وتقدم منهم الحريش من أهل سجستان،
فأمر خازم الهيثم بن شعبة أن يخرج من باب بكار ويأتي العدو
من خلفهم، وكانوا متوقعين قدوم أبي عون وعمر بن مسلم بن قتيبة
وخرج خازم على الحريش واشتد قتاله معهم . وبدأت أعلام الهيثم
من ورائهم، فكبر أهل العسكر وحملوا عليهم فكشفوهم، ولقيهم
أصحاب الهيثم فاستمر فيهم القتل، فقتل سبعون ألفاً وأسروا أربعة
عشر، وتحصن استادسيس على حكم أبي عون، فحكم بأن يوثق هو

وبنوه ويمتق الباقون، وكتب الى المهدي بذلك فكتب المهدي الى المنصور . ويقال ان استادسيس أبو رَاجِلَ أم المأمون وابنه غالب خال المأمون الذي قتل الفضل بن سهل .

والإمّة هشام بن عمر الثعلبي على السند

كان على السند أيام المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قَيْصَةَ ابن أبي صُفْرَةَ ويلقب هزار مرد - يعني ألف رجل - ولما كان من أمر المهدي ما قدمناه بعث ابنه عبدالله الاشرى الى البصرة ليدعو له، فسار من هنالك الى عمر بن حفص وكان يتشيع فأهدى له خيلاً ليتمكن بها من لقائه . ثم دعاه فأجاب وباع له وأثرله عنده مخفياً ودعا القواد وأهل البلد فأجابوا فمزق الاعلام، وهياً لبسة من البياض يخطب فيها، وهو في ذلك اذ فجأه الخبر بقتل المهدي، فدخل على ابنه أشرى وعزاه . فقال له الله في دمي فأشار عليه بالالحاق بملك من ملوك السند عظيم المملكة كان يعظم جهة النبي صلى الله عليه وسلم وكان معروفاً بالوفاء، فأرسل اليه بعد أن عاهده عليه، واستقر عند ذلك الملك .

وتسلل اليه جماعة من الزيدية نحواً من أربعمائة، وبلغ ذلك المنصور فحافظه وكتب الى عمر بن حفص بعزله وأقام يفكر فيمن يوليه السند وعرض له يوماً هشام بن عمر الثعلبي وهو راكب، ثم اتبعه الى بيته وعرض عليه أخته فقال للربيع : لو كانت لي حاجة في النكاح لقبلت فبجزاك الله خيراً، وقد وليتك السند فتعجز لها،

وأمره أن يجارب ملك السند ويسلم إليه الاشتهر قفل ، وأقام المنصور يستعته . ثم خرجت خازجة بالسند فبعث هشام أخاه سفيحاً لحسم الداء عنها فر بنواحي ذلك الملك ، فوجد الأشتهر يتزّه في شاطيء همدان في عشرة من الفرسان فجاء ليأخذه فقاتلهم حتى قُتل وقتل أصحابه جميعاً . وكتب هشام بذلك إلى المنصور فشكره وأمر بمحاربة ذلك الملك فظفر به وغلب على مملكته . وبعث بسراري عبدالله الأشتهر ومعه ولد منه اسمه عبدالله بعث بهم المنصور إلى المدينة وأسلمه إلى أهله . ولما ولى هشام بن عمر على السند وعزل عمر بن حفص عنها . ثم حدث فتق بأفريقية بعثه إلى سنده كما سيأتي في أخبارها .

بناء الرصافة للمهدي

ولما رجع المهدي من خراسان قدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة والبصرة فأجازهم وكساهم وجعلهم وكذلك المنصور . ثم شجب عليهم الجند فأشار عليهم قثم بن العباس ابن عبيدالله بن العباس بأن يفرق بينهم ويستكفيه في ذلك ، وأمر بعض غلمانه أن يمترضه بدار الخلافة ويسأله بحق الله ورسوله والعباس وأمير المؤمنين أبي الحسين من أشرف اليمن أم مضر ؟ فقال : مُضَرُّ كان منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها كتاب الله وعندها بيت الله ومنها خليفة الله ، فنضب اليمن إذ لم يذكر لها فضلاً ، ثم كبح بعضهم بغلة قثم فامتنعت مضر وقطعوا الذي كبها ،

فتشاجر الحَيَّان وتمصبت لليمن ربيعة والحراسانية للدولة وأصبحوا أربع فرق ، وقال قثم المنصور اضرب كل واحدة بالآخرى وسير لابنك المهدي قلل أثر له يحنده فيتناظرون في أهل مدينتك ، فقبل رأيه وأمر صالحاً صاحب المصلّى ببناء الرصافة للمهدي .

مقتل من بن زائدة

كان المنصور قد ولّى على سجستان معن بن زائدة الشيبانيّ وأرسل الى رتبيل في الضريبة التي عليه فبعث بها عروضاً زائدة الثمن ، فغضب معن وسار الى الرجح على مقدمته يزيد ابن أخيه يزيد ، ففتحها وسبى أهلها وقتلهم ، ومضى رتبيل الى عزمه ، وانصرف معن الى بَسْت فَشَتى بها . ونكر قوم من الخوارج سيرته فجمعوا عليه وفتكوا به في بيته . وقام يزيد بأمر سجستان وقتل قاتليه واشتدّت على أهل البلاد وطأته ، فتحيل بعضهم بأن كتب المنصور على لسانه كتاباً يتضجرُ من كتب المهدي اليه ويسأله أن يعفى من معاملته ، فأغضب ذلك المنصور وأقرأ المهديّ كتابه وعزله وجبسه ، ثم شفع فيه شخص الى مدينة السلام فلم يزل يَجْثُوا حتى بعث الى يوسف البرم بخراسان كما يذكر بعد .

العمال على الفلح ليلم السفاح والمنصور

كان السفاح قد ولّى عند بيعته على الكوفة عمه داود بن علي ، وجعل على حجابته عبد الله بن بَسَام وعلى شُرطته موسى بن كعب ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك ، وبعث عمه عبد الله

قتال مروان مع أبي عون بن يزيد بن قَحْطَبَة مقدمة . وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس الى المدائن ، وكان أحمد بن قَحْطَبَة مقدمة ، وبعث أبا اليقطان عثمان بن عُروَة بن عَمَّار بن ياسر الى الاهواز مدداً لبسّام بن ابراهيم . ودفع ولاية خراسان الى أبي مسلم ، فولى أبو مسلم عليها إيراداً وخالداً بن ابراهيم ، وبعث عمه عبدالله في مقدّمته لحرب مروان أخاه صالحاً ومعه أبو عون بن يزيد ، فلما ظفر وانصرف ترك أبا عون يزيد بمصر واستقل عبد الله بولاية الشام .

وولى السفاح أخاه أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ، فولى على ارمينية يزيد بن أسد وعلى أذربيجان محمد بن صَوَّل ونزل الجزيرة . وكان أبو مسلم ولى على فارس محمد بن الأشعث حين قتل أبا مَسْلَمَةَ الخَلَّال ، فبعث السفاح عليها عيسى فنهه محمد ابن الأشعث واستخلفه على الولاية ، فبعث عليها عمه اسماعيل . وولى على الكوفة ابن أخيه موسى ، وعلى البصرة سفيان بن معاوية المَهَلْبِيّ وعلى السند منصور بن نُجْمُور ونقل عمه داود الى ولاية الحجاز واليمن واليامة . ثم ولى على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان . وتوفي داود بن عليّ سنة ثلاث وثلاثين ، فولى مكانه على اليمن محمد بن يزيد بن عبدالله بن عبد المَدان ، وعلى مكة والمدينة والطائف واليامة خاله زياد بن عبدالله بن عبد المَدان الحارثي وهو عم محمد بن يزيد .

وفيهما بعث محمد بن الأشعث الى افريقية ففتحها . وفي سنة
أربع وثلاثين بعث صاحب الشرطة موسى بن كعب لقتال منصور
ابن جمهور، وولاه مكانه على السند، فاستخلف مكانه على الشرطة
المسيب بن زهير. وتوفي عامل اليمن محمد بن يزيد فولى مكانه علي
ابن الربيع بن عبيد الله الحارثي . ولما استخلف المنصور وانتقض
عبد الله بن علي وأبو مسلم ولي على خراسان أبا داود خالد بن
ابراهيم وعلى مصر صالح بن علي وعلى الشام عبد الله بن علي .
ثم هلك خالد بن ابراهيم سنة أربعين فولى مكانه عبد الجبار
ابن عبد الرحمن فانتقض لسنة من ولايته، فبعث المنصور ابنه
المهدي على خراسان وفي مقدمته خازم بن خزيمة فظفر بعبد الجبار.
وتوفي سليمان عامل البصرة سنة أربعين فولى مكانه سفيان بن
معاوية، ومات موسى بن كعب بالسند وولى مكانه ابنه عبيدة
فانتقض، فبعث المنصور مكانه عمر بن حفص بن أبي صفرة .
وولى على مصر في هذه السنة حميد بن قحطبة، وولى على الجزيرة
والشفور والعواصم أخاه العباس بن محمد وكان بها يزيد بن أسيد،
وعزل عمه اسماعيل عن الموصل وولى مكانه مالك بن الهيثم الخزاعي.
وفي سنة ست وأربعين عزل الهيثم بن معاوية وولى على مكة
والطائف مكانه السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس نقله اليها
من اليمامة، وولى مكانه من اليمن قثم بن العباس بن عبد الله بن
العباس، وعزل حميد بن قحطبة عن مصر وولى مكانه نوفل بن

الفرات . ثم عزل وولى مكانه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب
ابن أبي صفرة . وولى على المدينة محمد بن خالد بن عبدالله القسري ،
ثم اتهمه في أمر ابن أبي الحسن فعزله وولى مكانه رباح بن عثمان
الزني . ولما قتل أصحاب محمد المهدي ولى مكانه عبدالله بن
الربيع الحارثي .

ولما قتل إبراهيم أخو المهدي سنة خمس وأربعين ولى المنصور
على البصرة سالم بن قتيبة الباهلي ، وولى على الموصل ابنه جعفر
مكان مالك بن المهيم ، وبعث معه حرب بن عبدالله من أكابر
قواده ، ثم عزل سالم بن قتيبة عن البصرة سنة ست وأربعين وولى
مكانه محمد بن سليمان ، وعزل عبدالله بن الربيع عن المدينة وولى
مكانه جعفر بن سليمان ، وعزل السري بن عبدالله عن مكة وولى
مكانه عمه عبد الصمد بن علي ، وولى سنة سبع وأربعين على الكوفة
محمد بن سليمان مكان عيسى بن موسى لما سخطه بسبب العهد ، وولى
مكان محمد بن سليمان على البصرة محمد بن السفاح ، فاستغفاه ورجع
الى بغداد فمات واستخلف بها عقبة بن سالم فاقره ، وولى على المدينة
جعفر بن سليمان ، وولى سنة ثمان وأربعين على الموصل خالد بن برمك
لإفساد الأكراد في نواحيها ، وعزل سنة تسع وأربعين عمه عبد
الصمد عن مكة وولى مكانه محمد بن إبراهيم .

وفي سنة خمسين عزل جعفر بن سليمان عن المدينة وولى مكانه
الحسن بن زيد بن الحسن . وفي سنة إحدى وخمسين عزل عمر بن

حفص عن السند وولى مكانه هشام بن عمرو الشلبي، وولى عمر بن حفص على افريقية . ثم بعث يزيد بن حاتم من مصر مدداً له، وولى مكانه بمصر محمد بن سعيد . وفي هذه السنة قتل معن بن زائدة بسجستان كما تقدم فقام بأمره يزيد ابن أخيه يزيد، فأقره المنصور ثم عزله . وفي هذه السنة سار عُقْبَةُ بن سالم من البصرة واستخلف نافع بن عقبة، فزأ البحرين وقتل ابن حكيم المدوي واستقصره المنصور باطلاق اسراهم، فعزله وولى جابر بن مومة الكلبي، ثم عزله وولى مكانه عبد الملك بن طيبان النهري، ثم عزله وولى الهيثم ابن معاوية العكي .

وفيهما ولى على مكة والطائف محمد بن ابراهيم الامام، ثم عزله وولى مكانه ابراهيم ابن اخيه يحيى بن محمد، وولى على الموصل اسماعيل بن خالد بن عبدالله القسري . ومات أسيد بن عبدالله أمير خراسان فولى مكانه حميد بن قحطبة . وفي سنة ثلاث وخمسين توفي عبيدالله ابن بنت أبي ليلى قاضي الكوفة، فاستقضى شريك بن عبدالله النخعي، وكان على اليمن يزيد بن منصور . وفي سنة خمس وأربعين بل أربع وخمسين عزل عن الجزيرة أخاه العباس وأغرمه مائلاً، وولى مكانه موسى بن كعب الحنفي، وكان سبب عزله شكاية يزيد بن أسيد منه، ولم يزل ساخطاً على العباس حتى غضب على عمه اسماعيل، فشفع فيه اخوته عمومة المنصور . فقال عيسى بن موسى : يا أمير المؤمنين شفموا في أخيه

وأنت ساخط على أخيك العباس منذ كذا، ولم يكلمك فيه أحد منهم فرضي عنه .

وفي سنة خمس وخمسين عزل محمد بن سليمان عن الكوفة وولى مكانه عمر بن زهير الضبي أخا المسيب صاحب الشرطة، وكان من أسباب عزله أنه حبس عبد الكريم بن أبي العوجاء خال معن ابن زائدة على الزندقة، وكتب اليه ان يتبين أمره، فقتله قبل وصول الكتاب . فغضب عليه المنصور وقال : لقد هممت أن أقيده به، وعزل عنه عيسى في أمره لانه الذي كان أشار بولايته . وفيها عزل الحسن بن زيد عن المدينة وولى مكانه عمه عبد الصمد بن علي، وكان على الأهواز وفارس عمارة بن حمزة .

وفي سنة سبع وخمسين ولى على البحرين سعيد بن دعلج صاحب الشرطة بالبصرة فأنفذ اليها ابنه تيمماً، ومات يسوار بن عبدالله قاضي البصرة قولى مكانه عبيدالله بن الحسن بن الحسين النيري . وعزل محمد بن الكاتب عن مصر وولى مكانه مولاها مطراً، وعزل هشام بن عمر عن السند وولى مكانه معبد بن الخليل . وفي سنة ثمان وخمسين عزل موسى بن كعب عن الموصل لشيء بلغه عنه فأمر ابنه المهدي أن يسير الى الرقة مورياً بزيارة القدس ويكفل طريقه على الموصل فقبض عليه، وكان المنصور قد ألزم خالد بن برمك ثلاثة آلاف ألف درهم وأجله في احضارها ثلاثاً والا قتله، فبعث ابنه يحيى الى عمارة بن حمزة ومبارك التركي،

وصالح صاحب المصلى وغيرهم من القواد ليستقرض منهم قال يحيى :
فكلهم بعث إلا أن منهم من منعي الدخول ومنهم من يجيبني
بالرد الا عمارة بن حمزة فانه أذن لي ووجهه الى الحائط ولم يُقبل
عليّ وسلت فردّ خفيفاً وسأل كيف خالد فرّفته واستقرضته فقال :
ان أمكنني شيء يأتيك فأنصرف عنه .

ثم أنفذ المال فجمعناه في يومين وتعذرت ثلثمائة ألف . وورد
على المنصور انتقاض الموصل والجزيرة وانتشار الاكراد بها، وسخط
موسى بن كعب، فأشار عليه المسيّب بن زهير بخالد بن برمك
فقال : كيف يصلح بعدما فعلنا ؟ فقال أنا ضامنه فصنع له عما بقي
عليه وعقد له على الموصل، ولأبنة يحيى على أذربيجان . وسارا
مع المهدي فعزل موسى بن كعب وولاهما .

قال يحيى : حربني خالد الى عمارة بقرضه وكان مائة ألف
فقال لي أكنت لابيک صديقاً قم عني لاقت، ولم يزل خالد على
الموصل الى وفاة المنصور . وفي هذه السنة عزل المنصور المسيب
ابن زهير عن شرطته وجبسه مقيداً لانه ضرب أبان بن بشير الكاتب
بالسياط حتى قتله، وكان مع أخيه عمر بن زهير بالكوفة . وولى
المنصور على فارس نصر بن حرب بن عبدالله . ثم على الشرطة
ببغداد عمر بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار، وعلى قضائها عبدالله
ابن محمد بن صفوان . ثم شفع المهدي في المسيب وأعادته الى
شرطته .

الصَّوَائِفُ

كان أمر الصوائف قد انقطع منذ سنة ثلاثين بما وقع من الفتن، فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين أقبل قُسْطَنْطِينُ ملك الروم الى مَلَطِيَّةَ ونواحيها فنازل حصن بلخ، واستنجدوا أهل مَلَطِيَّةَ فأمدوهم بثمانئة مقاتل، فهزمهم الروم وحاصروا ملطية والجزيرة مفتوحة، وعاملها موسى بن كعب بخراسان، فسلموا البلد على الأمان قُسْطَنْطِينُ. ودخلوا الى الجزيرة وخرَّب الروم ملطية ثم ساروا الى قاليقلا ففتحوها. وفي هذه السنة سار أبو داود وخالد ابن ابراهيم الى الجتن^(١) فدخلها فلم تمتنع عليه، وتحصن منه السبيل^(٢) ملكهم وحاصره مدة، ثم فرض الحصن ولحق بفرغانة. ثم دخلوا بلاد الترك وانتهوا الى بلد الصين، وفيها بعث صالح ابن علي بن فلسطين سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب. وفي سنة خمس وثلاثين غزا عبد الرحمن بن حبيب عامل افريقية جزيرة صِقْلِيَّةَ فغنم وسبى وظفر بما لم يظفر به أحد قبله، ثم سفل^(٣)

(١ و ٢) كذا في الأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٤٢: «وفيها توجه أبو داود خالد بن إبراهيم إلى الختل فدخلها ولم يمتنع عليه جيش بن السبل ملكها بل تحصن منه هو وأناس من الدهاقين».

وفي الطبري ج ٩ ص ١٤٨: «وفيها توجه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوحش إلى الختل فدخلها ولم يمتنع عليه حنش بن السبل ملكها وأتاه أناس من دهاقين الختل فتحصنوا معه».

(٣) كذا بالأصل ومقتضى السياق: شغل.

ولاية افريقية بفتن البربر، فأمن أهل صقلية وعمر الحصون والمعاقل، وجعلوا الاساطيل تطوف بصقلية للحراسة، وربما صادفوا تجار المسلمين في البحر فأخذوهم. وفي سنة ثمان وثلاثين خرج قسطنطين ملك الروم فأخذ مَلَطِيَّةَ عَنوةً وهدم سورها وعفا عن أهلها. فغزا العباس بن محمد الصائفة ومعه عماء صالح وعيسى، وبني ما خربته الروم من سور ملطية اثنا ثورة الروم، ورد إليها أهلها وأثزل بها الجند، ودخل دار الحرب من درب الحرث وتوغل في أرضهم، ودخل جعفر بن حنظلة البهراي من درب ملطية.

وفي سنة تسع وثلاثين كان الفداء بين المسلمين والروم في اسرى قاليقلا وغيرهم. ثم غزا بالصائفة سنة أربعين عبد الوهاب ابن ابراهيم الامام ومعه الحسن بن قَظْبَةَ، وسار اليهم قُسْطَنْطِينُ مَلِكُ الروم في مائة ألف، فبلغ جيعان، وسمع كثرة المسلمين فأحجم عنهم ورجع، ولم تكن بعدها صائفة الى سنة ست وأربعين، لاشتغال المنصور بفتنة بني حسن. وفي سنة ست وأربعين، خرج الترك والحدرد من باب الابواب وانتهوا الى ارمينية وقتلوا من أهلها جماعة ورجعوا.

وفي سنة سبع وأربعين أغار أَسْتَرْخَانُ الْخَوَارِزْمِيَّ في جمع من الترك على أرمينية فنتم وسبى، ودخل تفليس، فعاث فيها. وكان حرب بن عبدالله مقيماً بالموصل في الفين من الجند لمكان الخوارزمي بالجزيرة، فأمره المنصور بالمسير لحرب الترك مع جبريل بن يحيى،

فانهزموا وقتل حرب في كثير من المسلمين . وفيها غزا بالصائفة مالك بن عبد الله الحثمي من أهل فلسطين ويقال له ملك الصوائف فغنم غنائم كثيرة وقسمها بدرب الحرث^(١) . وفي سنة تسع وأربعين غزا بالصائفة العباس بن محمد ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد بن الأشعث فدخلوا أرض الروم وعاثوا ورجعوا . ومات محمد بن الأشعث في طريقه في سنة إحدى وخمسين وقتل أخوه محمد ولم يدر .

ثم غزا بالصائفة سنة أربع وخمسين زُفر بن عاصم الهلالي . وفي سنة خمس بعدها طلب ملك الروم الصلح على أن يؤدي الجزية، وغزا بالصائفة يزيد بن أسيد السلمي وغزا بها سنة ست وخمسين وغزا بالصائفة ميسوب بن يحيى من درب الحرثي ولقي العدو فاقتلوا ثم تحاجزوا .

وفاة المنصور وبيعة المهدي

وفي سنة ثمان وخمسين توفي المنصور منصرفاً من الحج ببئر ميمون لست خلت من ذي الحجة، وكان قد أوصى المهدي عند وداعه فقال : لم أدع شيئاً الا تقدمت اليك فيه، وسأوصيك بمحصال وما أظنك تفعل واحدة منها، وله سقط فيه دفاتر علمه

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٢ : وفيها غزا مالك بن عبد الله الحثمي الذي يقال له مالك - الصوائف (وهو من أهل فلسطين) بلاد الروم، فغنم غنائم كثيرة ثم قفل فلما كان من درب الحرث على خمسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرهوة نزل بها ثلاثاً وباع الغنائم.

وعليه قفل لا يفتحه غيره . فقال للمهدي : انظر الى هذا السَّقَطِ
فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى يوم
القيامة، فان أحزنك أمر فانظر في الدفتر الكبير، فان أصبت فيه
ما تريد والا ففي الثاني والثالث حتى تبلغ سبعة . فان ثقل عليك
فالكُرْأسة الصغيرة فانك واجد ما تريد فيها وما أظنك تفعل .

فانظر هذه المدينة وإياك أن تستبدل بها غيرها، وقد جمعت
فيها من الاموال ما أنكر عليك الخراج عشر سنين كفاك لارزاق
الجند والنفقات والذرية ومصلحة البيوت . فاحتفظ بها فانك لا
ترال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً وما أظنك تفعل . واوصيك
بأهل بيتك وان تُظهِرَ كرامتهم وتحسن اليهم وتقدمهم وتوطئهم .
الناس أعقابهم وتوليهم المناير فان عزك عزهم وذكركم لك وما
أظنك تفعل . واوصيك بأهل خراسان خيراً فانهم انصارك وشيعتك
الذين بذلوا أموالهم ودماءهم في دولتك، وأن لا تخرج محبتك
من قلوبهم، وان تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئتهم وتكافئهم عما
كان منهم، وتخلف من مات منهم في أهله وولديه وما أظنك تفعل .
وإياك ان تبني مدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها وأظنك ستفعل .
وإياك ان تستعين برجل من بني سُليمان وأظنك ستفعل . وإياك
أن تدخل النساء في أمرك وأظنك ستفعل .

وقيل قال له اني ولدت في ذي الحجة ووليت في ذي الحجة
وقد يحس في نفسي أن أموت في ذي الحجة في هذه السنة وانما

حدثني الحلي على ذلك . فأتق الله فيما أعهد اليك من أمور المسلمين بعدي يجعل لك فيما كربك وحزنك فرجاً ومخرجاً ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث لا تحسب . يا بني احفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته يحفظك الله ويحفظ عليك أمورك، وإياك والدم الحرام فإنه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم مقيم، والزم الحدود فإن فيها صلاحك في الآجل وصلاحك في العاجل ولا تعتمد فيها فخبوراً فإن الله تعالى لو علم أن شيئاً أصلح منها لدينه وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه .

واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضييف العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فساداً مع ما أدخر له من العذاب الأليم فقال : إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ وَيَسْتَوْن فِي الْأَرْضِ فَساداً الْآيَة . فالسلطان يا بني حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه المقيم فاحفظه وحصنه وذبح عنه ، وأوقع بالمليدين واقمع المارقين منه ، وقابل الخارجين عنه بالعقاب ، ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن . واحكم بالعدل ولا تشطط فإن ذلك أقطع للشعب وأحسم للعدو وأنجح في الدواء ، واعف عن الفبي . فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك . وافتتح بصلة الرحم وير القرابة وإياك والآثرة والتبديد لأموال الرعية ، واشعن الثغور واضبط الاطراف وأمن السبل وسكن العامة ، وأدخل المرافق عليهم وارفع المكروه عنهم وأعد الاموال واخزنها ، وإياك والتبديد

فان النوائب غير مأمونة وهي من شيم الزمان . وأعدّ الاكراع والرجال والجند ما استطعت .

واياك وتأخير عمل اليوم لقد فتتداول الامور وتضيع، وخذ في احكام الامور النازلات في أوقاتها أولاً، أولاً، واجتهد وشمّر فيها وأعدّ رجالاً بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل . وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل، واستعمل حسن الظن وأسى الظن بعملك وكتابك، وخذ نفسك بالتيقّظ وتفقّد من يبيت على بابك وسهل اذنك للناس وانظر في أمر النزاع اليك وكلّ بهم عيناً غير فائئة ونفساً غير ساهية . ولا تم فان أباك لم ينم منذ وليّ الخلافة ولا دخل عينيه الغمض إلاّ وقلبه مُستيقظ . هذه وصيتي اليك، والله خليفتي عليك .

ثم ودّعه وسار الى الكوفة فأحرم منها قارئاً، وساق الهدّي وأشعره وقلده لايام خلت من ذي القعدة . ولما سار منازل عرض له وجهه الذي مات به . ثم اشتدّ فجعل يقول للربيع - وكان عديله - بادر بي الى حرم ربيّ هارباً من ذنوبي ، فلما وصل بئر ميمون مات سحر السادس من ذي الحجة لم يحضر إلاّ خدمه والربيع مولاه . فكتبوا الأمر ثم غدا أهل بيته على عادتهم ، فدعا عيسى بن عليّ العم ثم عيسى بن موسى بن محمد ولي العهد ثم الاكابر وذوي الأنساب ثم عامتهم . فبايعهم الربيع للهدّي ، ثم بايع القوّاد وعامة الناس . وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان

الى مكة فبايعا الناس للمهدي بين الرُّكن والمقام وجَـزَّوه الى قبره ،
وصلى عليه عيسى بن موسى ، وقيل ابراهيم بن يحيى . ودفن
في مقبرة العجلة وذلك لاثنتين وعشرين سنة من خلافته .
وذكر علي بن محمد النَوْفَلِي عن أبيه ، وهو من أهل البصرة
وكان يختلف الى المنصور تلك الايام قال : جئت من مكة صبيحة
موته الى العسكر فاذا موسى بن المهدي عند عمود السُّرادق ،
والقاسم بن المنصور في ناحية فعلت انه قد مات .
ثم أقبل الحسن بن زيد العلوي والناس حتى ملؤا السرادق
وسمناهم بالبكاء . ثم خرج أبو العنبر الخادم مشقوق الأُقيَّةِ
وعلى رأسه التراب وهو يستغيث ، وقام القاسم فشق ثيابه ، ثم
خرج الربيع وفي يده قرطاس فقرأ على الناس وفيه :
بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبدالله المنصور أمير المؤمنين ، الى من خلف من بني
هاشم وشيعة من أهل خراسان وعامة المسلمين ، ثم بكى وبكى
الناس ثم قال : البكاء امامكم فانصتوا وحكم الله اثم قرأ : أما بعد
فاني كتبت كتابي هذا وأنا حي في آخر يوم من أيام الدنيا اقرأ
عليكم السلام ، وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي ولا يُلبِسَكُمْ شَيْعاً
ولا يُذَيِّقَ بعضكم بأس بعض .

ثم أخذ في وصيتهم للمهدي وحثهم على الوفاء بعده . ثم تناول
الحسن بن زيد وقال : قم فبايع : فبايع موسى بن المهدي لآبيه ،

ثم بايع الناس الاول فالاول . ثم دخل بنو هاشم وهو في أكفانه مكشوف الرأس لمكان الاحرام ، فحملوه على ثلاثة أميال من مكة فدفنوه . وكان عيسى بن موسى لما بايع الناس أبي من الشيعة ، فقال له علي بن عيسى بن ماهان : والله لتبايعن وإلا ضربنا عنقك . ثم بعث موسى بن المهدي والربيع بالخبر والبردة والقضيب وخاتم الخلافة الى المهدي وخرجوا من مكة .

ولما وصل الخبر الى المهديّ منتصف ذي الحجة اجتمع اليه أهل بغداد وبايعوه ، وكان أول ما فعله المهديّ حين بويع أنه أطلق من كان في حبس المنصور إلا من كان في دم أو مال أو بمن يسمى بالفساد ، وكان فيمن أطلق يعقوب بن داود وكان محبوساً مع الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن .

فلما أطلق ساء ظن ابراهيم وبعث الى من يشق به بحفر سرب يفضي الى محبسه ، وبلغ ذلك يعقوب بن داود فجاء الى ابن علاثة القاضي وأوصله الى أبي عبيد الله الوزير ليوصله الى المهديّ فأوصله واستخلاه فلم يحدّثه حتى قام الوزير والقاضي وأخبره بتحقيق الحال ، فأمره بتحويل الحسن ، ثم هرب بعد ذلك ولم يظفر به . وشاور يعقوب بن داود في أمره فقال أعطه الامان وأنا أحضره وأحضره . ثم طلب من المهديّ أن يجعل له السبيل في رفع أمور الناس وراءه بابه اليه فأذن له وكان يدخل كلما أراد ، ويرفع اليه النصائح في أمر الثغور وبناء الحصون وتقوية الغزاة وترويح العذاب وفكك

الاسرى والمحبوسين ، والقضاء عن الفارمين والصدقة على المتعفين ،
فحطى بذلك وتقدمت منزلته وسقطت منزلة أبي عبدالله ، ووصله
المهدي بمائة ألف وكتب له التوقيع بالاخاء في الله .

ظهور المقتنع ومهلكه

كان هذا المقتنع من أهل مرو ويسمى حكيماً وهاشمياً ، وكان
يقول بالتناسخ وأن الله خلق آدم فتحوّل في صورته ثم في صورة
نوح ، ثم الى أبي مسلم ثم الى هاشم وهو المقتنع . فظهر بخراسان
وادعى الإلهية واتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه فسبى المقتنع ،
وأنكر قتل يحيى بن زيد وزعم أنه يأخذ بثارته ، وتبعه خلق عظيم
من الناس وكانوا يسجدون له . وتحصن بقلعة بسام من رساتيق
كشّ وكان قد ظهر بخارى والصغد جماعة من البيضة فاجتمعوا
معه على الخلاف ، وأعانهم كفار الأتراك وأغاروا على المسلمين من
ناحيتهم ، وجار بهم أبو النعمان والجند وثبّ بن نصر بن سيار ،
فقتلوا أخاه محمد بن نصر وحسان ابن أخيه تميم .

وأنفذ المهدي اليهم جبريل بن يحيى وأخاه يزيد لقتال البيضة ،
فقاتلهم أربعة أشهر في بعض حصون بخارى وملكوه عنوة فقتل
منهم سبعمائة ، ولحق فلهم بالمقتنع وجبريل في اتباعهم . ثم بعث
المهدي أبا عون لمحاربة المقتنع فلم يبالغ في قتاله ، فبعث معاذ بن
مسلم في جماعة القواد والمساكر ، وعلى مقدمته سعيد الحريشي ،
وأنه عتبة بن مسلم من ذم فاجتمعوا بالطواويس وأوقعوا بأصحاب

المقنع فهزموهم، ولحق قُلُهم بالمقنع في بَسَام فتحصنوا بها . وجاء معاذ فتنازلهم وفسد ما بينه وبين الحُرَيْثِيّ، فكتب الحريشي الى المهديّ بالسعاية في معاذ، ويضمن الكفاية ان أفرد بالحرب، فأجابه المهديّ الى ذلك وانفرد بحرب المقنع وأمدّه معاذ بابنه وجاءوا بآلات الحرب حتى طلب أصحاب المقنع الامان سرّاً فأمنهم وخرج اليه ثلاثون ألفاً وبقي معه زهاء ألفين، وضايقوه بالحصار فأيقن بالهلاك وجمع نساءه واهله . فيقال سقاهاهم السُمّ، ويقال بل احرقهم واحرق نفسه بالنار، ودخلوا القلعة وبعث الحريشي برأس المقنع الى المهدي فوصل اليه بحلب سنة ثلاث وتسعين .

الولاية أيام المهدي

وعزل المهديّ سنة تسع وخمسين عمه اسماعيل عن الكوفة وولى عليها اسحق بن الصفّاح الكِنْدِيّ ثم الاشعي، وقتل عيسى بن لقمان بن محمد بن صاحب الجمحيّ وعزل سعيد بن دعلج عن احداث البصرة، وعُيِّدَ اللهُ بن الحسن عن الصلاة وولى مكانها عبد الملك بن أيوب بن طيبان القُهَيْرِيّ . ثم جعل الاحداث الى عمارة بن حمزة فولاهما للسَّوْدِ بن عبد الله البَاهِلِيّ . وعزل قثم بن العباس عن اليمامة وولى مكانه الفضل بن صالح، وعزل مطراً مولى المنصور عن مصر وولى مكانه أبا ضَمْرَةَ محمد بن سليمان . وعزل عبد الصمد ابن عليّ عن المدينة وولى مكانه محمد بن عبد الله الكَثِيرِيّ ثم عزله وولى عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان، ثم عزله

وولي مكانه زُفَر بن عاصم الجهلي .

وتوفي معبد بن الحليل عامل السند فولى مكانه رَوْح بن حاتم
بإشارة وزيره أبي عبدالله، وتوفي حميد بن قحطبة بخراسان فولى
عليها مكانه ابا عون عبد الملك بن يزيد ثم سَخَطَه سنة ستين
فمزله، وولى معاذ بن مسلم . وولى على سجستان حمزة بن يحيى،
وعلى سَمَرْقَنْدَ جبريل بن يحيى فبنى سورها وحصنها . وكان على
اليمن رجاء بن روح، وولى على قضاء الكوفة شريك ^(١) .
وولى على فارس والاهواز ودجلة قاضي البصرة عبيدالله بن الحسن،
ثم عزله وولى مكانه محمد بن سليمان . وولى على السند بسطام
ابن عمر، وولى على اليمامة بشر بن المنذر .

وفي سنة احدى وتسعين ولى على السند محمد بن الاشعث،
واستقضى عافية القاضي مع ابن علاثة بالرصافة، وعزل الفضل بن
صالح عن الجزيرة وولى مكانه عبد الصمد بن علي، وولى عيسى بن
لقمان على مصر ويزيد بن منصور على سواد الكوفة وحماد السروري
على الموصل وبسطام بن عمر الثعلبي على أذربيجان وعزله عن السند.
وتوفي نصر بن مالك بن صالح صاحب الشرطة، فولى مكانه
حمزة بن مالك وكان الابان بن صدقة كاتباً للرشيد فصرفه وجعله
مع الهادي وجعل هو مع هارون يحيى بن خالد، وعزل محمد بن

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٥٤ : وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح
الكندي، وعلى خراجها ثابت بن موسى، وعلى قضائها شريك.

سليمان أبا ضمرة عن مصر وولى مكانه سليمان بن رجاء . وكان على سواد الكوفة يزيد بن منصور وعلى أحداثها اسحاق بن منصور. وفي سنة ست وستين عزل علي بن سليمان عن اليمن وولى مكانه عبدالله بن سليمان، وعزل مسعدة بن رجاء عن مصر وولى مكانه عيسى بن لقمان، ثم عزله لاشهر وولى مكانه مولاة واضعاً، ثم عزله وولى مكانه يحيى الحريشي وكان على طبرستان عمر بن العلا، وسعيد بن دعلج، وعلى جرجان مهليل بن صفوان، ووضع ديوان الارمة وولى عليها عمر بن بزيع مولاة .

العهد الهادي وظل عيسى

كان جماعة من بني هاشم وشيعة المهدي خاضوا في خلع عيسى ابن موسى من ولاية العهد والبيعة لموسى الهادي بن المهدي، وفي ذلك الى المهدي فسرّ به واستقدم عيسى بن موسى من منزله بالرجة من أعمال الكوفة فامتنع من القدوم . فاستعمل المهدي على الكوفة روح بن حاتم وأوصاه بالاضرار فلم يجد سبيلاً الى ذلك . وكان عيسى لا يدخل الكوفة الا يوم جمعة أو عيد . وبعث اليه المهدي يتهدده فلم يجب، ثم بعث عمه العباس يستقدمه فلم يحضر . فبعث قائدين من الشيعة فاستحضراه اليه، وقدم على عسكر المهدي وأقام أياماً يختلف اليه ولا يكلم بشيء . حضر الدار يوماً وقد اجتمع رؤساء الشيعة لخلعه، فثاروا به وأغلق الباب الذي كان خلفه فكسروه، وأظهر المهدي النكير عليهم فلم يرجعوا

الا ان كاشفه أكابر أهل بيته وأشدّهم محمد بن سليمان، واعتذر بالايان التي عليه . فأحضر المهديّ القضاة والفقهاء وفيهم محمد بن علاثة ومُسلم بن خالد الزنجي فافتوه بمخارج الأيَّان، وخلع نفسه وأعطاه المهدي عشرة آلاف درهم وضياعاً بالزاب وكسكر، وبايع لابنه موسى الهادي بالمهد . ثم جلس المهديّ من الغد وأحضر أهل بيته وأخذ بيعتهم وخرج الى الجامع وعيسى معه، فخطب وأعلم الناس ببيعة الهادي ودعاهم اليها فبادروا وأشهد عيسى بالخلع .

فتح بابرد من السند

وبعث المهدي سنة تسع وخمسين عبد الملك بن شهاب المسمي في جمع كثير من الجند والمقطوعة الى بلاد الهند، فركبوا البحر من فارس ونزلوا بأرض الهند، وفتحوا باربد فافتتحوها عنوةً ولجأ أهلها الى البدّ فأحرقوه عليهم فاحترق بعض وقتل الباقون، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون وأقاموا بعض أيام الى أن يطيب الريح، فوقع فيهم موتان فهلك ألف فيهم ابراهيم بن صبيح . ثم ركبوا البحر الى فارس، فلما انتهوا الى ساحل حران عصفت بهم الريح فانكسرت عامة مراكبهم وغرق الكثير منهم .

حج المهدي

وفي سنة ستين حجّ المهديّ واستخلف على بغداد ابنه الهادي وخاله يزيد بن منصور، واستصحب ابنه هارون وجماعة من أهل بيته، وكان معه الوزير يعقوب بن داود، فجاء في مكة بالحسن

ابن ابراهيم الذي ضمنه على الامان فوصله المهدي وأقطعه . ولما وصل الى مكة اهتم بكسوة الكعبة فكساها بأفخر الكسوة بعد أن ثرع ما كان عليها . وكانت فيها كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين، وقسم مالا عظيماً هنالك في مصارف الخير فكان منه مما جاء به من العراق ثلاثون ألف درهم . ووصل اليه من مصر ثلثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائة ألف دينار، ففرق ذلك كله . وفرق مائة ألف ثوب وخمسين ألف ثوب ووسّع المسجد، ونقل خمسمائة من الانصار الى العراق جعلهم في حرسه وأقطع لهم وأجرى الارزاق . ولما رجع أمر ببناء القصور بطريق مكة أوسع من قصور المنصور، من القادسيّة الى زُبالة . وأمر بالتخاذ المصانع في كل منها منهل، وبتحديد الاميال وحفر الآبار، ووُلّي على ذلك بقطير بن موسى . وأمر بالزيادة في مسجد البصرة وتصغير المنابر الى مقدار منبر النبي صلى الله عليه وسلم . وأمر في سنة سبع وستين بالزيادة في الحرمين على يد بقطير، فدخلت فيه دول كثيرة، ولم يزل البناء فيهما الى وفاة المهدي .

نكبة الوزير أبي عبد الله

كان أبو عبد الله الأشعري قد اتصل بالمهدي أيام أبيه المنصور، فلطفت عنده منزلته واستوزره وسار معه الى خراسان وعظمت به بطانة المهدي فأكثرُوا فيه السعاية وكان الربيع يدرأ عنه ويعرض كتبه على المنصور ويحسن القول فيه . فكتب المنصور

الى المهديّ بالوصاية به وأن لا يقبل فيه السعاية . ولما مات المنصور وقام الربيع بيعة المهديّ وقدموا الى بغداد جاء الربيع الى باب أبي عبد الله قبل المهدي وقبل أهله، فعذله ابنه الفضل على ذلك فقال هو صاحب الرجل وينبغي أن نعامله بغير ما كنا نعامله، وإياك ان تذكر ما كنا نصنع في حقه او تمنن بذلك في نفسك . فلما وقف ببابه أمهله طويلاً من المغرب الى العشاء . ثم أذن له فدخل عليه وهو متكئ . فلم يجلس ولا اقبل عليه .

وشرع الربيع يذكر امر البيعة فكفّه وقال : قد بلغنا أمركم : فلما خرج استطال عليه ابنه الفضل بالعدل فيما فعل بأن لم يكن الصواب . فقال له : ليس الصواب الا ما عملته، ولكن والله لانفقن مالي وجاهي في مكروهه، وجدّ في السعاية فيه فلم يجد طريقاً اليها لاحتياطه في امر دينه وأعماله . فأثابه من قبل ابنه محمد، ودسّ الى المهدي بمرضه لحرمه وانه زنديق، حتى اذا استحكمت التهمة فيه أحضره المهدي في غيبة من أبيه ثم قال له : اقرأ ! فلم يحسن فقال لابيه : ألم تقل ان ابنك يقرأ القرآن ؟ فقال فارقني منذ سنين وقد نسي، فأمر به المهدي فقتل . واستوحش من أبي عبد الله وساءت منزلته الى ان كان من امره ما نذكره، وعزله عن ديوان الرسائل وردّه الى الربيع، وارتفعت منزلة يعقوب بن داود عند المهديّ وعظم شأنه وأنفذ عهده الى جميع الآفاق بوضع الامناء ليحقوق، وكان لا ينفذ كتاب المهدي حتى يكتب

يعقوب الى يمينه بانفاذ ذلك .

ظهور دعوة العباسية بالانحطاط وانقطاعها

وفي سنة احدى وستين اجاز عبد الرحمن بن حبيب الفهري من افريقية الى الاندلس داعيةً لبني العباس ونزل بساحل مرسية، وكاتب سليمان بن يقطين عامل سرقسطة في طاعة المهدي فلم يجبه. وقصد بلاده فيمن معه من البربر فهزمه سليمان وعاد الى تدير . وسار اليه عبد الرحمن صاحب الاندلس وأحرق السفن في البحر تضيقاً علي ابن حبيب في النجاة، فاعتصم بجبل منيع بنواحي بَلْسِيَّةَ فبذل عبد الرحمن فيه المال فاغتاله بعض البربر وحمل رأسه اليه، فأعطاه الف دينار وذلك سنة اثنتين وستين . وهم عبد الرحمن صاحب الاندلس أمر ذلك لغزو الشام من الاندلس على المدونة الشمالية لأخذ ثاره، فعصى عليه سليمان بن يقطين والحسين ابن يحيى بن سعيد بن سعد بن عثمان الانصاري في سرقسطة فشغلوه عما اعترم عليه من ذلك .

غزو المهدي

تجهز المهدي سنة ثلاث وستين لغزو الروم، وجمع الاجناد من خراسان ومن الآفاق، وتوفي عمه عيسى بن علي آخر جمادى الاخرة بعسكره، وسار من القد واستخلف علي بغداد ابنه موسى الهادي واستصحب هارون ومر في طريقه بالجزيرة والموصل، فعزل عبد الصمد بن علي وجبسه ثم أطلقه سنة ست وستين . ولما جاز ببني

مَسْلَمَةَ بن عبد الملك ذكره عمه العباس بما فعله مسلمة مع جدّهم محمد بن عليّ، وكان أعطاه مِرَّة في اجتيازِهِ عليه ألف دينار، فأحضر المهدي وُلَدَ مسلمة ومواليه وأعطاهم عشرين ألف دينار وأجرى عليهم الارزاق، وعبر الفرات الى حلب، فأقام بها وبعث ابنه هارون للغزو وأجاز معه الدروب الى جيجان مشيماً، وبعث معه عيسى بن موسى وعبد الملك بن صالح والحسن بن قحطبة والربيع بن يونس ويحيى بن خالد بن برمك، وكان اليه أمر العسكر والنفقات وحاصروا حصن سمالو أربعين يوماً ثم فتحوه بالأمان، وفتحوا بعده فتوحات كثيرة، وعادوا الى المهدي وقد أثخن في الزنادقة وقتل من كان في تلك الناحية منهم. ثم قفل الى بغداد ومرتبة بيت المقدس وضلى في مسجده ورجع الى بغداد.

الصدقات

وفي سنة ست وستين أخذ المهدي البيعة لابنه هارون بعد أخيه الهادي ولقبه الرشيد.

نكبة الوزير يعقوب بن داود

كان أبو داود بن طهمان كاتباً لنصر بن سيار هو واخوته، وكان شيعياً وعلى رأي الزيدية. ولما خرج يحيى بن زيد بخراسان كان يكتبه بأخبار نصر فأقصاه نصر، فلما طلب أبو مسلم بدم يحيى جاءه داود فأمنه في نفسه وأخذ ما اكتسبه من المال أيام نصر، وأقام بعد ذلك عاطلاً. ونشأ له ولد أهل أدب وعلم،

وصحبوا اولاد الحسن . وكان داود يصحب ابراهيم بن عبد الله فورثوا ذلك عنه، ولما قتل ابراهيم طلبهم المنصور وحبس يعقوب وعلياً مع الحسن بن ابراهيم حتى توفي ، وأطلقهما المهدي بعده مع من أطلق . ودخله المهدي في أسر الحسن لما فر من الحبس فكان ذلك سبباً لوصلته^(١) بالمهدي حتى استوزره، فجمع الزيدية وولاهم شرقاً وغرباً، وكثرت السعاية فيه من البطانة بذلك وبغيره وكان المهدي يقبل سعائيتهم حتى يروا أنها قد تمكنت ، فاذا غدا عليه تبسم وسأله .

وكان المهدي مشتهراً بالنساء فيخوض معه في ذلك وفيما يناسبه ويتغلب برضاه ، وسار به في بعض الليالي وجاء ليركب دابته وقد نام الغلام، فلما ركب نفرت الدابة من قعقة ردائه فسقط ورتحت فأنكسر ، فانقطع عن المهدي وتمكن أعداؤه من السعاية حتى سخطه وأمر به فحبس وحبس عماله وأصحابه . ويقال بل دفع اليه علوياً ليقتله فأطلقه ، ونمي ذلك الى المهدي فأرسل من أحضره ، وقال ليعقوب ابن العلوي ؟ فقال قتله ، فأخرجه اليه حتى رآه . ثم حبس في المطبق ودلي في بئر فيه . وبقي أيام المهدي والهادي ثم أخرج وقد عمي وسأل من الرشيد المقام بمكة فأذن له . وقيل في سبب تغيره انه كان ينهى المهدي عن شرب اصحابه النبيذ عنده ، ويكثر عليه في ذلك ويقول : أبعد الصلوات الخمس في

(١) بمعنى الاتصال .

المسجد الجامع يُشْرَبُ عندك النبذ الا والله لا على هذا استوزرتني
ولا عليه صَحْبَتُكَ .

سير المهدي الى جرجان

وفي سنة سبع وستين عصى وتداهر من وشروبن ملكا
طبرستان^(١) من الديلم، فبعث المهدي ولي عهده موسى الهادي،
وجعل على جنده محمد بن حميد، وعلى حجابته نفيماً مولى المنصور،
وعلى حرسه عيسى بن ماهان، وعلى رسائله أبان بن صدقة. وتوفي
أبان بن صدقة فبعث المهدي مكانه أبا خالد الأجرد فصار المهدي
وبعث الجنود في مقدمته وأمر عليهم يزيد، فحاصرها حتى استقاما.
وعزل المهدي يحيى الحريشي عن طبرستان وما كان اليه، وولى
مكانه عمر بن العلاء، وولى على جرجان فراشة مولاه. ثم بعث
سنة ثمان وستين يحيى الحريشي في أربعين ألفاً الى طبرستان.

العمال بالقولص

وفي سنة ثلاث وستين ولى المهدي ابنه هارون على المغرب
كله وأذربيجان وأرمينية، وجعل كاتبه على الحراج ثابت بن موسى،
وعلى الرسائل يحيى بن خالد بن برمك. وعزل زُفَر بن عاصم عن
الجزيرة وولى مكانه عبدالله بن صالح، وعزل معاذ بن مسلم عن
خراسان وولى مكانه المُسَيَّب بن زُهَيْر الضَّبِّي، وعزل يحيى الحريشي

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٦٩: في هذه السنة سار موسى الهادي إلى جرجان
في جمع كثيف وجهاز لم يتجهز أحد بمثله لمحاربة ونداد هرمز وشروبن صاحبي طبرستان.

عن أصبهان وولى مكانه الحَكَم بن سعيد، وعزل سعيد بن دعلج عن طبرستان وولى مكانه عمر بن العلا، ومُهَلَّل بن صفوان عن جرجان وولاها هشام بن سعيد . وكان على الحجاز واليامة جعفر ابن سليمان، وعلى الكوفة اسحاق بن العباس، وعلى البحرين والبصرة وفارس والاهواز محمد بن سليمان، فعزله سنة أربع وستين وولى مكانه صالح بن داود .

وكان على السند محمد بن الأشعث . وفي سنة خمس وستين عزل خلف بن عبدالله عن الري وولاها عيسى مولى جعفر، وولى على البصرة رَوْح بن حاتم، وعلى البحرين وعُمان والاهواز وفارس وكرمان النعمان مولى المهدي . وعزل محمد بن الفضل عن الموصل وولى مكانه أحمد بن اسماعيل . وفي سنة ست وستين عزل عبيدالله ابن حسن العنبري عن قضاء البصرة واستقضى مكانه خالد بن طليق بن عِمْرَان بن حُصَيْن فاستغنى أهل البصرة منه . وولى المهدي على قضائه أبا يوسف حين سار الى جرجان . واضطربت في هذه السنة خراسان على المسيب بن زُهَيْر فولاهَا أبا العباس الفضل ابن سليمان الطوسي وأضاف اليه سجستان، فولى هو على سجستان سعيد بن دعلج . وولى على المدينة ابراهيم ابن عمه، وعزل منصور ابن يزيد عن اليمن وولى مكانه عبدالله بن سليمان الرِّبَعي .

وكان على مصر ابراهيم بن صالح، وتوفي في هذه السنة عيسى ابن موسى بالكوفة وهي سنة سبع وستين . وعزل المهدي يحيى

الحريشي عن طبرستان والرويان وما كان اليه، وولاه عمر بن
العلاء، وولي علي جرجان فراشة مولاه . وَحَجَّ بالناس ابراهيم ابن
عمه يحيى وهو على المدينة ومات بعد قضاء الحج، فولّى مكانه
اسحاق بن موسى بن علي وعلى اليمن سليمان بن يزيد الحارثي
وعلى اليمامة عبدالله بن مُصَنَّب الزُّيَرِيّ وعلى البصرة محمد بن
سليمان، وعلى قضائها عمر بن عثمان التميمي وعلى الموصل أحمد
ابن اسماعيل الهاشمي . وقتل موسى بن كعب ووقع الفساد في
بادية البصرة من الأعراب بين اليمامة والبحرين وقطعوا الطرق
وانتهكوا المحارم وتركوا الصلاة .

الصوائف

وفي سنة تسع وخمسين أغزى المهدي عمه العباس بالصائفة وعلى
مقدمته الحسن الوصيف، فبلغوا أهرة وفتحوا مدينة أوهرة ورجعوا
سالمين ولم يصب من المسلمين أحد . وفي سنة احدى وستين غزا
بالصائفة يمامة بن الوليد فقتل دايق وجاشت الروم مع ميخائيل
في ثمانين ألفاً، ونزل عمق مرعش فقتل وسبي وغنم، وحاصر مرعش
وقتل من المسلمين عدداً وانصرف الى جيجان، فكان عيسى بن
علي مابطاً بحصن مرعش، فعظم ذلك على المهدي وتجهّز لغزو الروم .
وخرجت الروم سنة اثنتين وستين الى الحرث فهدموا أسوارها .
وغزا بالصائفة الحسن بن قنطبة في ثمانين ألفاً من المرتقة فبلغ
جهة أذرذ كبة، وأكثر التحريق والتخريق ولم يفتح حصناً ولا لقي

جماً ورجع بالناس سالماً .

وغزا يزيد بن أسيد السلمي من ناحية قالقيلا فغنم وسبى وفتح ثلاثة حصون . ثم غزا المهدي بنفسه سنة ثلاث وستين كما مر . ثم غزا سنة أربع وستين عبد الكبير بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب من درب الحرث فخرج اليه ميخايل وطارد الارمني البطريقان في تسمين الفأ فغام عن لقائهم، ورجع بالناس ففضب عليه المهدي وهم بقتله فشفع فيه وجسه . وفي سنة خمس وستين بعث المهدي ابنه هارون بالصائفة وبعث معه الربيع، فتوغل في بلاد الروم ولقيه عسكر نقيطا من القواميس، فبارزه يزيد بن يزيد فهزمهم وغلب على عسكرهم ولحقوا بالدمشق^(١) صاحب المسالح، فحمل لهم مائتي ألف دينار واثنين وعشرين ألف درهم، وسار الرشيد بعساكره وكانت نحواً من مائة ألف، فبلغ خليج قُسْطَنْطِينِيَّة وعلى الروم يومئذ غُصَّةُ امرأة إيلوك كافلة لابنها منه صغيراً، فجرى الصلح على الفدية وأن تُقيم له الأديلة والاسواق في الطريق لان مدخله كان ضيقاً مخوفاً فأجابت لذلك . وكان مقدار الفدية سبعين ألف دينار كل سنة، ومدة الصلح ثلاث سنين . وكان ما سباه المسلمون قبل الصلح خمسة آلاف رأس وستائة رأس، وقتل من الروم في وقائع هذه الغزوات أربعة وخمسون الفاً ومن الاسرى الفان . ثم نقض الروم هذا الصلح سنة ثمان

(١) كذا بالأصل وهو الديمستق كما في كتب التاريخ .

وستين ولم يستكملوا مدته، بقي منها أربعة أشهر . وكان علي الجزيرة وقُسرَّين علي بن سليمان فبعث يزيد بن البدر بن البَطَّال في عسكر فغنموا وسبوا وظفروا ورجعوا .

وفاة المهدي وبيعة الهادي

وفي سنة تسع وستين اعتزم المهدي على خلع ابنه موسى الهادي من العهد، والبيعة للرَّشيد به، وتقديمه على الهادي، وكان يجرَّجان فبعث اليه بذلك فاستقدمه، فضرب الرسول وامتنع . فسار اليه المهدي، فلما بلغ ماسبَدان توفي هنالك . يقال مسموماً من بعض جواريه، ويقال سمَّت احداهما الاخرى في كثري، فغلط وأكلها، ويقال حاز صيداً فدخل وراءه الى خربة فدق الباب ظهره . وكان موته في المحرم، وصلى عليه ابنه الرشيد، وبويع ابنه موسى الهادي لما بلغه موت أبيه وهو مقيم يجرَّجان يحارب أهل طَبْرَسْتان .

وكان الرشيد لما توفي المهدي والعسكر بماسبَدان نادى في الناس بالعطاء تسكيناً، وقسم فيهم مائتين مائتين، فلما استوفوها تنادوا بالرجوع الى بغداد وتشايَعوا اليها واستيقنوا موت المهدي، فأَتوا باب الربيع وأحرقوه، وطالبوا بالارزاق ونقبوا السجون . وقدم الرشيد بغداد في اَثرهم، فبعثت الخيزران الى الربيع، فامتنع يحيى خوفاً من غيرة الهادي، وأمرت الربيع بتسكين الجند فسكنوا، وكتب الهادي الى الربيع يتهدده، فاستشار يحيى

في أمره وكان يثق بوجهه، فأشار عليه بأن يبعث ابنه الفضل يعتذر عنه وتصحبه الهدايا والتحف ففعل، ورضي الهادي عنه، وأخذت البيعة ببغداد للهادي .

وكتب الرشيد بذلك الى الآفاق، وبعث نصيراً الوصيف الى الهادي بمرجان، فركب البريد الى بغداد فقدمها في عشرين يوماً . فاستوزر الربيع، وهلك لمدة قليلة من وزارته . واشتد الهادي في طلب الزنادقة وقتلهم، وكان منهم علي بن يقطين ويعقوب بن الفضل من ولد ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، كان قد أقر بالزندقة عند المهدي الا أنه كان مُسِيماً أن لا يقتل هاشمياً فحبسه وأوصى الهادي بقتله وبقتل ولد عمهم داود بن علي فقتلها .

وأما عماله فكان على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعلى مكة والطائف عبد الله بن قثم، وعلى اليمن ابراهيم بن مسلم بن قتيبة، وعلى اليمامة والبحرين سُؤيد القائد الخراساني، وعلى عُمان الحسن بن سليم الحواري، وعلى الكوفة موسى بن عيسى بن موسى، وعلى البصرة ابن سليمان، وعلى جرجان الحجاج مولى الهادي، وعلى قومس زياد بن حسان، وعلى طبرستان والرويان صالح بن عميرة مولى (١) وعلى

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٣٢: صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي وعلى أصبهان طينفور مولى الهادي .

الموصل هاشم بن سعيد بن خالد، وعزله الهادي لسوء سيرته وولى مكانه عبد الملك وصالح بن علي .

وأما الصائفة ففزا بها في هذه السنة وهي سنة تسع وستين معيوب^(١) بن يحيى، وقد كان الروم خرجوا مع بطريق لهم الى الحرث فهرب الوالي ودخلها الروم وعاثوا فيها، فدخل معيوب وراهم من دزب الراهب، وبلغ مدينة استة وغنم وسبى وعاد.

ظهور الحسين المقتول بفتح^(٢)

وهو الحسين بن علي بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط، كان الهادي قد استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز كما مر فأخذ يوماً، الحسن بن المهدي بن محمد بن عبدالله بن الحسين الملقب أبا الزفت ومسلم بن جندب الهذلي الشاعر وعمر بن سلام مولى العمرين على شراب لهم، فضربهم وطيف بهم بالمدينة بالحبال في أعناقهم، وجاء الحسين اليه فشفع فيهم وقال: ليس عليهم حدّ فان أهل العراق لا يرون به بأساً وليس من الحد أن نطيفهم فحبسهم. ثم جاء ثانية ومعه من عمومته يحيى بن عبدالله بن الحسن صاحب الديلم بعد ذلك فكفلاه وأطلقه من الحبس .

وما زال آل أبي طالب يكفل بعضهم بعضاً ويعرضون، فغاب

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٦: معيوف بن يحيى، وكذا في الطبري ج ١٠ ص ٣٢.

(٢) كذا في الأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٤: المقتول بفتح، وفي الكامل ج ٥ ص ٧٤: وهو المقتول بفتح عند مكة.

الحسن عن العرض يومين ، فطلب به الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله كافليه وأغلظ لهما ، فحلف يحيى انه يأتي به من ليلته أو يدق عليه الباب يؤذنه به . وكان بين الطالبين ميعاد للخروج في الموسم فأعجلهم ذلك عنه وخرجوا من ليلتهم ، وضرب يحيى على العمري في باب داره بالسيف ، واقتحموا المسجد فصلوا الصبح ، وبابع الناس الحسين المرتضى من آل محمد على كتاب الله وسنة رسوله . وجاء خالد الزيدي في مائتين من الجند والعمري وابن اسحاق الأزرق ومحمد بن واقد في ناس كثيرين فقاتلوهم وهزموهم من المسجد ، واجتمع يحيى وادريس بن عبدالله بن حسن فقتلاه وانهزم الباقون واقترب الناس .

وأغلق أهل المدينة أبوابهم وانتهب القوم من بيت المال بضعة عشر ألف دينار وقيل سبعين ألفاً ، واجتمعت شيعة بني العباس من الغد وقاتلوهم الى الظهر وفشت الجراحات واقتربوا . ثم قدم مبارك التركي من الغد حاجاً فقاتل مع العباسية الى منتصف النهار واقتربوا ، وواعدهم مبارك الرواح الى القتال ، واستغفلهم وركب راحله راجعاً واقتتل الناس المغرب ثم اقتربوا . ويقال إن مباركاً دس الى الحسين بذلك تجافياً عن أذية أهل البيت وطلب أن يأخذ له عذراً في ذلك بالبيات ، فبيته الحسين واستطرد له راجعاً . وأقام الحسين وأصحابه بالمدينة واحداً وعشرين يوماً آخر ذي القعدة ، ولما بلغها نأدى في الناس بعثت من أتى اليه من العبيد

فاجتمع اليه جماعة .

وكان قد حج تلك السنة رجال من بني العباس منهم سليمان ابن المنصور ومحمد بن سليمان بن علي والعباس بن محمد بن علي وموسى واسماعيل أبناء عيسى بن موسى ، ولما بلغ خبر الحسين الى الهادي كتب الى محمد بن سليمان وولاه على حربه وكان معه رجال وسلاح وقد أغذ بهم عن البصرة خوف الطريق ، فاجتمعوا بذى طوى وقدموا مكة فحلوا من العمرة التي كانوا أحرموا بها ، وانضم اليهم من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم ، واقتتلوا يوم التروية فانهزم الحسين وأصحابه وقتل كثير منهم ، وانصرف محمد بن سليمان وأصحابه الى مكة ولحقهم بذى طوى رجل من خراسان برأس الحسين ينادي من خلفهم بالبشارة ، حتى ألقى الرأس بين أيديهم مضروباً على قفاه وجبهته ، وجمعت رؤس القتلى فكانت مائة ونيفاً وفيها رأس سليمان أخي المهدي بن عبدالله ، واختلط المنهزمون بالحاج .

وجاء الحسن بن المهدي أبو الزفت فوقف خاف محمد بن سليمان والعباس بن محمد ، فأخذه موسى بن عيسى وقتله ، وغضب محمد بن سليمان من ذلك وغضب الهادي لغضبه وقبض أمواله . وغضب على مبارك التركي وجعله سائس الدواب ، فبقي كذلك حتى مات الهادي ، وأقلت من المنهزمين ادريس بن عبدالله أخو

المهدي فأتى مصر وعلي يريدّها، وأصبح مولى صالح بن المنصور^(١) وكان يتشيع لآل عليّ فحمله على البريد الى المغرب، ووقع بمدينة وَلَيْلَة من أعمال طَنْجَة، واجتمع البريد على دعوته، وقتل الهادي وأصحابه بذلك وصلبه^(٢) وكان لادريس وابته ادريس وأعقابهم حروب نذكرها بعده .

حديث الهادي في خلق الرشيد

كان الهادي يبغي الرشيد بما كان المهدي أبوها يؤثره، وكان رأى في منامه انه دفع اليها قضيين فأورق قضيب الهادي من أعلاه وأورق قضيب الرشيد كله، وتأول ذلك بقصر مدة الهادي وطول مدة الرشيد وحسنها . فلما ولي الهادي أجمع خلق الرشيد والبيعة لابنه جعفر مكانه، وفاوض في ذلك قواده، فأجابه يزيد ابن مَزِيد وعلي بن عيسى وعبد الله بن مالك، وحرّضوا الشيعة على الرشيد لينقصوه ويقولوا لا ترضى به، ونهى الهادي أن يشاور بين يديه بالحرب فاجتنبه الناس، وكان يحيى بن خالد يتولى أموره فاتهمه الهادي بمداخلته، وبعث اليه وتهده فحضر عنده مستميتاً وقال : يا أمير المؤمنين أنت أمرتني بخدمته من بعد المهدي افسكن غضبه وقال له في أمر الخلع، فقال يا أمير المؤمنين أنت ان حملت الناس على نكث الايمان فيه هانت عليهم فيمن توليه، وان بايعت

(١) وكذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٧٦: فأتى مصر وعلي يريدّها واضح مولى صالح بن المنصور وكان شيعياً لعلي، فحمله على البريد إلى أرض المغرب فوقع بأرض طنجة بمدينة وليلة فاستجاب له من بها من البربر، فغضب الهادي عنق واضح وصلبه.

بعده كان ذلك أوثق للبيعة ، فصَدَّقَه وسكت عنه .
وعاد أولئك الذين جفلوه ^(١) من القواد والشيعَة فأغروه بيحيى ،
وانه الذي منع الرشيد من خلع نفسه ، فعجسه الهادي فطلب
الحضور للنصيحة ، وقال له : يا أمير المؤمنين ! أتعنّ الناس يسلمون
الحلافة لجعفر وهو صبي ويرضون به لصلاتهم وحجّهم وغزوهم وتأمين
ان يسماوا اليها عند ذلك أكابر أهل بيتك فتخرج من ولد أبيك ،
والله لو لم يعتقد الهادي لكان ينبغي أن تعتقه أنت له حذراً من
ذلك ، واني أرى أن تعتقه لأخيك ، فإذا بلغ ابنك أيتك بأخيك
فخلع نفسه وبائع له ، فقبل الهادي قوله وأطلقه . ولم يقنع القواد
ذلك لانهم كانوا حذرين من الرشيد في ذلك ، وضيق عليه واستأذنه
في الصيد فمضى الى قصر مقاتل ، ونكره الهادي وأظهر خفاءه ^(٢)
وبسط الموالي والقواد فيه ألسنتهم .

وفاة العاصم وبيعة الرشيد

ثم خرج الهادي الى حديقة الموصل فرض واشتد مرضه هنالك ،
واستقدم العنّال شرقاً وغرباً . ولما ثقل تأثر القواد الذين بايعوا
جعفرأ في قتل يحيى بن خالد ، ثم أمسكوا خوفاً من الهادي . ثم
توفي الهادي في شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائة ، وقيل توفي
بعد أن عاد من حديقة الموصل . ويقال : إن أمّه الحيزران وصّت

(١) من بعض معاني جفل : نفر . ولعل هذا المعنى هو المقصود هنا .

(٢) كذا . ولعلها جفاءه .

بعض الجواري عليه فقتلته لأنها كانت أوّل خلافته تستبدّ عليه بالأمور فعكف الناس واختلفت المواقب ، ووجدَ الهادي لذلك فكلّمه يوماً في حاجة فلم يجيبها فقالت : قد ضمنّتها لعبد الله بن مالك . فنضب الهادي وشمته وحلف لاقضيّتها فقامت مغضبة ، فقال : مكانك وإلا انتفيت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم . لئن بلغني أنّ أحداً من قوايدي وخاصّتي وقف ببابك لأضربن عنقه ولأقبضن ماله ، ما للمواكب تغدو وتروح عليك ! أمالك ممزّل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك ؟ إياك : إياك ! لا تفتحي بابك لمسلم ولا ذمي ، فأنصرفت وهي لا تعقل . ثم قال لأصحابه : أيكم يحبّ أن يتحدث الرجال بخبر أمه ، ويقال فعلت أمّ فلان وصنعت ؟ فقالوا لا نحبّ ذلك . قال فإياكم تأتون أمي فتتحدثون معها ؟ فيقال إنه لما جدّ في خلع الرشيد خافت عليه منه ، فلما ثقل مرضه وصّت بعض الجواري فجلست على وجهه فات ، وصلى عليه الرشيد . وجاء هَرَمَةُ بن أعين إلى الرشيد فأخرجه وأجلسه للخلافة ، وأحضر يحيى فاستوزره ، وكتب إلى الأطراف بالبيعة . وقيل : إنّ يحيى هو الذي جاءه وأخرجه ، فصلى على الهادي ودفنه ^(١) إلى يحيى وأعطاه خاتمه ، وكان

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٨٢ : وقيل لما مات الهادي جاء يحيى بن خالد إلى الرشيد وهو نائم في فراشه فقال له : قم يا أمير المؤمنين : فقال : كم تروعنني . إعجاباً منك بخلافتي فكيف يكون حالي مع الهادي أن بلغه هذا ؟ فأعلمه بموته وأعطاه خاتمه ، فينها هو يكلمه إذ أتاه رسول آخر يبشره بمولود فسماه عبد الله - وهو المأمون - ولبس ثيابه وخرج فصلى على الهادي بعيساباذ .

يحيى يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد .

وعزل لأول خلافته عمر بن عبد العزيز العمريّ عن المدينة وولى مكانه اسحاق بن سليمان، وتوفي يزيد بن حاتم عامل افريقية فولى مكانه رَوْحَ بن حاتم ، ثم توفي فولى مكانه ابنه الفضل ، ثم قتل فولى هَرَمَّةَ بن أعين كما يذكر في أخبار افريقية . وأفرد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين وجعلها عمالة واحدة وسماها المواسم ، وأمره بعمارة طرسوس ونزلها الناس . وحج لأول خلافته وقسم في الحرمين مالا كثيرا .

وأغزى بالصائفة سليمان بن عبدالله البكائي، وكان على مكة والطائف عبدالله بن قثم ، وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البحرين والبصرة واليامة وعُمان والأهواز وفارس محمد بن سليمان ابن علي ، وعلى خراسان أبو الفضل العباس بن سليمان الطوسي ، ثم عزله وولى مكانه جعفر بن محمد بن الأشعث . فسار الى خراسان وبعث ابنه العباس الى كابل فافتتحها وافتتح سابها وغنم ما كان فيها . ثم استقدمه الرشيد فعزله ، وولى مكانه ابنه العباس ، وكان على الموصل عبد الملك بن صالح فعزله وولى مكانه اسحاق بن محمد بن فروح ، فبعث اليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره الى بغداد وقتله ، وولى مكانه ^(١) وكان على ارمينية يزيد

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٥٠ : «وفيها قتل هارون أبا هريرة محمد بن فروح، وكان على الجزيرة، فوجه إليه هارون أبا حنيفة حرب بن قيس فقدم به عليه مدينة =

ابن مزيد بن زائدة ابن أخي معن فعزله وولى مكانه أخاه عبدالله ابن المهدي .

وولى سنة احدى وسبعين على صدقات بني تغلب روح بن صالح الحمداني ، فوقع بينه وبين تغلب خلاف وجمع لهم الجموع فبيتوه وقتلوه في جماعة من أصحابه . وتوفي سنة ثلاث وسبعين محمد بن سليمان والي البصرة وكان أخوه جعفر كثير السعاية فيه عند الرشيد ، وأنه يحدث نفسه بالخلافة ؟ وإن أمواله كلها في من أموال المسلمين ، فاستصفاها الرشيد وبعث من قبضها ، وكان لا يعبر عنها من المال والمتاع والدواب ، وأحضروا من العين فيها ستين ألف ألف دينار . ولم يكن الا أخوه جعفر فاحتج عليه الرشيد بأقراره انها في . وتوفي سنة أربع وسبعين والي الرشيد اسحاق بن سليمان على السند ومكران ، واستقضى يوسف بن أبي يوسف في حياة أبيه . وفي سنة خمس وسبعين عقد لابنه محمد بن زَيْنْدَةَ ولاية العهد ولقبه الامين وأخذ له البيعة وحمزه خمس سنين بسعاية خاله عيسى بن جعفر بن المنصور ووساطة الفضل بن يحيى ، وفيها عزل الرشيد العباس بن جعفر عن خراسان وولاه خاله الططريف بن عطاء الكندي .

=السلام فحضر عنقه في قصر الخلد . وفي الكامل ج ٥ ص ٨٤ : « وفيها عزل الرشيد عبد الملك بن صالح الهاشمي عن الموصل واستعمل عليها إسحاق بن محمد » . وفي ص ٨٥ ، ذكر عبارة الطبري المذكورة أعلاه .

خير يحيى بن عبد الله في الديلم

وفي سنة خمس وسبعين خرج يحيى بن عبد الله بن حسن أخو المهدي بالديلم واشتدّت شوكته وكثر جمعه وأتاه الناس من الأمصار، فندب اليه الرشيد الفضل بن يحيى في خمسين ألفاً وولاه جرجان وطبرستان والري وما إليها، ووصل معه الأموال . فسار وثرل بالطالقان وكاتب يحيى وحذّره وبسط أمره ، وكتب الى صاحب الديلم في تسهيل أمر يحيى على أن يعطيه ألف ألف درهم، فأجاب يحيى على الامان بخط الرشيد وشهادة الفقهاء والقضاة وأجلّة بني هاشم ومشائخهم عن عبدالصمد منهم، فكتب له الرشيد بذلك وبعثه مع الهدايا والتحف . وقدم يحيى مع الفضل فلقبه الرشيد بكل ما أحب وأفاض عليه العطاء وعظمت منزلة الفضل عنده . ثم ان الرشيد حبس يحيى الى ان هلك في حبسه .

ولاية جعفر بن يحيى مصر

كان موسى بن عيسى قد ولّاه الرشيد مصر ، فبلغه أنه عازم على الخلع فردّ أمرها الى جعفر بن يحيى ، وأمره باحضار عُمر بن مهران وان يوليه عليها ، وكان أحول مشوّه الخلق حامل البزة يُرَدِّفُ غلامه خلفه . فلما ذكرت له الولاية قال على شرطية أن يكون أبري بيدي اذا صلحت البلاد انصرفت فأجابه الى ذلك . وسار الى مصر وأتى مجلس موسى فجلس في أخريات الناس، حتى اذا افترقوا رفع الكتاب الى موسى فقرأه وقال : متى يقدم أبو

حفص ؟ فقال أنا أبو حفص ! فقال موسى لعن الله فرعون حيث قال : أليس لي مُلْكُ مِصْرَ ، ثم سَلِمَ له العمل . فتقدّم عُمرُ الى كاتبه أن لا يقبل من الهدية الا ما يدخل في الكيس ، فبعث الناس بهداياهم وكانوا يطلون بالحراج . فلما حضر النجم الاول والثاني وشكوا الضيق في الثالث احضر الهدايا وحسبها لاربابها واستوفى خراج مصر ورجع الى بغداد .

الفتنة بدمشق

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المِصْرِيَّة واليَمانِيَّة ، ورأس المِصْرِيَّة أبو الهيثم عايرُ بن عمارة من وُلْدِ خَارجَة بن سنان ابن أبي حارثة المِصْرِي ، وكان أصل الفتنة بين القيس وبين اليَمانِيَّة أن اليَمانِيَّة قتلوا منهم رجلاً فأجتمعوا لثاره ، وكان على دمشق عبد الصمد بن علي ، فجمع كبار العشائر ليصلحوا بينهم فأمهلتهم اليَمانِيَّة وبيتوا المِصْرِيَّة فقتلوا منهم ثلثائة او ضعفها ، فاستجاشوا بقبائل قُضاة وسُلَيم فلم ينجدوهم وانجدتهم قيس ، وساروا معهم الى البلقاء فقتلوا من اليَمانِيَّة ثمانمائة وطال الحرب بينهم . وعزل عبد الصمد عن دِمَشق وولى مكانه ابراهيم بن صالح بن علي . ثم اصلحوا بعد سنين ووفد ابراهيم على الرشيد وكان هواه مع اليَمانِيَّة فوقع في قيس عند الرشيد واعتذر عنهم عبد الواحد بن بشر استخلف ابراهيم على دمشق ابنه اسحاق ، فحبس جماعة من قيس وضربهم .

ثم وثبت غسان رجل من ولد قيس بن العباسي فقتلوه، واستنجد أخوه بالدواقل من حوران فأنجذوه وقتلوا من اليمانية نفراً . ثم وثبت اليمانية بكليب بن عمر بن الجعيد بن عبد الرحمن وعنده ضيف له فقتلوه، فجاءت أم الغلام سائبة إلى أبي الهيدام، فقال انظريني حتى ترفع دماؤنا إلى الأمير، فإن نظر فيها والا فأمر المؤمنين ينظر فيها . وبلغ ذلك اسحاق وحضر عنده أبو الهيدام فلم يأذن له . ثم قتل بعض الدواقل رجلاً من اليمانية، وقتلت اليمانية رجلاً من سليم ونهوا جيران محارب، وركب أبو الهيدام معهم إلى اسحاق فوعده بالنظر لهم، وبعث إلى اليمانية يغريهم به فاجتمعوا وأتوا إلى باب الجابية، فخرج اليهم أبو الهيدام وهزمهم واستولى على دمشق وفق السجون .

ثم اجتمعت اليمانية واستنجدوا كلباً وغيرهم فاستمقوهم، واستجاش أبو الهيدام المضريّة فجاءه وهو يقاتل اليمانية عند باب توما فهزمهم أربع مرات . ثم أمره اسحاق بالكف، وبعث إلى اليمانية يخبرهم بفرته وجاء الخبر وركب وقاتلهم فهزمهم، ثم هزمهم أخرى على باب توما . ثم جمعت اليمانية أهل الأردنّ والجولان من كلب وغيرهم فأرسل من يأتيه بالخبر فأبطؤا ودخل المدينة فأرسل اسحاق من دكهم على مكمنه وأمرهم بالعبور إلى المدينة، فبعث من أصحابه من يأتيهم من ورائهم فانهزموا . ولما كان مستهل صفر جمع اسحاق الجنود عند قصر الحجاج، وجاء أصحاب الهيدام

من أراد نهب القرى التي لهم بنواحي دمشق، ثم سألوا الامان من أبي الهيدام فأمنهم وسكن الناس.

وفرق أبو الهيدام أصحابه وبقي في نفر يسير من أهل دمشق، فطمع فيه اسحاق وسلط عليه العذافر السكسكي مع الجنود فقاتلهم، فانهزم العذافر وبقي الجند يحاربونه ثلاثاً. ثم إن اسحاق قاتله في الثالثة والجند في اثني عشر ألفاً ومعهم اليانية، فخرج أبو الهيدام من المدينة وقاتلهم على باب الجابية حتى أزالهم عنه. ثم أغار جمع من أهل حمص على قرية لابي الهيدام فقاتلهم أصحابه وهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأحرقوا قرى ودياراً لليانية في الغوطة، ثم توادعوا سبعين يوماً أو نحوها. وقدم السندي في الجنود من قبل الرشيد، وأغرته^(١) اليانية بأبي الهيدام فبعث هو اليه بالطاعة، فأقبل السندي الى دمشق، واسحاق بدار الحجاج، وبعث قائده في ثلاثة آلاف وأخرج اليهم أبو الهيدام ألفاً، وأحجم القائد عنهم ورجع الى السندي فصالح أبا الهيدام وأمن أهل دمشق.

وسار أبو الهيدام الى حوران، وأقام السندي بدمشق ثلاثاً. وقدم موسى بن عيسى والياً عليها، فبعث الجند يأتونه بأبي الهيدام فكبسوا داره وقاتلهم هو وابنه وعبداه فانهزموا، وجاء أصحابه من كل جهة وقصد بصرى. ثم بعث اليه موسى فسار اليه في رمضان سنة سبع وسبعين، وقيل إن سبب الفتنة بدمشق أن

(١) كذا. ولعلها: وأغرته.

عامل الرشيد بسجستان قتل أخاه الهيدام فخرج هو بالشام وجمع
الجموع . ثم بعث الرشيد أخاً له ليأتيه به فتحيّل حتى قبض عليه
وشدّه وثاقاً وأتى به الى الرشيد فنّ عليه وأطلقه . وبعث جعفر
ابن يحيى سنة ثمانين الى الشام من اجل هذه الفتن والعصبية ،
فسكّن الثائرة وأمن البلاد وعاد .

فتنة الموصل ومصر

وفي سنة سبع وثمانين تغلب العطف بن سُفيان الأزديّ على
خراسان ، وأهل الموصل على العامل بها محمد بن العباس الهاشمي
وقيل عبد الملك بن صالح ، فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل ، وجي
الخراج وبقي العامل معه مغلباً الى ان سار الرشيد الى الموصل
وهدم سورها ولحق العطف بأرمينية ثم بالرقم فاتخذها وطناً . وفي
سنة ثمان وسبعين ثارت الحوفيّة بمصر ، وهم من قيس وقضاة على
عاملها اسحاق بن سليمان وقاتلوه . وكتب الرشيد الى هرثمة بن
أعين وكان يفلّسطين فسار اليهم وأذعنوا بالطاعة ، وولي على مصر
ثم عزله لشهر ، وولي عبد الملك بن صالح عليها .

كان على خراسان أيام المهدي والهادي أبو الفضل العباس بن
سليمان الطوسي فعزله الرشيد وولي على خراسان جعفر بن محمد بن
الأشعث الخزاعي ، فأبوه من النقباء من أهل مصر ، وقدم ابنه
العباس سنة ثلاث وسبعين ، ثم قدم فقزا طخارستان ، وبعث ابنه
العباس الى كابل في الجنود وافتتح سايار ورجع الى مرو . ثم سار

الى العراق سنة ثلاث في رمضان ، وكان الامين في حجره قبل ان يجعله في حجر الفضل بن يحيى .

ثم ولي الرشيد ابنه العباس بن جعفر ثم عزله عنها فولى خالداً للقطريف بن عطاء الكندي سنة خمس وسبعين على خراسان وسجستان وجرجان ، فقدم خليفة داود بن يزيد وبعث عامل سجستان . وخرج في أيامه حُصَيْن الخارجي من موالي قيس بن ثَمَلَةَ من أهل أوق، وبعث عامل سجستان عثمان بن عمارة الجيوش اليه فهزمهم حسين وقتل منهم وسار الى باذغيس وبوشنج وهراة ، فبعث اليه القطريف اثني عشر ألفاً من الجند فهزمهم حصين وقتل منهم خلقاً ، ولم يزل في نواحي خراسان الى ان قتل سنة سبع وسبعين .

وسار الفضل الى خراسان سنة ثمان وسبعين وغزا ما وراء النهر سنة ثمانين ، ثم ولي الرشيد على خراسان علي بن عيسى بن ماهان وقدم اليه يحيى ^(١) فأقام بها عشرين سنة . وخرج عليه في ولايته حمزة بن أترك وقصد بوشنج ، وكان علي هراة عمرويه بن يزيد الأزدي فنهض اليه في ستة آلاف فارس فهزمهم حمزة وقتل جماعة منهم ومات عمرويه في الزحام ، فبعث علي بن

(١) هنا بياض بالأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٦٨ : « وفيها شخص الرشيد من مدينة السلام مريداً الرقة على طريق الموصل ، فلما نزل البرذان ولي عيسى بن جعفر خراسان وعزل عنها جعفر بن يحيى فكانت ولاية جعفر بن يحيى إياها عشرين ليلة » .

عيسى ابنه الحسن في عشرة آلاف ففض حربه فعزله ، وبعث ابنه الآخر عيسى فهزمه حمزة فأمدّه بالمساكر وردّه فهزم حمزة وقتل أصحابه ، ونجا الى قهستان في أربعين . وأثنى عيسى في الخوارج بآري وجوتين وفيمن كان يعينهم من أهل القرى حتى قتل ثلاثين ألفاً .

وخلف عبدالله بن العباس النسيقي يزدنج فجبى الاموال وسار بها ومعه الصفة ، ولقيه حمزة فهزموه وقتلوا عامة أصحابه . وسار حمزة في القرى فقتل وسبى ، وكان علي قد استعمل ظاهر ابن الحسين على بوشنج فخرج الى حمزة وقصد قرية ففر الخوارج وهم الذين يرون التحكم^(١) ولا يقاتلون ، والمحكم هم الذين يقاتلون وشعارهم لا حكم الا الله . فكتب العقيد الى حمزة بالكف وواعدهم ، ثم انتفض وعاث في البلاد وكانت بينه وبين أصحاب علي حروب كثيرة .

ثم ولي الرشيد سنة اثنتين وثمانين ابنه عبدالله العهد بعد الأمين ولقبه المأمون ، وولاه علي خراسان وما يتصل بها الى همدان ، واستقدم عيسى بن علي من خراسان وردّها اليه من قبل المأمون . وخرج عليه ينسا أبو الحبيب وهب بن عبد الله النسائي ، وعاث في نواحي خراسان ثم طلب الامان فأمنه . ثم بلغه أن حمزة الخارجي عاث بنواحي بأذغيس فقصدته وقتل من أصحابه نحواً من عشرة

(١) كذا بالأصل والصحيح : التحكيم .

آلاف وبلغ كل من وراء غزنة . ثم غدر أبو الحصيب ثانيةً وغلب أبيورد ونساوطوس ونيسابور، وحاصر مرو وانهزم عنها وعاد الى سرخس ، ثم نهض اليه ابن ماهان سنة ست وثمانين فقتله في نسا وسبي أهله .

ثم نُفيَ الى الرشيد سنة تسع وثمانين أن علي بن عيسى يُجمعُ على الخلاف وانه قد أساء السيرة في خراسان وعنفهم ، وكتب اليه كبار أهلها يشكون بذلك ، فسار الرشيد الى الري فأهدى له الهدايا الكثيرة والاموال ولجميع من معه من أهل بيته ووُلده وكتبه وقواده . وتبين للرشيد من مناصحته خلاف ما أنتهى اليه . فردّه الى خراسان، وولى على الري وَطَبَرِستان ودَبَاوَنَد وقومِس وهَمْدَان وبعث علي ابنه عيسى لحرب خاقان سنة ثمان وثمانين فهزمه وأسر اخوته، وانتقض على علي بن عيسى رافع بن الليث بن نصر بن سيّار بسمرقند ، وطالت حروبه معه، وهلك في بعضها ابنه عيسى .

ثم ان الرشيد نقم على علي بن عيسى أموراً منها استخفافه بالناس واهانته أعيانهم ، ودخل عليه يوماً الحسين بن مُضْعَب والد طاهر فأغلظ له في القول وأفحش في السب والتهديد، وفعل مثل ذلك بهشام بن . . . (١) فَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَلَاحَقَ بِالرَّشِيدِ شَاكِيًا وَمُسْتَجِيرًا وَأَمَّا هِشَامُ فَلَزِمَ بَيْتَهُ وَادَّعَى أَنَّهُ بَعْلَةُ الْفَالَجِ حَتَّى عَزَلَ

(١) هنا بياض بالأصل ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن هشام هذا .

عليّ . وكان مما نقم عليه أيضاً أنه لما قتل ابنه عيسى في حرب رافع بن الليث أخبر بعض جواريه أنه دفن في بستانه ببلخ ثلاثين ألف دينار، وتحذث الجواري بذلك فشاع في الناس ودخلوا البستان ونهبوا المال، وكان يشكو الى الرشيد بقلّة المال ويّزعم أنه باع حُلِيّ نسائه .

فلما سمع الرشيد هذا المال استدعى هَرَثْمَةَ بن أَعْيُن وقال له وليّتك خراسان وكتب له بخطّه وقال له اكنم أمرك وامض كأنك مدد، وبعث معه رجلاً الخادم فسار الى نيسابور وولى أصحابه فيها، ثم سار الى مرو ولقي عليّ بن عيسى فقبض عليه وعلى أهله وأتباعه وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف، وبعث الى الرشيد من المتاع وقر خمسمائة بعير وبعث اليه بعليّ بن عيسى على بعير من غير غطاء ولا وطاء، وخرج هَرَثْمَةُ الى ما وراء النهر وحاصر رافع ابن الليث بسمرقند الى أن استأمن فأمنه، وأقام هَرَثْمَةُ بسمرقند وكان قدم مرو سنة ثلاث وتسعين .

إيداع كتاب العهد

وفي سنة ست وثمانين حجّ الرشيد وسار من الانبار ومعه أولاده الثلاثة محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم، وكان قد ولى الأمين العهد وولاه العراق والشام الى آخر الغرب . وولى المأمون العهد بعده وضم اليه من هَمْدَان الى آخر المشرق وبأيع لابنه القاسم من بعد المأمون ولقبه المؤتمن وجعل خلعه واثباته

للمأمون . وجعل في حجر عبد الملك صالح وضم اليه الجزيرة
والشغور والمواصم .

ومرّ بالمدينة فأعطاه فيها ثلاثة أعطية : عطاء منه ومن الأمين
ومن المأمون، فبلغ ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . ثم سار
الى مكة فأعطى مثلها ، وأحضر الفقهاء والقضاة والقواد وكتب
كتاباً أشهد فيه على الأمين بالوفاء للمأمون ، وآخر على المأمون
بالوفاء للأمين ، وعلق الكتابين في الكعبة وجدّد عليها اليهود هنالك .
ولما شخص الى طبرستان سنة تسع وثمانين وأقام بها أشهد من
حضره أن جميع ما في عسكره من الاموال والخزائن والسلاح
والكراع للمأمون، وجدّد له البيعة عليهم وأرسل الى بغداد فجدد
له البيعة على الأمين .

البرامكة

أخبار البرامكة ونكبتهم

قد تقدّم لنا أن خالد بن برمك كان من كبار الشيعة، وكان
له قدم راسخ في الدولة وكان يلي الولايات العظام، وولاه المنصور
على الموصل وعلى أذربيجان، وولى ابنه يحيى على أرمينية، ووكله
المهدي بكفالة الرشيد فأحسن تربيته ودفع عنه أخاه المهدي أرادته
على الخلع، وتولية المهدي ابنه وجبسه المهدي لذلك . فلما ولي الرشيد
استوزر يحيى وفوض اليه أمور مملكته وكان أولاً يصدر عن رأي

الحيزران أم الرشيد، ثم استبدت بالدولة . ولما ماتت وكان بينهم مشهوراً بالرجال من العمومة والقراية، وكان بنوه جعفر والفضل ومحمد قد شابهوا آباءهم في عمل الدولة واستولوا على حظ من تقريب السلطان واستخلاصه .

وكان الفضل أخاه من الرضاع أرضعت أمه الرشيد وأرضعته الحيزران، وكان يخاطب يحيى يا أبت، واستوزر الفضل وجعفرأ وولى جعفرأ على مصر وعلى خراسان وبعثه الى الشام عندما وقعت الفتنة بين المصريّة والبيانيّة فسكن الامور، ورجع وولى الفضل أيضاً على مصر وعلى خراسان وبعثه لاستئزال يحيى بن عبدالله العلوي من الديلم . ودفع المأمون لما ولّاه العهد الى كفالة جعفر بن يحيى، فعسنت آثارهم في ذلك كَلَه، ثم عظم سلطانهم واستبلاؤهم على الدولة، وكثرت السعاية فيهم . وعظم حقد الرشيد على جعفر منهم، يقال بسبب انه دفع اليه يحيى بن عبدالله لما استئزله أخوه الفضل من الديلم وجعل حبسه عنده، فاطلقه استبداداً على السلطان ودألة وأنهى الفضل بن الربيع ذلك الى الرشيد فسأله فصدقه الخبر فأظهر له التصويب وحقداه عليه، وكثرت السعاية فيهم فتنكر لهم الرشيد .

ودخل عليه يوماً يحيى بن خالد بنغير اذن فنكر ذلك منه ، وخاطب به طيبه جبريل بن بختيشوع منصرفاً به من مواجهته وكان حاضراً، فقال يحيى هو عاذني يا أمير المؤمنين، واذ قد نكرت مني

فسأكون في الطبقة التي تجلني فيها ! فاستحي هارون وقال ما أردت ما يكره . وكان الغلمان يقومون بباب الرشيد ليحيي اذا دخل، فتقدم لهم مسرور الخادم بالنهي عن ذلك فصاروا يعرضون عنه اذا أقبل، وأقاموا على ذلك زماناً . فلما حجَّ الرشيد سنة سبعة وثمانين ورجع من حجه ونزل الانبار أرسل مسروراً الخادم في جماعة من الجند ليلاً فأحضر جعفرًا بباب الفسطاط، وأعلم الرشيد فقال اثنتي برأسه، فطلق جعفر يتدلل ويسأله المراجعة في أمره حتى قذفه الرشيد بعصا كانت في يده وتهدده فخرج وأتاه برأسه، وجلس الفضل من ليلته وبعث من احتاط على منازل يحيى وولده وجميع موجودهم وحبسه في منزله .

وكتب من ليلته الى سائر النواحي بقبض أموالهم ورقيقهم، وبعث من الغد بشلو جعفر وأمر أن يقسم قطعتين وينصبان على الجسر، وأعفى محمد بن خالد من النكبة ولم يضيق على يحيى ولا بنيه الفضل ومحمد وموسى . ثم تجردت عنه التهمة بعبد الملك بن صالح ابن عليّ وكانوا أصدقاء له، فسمى فيه ابنه عبد الرحمن بأنه يطلب الخلافة فحبسه عنه الفضل بن الربيع ثم أحضره من الغداة وقرّعه ووبّخه فأنكر وحلف واعترف لحقوق الرشيد وسأله عليه، فأحضر كاتبه شاهداً عليه فكذبه عبد الملك فأحضر ابنه عبد الرحمن فقال : هو مأمون معذور، أو عاق فاجر، فنهض الرشيد من مجلسه وهو يقول سأصبر حتى أعلم ما يرضي الله فيك فانه الحكم بيني

وبينك . فقال عبد الملك : رضيت بالله حاكماً وبأمر المؤمنين حاكماً فإنه لا يؤثر هواه على رضا ربّه .

ثم أحضره الرشيد يوماً آخر فأرعد له وأبرق، وجعل عبد الملك يعدّد وسائله ومقاماته في طاعته ومناصحته، فقال له الرشيد لولا ابقائي على بني هاشم لقتلتك وردّه الى محبسه، وكلمه عبدالله بن مالك فيه وشهد له بنصحه فقال : أطلقه اذا قال أما في هذا القرب فلا ! ولكن سهل حبسه ففعل وأجرى عليه مؤنه حتى مات الرشيد وأطلقه الامين . وعظم حقه على البرامكة بسبب ذلك، فضيق عليهم وبعث الى يحيى يلومه فيما ستر عنه من أمر عبد الملك . فقال يا أمير المؤمنين كيف يطلعي عبد الملك على ذلك وأنا كنت صاحب الدولة، وهل اذا فعلت ذلك يجازيني بأكثر من فعلك؟ أعينك بالله ان تظن هذا الظنّ الا أنه كان رجلاً متجيّلاً يسرني أن يكون في بيتك مثله، فوليته ولا خصصته . فعاد اليه الرسول يقول ان لم تقرّ قتلت الفضل ابنك . فقال انت مسلط علينا فافعل ما أردت .

وجذب الرسول الفضل واخرجه، فودّع اباه وسأله في الرضا عنه فقال : رضي الله عنك . وفرق بينهما ثلاثة ايام ولم يجد عندهما شيئاً فجمعهما واحتفظ^(١) ابراهيم بن عثمان بن نهيك لقتل جعفر فكان يكيه ويكي قومه حزناً عليهم . ثم انتهى به الى طلب

(١) احتفظ: بمعنى احفظ: غضب.

الثار بهم، فكان يشرب النبيذ مع جواريه ويأخذ سيفه وينادي واجفراه واسيداه والله لا تأرن بك ولاقتن قاتلك، فجاء ابنه وحفص كان مولاه الى الرشيد فأطلعه على أمره، فأحضر ابراهيم وأظهر له الندم على قتله جعفرًا والاسف عليه، فبكى ابراهيم وقال : والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله فانتهره الرشيد وأقامه . ثم دخل عليه ابنه بعد ليالٍ قلائل فقتله، يقال بأمر الرشيد . وكان يحيى بن خالد محبوساً بالكوفة ولم يزل بها كذلك الى أن مات سنة تسعين ومائة، ومات بعده ابنه الفضل سنة ثلاث وتسعين . وكانت البرامكة من محاسن العالم، ودولتهم من اعظم الدول، وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتها .

الصوائف وفتوحاتها

كان الرشيد على ما نقله الطبري وغيره يغزو عاماً ويحجّ عاماً، ويصلي كل يوم مائة ركعة ويتصدق بألف درهم، وإذا حجّ حمل معه مائة من الفقهاء ينفق عليهم، وإذا لم يحجّ أنفق على ثلثائة حاج نفقة شائعة . وكان يتحذى بآثار المنصور إلا في بذل المال فلم ير خليفة قبله أبذل منه للعالم . وكان اذا لم يغز غزا بالصائفة كبار أهل بيته وقواده، فغزا بالصائفة سنة سبعين سليمان بن عبد الله البكائي، وقيل غزا بنفسه . وغزا بالصائفة سنة اثنتين وسبعين اسحاق بن سليمان بن علي فأتخن في بلاد الروم وغنم وسبى . وغزا في سنة أربع وسبعين بالصائفة عبد الملك بن صالح، وقيل أبوه

عبد الملك فبلغ في نكابة الروم ما شاء، وأصابهم برد شديد سقطت منه أيدي الجند . ثم غزا بالصائفة سنة سبع وسبعين عبد الرزاق ابن عبد الحميد الثعلبي . وفي سنة ثمان وسبعين زفر بن عاصم . وغزا سنة إحدى وثمانين بنفسه فافتتح حصن الصفصاف واغزى عبد الملك بن صالح قبلغ أنقرة ، وافتتح مطمورة . وكان الفداء بين المسلمين والروم ، وهو أول فداء في دولة بني العباس ، وتولاه القاسم بن الرشيد وأخرج له من طرسوس الخادم الوالي عليها وهو ابو سليمان فرج ، فقتل المدامس على اثني عشر فرسخاً ، وحضر العلماء والاعيان وخلق من اهل الثغور وثلاثون ألفاً من الجند المرتقة فحضروا هنالك وجاء الروم بالاسرى ففودي بهم من كان لهم من الاسرى ، وكان أسرى المسلمين ثلاثة آلاف وسبعائة . وغزا بالصائفة سنة اثنتين وثمانين عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح دقشوسوس مدينة أصحاب الكهف، وبلغهم أن الروم سلّوا مَلِكَهُم قُسْطَنْطِينَ بن إليون وملّكوا أُمّه رُبِي وتلقّب عَطْشَة ، فأثخنوا في البلاد ورجعوا .

وفي سنة ثلاث وثمانين حملت ابنة خاقان مَلِك الحَزَر الى الفضل ابن يحيى فماتت بيردعة ورجع من كان معها فأخبروا أباهم انها قتلت غيلة ، فتجهّز الى بلاد الاسلام ، وخرج من باب الابواب وسبى أكثر من مائة ألف فارس وفعلوا ما لم يسمع بمثله . فولّى الرشيد يزيد بن مَزِيد أمر أرمينية مضافة الى أذربيجان وأمره

بالنهوض اليهم ، وأُثِرَ خُزَيْمَةُ بْنُ خَازِمٍ يَنْصِيْبِينَ رَدّاً لَهُمْ . وَقِيلَ
إِنَّ سَبَبَ خُرُوجِهِمْ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ قَتَلَ الْمُحْجِمَ السَّلْمِيَّ فَدَخَلَ
ابْنُهُ إِلَى الْخَزَرِ مُسْتَجِيشاً بِهِمْ عَلَى سَعِيدٍ ، وَدَخَلُوا أَرْمِينِيَّةً وَهَرَبَ
سَعِيدٌ وَالْخَزَرُ وَرَجَعُوا .

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ غَزَا بِالصَّائِفَةِ الْقَاسِمُ بْنُ الرَّشِيدِ وَجَمَلُهُ
قُرْبَاناً لِلَّهِ ، وَوَلَاهُ الْعَوَاصِمَ . فَأَنَاحَ عَلَى قُرَّةَ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهَا وَبَعَثَ
عَلَيْهَا ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فَحَاصَرَ حَصْنَ سَنَانَ حَتَّى جَعَدَ أَهْلُهُ ،
وَقَادَى الرُّومَ بِثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ أَسِيراً مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ يَرْحَلَ
عَنْهُمْ فَأَجَابَهُمْ وَتَمَّ بَيْنَهُمُ الصَّلْحُ ، وَرَحَلَ عَنْهُمْ . وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ
يَوْمَئِذٍ ابْنُ زَيْنِي وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَخَلَعَهُ الرُّومُ وَمَلَكُوا نِيقُفُورَ
وَكَانَ عَلَى دِيْوَانِ خِرَاجِهِمْ ، وَمَاتَ زَيْنِي بَعْدَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ . وَلَمَّا
مَلَكَ نِيقُفُورُ كَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ بِمَا اسْتَفْزَهُ ، فَسَارَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ
غَازِياً . وَزُلَّ هِرَقْلٌ وَاتَّخَذَ فِي بِلَادِهِمْ حَتَّى سَأَلَ نِيقُفُورَ الصَّلْحَ ،
ثُمَّ نَقَضَ الْعَهْدَ وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدَ الْكَلْبِ ، وَظَنَّ نِيقُفُورُ أَنَّ ذَلِكَ
يَمْنَعُهُ مِنَ الرَّجُوعِ فَلَمْ يَمْنَعْهُ ، وَرَجَعَ حَتَّى أَتَى فِي بِلَادِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ
أَرْضِهِمْ .

وَعَزَا بِالصَّائِفَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَبْرِيلَ وَدَخَلَ مِنْ
دَرْبِ الصَّفَصَافِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ نِيقُفُورُ مَلِكُ الرُّومِ وَانْهَزَمَ وَقَتَلَ
مِنْ عَسْكَرِهِ نَحْوَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفاً . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ رَابِطَ الْقَاسِمُ
ابْنَ الرَّشِيدِ أَبَقَى . وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ كَتَبَ الرَّشِيدُ وَهُوَ بِالرِّيِّ

كتب الامان لشروين أبي قارن وندا هرمز جد مازيار مرزبان خستان صاحب الديلم، وبعث بالكتب مع حسين الخادم الى طبرستان، فقدم خستان ووندا هرمز فأكرمهما الرشيد وأحسن اليهما. وضمن وندا هرمز وشروين صاحبي طبرستان وذكرا كيف توجه الهادي لهما وحاصرهما.

وفي سنة ست وثمانين كان فداء بين المسلمين حتى لم يبق بأرض الروم مسلم الا فودي، وفي سنة تسعين سار الرشيد الى بلاد الروم بسبب ما قدمناه من غدر نيقفور، في مائة وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتبة سوى الاتباع والمتطوعة ومن ليس له ذكر في الديوان. واستخلف المأمون بالربة وفوض اليه الامور وكتب الى الآفاق بذلك. فنزل على هرقل فحاصرها ثلاثين يوماً وافتتحها وسبى اهلها وغنم ما فيها، وبعث داود بن عيسى ابن موسى في سبعين ألفاً غازياً في ارضهم، ففتح الله عليه وخرّب ونهب ما شاء. وفتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة وديسة. وافتتح يزيد بن مخلد حصن الصمصاف وقونية. وأناخ عبدالله بن مالك على حصن ذي الكلاع.

واستعمل الرشيد حميد بن مقبّوب على الاساطيل تمن بسواحل الشام ومصر الى قبرس، فهزم وخرق وسى من اهلها نحواً من سبعة عشر ألفاً وجاء بهم الى الواقعة فبايعوا بها. وبلغ فداء أسقف قبرس الفبي دينار. ثم سار الرشيد الى حُلوانة فقتل بها

وحاصرها . ثم رحل عنها وخلف عليها عُقْبَةُ بْنُ جَعْفَرٍ . وبعث يقفور^(١) بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير وعن ابنه دينارين وعن بطارفته كذلك . وبعث يقفور في جارية من بني هِرْقَلَةَ وكان خطبها ابنه فبعث بها اليه . ونقض في هذه السنة قبرس فزاهم مَعْيُوبُ بْنُ يَحْيَى فَأُتِخِنَ فِيهِمْ وَسَبَاهُمْ . ولما رجع الرشيد من غزائه خرجت الروم الى عين زَرْبَةَ والكنيسة السوداء واغاروا ورجعوا فاستنقذ اهل المَصِيصَةِ ما حملوه من الغنائم .



(١) كذا بالأصل يقفور في جميع صحائف هذا الكتاب، وهو يقفور كما في بقية كتب التاريخ .

تاريخ العلامة أبو خلدون

كتاب العبر وديوان البستدا والخبرة
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الثالث
من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثالث

المجلد الثالث

القسم الثالث

من تاريخ العلامة ابن خلدون

وفيه غزا يزيد بن مخلد الهيري ارض الروم في عشرة آلاف، فأخذت الروم عليه المضائق، فانهزم وقتل في خمسين من اصحابه على مرحلتين من طرسوس . واستعمل الرشيد على الصائفة هرثمة ابن أعين قبل ان يوليه خراسان، وضم اليه ثلاثين ألفاً من اهل خراسان واخرجه الى الصائفة، وسار بالعساكر الإسلامية في اثره، ورتب بدرب الحرث^(١) عبدالله بن مالك، وبرعش سعيد بن مسلم ابن قتيبة . واغارت الروم عليه فأصابوا من المسلمين وانصرفوا ولم يتحرك من مكانه . وبعث الرشيد محمد بن زيد بن مزيد الى طرسوس، واقام هو بدرب الحرث، وامر قواده بهدم الكنائس في جميع الثنور . وأخذ أهل الذمة بمخالفة زي المسلمين في ملبوسهم . وأمر هرثمة ببناء هرطوس^(٢) وتولى ذلك فخرج الخادم بأمر الرشيد وبعث اليها جنداً من خراسان ثلاثة أيام، وأشخص اليهم ألفاً من أهل المصيصة وألفاً من انطاكية فتم بناؤها سنة اثنتين وتسعين .

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٢٧ : بدرب الحدث .

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٢٧ : وأمر هرثمة ببناء طرسوس وتمصيرها .

وفي هذه السنة تحركت الحَرَمِيَّةُ بناحية أَذْرَيْنَجَانَ فبعث اليهم
عبدالله بن مالك في عشرة آلاف قتل وسبى وأسر، ووافاه
بقرماسين فأمره بقتل الأسرى وبيع السُّبْيِ. وفيها استعمل الرشيد
على الشغور ثابت بن مالك الحُزَاعِيَّ فافتتح مطمورة وكان الفداء
على يديه بالبرذون. ثم كان الفداء الثاني وكان عدة أسرى المسلمين
فيه ألفين وخمسمائة .

الولاية على النواحي

كان على إفريقية مَزِيدُ بن حاتم كما قدَّمناه، ومات سنة إحدى
وسبعين بعد أن استخلف ابنه داود، فبعث الرشيد على إفريقية
أخاه رَوْحَ بن حاتم فاستقدمه من فِلَسْطِينَ وبعثه إلى إفريقية .
وعزل أبا هريرة محمد بن فروج عن الجزيرة وقتله وولى مكانه ^(١)
وفي سنة ست وسبعين ولى الرشيد على الموصل الحَكَمَ بن سليمان،
وقد كان خرج الفضل الخارجي بنواحي نصيبين وغنم وسار إلى
داريا وآمد واربزق وخلاط فقتل لذلك ورجع إلى نصيبين فأتى
الموصل وخرج إليه الفضل في عساكرها فهزمهم على الزاب . ثم
عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه . وفي سنة ست وسبعين مات
روح بن حاتم بإفريقية، واستخلف حبيب بن نصر المُهَلَّبِي فسار
الفضل إلى الرشيد فولاه على إفريقية، وعاد إليها فاضطرب عليه

(١) بياض في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٨٥ : «وفيها قتل الرشيد أبا هريرة محمد بن
فروخ - وكان على الجزيرة - فوجه إليه الرشيد أبا حنيفة حرب بن قيس فأحضره إلى بغداد وقتله» .

الخراسانية من جند افريقية ولم يرضوه، فولى مكانه هرثة بن أعين وبعث في العساكر فسكن الاضطراب ورأى ما بافريقية من الاختلاف، فاستعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه، وقدم الى العراق بعد سنتين ونصف من مغيبه .

وفي هذه ولى الفضل بن يحيى على مصر مكان أخيه جعفر مضافاً الى ما بيده من الري وسجستان وغيرهما، ثم عزله عن مصر وولى عليها اسحاق بن سليمان، فثارت به الجوقية من مصر وهم جوع من قيس وقضاة فأمدهم بهرثة بن أعين فأذعنوا، وولاه عليهم شهراً، ثم عزله، وولى عبد الملك بن صالح مكانه، وفيها فوض أمر دولته الى يحيى بن خالد . وفي سنة ثمانين بعث جعفر بن يحيى الى الشام في القواد والعساكر ومعه السلاح والاموال والمصيبة التي كانت بها فسكنت الفتنة ورجع فولاه خراسان وسجستان، فاستعمل عليها عيسى بن جعفر، وولى جعفر بن يحيى الرئيس .

وقدم هرثة بن أعين من افريقية فاستخلفه جعفر على الحرد وعزل الفضل بن يحيى عن طبرستان والرويان وولاهما عبدالله بن خازم، وولى على الجزيرة سعيد بن مسلم، وولى على الموصل يحيى ابن سعد الحريشي فأساء السيرة وطالبهم بخراج سنين ماضية فأنجلا أكثر أهل البلد، وعزله الرشيد وولى عليها يحيى بن خالد . وفي سنة احدى وثمانين ولى على افريقية محمد بن مقاتل بن حكيم

المكيّ وكان أبوه من قوَاد الشيعة، ومحمد رضيع الرشيد وتلاده، فلما استعفى هرثة ولاء مكانه، واضطربت عليه افريقية، وكان ابراهيم بن الاغلب بها والياً على الزاب، وكان جند افريقية يرجعون اليه، فأعانه وحمل الناس على طاعته بعد أن أخرجوه، فكروهوا ولاية محمد بن مقاتل، وحملوا ابراهيم بن الاغلب على أن كتب الى الرشيد يطلب ولاية افريقية على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر معونة الى والي افريقية، ويحمل هو كل سنة أربعين ألف دينار . فاستشار الرشيد بطانته، فأشار هرثة بابراهيم بن الاغلب، وولاه الرشيد في محرم سنة أربعة وثمانين، فضبط الامور وقبض على المؤمنين وبعث بهم الى الرشيد، فسكنت البلاد .

وابتني مدينة بقرب القَيْرَوَان سماها العباسية وانتقل اليها بأهله وخاصته وحشمه، وصار مُلْكُ افريقية في عقبه كما يذكر في أخبارها الى أن غلبهم عليها الشيعة العبيديون . وكان يزيد بن مزيد على أذربيجان فولاه الرشيد سنة ثمان وثمانين على أرمنية مضافة اليها، وولى خزيمة بن خازم على نصيبين . وولى الرشيد سنة أربع وثمانين على اليمن ومكة حماداً البربري، وعلى السند داود بن يزيد بن حاتم، وعلى الجبل يحيى الحرشي، وعلى طبرستان مهروية الزاي، وقتله أهل طبرستان سنة خمس وثمانين، فولى مكانه عبدالله بن سعيد الحرشي .

وفيها توفي يزيد بن زائدة الشَّيْطَانِي ببردعة، وكان على
أذربيجان وأرمينية فولى مكانه ابنه أسد بن يزيد بن حاتم . وفي
سنة تسع وثمانين سار الرشيد الى الري وولى على طبرستان والري
ودنباوندوقوس وهمدان عبد الملك بن مالك . وفي سنة تسعين
ولّى على الموصل خالد بن يزيد بن حاتم، وقد تقدّم لنا ولاية هريمة
على سليمان ونكبة علي بن عيسى . في سنة احدى وتسعين ظفر
حماد البربري ببيصم الياني وجاء به الى الرشيد فقتله، وولى في
هذه السنة على الموصل محمد بن الفضل بن سليمان، وكان على
مكة الفضل بن العباس أخى المنصور والسفاح .

خلع رافع بن الليث بما وراء النهر

كان رافع بن نصر بن سيار من عظام الجند فيما وراء النهر،
وكان يجي بن الأشعث قد تزوج ببعض النساء المشهورات الجمال،
وتسرى عليها وأكثر ضارداها وتشوّقت الى التخلص منه، فدسّ
اليها رافع بن الليث بأن تحاول من يشهد عليها بالكفر لتخلص
منه وتحل للازواج ثم ترجع وتتوب، فكان وتزوجها . وشكا يحيى
ابن الأشعث الى الرشيد واطلعه على جلّ الامر، فكتب الى علي
ابن عيسى أن يفرق بينهما ويقيم الحدّ على رافع ويطوف به في
سمرقند مُقيّداً على حمار ليكون عظة لنبيه، ففعل ذلك ولم يجد
رافع وجلس بسمرقند، فهرب من الحبس ولحق بعلي بن عيسى
في بلخ فهم بضرب عنقه، فشفع فيه ابنه عيسى، فأمره بالانصراف

الى سمرقند، فرجع اليها ووثب بعاملها فقتله وملكها وذلك سنة تسعين . فبعث عليّ لحربه ابنه عيسى فلقبه رافع وهزمه وقتله ، فخرج علي بن عيسى لقتله وسار من بلخ الى مرو مخافة عليها من رافع بن الليث .

ثم كانت نكبة علي بن عيسى وولاية هرثمة بن أعين علي خراسان، وكان مع رافع بن الليث جماعة من القواد، ففارقوه الى هرثمة . منهم عجيف بن عَبَّسَةَ وغيره . وحاصر هرثمة رافع ابن الليث في سمرقند وضايقه، واستقدم طاهر بن الحسين من خراسان فحضر عنده، وعاث حمزة الخارجي في نواحي خراسان لخلائها من الجند، وحمل اليه عمالُ هَراة وسجستان الأموال . ثم خرج عبد الرحمن الى نيسابور سنة أربع وتسعين وجمع نحواً من عشرين ألفاً، وسار حمزة فهزمه وقتل من أصحابه خلقاً وأتبعه الى هَراة، حتى كتب المأمون اليه وردّه عن ذلك .

وكانت سنة ثلاث وتسعين بين هرثمة وبين أصحاب رافع وقعة كان الظفر فيها لهرثمة، وأسر بشراً أخا رافع، وبعث به الى الرشيد وافتتح بخارى . وكان الرشيد قد سار من الرقّة بعد مرجعه من الصائفة التي بنى فيها طرسوس على اعتزام خراسان لشأن رافع، وكان قد أصابه المرض . فاستخلف علي الرقّة ابنه القاسم وضمّ اليه خُزَيْمَةَ بن خازم، وجاء الى بغداد . ثم سار منها الى خراسان في شعبان سنة اثنتين وتسعين واستخلف عليها ابنه

الأمين، وأمر المأمون بالمقام معه، فأشار عليه الفضل بن سهل بأن يطلب المسير مع الرشيد، وحذره البقاء مع الأمين فأسعه الرشيد بذلك وسار معه .

وفاة الرشيد وبيعة الأمين

ولما سار الرشيد عن بغداد الى خراسان بلغ جرجان في صفر سنة ثلاث وتسعين وقد اشتدت عليه، فبعث ابنه المأمون الى مرو ومعه جماعة من القواد: عبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ وأسد بن خزيمة والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث والسدي والحريشي ونعيم بن خازم . ثم سار الرشيد الى موسى واشتد به الوجع وضعف عن الحركة وثقل، فأرجف الناس بموته، وبلغه ذلك فأراد الركوب ليراه الناس فلم يطق النهوض فقال ردوني . ووصل اليه وهو بطوس بشير أخو رافع أسيراً، بعث به هزيمة بن أعين فأحضره وقال: لو لم يبق من أجلي الا حركة شفني بكلمة لقلت اقتلوه . ثم أمر قصاباً ففصل أعضائه، ثم أغشي عليه واقرق الناس .

ولما يش من نفسه أمر بقبوره فحفر في الدار التي كان فيها وأُزل فيه قوماً قرؤا فيه القرآن حتى ختموه وهو في عَنَفَةٍ على شفيره ينظر اليه وينادي واسوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مات وصلى عليه ابنه صالح وحضر وفاته الفضل بن

الربيع واسماعيل بن صبيح ومسرور وحسين ورشيد، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة أو تزيد، وترك في بيت المال تسعمائة ألف ألف دينار .

ولما مات الرشيد بويع الأمين في المعسكر صبيحة يومه والمأمون يومئذ بمرو، وكتب حموية مولى المهدي صاحب البريد الى نائبه ببغداد، وهو سلام أبو مسلم يعلمه بوفاة الرشيد وهناك بالخلافة، فكان أول من فعل ذلك . وكتب صالح الى اخيه الأمين مع رجاء الخادم بوفاة الرشيد، وبعث معه بالخاتم والبردة والقضيب، فانتقل الأمين من قصره بالخلد الى قصر الخلافة . وصلى بالناس الجمعة وخطب ثم نعى الرشيد وعزى نفسه والناس، وبايعته جملة أهله ووكل سليمان بن المنصور، وهم " عم أبيه وأمه بأخذ البيعة على القواد وغيرهم، ووكل السندي بأخذ البيعة على الناس سواهم، وفرق في الجند ببغداد رزق سنين . وقدمت أمه زبيدة من الرقة فلقبها الأمين بالأنبار في جمع من بغداد من الوجوه، وكان معها خزان الرشيد، وكان قد كتب الى معسكر الرشيد وهو حي مع بكر بن المعتز لما اشتدت علة الرشيد، والى المأمون بأخذ البيعة لهما وللوثن أخيهما، والى أخيه صالح بالقدوم بالمعسكر والخزان والاموال برأي الفضل . والى الفضل بالاحتفاظ على ما معه من الحرم والاموال، وأقر كل واحد على عمله كصاحب

(١) كذا ولعلها ومرو.

الشُرطة والحرس والحجابة .

وكان الرشيد قد سمع بوصول بكر بالكتاب فدعاه ليستخرجها منه فجعلها فضربه وجبسه . ثم مات الرشيد وأحضره الفضل فدفعها إليه، ولما قرؤا الكتاب تشاوروا في إلحاق بالأمين، وارتحل الفضل بالناس لمواهم في وطنهم، وتركوا عهود المأمون . فجمع المأمون من كان عنده من قواد أبيه، وهم عبدالله بن مالك ويحيى بن معاذ وشيب بن حيد بن قحطبة والملا. مولى الرشيد، - وكان على حجابته - . والعباس بن المسيب بن زهير - وكان على شُرطته - وأيوب بن أبي سمير - وهو على كتابته - وعبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح وذو الرياستين الفضل بن سهل - وهو أخصم به وأخطاهم عنده - فأشار بعضهم أن يركب في أثرهم ويردّهم، ومنعه الفضل من ذلك وقال : أخشى عليك منهم، ولكن تكتب وترسل رسولك إليهم تذكّرهم البيعة والوفاء. وتحقّقهم الخنث، فبعث سهل بن صاعد ونوفلاً الخادم بكتابه إليهم بنيسابور، قرأ الفضل كتابه وقال : أنا واحد من الجند .

وشدّ عبد الرحمن برجليه على سهل ليطنه بالرمح وقال : لو كان صاحبك حاضراً لوضعت فيه، وسبّ المأمون وانصرفوا، ورجع سهل ونوفل بالخبر إلى المأمون فقال له الفضل بن سهل هؤلاء أعداء استرحت منهم وأنت بخراسان، وقد خرج بها المقنع وبعده يوسف البرّ فتضمنعت لها الدولة ببغداد، وأنت رأيت عند خروج رافع

ابن الليث كيف كان الحال وأنت اليوم نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم قاصبر وأنا أضمن لك الخلافة، فقال المأمون : قد فعلت وجعلت الامر اليك فقال : ان عبدالله بن مالك والقواد انفع لك مني لشهرتهم وقوتهم، وأنا خادم لمن يقوم بأمرك منهم حتى ترى رأيك .

وجاءهم الفضل في منازلهم وعرض عليهم البيعة للمأمون، فنفهم من امتنع ومنهم من طرده، فرجع الى المأمون وأخبره فقال : قم أنت بالامر . وأشار عليه الفضل ان يبعث على الفقهاء ويدعوهم الى الحق والعمل به وإحياء السنة ورد المظالم ويعقد على الصفوف، ففعل جميع ذلك، وأكرم القواد وكان يقول للتميمي نقيمك مقام موسى بن كعب، وللربيعي مكان أبي داود وخالد بن ابراهيم، وللإمامي مكان قحطبة ومالك بن الهيثم، وكل هؤلاء نقباء الدولة . ووضع عن خراسان ربع الخراج فاغتنبط به أهلها وقالوا: ابن اختنا وابن عم نبينا، وأقام المأمون يتولى ما كان بيده من خراسان والري، وأهدى الى الامين وكتب اليه وعظمه . ثم ان الامين عزل لاول ولايته أخاه القاسم المؤتمن عن الجزيرة، واستعمل عليها خزيمة بن خازم وأقر المؤتمن على قيسرين والمعاصم . وكان على مكة داود بن عيسى بن موسى بن محمد، وعلى حمص اسحاق ابن سليمان فخالف عليه أهل حمص، وانتقل عنهم الى سلمية، فعزله الامين وولى مكانه عبدالله بن سعيد الحريشي فقتل عدة

منهم وحبس عدة واضرم النار في نواحيها، وسألوا الامان فأجابهم .
ثم انتقضوا فقتل عدة منهم، ثم ولي عليهم ابراهيم بن العباس .

أخبار الفتح وملك الروم

وفي سنة ثلاث وتسعين دخل هرثة بن أعين سمرقند وملكها
وقام بها ، ومعه طاهر بن الحسين ، فاستجاش رافع بالترك فأتوه
وقوي بهم، ثم انصرفوا وضعف أمره، وبلغه الحسن سيرة المأمون
فطلب الامان وحضر عند المأمون، فأكرمه. ثم قدم هرثة على المأمون
فولاه الخرس، وأنكر الامين ذلك كله. وفي هذه السنة قتل نيقفور
ملك الروم في حرب برجان لسبع سنين من ملكه، وملك بعده ابنه
استبراق وكان جريماً فبات لشهرين، وملك بعده صهره على اخته
ميخائيل بن جرجيس ، ووُثب عليه الروم سنة أربع وتسعين بعد
اثنيتين من ملكه، فهرب وترهب وولوا بعده إليوق القائد .

الفتنة بين الأمين والمأمون

ولما قدم الفضل بن الربيع على الامين ونكث عهد المأمون .
خشي غائلته، فأجمع قطع علاقته من الامور واغرى الامين بخلمه
والبينة للعهد لابنه موسى ، ووافق في ذلك علي بن عيسى بن
ماهان والسندي وغيرها ممن يخشى المأمون . وخالفهم خزينة بن
خازم وأخوه عبدالله، وناشدوا الامين في الكف عن ذلك وأن
لا يحمل الناس على نكث اليهود فيطرقهم لنكث عهده . ولجَّ
الامين في ذلك وبلغه ان المأمون عزل العباس بن عبدالله بن مالك

عن الريّ، وانه ولي هرثة بن أعين على الحرس، وانّ رافع بن الليث استأمن له فأمنه وسار في جملة فكتب الى العمال بالدعاء لموسى ابنه بعد الدعاء للمأمون والمؤمن، فبلغ ذلك المأمون فأسقط اسم الامين من الطرد وقطع البريد عنه .

وأرسل الامين اليه العباس بن موسى بن عيسى، وخاله عيسى ابن جعفر بن المنصور وصالحا صاحب الموصل، ومحمد بن عيسى ابن نهيك يطلب منه تقديم ابنه موسى عليه في العهد ويستقدمه. فلما قدموا على المأمون استشار كبار خراسان فقالوا : انما بيعتنا لك على أن لا تخرج من خراسان، فأحضر الوفد وأعلمهم بامتناعه مما جاؤا فيه . واستعمل الفضل بن سهل العباس بن موسى ليكون عيناً لهم عند الامين ففعل، وكانت كتبه تأتيهم بالاخبار . ولما رجع الوفد عاودوه بطلب بعض كور خراسان، وأن يكون له بخراسان صاحب يريد يكاتبه، فامتنع المأمون من ذلك وأوعده الى قعوده بالري ونواحيها يضبط الطرق وينقذها من غوائل الكتب والميون، وهو مع ذلك يتخوف عاقبة الخلاف .

وكان خاقان ملك التبت قد التوى عليه، وجيفونة فارق الطاعة، وملوك الترك منعوا الضريبة، فغشي المأمون ذلك، وحفظ عليه الامر بأن يولي خاقان وجيفونة بلادها ويودع ملك كابل، ويترك الضريبة للملك الترك الآخرين . وقال له بعد ذلك : ثم اضرب الخيل بالخيل والرجال بالرجال، فان ظفرت والألحقت

بمخافان مستجيراً فقبل اشارته وفعلها، وكتب الى الامين يخادعه بانه عامله على هذا الشغل الذي أمره الرشيد بلزومه، وان مقامه به اشدّ غناءً ويطلب اعفاءه من الشخوص اليه، فعلم الامين أنه لا يتابعه على مراده، فخلعه وباع لولده في اوائل سنة خمس وتسعين، وسماه الناطق بالحق، وقطع ذكر المأمون والمؤمن من المنابر، وجعل ولده موسى في حجر علي بن عيسى، وعلى شرطته محمد ابن عيسى بن نهيك، وعلى حرسه أخوه عيسى، وعلى رسائله صاحب القتلى.

وكان يدعى له على المنابر ولابنه الآخر عبدالله ولقبه القائم بالحق، وأرسل الى الكعبة من جاء بكتابي العهد للامين والمأمون اللذين وضعهما الرشيد هنالك، وسارت الكتب من ذلك الى المأمون ببغداد من عيونه بها، فقال المأمون: هذه أمور أخبر الراثي عنها وكفاني أنا ان اكون مع الحق وبعث الفضل بن سهل الى جند الري بالاقوات والاحسان، وجمع اليهم من كان باطرافهم. ثم بعث علي الري طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق اسعد الخزاعي ابا العباس اميراً وضم اليه القواد والاجناد، فترها ووضع المسالح والمراصد، وبعث الامين عصبة بن حماد بن سالم الى همدان في ألف رجل، وأمره ان يقيم بهمدان ويبعث مقدمته الى ساوة.

خروج ابن ماهان لمحارب طاهر ومقتله

ثم جهز الأمين علي بن عيسى بن ماهان الى خراسان لحرب المأمون، يقال دس بذلك الفضل بن سهل العين له عند الفضل ابن الربيع، فأشار به عليهم لما في نفوس اهل خراسان من النفرة عن ابن ماهان فجدوا في حربه . ويقال حرّض اهل خراسان على الكتب الى ابن ماهان ومخادعته ان جاء . فأمره الامين بالمسير وأقطعه نهاوند وهمدان وقم وأصبهان وسائر كور الجبل حرباً وخراجاً، وحكّمه في الخزائن وأعطاه الاموال، وجهز معه خمسين ألف فارس . وكتب الى أبي دلف القاسم بن عيسى بن ادريس العجلي وهلال ابن عبدالله الحضرمي في الانضمام، وركب الى باب زبيدة ليودّعها فأوصته بالمأمون بغاية ما يكون ان يوصى به، وانه بمنزلة ابنها في الشفقة والموصلة، وتناولته قيّداً من فضة وقالت له : ان سار اليك فقيّده به مع المبالغة في البرّ والادب معه .

ثم سار علي بن عيسى من بغداد في شعبان، وركب الامين يشيّه في القوادر والجنود، ولم ير عسكر مثل عسكره . ولقي السفر بالسابلة فأخبروه أنّ طاهراً بالريّ يعرض أصحابه، وهو مستعد للقتال . وكتب الى ملوك الديلم وطبرستان يعدهم ويمنّيهم، وأهدى لهم التيجان والأسورة على ان يقطعوا الطرق عن خراسان فأجابوا ونزل أول بلاد الريّ، فأشار عليه اصحابه باذكار العميون والطلائع والتحصن بالخندق فقال : مثل طاهر لا يستعد له، وهو

إِذَا أَن يَتَحَصَّن بِالرِّيِّ فَيُشَبِّبُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ، وَأَمَّا أَنْ يَفِرَّ إِذَا قَرِبَتْ مِنْهُ خَيْلُنَا. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الرِّيِّ عَلَى عَشْرَةِ فَرَاسِخٍ اسْتَشَارَ أَصْحَابَ طَاهِرٍ فِي لِقَائِهِ فَالَوْا إِلَى التَّحَصُّنِ بِالرِّيِّ فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يُشَبِّبَنَا أَهْلُهُ. وَخَرَجَ فَمَسَكَ عَلَى خَمْسَةِ فَرَاسِخٍ مِنْهَا فِي أَقْلٍ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ فَارِسٍ.

وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ كَبِيرُ جَنْدِ خُرَاسَانَ أَنْ يَنَادِيَ بِخَلْعِ الْأَمِينِ وَبَيْعَةِ الْمَأْمُونِ لثَلَاثَةِ يَوْمَاتٍ عَلَى بَنِي عِيسَى بِطَاعَةِ الْأَمِينِ وَإِنَّهُ عَامِلُهُ فَفَعَلَ، وَقَالَ عَلَى لِأَصْحَابِهِ: بِأَدْرُوهُمْ فَأَنْتُمْ قَلِيلٌ وَلَا يَصْبِرُونَ عَلَى حَدِّ السِّيفِ وَطَعْنِ الرَّمْحِ، وَأَحْكُمُ تَعْبِيَةَ جَنْدِهِ، وَقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَشْرَ رَايَاتٍ مَعَ كُلِّ رَايَةٍ أَلْفُ رَجُلٍ، وَبَيْنَ كُلِّ رَايَتَيْنِ غُلَّةٌ سَهْمٌ لِيُقَاتِلُوا نَوْبًا. وَعَبَّى طَاهِرُ أَصْحَابَهُ كِرَادِيْسَ وَحَرَضَهُمْ وَأَوْصَاهُمْ، وَهَرَبَ مِنْ أَصْحَابِ طَاهِرٍ جَمَاعَةٌ، فَجَلَدَهُمْ عَلَى وَأَهْلَانِهِمْ، فَأَقْبَصَ الْبَاقُونَ وَجَدُوا فِي قِتَالِهِ.

وَأَشَارَ أَحْمَدُ بْنُ هِشَامٍ عَلَى طَاهِرٍ أَنْ يَرْفَعَ كِتَابَ الْبَيْعَةِ عَلَى رُمْحٍ وَيَذْكُرَ عَلَى بَنِي عِيسَى بِهَا نَكْثَهُ. ثُمَّ اشْتَدَّ الْقِتَالُ وَحُلَّتْ مِيمَنَةُ عَلَى فَأَنْهَزَمَتْ مِيسِرَةُ طَاهِرٍ، وَكَذَلِكَ مِيسِرَتُهُ عَلَى مِيمَنَةِ طَاهِرٍ فَأَزَالُوهُ، وَاعْتَمَدَ طَاهِرُ الْقَلْبَ فَهَزَمُوهُمْ، وَرَجَعَتِ الْمَجْنِبَتَانِ مَنَهْزَمَتَيْنِ، وَانْتَهَتْ الْمَرْزُوقَةُ إِلَى عَلِيٍّ وَهُوَ يَنَادِي بِأَصْحَابِهِ. فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ طَاهِرٍ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ إِلَى طَاهِرٍ، وَحُمِلَ يَشْلُوهُ عَلَى خَشْبَةٍ وَأُلْقِيَ فِي بَثْرِ بَأْسِ طَاهِرٍ. وَأَعْتَقَ طَاهِرُ جَمِيعَ

غلمانه شكراً لله، وتمت الهزيمة . واتبعهم أصحاب طاهر فرسخين واقفوه في اثنتي عشرة مرة يقتلونهم في كلها ويأسرونهم، حتى جنّ الليل بينهم .

ورجع طاهر الى الري، وكتب الى الفضل : كتابي الى أمير المؤمنين ورأس علي بين يدي وخاتمه في اصبعي، وجنده متصرفون تحت أري والسلام . وورد الكتاب على البريد في ثلاثة أيام، فدخل الفضل على المأمون وهنأ بالفتح، ودخل الناس فسلموا عليه بالخلافة ووصل رأس علي بعدها بيومين وطيف به في خراسان، ووصل الخبر الى الامين بمقتل علي وهزيمة المسكر، فأحضر الفضل ابن الربيع وكيل المأمون ببغداد وهو نوفل الخادم، فقبض ما بيده من ضياعه وغلاته وخمسين ألف ألف درهم كان الرشيد وصّاه بها، وندم الامين على فعله، وسعت الجند والقواد في طلب الارزاق، فهمّ عبدالله بن حاتم بقتالهم فمنعه الامين وفرّق فيهم أموالاً .

سير ابن جبلة الى طاهر ومقتله

ولما قتل علي بن عيسى بعث الامين عبد الرحمن بن الانباري في عشرين ألف فارس الى همدان، وولاه عليها وعلى كل ما يفتحها من بلاد خراسان وأمنه بالمال، فسار الى همدان وحصنها، وجاءه طاهر فبرز اليه ولقيه، فهزمه طاهر الى البلد . ثم خرج عبد الرحمن ثانية فانهمزم الى المدينة، وحاصره طاهر حتى ضجر منه أهل المدينة

وطلب الامان من طاهر، وخرج من همدان . وكان طاهر عند نزوله عليها قد خشي من صاحب قزوين أن يأتيه من ورائه، فجهز العسكر على همدان . وسار الى قزوين في ألف فارس، ففرّ عاملها وملكها . ثم ملك همدان وسائر أعمال الجبل، وأقام عبد الرحمن ابن جبلة في أمانه . ثم أصاب منه بعض الايام غيرة فركب وهجم عليه في عسكر، فقاتله طاهر أشد القتال، حتى انهزم أصحابه وقتل ولحق قلم بعبد الله وأحمد ابني الحريشي في عسكر عظيم بعثها الامين مدداً لعبد الرحمن، فانهزموا جميعاً الى بغداد . وأقبل طاهر نحو البلاد وحده وأخذه الى حلوان فخنق بها وجمع أصحابه .

بيعة المأمون

وأمر المأمون عندها بأن يُخطب له على المنابر، ويخاطب بأمر المؤمنين، وعقد للفضل بن سهل على المشرق كله من جبل همدان الى البيت طولاً، ومن بحر فارس الى بحر الديلم وجرجان عرضاً، وحمل له عماله ثلاثة آلاف ألف درهم . وعقد له لواء ذا شعبتين ولقبه ذا الرياستين يعني الحرب والعلم، وحمل اللواء علي بن هشام، وحمل العلم نعيم بن خازم، وولى أخاه الحسن بن سهل ديوان الخراج .

ظهور السفيفاني

هو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ويلقب أبا الميَطِر لأنه زعم أنها كنية الجرذون فلقبوه بها، وكانت أمه نفيسة

بنت عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان يقول : أنا ابن شيخي صفين يعني علياً ومعاوية . وكان من بقايا بني أمية بالشام . وكان من أهل العلم والرواية، فادّعى لنفسه بالخلافة آخر سنة خمس وتسعين . وأعانه الخطّاب بن وجه العلس مولى بني أمية، كان متغلباً على صيدا، فملك دِمَشقَ من يد سليمان بن المنصور، وكان أكثر أصحابه من كلب . وكتب الى محمد بن صالح بن تيمس يدعو ويتهدده فأعرض عنه .

وقصد السفّانيّ القيسية فاستجاشوا بمحمد بن صالح، فجاءهم في ثلثمائة فارس من العصابات ومواليه . وبعث السفّانيّ يزيد بن هشام للقائهم في اثني عشر ألفاً، فانهزم يزيد وقتل من أصحابه ألفان وأسر ثلاثة آلاف أطلقهم ابن بيهس وحلقهم . ثم جمع جمعاً مع ابنه القاسم وخرجوا الى ابن بيهس فانهزموا، وقتل القاسم وبعث برأسه الى الامين . ثم جمع جمعاً آخر وخرجوا مع مولاة المُتَمِر فانهزموا، وقتل المُتَمِر فوهن أمر السفّانيّ وطمعت فيه قيس . ثم ان ابن بيهس مرض فجمع رؤساء بني تميم وأوصاهم ببيعة مَسْلَمَةَ بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعد بن مسleme بن عبد الملك بالخلافة . وقال لهم : تولوه وكيدوا به السفّانيّ فانكم لا تتقون بأهل بيته . وعاد ابن بيهس الى حوران، واجتمعت تميم على مسleme فبايعوه، فقتل منهم وجمع مواليه . ودخل على السفّانيّ فقيده وحبس رؤساء بني أمية، وادنى القيسية وجعلهم

بطانة . وأفاق ابن يهس من مرضه فجاء الى دمشق وحاصرها
وسلمها له القيسية في محرم سنة ثمان وتسعين وهرب مسلمة والسفياني
الى المزة، وملك ابن يهس دمشق الى أن قدم عبدالله بن طاهر
دمشق وسار الى مصر، ثم عاد اليها فاحتل ابن يهس معه الى
العراق ومات بها .

مسير الجيوش الى طاهر ورجوعهم بلا قتال

ولما قتل عبد الرحمن بن جبلة أرسل الفضل بن الربيع الى
أسد بن يزيد بن مزيد ودعاه لحرب طاهر بعد أن ولي الامين
الخليفة، وشكر لاسد فضل الطاعة والنصيحة وشدة البأس وبين التقية.
وطلب منه أرزاق الجند من المال لسنة، وألف فرس تحمل من
معه بعد ازاحته عنهم بالاموال، وأن لا يطلب بحسبان ما يفتح.
فقال : قد أشططت ا ولا بد من مناظرة أمير المؤمنين . ثم ركب
ودخل على الامين فأمر بحبسه، وقيل إنه طلب ولدي المأمون كانا
عند أمهما ابنة الهادي ببغداد يحملها معه، فان أطاعه المأمون
وإلا قتلها .

فغضب الامين لذلك وحبسه، واستدعى عبدالله بن حميد
ابن قحطبة فاشتط كذلك، فاستدعى أحمد بن مزيد واعتذر له عن
حبس أسد وبعثه لحرب طاهر، وافر الفضل بأن يجهز له عشرين
الف فارس، وشفع في أسد بن أخيه فأطلقه .

ثم سار وسار معه عبدالله بن حميد بن قحطبة في عشرين

الفاً اخرى وانتهوا الى حُلوان وأقاموا ^(١) وطاره بموضعه
ودس المرجفين في عسكرهم، بأن العطاء والمنع ببغداد، والجند
يقبضون أرواقهم . حتى مشى الجند بعضهم الى بعض، واختلقوا
واقتتلوا ورجعوا من غير لقاء . وتقدّم طاهر ففزّل حُلوان وجاءه
هرثة في جيش من عند المأمون ومعه كتاب بأن يسلم الى هرثة
ما ملكه من المدن ويتقدّم الى الاهواز ففعل ذلك .

امر عبد الملك بن صالح بسوته

قد تقدّم لنا حبس عبد الملك بن صالح الى ان مات الرشيد
واخرجه الامين، ولما كان امر طاهر جاء عبد الملك الى الامين
واشار عليه بأن يقدّم اهل الشام لحربه، فهم اجراً من اهل العراق
وأعظم نكاية في العدو، وضمن طاعتهم بذلك فولاه الامين اهل
الشام والجزيرة وقرّ له بالمال والرجال واستحّته . فسار الى الرقة
وكاتب اهل الشام فتسالموا اليه، فأكرمهم وخلق عليهم وكثرت
جموعه . ثم مرض واشتدّ مرضه ووقعت فتنة في عسكره بين
الخراسانيين وأهل الشام بسبب دابة أخذت لبعضهم في وقعة سليمان
ابن ابي جعفر وعرفها عند بعض اهل الشام، فاقتتلوا وأرسل اليهم
عبد الملك بالقتل فلم يقتلوا، وكثر القتل وظهر عبد الملك النصرة
للشاميين وانتفض الحسين بن علي للخراسانيين، وتنادى الناس

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٠ : وأقام أحمد وعبد الله
بخانقين وأقام طاهر بموضعه، ودس الجواسيس والعيون وكانوا يرجفون في عسكر أحمد وعبد الله .

بالرجوع الى بلادهم، فمضى اهل حمص وقبائل كلب، فانهزم
اهل الشام وأقام عبد الملك بن صالح بالرقّة، توفي بها .

خلع الأمين ولعنته

ولما مات عبد الملك بن صالح نادى الحسين بن عليّ في الجند
بالرحيل الى بغداد، وقدمها فلقية القواد ووجوه الناس، ودخل
منزله واستدعاه الامين من جوف الليل، فامتنع وأصبح، فوافى
باب الجسر وأغراهم بخلع الامين، وحذّروهم من نكته . ثم امرهم
بعبور الجسر فعبروا، ولقيه أصحاب الامين فانهزموا . وذلك
منتصف رجب سنة ست، وأخذ البيعة للمأمون من الغد . ووثب
العبّاس بن عيسى بن موسى بالامين فأخرجه من قصر الخلد وجبسه
بقصر المنصور ومعه أمه زبيدة، فلما كان من الغد طلب الناس
أرزاقهم من الحسين وماج بعضهم في بعض، وقام محمد بن أبي خالد
فنكر استبداد الحسين بخلع الامين وليس بذى منزلة ولا حسب
ولا نسب ولا غنائم .

وقال أسد الحربي : قد ذهب أقوام بخلع الامين، فاذهبوا أنتم
بفكه يا معشر الحزبيّة، فرجع الناس على أنفسهم باللائمة وقالوا :
ما قتل قوم خليفتهم إلّا سلط الله عليهم السيف . ثم نهضوا الى
الحسين وتبعهم أهل الارض فقاتلوه قتالاً شديداً وأسروه . ودخل
أسد الحربي الى الامين وكسر قيوده وأجلسه على أريكته، وأمرهم
الامين بلبس السلاح، فانتهبه الفوغاء وجيء بالحسين اليه أسيراً،

فاعتذر اليه وأطلقهم، وأمر بجمع الجند والمسير الى طاهر، وخلع عليه ما وراء بابه . ووقف الناس يهثونه بباب الجسر حتى اذا خف عنه الناس قطع الجسر وهرب، وركب الجند في طلبه وأدركوه على فرسخ من بغداد وقتلوه وجاؤوا برأسه الى الامين، واختفى الفضل بن الربيع عند ذلك فلم يوقف له على خبر .

استيلاء طاهر على البلاد

ولما جاء كتاب المأمون بالمسير الى الاهواز قدم اليها الحسين بن عمر الرستمي، وسار في أثره وأنته عيونه بأن محمد بن يزيد بن حاتم قد توجه من قبل الامين في جند ليحمي الاهواز من أصحاب طاهر، فبعث من أصحابه محمد بن طالوت ومحمد بن العلاء والعباس ابن بخارا أخذاه مدداً للرستمي . ثم أمدهم بقريش بن شبل . ثم سار بنفسه حتى كان قريباً منهم، وأشرفوا على محمد بن يزيد بمسكر مكرم، وقد أشار اليه أصحابه بالرجوع الى الاهواز والتحصن بها حتى تأتيه قومه الأزدي من البصرة، فرجع وأمر طاهر قريش بن شبل باتباعه قبل أن يتحصن بالأهواز، فخرج لذلك وفاته محمد بن يزيد الى الاهواز، وجاء على أثره فاقتتلوا قتالاً شديداً. وفر أصحاب محمد واستمات هو ومواليه حتى قتلوا. وملك طاهر الاهواز، وولى على اليمامة والبحرين وعمان . ثم سار الى واسط وبها السندي بن يحيى الحرثي والهيثم بن شعبة خليفة خزيمه بن حازم، فهربا عنها وملكها طاهر وبعث قائداً من

قواده الى الكوفة وبها العباس بن المهدي ، فخلع الامين وبايع
للمأمون ، وكتب بذلك الى طاهر ، وكذلك فعل المنصور بن
المهدي بالبصرة والمطلب بن عبدالله بن مالك بالموصل ، وأقرهم
طاهر على أعمالهم .

وبعث الحرث بن هشام وداود بن موسى الى قصر ابن هبيرة
وأقام يحرّجا .^(١) ولما بلغ الخبر بذلك الى الامين بعث محمد بن
سليمان القائد ومحمد بن حماد البربري الى قصر ابن هبيرة فقاتلهم
الحرث وداود قتالاً شديداً وهزموهم الى بغداد ، وبعث الامين
أيضاً الفضل بن موسى على الكوفة ، فبعث اليه طاهر بن العلاء
في جيش فلقبه في طريقه ، فأراد مسالته بطاعة المأمون كياداً ،
ثم قاتله فانهزم الى بغداد . ثم سار طاهر الى المدائن وعليها البرمكي ،
والمدد متصل له كل يوم ، فقدم قريش بن شبل ، فلما أشرف
عليهم وأخذ البرمكي في التعبئة فكانت لا تتم له ، فأطلق سبيل
الناس وركب بعضهم بعضاً نحو بغداد ، وملك طاهر المدائن ونواحيها ،
ثم نزل صرصر وعقد بها جسراً .

بيعة الحجاز للمأمون

ولما أخذ الامين كتب العهد من مكة ، وأمر داود بن عيسى
وكان على مكة والمدينة بخلع المأمون قام في الناس ونكر نقض

(١) كذا في الأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ١٦٨ : «ورحل طاهر حتى نزل طرنايا» وفي
الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ : «وأقام طاهر بجر جرايا» .

العهد، وذكّرهم ما أخذ الرشيد عليهم من الميثاق لابنيه في المسجد الحرام أن يكونوا على الظالم، وأن محمداً بدأ بالظلم والنكث، وخلع اخويه وباع لطفل صغير رضيع، وأخذ الكتّابين من الكعبة فحرقهما ظلاماً، ثم دعا إلى خلعه والبيعة للمأمون فأجابوه، ونادى بذلك في شعاب مكة وخطبهم. وكتب إلى ابنه سليمان بالمدينة بمثل ذلك ففعله، وذلك في رجب سنة ست وتسعين. وسار من مكة على البصرة وفارس وكرمان إلى المأمون، وأخبره فسر بذلك وولاه مكانه، وأضاف إليه ولاية عاك. وأعطاه خمسمائة ألف درهم وسير معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى بن موسى على الموسم، ويزيد بن جرير بن يزيد بن خالد القسريّ في جند كتيّف عاملاً على اليمن، ومرّوا بطاهر وهو محاصر ببغداد، فأكرمهم وأقام يريد اليمن فبايعوه للمأمون وأطاعوه.

حصار بغداد واستيلائها، طاهر عليها ومقتل الأمين

ولما اتصلت بالأمين هذه الاحوال، وقتل الحسين بن علي بن عيسى، شمرّ لحرب طاهر واستعدّ له. وعقد في شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة^(١) شتى، وأمر عليهم علي بن محمد بن عيسى ابن نهيك، وأمرهم بالمسير إلى هَرَمَّة فساروا إليه والتقوا بنواحي التّهروان في رمضان، فانهزموا وأسر قائدهم علي بن محمد، فبعث

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٥٥: وفي هذه السنة - أي سنة ست وتسعين ومائة - عقد محمد الأمين في رجب وشعبان نحواً من أربعمائة لواء لقواد شتى.

به هزيمة الى المأمون وترك النهروان، وأقام طاهر بصرصر، والجيش
تتعاقب من قبل الامين فيهمزها . ثم بذل الامين الاموال
ليستفسد بها عساكرهم ، فسار اليه من عسكر طاهر نحو من
خمسة آلاف، ففرق فيهم الاموال، وقود جماعة من الحرية، ودس
الى رؤساء الجند في عسكر طاهر ورغبهم ، فشغبوا على طاهر
وسار كثير منهم الى الامين، وانضموا الى قواد الحرية وقواد
بغداد وساروا الى صرصر . فعى أصحابه كراديس وحرصهم ووعدهم .
ثم تقدم فقاتلهم ملياً من النهار، وانهزم أصحاب الامين، وغنم
أصحاب طاهر عسكرهم . ولما وصلوا الى الامين فرق فيهم الاموال
وقود منهم جماعة ولم يعط المهزمين شيئاً، ودس اليهم طاهر واستالمهم،
فشغبوا على الامين . فأمر هؤلاء المحدثين بقتالهم وطاهر يرأسهم
وقد أخذ رهائنهم على الطاعة، وأعطاهم الاموال . فسار فقتل
باب الانبار بقواده وأصحابه، واستأمن اليه كثير من جند الامين،
وثارَت العامة وفتقت السجون، ووثب الشطار على الأخيار .
ونزل زهير بن مسيب الضبي من ناحية، ونصب المجانيق والعرادات،
وحفر الخنادق . ونزل هزيمة بناحية أخرى وفعل مثل ذلك .
ونزل عبيد الله بن الوضاح بالشماسية، ونزل طاهر بباب الانبار،
فضيق على الامين بمنزله ونفذ ما كان بيد الامين من الاموال ،
وأربيع ما في الخزان من الامتعة . وضرب آتية الذهب والفضة
ليفرقها في الجند، وأحرق الحديثة فأت بها خلق ، وأستأمن سعيد

ابن مالك بن قادم الى طاهر فولاه الاسواق وشاطي، دجلة، وأمره بحفر الخنادق وبناء الحيطان وكل ما غلب عليه من الدروب، وأمدّه بالرجال والاموال . ووكل الامين بقصر صالح وقصر سليمان بن المنصور الى دجلة بعض قواده، فألح في احراق الدور والرمي بالمجانيق وفعل طاهر مثل ذلك . وكثر الخراب ببغداد، وصار طاهر يخندق على ما يمكنه من النواحي ويقاقل من لم يحبه، وقبض ضياع من لم يخرج اليه من بني هاشم والقواد وعجز الأجناد عن القتال .

وقام به الباعة والعيّارون، وكانوا ينهبون أموال الناس . واستأمن اليه القائد الموكل بقصر صالح فأمنه وسلم اليه ما كان بيده من تلك الناحية في جمادى الاخيرة من سنة سبع . واستأمن اليه محمد بن عيسى صاحب الشرطة فوهن الامين . واجتمع العيّارون والباعة والاجناد وقتلوا أصحاب طاهر في قصر صالح، وقتلوا منهم خلقاً، وكاتب طاهر القواد بالامان وبيعة المأمون، فأجابه بنو قحطبة كلهم ويحيى بن علي بن ماهان، ومحمد بن أبي العباس الطائي وغيرهم . وفشل الامين وفوض الامر الى محمد بن عيسى ابن نهيك والى الحسن الهرش، ومعهم الغوغاء يتولون أمر تلك الفتنة . وأجفل الناس من بغداد وافترقوا في البلاد .

ولما وقع بطاهر في قصر صالح ما وقع بأصحابه شرع في هدم المباني وتخريبها، ثم قطع الميرة عنهم، وصرف السفن التي تحمل

فيها الى الفرات . فغلت الاسعار وضاق الحصار، واشتد كَلْبُ
العيّارين فهزموا عُبيدَ اللَّهِ بن الوضّاح وغلّبوه على الشماسية . وجاء
هرثة ليعينه فهزموه أيضاً وأسروه، ثم خلّصه أصحابه . وعقد طاهر
جسراً فوق الشماسية وعبر اليهم وقتلهم أشدّ قتال فردّهم على
أعقابهم، وقاتل منهم بشراً كثيراً . وعاد ابن الوضّاح الى مركزه،
وأحرق منازل الامين بالخيزرانية، وكانت النفقة فيها بلغت عشرين
ألف درهم، وأيقن الامين بالهلاك، وفرّ منه عبدالله بن حازم بن
خُزَيْمَةَ الى المدائن لانه اتهمه وحمل عليه السفلة والنوغاة .

ويقال بل كاتبه طاهر وقبض ضياعه، فخرج عن الامين
وقصد الهرش ومن معه جزيرة العباس من نواحي بغداد، فقاتلهم
بعض أصحاب طاهر وهزموهم، وغرق منهم خلق كثير . وضجر
الامين وضعف أمره، وسار المؤمن بن الرشيد الى المأمون فولّاه
جرجان، وكاتب طاهر خُزَيْمَةَ بن حازم ومحمد بن علي بن موسى
ابن ماهان وأدخلهما في خلع الامين فاجاباه، ووثبا آخر محرّم من
سنة ثمان وتسعين فقطعا جسر دجلة، وخلع الامين، وبعث الى
هرثة وكان بازائهما فسار اليهما من ناحيته، ودخل عسكر المهدي
وملكه . وقدم طاهر من الغد الى المدينة والكرخ فقاتلهم وهزمهم
وملكها عتوةً ونادى بالامان، ووضع الجند بسوق الكرخ وقصر
الوضّاح، وأحاط بمدينة المنصور وقصر زُيندة وقصر الخلد من
باب الجسر الى باب البصرة، وشاطىء الصراة الى مصبها في دجلة،

ونصب عليها المجانيق .

واعتصم الامين في أمه ووليع بمدينة المنصور ، واشتد عليه الحصار، وثبت معه حاتم بن الصقر والحريشي والافارقة . وافترق عامة الجنود والحصيان والجواري في الطرق، وجاء محمد بن حاتم ابن الصقر ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب الافريقي الى الامين وقالوا له : بقي من خيلك سبعة آلاف فرس، نختار سبعة آلاف ونجعلهم عليها، ونخرج على بعض الابواب ولا يشعر بنا أحد، ونلحق بالجزيرة والشام فيكون ملك جديد، وربما مال اليك الناس ويمدح الله أمراً . فاعتزم على ذلك وبلغ الخبر الى طاهر، فكتب الى سليمان ابن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك يتهددهم ان لم يصرفوه عن ذلك الرأي . فدخلوا على الامين وحذروه من ابن الصقر وابن الاغلب أن يحمل نفسه في أيديهم فيتقربوا به الى طاهر، وأشاروا عليه بطلب الامان على يد هرثة بن أعين والخروج اليه، وخالفهم اليه ابن الصقر وابن الاغلب .

وقالوا له : اذا ملت الى الخوارج فطاهر خير لك من هرثة فابى وتطير من طاهر، وأرسل الى هرثة يستأمنه . فأجابه أنه يقاتل في امانة المأمون فمن دونه، وبلغ ذلك طاهراً فعمم عليه أن يكون الفتح لهرثة، واجتمع هو وقواده لهرثة وقواده في منزل خزيمة بن حازم، وحضر سليمان والسندي وابن نهيك وأخبروا طاهراً انه لا يخرج اليه أبداً، وانه يخرج الى هرثة ويدفع اليك الخاتم

والقضيبي والبردة وهو الخلافة فرضي .

ثم جاءه الهرش وأسر إليه انهم يجادعونهم وانهم يحملونها مع الامين الى هريمة، فنضب وأعد رجالاً حول قصور الامين . وبعث اليه هريمة لحس بقين من محرم سنة ثمان وتسعين بأن يتربص ليلة لانه رأى أولئك الرجال بالشط فقال : قد افترق عني الناس ولا يمكنني المقام لئلا يدخل علي طاهر فيقتلني . ثم ودع ابنه وبكى وخرج الى الشط، وركب حراقة هريمة . وجعل هريمة يقتل يديه ورجليه وأمر بالحراقة ان تدفع، واذا باصحاب طاهر في الزواريق، فشدوا عليها ونقبوها ورموهم بالآجر والنشاب فلم يرجعوا، ودخل الماء الى الحراقة ففرقت .

قال أحمد بن سالم صاحب المظالم : فسقط الامين وهريمة وسقطنا، فتعلق الملاح بشعر هريمة وأخرجه، وشق الامين ثيابه . قال : وخرجت الى الشط فعملت الى طاهر فسألني عن نفسي فانتسبت، وعن الامين فقلت غرق، فعملت الى بيت وجنست فيه حتى أعطيتهم مالاً فاديتهم به على نفسي . فبعد ساعة من الليل فتحوا علي الباب وادخلوا علي الامين عريان في سراويل وعمامة، وعلى كتفه خرقه فاسترجعت وبكيت . ثم عرفني فقال : ضمني اليك فإني أجد وحشة شديدة، فضمته وقلبه يخفق فقال : يا احمد ! ما فعل اخي فقلت حي . قال : قبح الله يريدكم كان يقول قد مات، يريد بذلك العذر عن محاربته، فقلت : بل قبح الله وزراءك

فقال : تراهم يفون لي بالامان ا قلت : نعم إن شاء الله .
ثم دخل محمد بن حميد الطاهري فاستثبتنا حتى عرفه وانصرف ،
ثم دخل علينا منتصف الليل قوم من المعجم منتضين سيوفهم ،
فدافع عن نفسه قليلاً . ثم ذبحوه ومضوا برأسه الى طاهر ، ثم
جاؤا من السحر فأخذوا جثته . ونصب طاهر الرأس حتى رآه
الناس ، ثم بعث به الى المأمون مع ابن عتيه محمد بن الحسن بن
مُصَنَّب ، ومعه الخاتم والبردة والقضيب وكتب معه بالفتح . فلما
رآه المأمون سجد .

ولما قتل الامين نادى طاهر بالامان ، ودخل المدينة يوم الجمعة
فصلّى بالناس وخطب للمأمون وذمّ الامين ، ووكل بحفظ القصور
الخلافية ، وأخرج زَيْنَةَ أُمّ الامين وابنيه موسى وعبد الله الى
بلاد الزاب الاعلى . ثم أمر بحمل الولدين الى المأمون ، وندم الجند
على قتله . وطالبوا طاهراً بالاموال ، فارتاب يحنّد ببغداد ويحنّده
أنهم تواطؤا عليه ، وثاروا به لحس من قتل الامين . فهرب الى
عَمْرَقُوبَا ومعه جماعة من القواد . ثم تعبى لقتالهم فجاءوا واعتذروا
وأحالوا على السفهاء والاحداث فصفع عنهم وتوعدهم ان يعودوا
لمثلها ، وأعطاهم أربعة أشهر . واعتذر اليه مشيخة بغداد وحلفوا
أنهم لم يدخلوا الجند في شيء من ذلك ، فقبل منهم ووضعت أهل
الحرب أوزارها واستوسق^(١) الامر للمأمون في سائر الاعمال والممالك .

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٧١ : وضعت الحرب أوزارها واستوثق الناس
في المشرق والمغرب على طاعة المأمون والانقياد لخلافته .

ثم خرج الحسن الهرش في جماعة من السَفَلَةِ وأتبعه كثير من
 بوادي الاعراب، ودعا الى الرضا من آل مُحَمَّدٍ، وأتى النيل
 فجبى الاموال ونهب القرى . وولى المأمون الحسن بن سهل أخا
 الفضل على ما افتتحه طاهر من كور الجبل والعراق وفارس
 والاهواز والحجاز واليمن، فقدم سنة تسعة وتسعين وفرق العُمَال
 وولى طاهراً على الجزيرة والموصل والشام والمغرب، وأمره أن
 يسير الى قتال نصر بن شبيب، وأمر هرثمة بالمسير الى خراسان،
 وكان نصر بن شبيب من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر
 في كِنَسُوم شمالي حلب، وكان له ميل الى الامين . فلما قتل أظهر
 الوفاء له بالبيعة، وغلب على ما جاوره من البلاد، وملك سيمساط
 واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب، وعبر الى شرقي العراق،
 وحصر حَرَّان .

وسأل منه شيعة الطالبيين أن يبايعوا لبعض آل علي لما رأوه
 من بني العباس ورجالهم وأهل دولتهم وقال : والله لا أبايع أولاد
 السوداء، فيقول : إنه خلقني ورزقني . قالوا : فبعض بني
 أمية قال : قد أدير أمرهم والمُذِيرُ لا يُقِيلُ ولو سلم علي رجل
 مدير لأعداني بادباره، وانما هواي في بني العباس، وانما حاربهم
 لتقديمهم العجم على العرب . ولما سار اليه طاهر نزل الرقة وأقام
 بها وكتب اليه يدعوهم الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه، وجاء
 الخبر الى طاهر في الرقة بوفاة أبيه الحسين بن زُرَيْق بن مُصْعَب

بخراسان ، وأنّ المأمون حضر جنازته . ونزل الفضل قبره وجاءه كتاب المأمون يعزيه فيه .

وبعد قتل الامين كانت الوقعة بالموصل بين الياينية والتزارية وكان عليّ بن الحسن الهمداني متغلباً على الموصل فمصف بالتزارية، وسار عثمان بن نعيم البرجي الى ديار مصر ، وشكا الى أحيانهم واستغفرهم ، فسار معه من مصرَ عشرون ألفاً وأرسل اليهم عليّ ابن الحسن بالرجوع الى ما يريدون ، فأبى عثمان فخرج عليّ في أربعة آلاف فهزمهم وأثخن فيهم وعاد الى البلد .

ظهر ابن طباطبائي الطوسي

لما بعث المأمون الحسن بن سهل الى العراق وولاه على ما كان افتتحه طاهر من البلاد والاعمال ، تحدّث الناس أن الفضل ابن سهل غلب على المأمون واستبدّ عليه وحجبه عن أهل بيته وقواده ، فغضب بنو هاشم ووجوه الناس واجتروا على الحسن بن سهل وهاجت الفتنة . وكان أبو السرايا السريّ بن منصور ويذكر انه من بني شيبان من ولد هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود ، وقيل من بني تميم بالجزيرة ، وطلب فعب الى شرقي انفوات وأقام هنالك يُخيف السابلة ثم طوى يزيد بن يزيد بن مزيق في ثلاثين فارساً فقتله وقاتل معه الحرمية وأمر منهم بأخذ منهم الزاد أبا الشوك .

(١) كذا في الأصل وهي الحرمية، كذا في ابن الأثير ج ٥ ص ١٧٤ .

ومات يزيد بن يزيد فكان مع ابنه أسد، وعزل أسد فسار الى احمد بن يزيد . ولما بعث الامين احمد بن يزيد لحرب هرثة بعثه طليعة الى عسكره، فاستماله هرثة فمال اليه ولحق به وقصد بني شيان مع الجزيرة، واستخرج لهم الارزاق من هرثة واجتمع اليه أزيد من ألفي فارس . فلما قتل الامين تعصى هرثة عن أرزاقهم فغضب واستأذن في الحج فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم ففرقها في أصحابه ومضى وأوصاهم باتباعه، فاجتمع له منهم نحو مائتين وسار الى عين التمر، فأخذوا عاملها وقسموا ماله، ولقوا عاملاً آخر بمال موفور على ثلاثة أنفار فاقسموه .

وأرسل هرثة عسكراً خلفه فهزهم، ودخل البرية . ولحق به من تخلف من أصحابه فكثر جمعه، وسار نحو دقوقا وعليها أبو ضرغام في سيمائة فارس، فخرج وقاتله فهزمه، ورجع الى القصر فحاصره أبو السرايا حتى نزل على الامان وأخذ أمواله . وسار الى الانبار وعليها ابراهيم الشروي مولى المنصور، فقتله وأخذ ما فيها وعاد اليها عند ادراك الغلال فافتتحها . ثم قصد الرقة وربطوق ابن مالك الشعلي فاستجاشه على قيس، فأقام عنده أربعة أشهر يقاتل قيساً بمصيبة ربيعة حتى انقادت قيس الى طوق .

وسار أبو السرايا الى الرقة فلقى محمد بن ابراهيم بن اسماعيل ابن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي، وتلقب أبوه ابراهيم طباطبا فدعاه الى الخروج، وانفذ الى الكوفة فدخلاها

وبأيهم أهلها على بيعة الرضا من آل محمد، ونهب أبو السرايا قصر العباس بن موسى بن عيسى، وأخذ ما فيه من الاموال والجواهر مما لا يحصى، وذلك منتصف جمادى الآخرة سنة تسعة وتسعين، وقيل إنَّ أبا السرايا مظهر هرثمة باردق أصحابه، فغضب ومضى إلى الكوفة فباع ابن طباطبا . ولما ملك الكوفة هرع إليه الناس والأعراب من النواحي فباعوه، وكان عليها سليمان بن المنصور من قبل الحسن بن سهل، فبعث إليه زهير بن المسيب الضبي في عشرة آلاف، وخرج إليه ابن طباطبا وأبو السرايا فهزموه واستباحوا عسكره، وأصبح محمد بن طباطبا من الغد ميتاً، فنصب أبو السرايا مكانه غلاماً من العلوية، وهو محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين واستبد عليه .

ورجع زهير إلى قصر ابن هبيرة فأقام به وبعث الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن خالد المروزي في أربعة آلاف، فلقه أبو السرايا منتصف رجب وقتله ولم يفلت من أصحابه أحد كانوا بين قتيل وأسير، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وبعث جيوشاً إلى البصرة وواسط، وولّى علي البصرة العباس بن محمد بن عيسى ابن محمد الجعفري، وعلى مكة الحسين الأفطس بن الحسين بن علي زين العابدين وجعل إليه الموسم . وعلى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، وعلى فارس اسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق، وعلى الأهواز زيد بن موسى الصادق، فسار إلى البصرة

وأخرج عنها العباس بن محمد بن داود بن الحسن المثنى الى المدائن، وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي ففعل .

وكان بواسط عبدالله بن سعد الحرشي من قبل الحسن بن سهل، ففرّ امامهم وبعث الحسن بن سهل الى هَرَمَّةَ يستدعيه لحرب ابي السرايا وكان قد سار الى خراسان مغاضباً له فرجع بعد امتناع، وسار الى الكوفة في شعبان . وبعث الحسن الى المدائن وواسط عليّ بن أبي سعيد، وأبلغ الخبر أبا السرايا وهو بقصر ابن هبيرة، فوجه جيشاً الى المدائن فلكوها في رمضان . وتقدّم فتزل نهر صرصر، وعسكر هَرَمَّةَ بازائه غدوة . وسار عليّ بن أبي سعيد في سؤال المدائن فحاصر بها أصحاب ابي السرايا ورجع هو من نهر صرصر الى قصر ابن هبيرة وهَرَمَّةَ وأتباعه، ثم حصره وقتل جماعة من أصحابه فانحاز الى الكوفة ووثب الطالبيون على دور بني العباس وشيعتهم فنهبوا وخربوها وأخرجوهم واستخرجوا ودائعهم عند الناس، وكان على مَكَّةَ داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ، فلما بلغه قدوم حسين الأفطس جمع شيعة بني العباس .

وكان مسرور الكبير قد حجّ في مائة فارس فتعجّب للحرب ودعا داود الى حربهم فقال : لا أستحلّ ذلك في الحرم وخرج الى العراق وتبعه مسرور . وكان حسين الأفطس بسرفٍ يخاف دخول مكة فبلغه الخبر ان مكة قد خلت من بني العباس، فدخل في عشرة أنفس وطاف وسعى ووقف بعرفة ليلاً وأتمّ الحجّ . وأقام

هرثة بنواحي الكوفة يحاصرها، واستدعى منصور بن المهدي وكاتب رؤساء الكوفة، وسار علي بن سعيد من المدائن الى واسط فملكها ثم توجه الى البصرة واشتد الحصار على ابي السرايا بالكوفة، فهرب عنها في ثمانائة فارس ومعه صاحبه الذي نصبه وهو محمد ابن جعفر بن محمد .

ودخلها هرثة منتصف محرم فأقام بها يوماً وولى عليها غسان صاحب الحرس بخراسان، وعاد وقصد أبو السرايا القادسية وسار منها الى السوس، ولقي بخراسان مالا يُجِلُّ من الاهواز فقسمه في أصحابه . وكان على الاهواز الحسن بن علي المأموني، فخرج اليه فقاتله فهزمه، واقترب أصحابه وجاء الى منزله برأس عين من جلولا. ومعه صاحبه محمد وغلამه أبو الشوك، فظفر بهم حماد الكندغوش وجاء بهم الى الحسن بن سهل في التهرّوان، فقتل أبا السرايا وبعث برأسه الى المأمون وبصاحبه محمد معه، ونصب شلوه على جسر بغداد .

وسار علي بن أبي سعيد الى البصرة فملكها من يد زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وكان يسمى زيد النار لكثرة ما أحرق من دور العباسيين وشيعتهم، فاستأمن اليه زيد فأمنه وأخذه، وبعث الجيوش الى مكة والمدينة واليمن لقتال من بها من العلويين، وكان ابراهيم بن موسى بن جعفر بمكة، فلما بلغه خبر أبي السرايا ومقتله ولّى وسار الى اليمن وبها اسحاق بن موسى بن عيسى فهرب

الى مكة، واستولى ابراهيم على اليمن وكان يسمى الجزار لكثرة قتله وقتكه . ثم بعث رجلاً من ولده عقيل بن أبي طالب الى مكة ليحج بالناس، وقد جاء لذلك أبو الحسن المعتصم في جماعة من القواد فيهم خدوية بن علي بن عيسى بن ماهان والياً على اليمن من قبل الحسن بن سهل فخام^(١) العقيلي عن لقائهم، واعترض قافلة الكسوة فأخذها، ونهب أموال التجار ودخل الحجاج الى مكة عراة، فبعث الخلودي من القواد فصبحهم وهزمهم وأسر منهم، وتفقّد أموال التجار وكسوة الكعبة وطبيها، وضرب الأسراء عشرة أسواط لكل واحد وأطلقهم، وحج المعتصم بالناس .

بيعة محمد بن جعفر بمكة

هو محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ويُلقَّبُ الديباجة، وكان عالماً زاهداً ويروي عن أبيه وكان الناس يكتبون عنه . ولا ملك الحُسينُ الأقطس مكّة كما ذكرناه عاث فيها ورزع كسوة الكعبة وكساها بأخرى من التمد أنفذها أبو السرايا من الكوفة، وتتبّع ودائع بني العباس وجعلها ذريعة لاخذ أموال الناس فخرجوا من مكة . وقلع أصحابه شبابيك الحرم وقلع ما على الاساطين من الذهب، واستخرج ما كان في الكعبة من المال قسمه في أصحابه، وساء أثره في الناس .

(١) بمعنى نكص وجبن . قال الشاعر:

إذ يثقون بي الاسنة لم أخم عنها، ولكني تضايقت مقلمي

فلما قتل أبو السرايا تنكروا له فخشي على نفسه، فجاء إلى محمد بن جعفر ليبايع له بالخلافة، فلم يزل به هو وابنه حسن واستمعنا عليه بابنه علي حتى بايعوه، ودعوه بأمر المؤمنين. واستبد عليه ابنه علي وابن الأفسر بأسوأ مما كان قبل، وأفحشوا في الزنا واللواط واغتصاب النساء والعصيان، فاجتمع الناس على خلع محمد بن جعفر أو يرّد اليهم ابن القاضي كان منتصباً بيت ابنه علي، فاستأمنهم حتى ركب إلى بيت ابنه وسلم اليهم الغلام.

وجاء اسحاق بن موسى بن عيسى من اليمن، فاجتمع الناس وخندقوا مكة، وقاتلهم اسحاق وامتنعوا عليه، فسار نحو العراق ولقي الجند الذين بعثهم هرثمة إلى مكة مع الجلودي ورجاء بن جميل، وهو ابن عم الحسين بن سهل. فرجع بهم وقاتل الطالبين فهزهم وافترقوا، واستأمن إليه محمد بن جعفر فأمنه وملك مكة، وسار محمد بن جعفر إلى الجحفة ثم إلى بلاد جُهينة فجمع وقاتل هارون بن المسيّب والي المدينة، فانهزم محمد وفُتت عينه وقتل خلق من أصحابه ورجع إلى موضعه. ولما انقضى الموسم استأمن الجلودي ورجاء بن جميل فأمناء ودخل مكة، وخطب واعتذر عما فعله بأنه بلغه موت المأمون ثم صح أنه حي، وخلع نفسه وسار إلى الحسن والي المأمون بمرور، فلم يزل عنده إلى أن سار المأمون إلى العراق فات يجران في طريقه.

مقتل هرثمة

لما فرغ هرثمة من أبي السرايا رجع، وكان الحسن بن سهل بالمداين فلم يُعَرَّجْ عليه، وسار على عرقوبها إلى النهروان قاصداً خراسان، ولقيته كتب المأمون متلاحقةً أن يرجع إلى الشام والحجاز، فأبى اللقاء دالة عليه بما سبق له من نصحه له ولآبائه. وكان قصد أن يُطْلَعَ المأمون على حال الفضل بن سهل في طيه الأخبار عنه وما عند الناس من القلق بذلك، وباستبداده عليه ومقامه بخراسان، وعلم الفضل بذلك فأغرى به المأمون، والتقى إليه أنه سلط أبا السرايا وهو من جنده وقد خالف كتبك وجاء معانداً سيئ القالة، وإن سومح في ذلك اجترأ غيره فسخطه المأمون وبقي في انتظاره ولما بلغ مرو قرع طبوله يسمعا لثلاث يطوى خبره عن المأمون، وسأل المأمون عنها فقيل هرثمة أقبل يردد ويبرق. فاستدعاه وقال هرثمة^(١) مالأت العلويين وأبا السرايا ولو شئت أهلاكهم جميعاً لفعلت، فذهب يعتذر فلم يمهله، وأمر فربس^(٢) بطنه وشدخ أنفه، وسحب إلى السجن، ثم دس إليه من قتله.

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٧٩ : فأمر المأمون بإدخاله، فلما دخل عليه قال له المأمون: مالأت أهل الكوفة العلويين الخ.
(٢) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٧٩ : فديس بطنه.

انتفاض بغداد على الحسن بن سهل

ولما بلغ خبر هزيمة إلى العراق كتب الحسن بن سهل إلى علي بن هشام وإلى بغداد من قبله أن يتعلل على الجند الحربية والبغداديين في أوزاقهم، لأنه كان يلقه عنهم قبل مسير هزيمة انهم عازمون على خلع وطرد عماله، وولوا عليهم اسحاق بن الهادي خليفة المأمون. فلم يزل الحسين يتلطف اليهم ويكتبهم حتى اختلفوا فأزّل علي بن هشام ومحمد ابن أبي خالد في أحد جانبيها، وزهير بن المسيب في الجانب الآخر وقاتلوا الحربية ثلاثة أيام ثم صالحهم على العطاء وشرع فيه.

وكان زيد بن موسى بن جعفر قد أخذ علي بن أبي سعيد من البصرة وحبسه كما ذكرناه قبل، فهرب من محبسه وخرج بناحية الأنبار ومعه أخ لابي السرايا. ثم تلاشى أمره، وأخذوا^(١) إلى علي بن هشام. ثم جاء خبر هزيمة وقد انتفض محمد بن أبي خالد على علي بن هشام بما كان يستحق به، وغضب يوماً مع زهير بن المسيب فقتله بالسوط، فسار إلى الحربية ونصب لهم الحرب، وانهزم علي بن هشام إلى صرصر. وقيل إن ابن هشام أقام الحدة على عبدالله بن علي بن عيسى، فنضب الحربية وأخرجوه. واتصل ذلك بالحسن بن سهل وهو بالمدائن كما قلناه، فانهزم إلى واسط أول سنة إحدى ومائتين، والفضل بن الربيع وقد

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٨٠: فبعثوا إليه فأتى به إلى علي بن هشام.

ظهر من اختفائه من لدن الامين . وجاء عيسى بن محمد بن ابي خالد من الرقة من عند طاهر، فاجتمع هو وأبوه على قتال الحسن وهزموا كل من تعرض للقائهم من أصحابه . وكان زهير بن المسيب عاملاً للحسن على جوخي من السواد وكان يكتب ببغداد، فركب اليه محمد بن أبي خالد وأخذه أسيراً وانتهب ماله وجسه ببغداد عند ابنه جعفر .

ثم تقدم الى واسط وبعثه ابنه هارون الى النيل، فحرم نائب الحسن بها الى الكوفة فلحق بواسط، ورجع هارون الى أبيه وتقدم نحو واسط فسار الحسن عنها . وأقام الفضل بن الربيع مخفياً بها واستأمن لمحمد وبعثه الى بغداد. وسار الى الحسن على البقية ولقيتهم عساكر الحسن وقواده، وانهزم محمد وأصحابه وتبعهم الحسن الى تمام الصلح، ثم لحقوا بمرجيا . ووجه محمد ابن ابنه هارون الى (١) فأقام بها . وسار محمد ابن ابنه أبو رجيل وهو جريح الى بغداد فثابت بها ودفن في داره سرّاً ومحمد أبو رجيل (٢) الى زهير بن المسيب فقتله من ليلته . وقام خزيمه بن خازم بأمر ببغداد، وبعث الى عيسى بن محمد بان يتولى حرب الحسن مكان

(١) كذا بياض بالأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٣٩ : وجه محمد من دير العاقول ابنه هارون الى النيل وبها سعيد بن الساجور الكوفي.

(٢) كذا في الأصل وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٣٩ : وأقام محمد بمرجيا فلما اشتدت به الجراحات خلف قواده في عسكره، وحمله ابنه أبو زنبيل حتى أدخله ببغداد، ومات محمد بن أبي خالد من ليلته من تلك الجراحات، والنصف أبو زنبيل من عند خزيمه حتى أن زهير بن المسيب فأخرجه من جسده فضرب عنقه.

أبيه، وبلغ الحسن موت محمد فبعث عسكره الى هارون بالنيل فغلبوا وانتهبوها، ولحق هارون بالمدائن .

ثم اجتمع اهل بغداد وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى، فجملوه خليفة للمأمون ببغداد والعراق انحرافاً عن الحسن ابن سهل . وقيل ان الحسن لما ساعد اهل بغداد عيسى بن محمد ابن ابي خالد على حربه خام^(١) عنه فلاطفه ووعدته بالمصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية النواحي، فقبل وطلب خط المأمون بذلك، وكتب الى اهل بغداد : اني شغلت بالحرب عن جباية الخراج فولوا رجلاً من بني هاشم، فولوا المنصور بن المهدي : وأحصى عيسى أهل عسكره فكانوا، مائة ألف وخمسة وعشرين ألفاً . وبعث منصور غسان بن الفرج الى ناحية الكوفة فنزاه حميد الطوسي من قواد الحسن بن سهل، وأخذ أسيراً ورتل النيل، فبعث منصور بن محمد يقطين في العساكر الى حميد، فلقبه حميد بكوثي فهزمه وقتل من أصحابه، ونهب ما حول كوثي ورجع الى النيل وأقام ابن يقطين بصصر .

أهل المطوعة

ولما كثر المخرج ببغداد وامتدت أيدي الدعاوي^(٢) باذاية الناس

(١) خام: نكص وجبن . وفي الطبري ج ١٠ ص ٢٤١ : وقد قيل إن عيسى بن محمد بن أبي خالد لما اجتمع إليه أهل بغداد وساعدوه على حرب الحسن بن سهل رأى الحسن أنه لا طاقة له بعيسى، فبعث إليه وهب بن سعيد الكاتب وبذل له المصاهرة ومائة ألف دينار والأمان له ولأهل بيته ولأهل بغداد وولاية أي النواحي أحب .

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٨٢ :

في اموالهم وافشى المناكير فيهم وتمذر ذلك، فخرجوا الى القرى فانتهبوها . واستعدى الناس أهل الامر فلم يندوا عليهم، فتمشى الصلحاء من عمل ريط^(١) وكل بينهم، ورأوا أنهم في كل درب قليلون بالنسبة الى خيارهم، فاعتزموا على مدافعتهم واشتد خالد المدريوش^(٢) من اهل بغداد، فدعا جيرانه واهل محله الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ان يغيروا على السلطان . فشدّ على من كان عندهم من ادغار^(٣) وحبسهم ورفعهم الى السلطان وتمدّى ذلك الى غير محله .

ثم قام بعده سهل بن سلامة الانصاري من الحريشية^(٤) من أهل خراسان ويكنى ابا حاتم فدعا الى مثل ذلك، والى العمل بالكتاب والسنة، وعلّق في عنقه مصحفاً وعبر^(٥) على العامة وعلى اهل الدولة فبايعوه على ذلك وعلى قتال من خالف . وبلغ خبرهما

= وفي هذه السنة تجردت المطوعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان سبب ذلك أن فساق بغداد والشار آذوا الناس أذى شديداً، وأظهروا الفسق، وقطعوا الطريق الخ . (١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥) كذا في الأصل، كلمات مغلوطة وعبارات مبهمه، وفي الكامل ج ٥ ص ١٨٣ : فلما رأى الناس ذلك قام صلحاء كل ريف ودرب، ومشي بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما في الدرب الفاسق والفاسق إلى العشرة وقد غلبوكم وأنتم أكثر منهم؟ فلو اجتمعتم لقمعتم هؤلاء الفساق ولعجزوا عن الذي يفعلونه . فقام رجل يقال له خالد المدريوش فدعا جيرانه وأهل محله على أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلجأوه إلى ذلك، فشدّ على من يليه من الفساق والشار فمنعهم وامتنعوا عليه، وأرادوا قتاله فقاتلهم فهزمهم، وضرب من أخذه من الفساق وحبسهم ورفعهم إلى السلطان، إلا أنه كان لا يرى أن يغير على السلطان شيئاً . ثم قام بعده رجل من الحريية يقال له : سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان - ويكنى ابا حاتم - فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالكتاب والسنة، وعلّق مصحفاً في عنقه، وأمر أهل محله ونهاهم، فقبلوا منه ودعا الناس جميعاً الشريف والوضيع، من بني هاشم وغيرهم فاتاه خلق عظيم فبايعوه على ذلك وعلى القتال معه لمن خالفه وطاف ببغداد وأسواقها .

الى منصور بن المهدي وعيسى بن محمد بن ابي خالد فنكروا ذلك، لان اكثر الدعار كانوا يشايعونهم على امرهم، فدخلوا بغداد بعد ان عقد عليه الصلح مع الحسن بن سهل على الامان له ولاهل بغداد، وانتظروا كتاب المأمون وروى أهل البلد بذلك، فسهل عليهم أمر المدبروش وسهل .

الفصل في الرضا والبيعة لابراهيم بن المهدي

ولما بلغ اهل بغداد أن المأمون قد بايع بالمهد لملي بن موسى الكاظم، ولقبه الرضا من آل محمد، وأمر الجند بطرح السواد ولبس الحضرة، وكتب بذلك الى الآفاق، وكتب الحسن بن سهل الى عيسى بن محمد بن أبي خالد ببغداد يعلمه بذلك في رمضان من سنة احدى ومائتين، وأمره أن يأخذ من عنده من الجند وبني هاشم بذلك، فأجاب بعض وامتنع بعض، وكبر عليهم إخراج الخلافة من بني العبّاس. وقول كبر ذلك منصور و ابراهيم ابنا المهدي، وشايهم عليه المطلب بن عبدالله بن مالك والسدي ونصر الوصيف وصالح صاحب المصلى ومنعوا^(١) يوم الجمعة من نادى في الناس بخلع المأمون والبيعة لابراهيم بن المهدي ومن بعده لاسحاق بن الهادي .

ثم بايعوه في الحرم سنة اثنتين ومائتين ولقبوه المبارك ووعد الجند بارزاق ستة أشهر، واستولى على الكوفة والسواد، وخرج

(١) كذا ولعلها: ووجهوا.

فمسكر بالمدائن، وولى بها على الجانب الغربي العباس بن المهدي، وعلى الجانب الشرقي اسحاق بن المهدي . وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عبد الحميد عاملاً الحسن بن سهل، ومعه القواد سعيد ابن الساحور وأبو البط وعسلان بن الفرج ومحمد بن ابراهيم بن الاغلب، كانوا منحرفين عن حميد، فدخلوا ابراهيم بن المهدي في أن يهلكوه في قصر ابن هبيرة وشمر بذلك الحسن بن سهل، فاستقدم حميداً وخلائعهم الجوارح منه، فبعث ابراهيم بن المهدي عيسى ابن محمد بن أبي خالد وملك قصر ابن هبيرة وانتهب عسكر حميد ولحق به ابنه بجوارحه .

ثم عاد الى الكوفة فاستعمل عليها العباس بن موسى الكاظم وأمره أن يدعو لاختيه فامتنع غلاة الشيعة من اجابته وقالوا لا حاجة الينا بذكر المأمون وقعدوا عنه . وبعث ابراهيم بن المهدي من القواد سعيداً وأبا البط لقتاله، فسرّح اليهم العباس بن عمه وهو علي بن محمد الديباجة فانهزم، ونزل سعيد وأبو البط الحيرة، ثم تقدّموا لقتال أهل الكوفة، وقتلهم شيعة بني العباس ومواليهم . ثم سألوا الامان للعباس وخرجوا من داره . ثم قاتل أصحابه أصحاب سعيد فهزموهم وأحرقوا دور عيسى بن موسى، وبلغ الخبر الى سعيد بالحيرة بأن العباس قد نقض ورجع عن الامان، فركب وجاء الى الكوفة وقتل من ظفر به، ولقيه أهله فاعتذروا اليه بأن هذا فعل القوغاء، وإن العباس باق على عهده .

ودخل سعيد وأبو البط ونادوا بالامان، وولوا على الكوفة
الفضل بن محمد بن الصباح الكِنْدِي، ثم عزلوه وولوا مكانه غسان
ابن الفرج فقتل أخا السرايا . ثم عزلوه وولوا المهول ابن أخي
سعيد القائد، وقدم حميد بن عبد الحميد لحربهم بالكوفة، فهرب
المهول وبعث ابراهيم بن المهدي بن عيسى بن محمد بن أبي خالد
لحصار الحسن بواسط على طريق النيل .

وكان الحسن متحصناً بالمدينة، فشرح أصحابه لقتالهم فانهزموا
وغنم عسكرهم، ورجع عيسى الى بغداد فقاتل سهل بن سلامة
المطوع حتى غلبه على منزله، فاخفى في غمار النظار، وأخذوه بعد
ليالٍ وأتوا به اسحاق فقال : كل ما كنت أدعو اليه باطل . فقالوا :
اخرج فأعلم الناس بذلك ا فخرج وقال : قد كنت ادعوكم الى
الكتاب والسنة ولم أزل على ذلك، فضربوه وقيدوه وبعثوا به
الى ابراهيم المهدي فضربه وجبسه، وظهر أنه قتل في حبسه خفية
لسنة من قيامه . ثم اطلقه فاخفى الى أن انقرض امر ابراهيم .
وزحف حميد بن عبد الحميد سنة ثلاث ومائتين الى قتال
ابراهيم بن المهدي وأصحابه ، وكان عيسى بن محمد بن أبي خالد
هو المتولي لقتالهم بأمر ابراهيم ، فدخلهم في الغدر بابراهيم، وصار
يتعمّل عليه في المدافعة عنه ، ونفي ذلك الى ابراهيم بن هارون
أخي عيسى فتنكر له، ونادى عيسى في الناس بمسألة حميد، فاستدعاه
ابراهيم وعاتبه بذلك فانكر واعتذر ، فأمر به فضرب ، وجبس

عَدَّة من قَوَّاده وأفلت العباس خليفته، فمضى بعض الناس الى بعض ووافقوا العباس على خلع ابراهيم وطرَدوا عامله من الجسر والكرخ . وثار الرعاع والشوغل .

وكتب العباس الى حميد يستقدمه لِيَسْلَم اليه بغداد ويزل صرصر، وخرج اليه العباس والقوَّاد وتواعدوا لخلع ابراهيم على ان يدفع لهم العطاء ، وبلغ الخبر الى ابراهيم فأخرج عيسى وأخوته ، وسأله قتال حميد فامتنع . ودخل حميد فصلى الجمعة وخطب للمأمون وشرع في العطاء ثم قطعه عنهم ، فنضب الجند . وعاد ابراهيم سؤال عيسى في قتال حميد ومذنبته ، فقاتل قليلاً ثم استأسر لهم ، وانفضَّ المسكر راجعين الى ابراهيم .

وارتحل حميد فنزل في وسط المدينة وتسلَّل أصحاب ابراهيم الى المدائن فملكوها، وقاتل بقيتهم حميد، وكان الفضل بن الربيع مع ابراهيم فتحوَّل الى حميد وكاتب المطلب بن عبد الله بن مالك بأن يَسْلِمَوه اليه . وكان سعيد بن الساحور والبط وغيرهم من القوَّاد يكتبون علي بن هشام بمثل ذلك ، ولما علم ابراهيم بما اجتمعوا عليه أقبل على مداراتهم الى ان جُنَّ الليل ، ثم تسرب في البلد واختفى منتصف ذي الحجة من سنة ثلاث، وبلغ الخبر الى حميد وعلي بن هشام ، فأقبلوا الى دار ابراهيم فلم يجدوه ، وذلك لسنتين من بيعته . وأقام علي بن هشام على شرقي بغداد

وحميد على غريبها وظهر سهل بن سلامة ما كان يدعو اليه فقربه حميد ووصله .

تحويل المأمون الى العراق

لما وقعت هذه الفتن بالعراق بسبب الحسن بن سهل ونفوذ الناس من استبداده واخيه على المأمون، ثم من العهد لعليّ الرضا ابن موسى الكاظم واخراج الخلافة من بني العباس، وكان الفضل ابن سهل يطوي ذلك عن المأمون ويبالغ في اخفائه حذراً من أن يتغير رأي المأمون فيه وفي اخيه . ولما جاء هرثة للمأمون وعلم انه يجبره بذلك وان المأمون يثق بقوله احكم السعاية فيه عند المأمون حتى تغير له فقتله ولم يصنع الى كلامه .

فازدادت نفرة الشيعة وأهل بغداد وكثرت الفتن، وتحدث القواد في عسكر المأمون بذلك ولم يقدرُوا على ابلاغه، فجاؤوا إلى عليّ الرضا وسألوه انهاء ذلك الى المأمون فأخبره بما في العراق من الفتنة والقتال، وانهم بايعوا ابراهيم بن المهدي فقال المأمون : انما جعلوه أميراً يقوم بأمرهم ا فقال ليس كذلك : وان الحرب الآن قائمة بين ابن سهل وبينه، وان الناس ينقمون عليك مكان الفضل والحسن ومكاني وعهدك لي . فقال له المأمون : ومن يعلم هذا غيرك ؟ فقال : يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهما من وجوه قوادك . فاستدعاهم فكتموا حتى استأمنوا اليه ثم أخبروه بما أخبره به الرضا، وان الناس بالعراق يثُمونهُ بالرفض

لعمده لملي الرضا، وان طاهر بن الحسين مع علم أمير المؤمنين ببلائه قد دفع إلى الرقة وضعت أمره، والبلاد تفتت من كل جانب، وان لم يتدارك الأمر ذهبت الخلافة منهم .

فاستيقن المأمون ذلك وأمر بالرحيل واستخلف على خراسان غسان بن عباد وهو ابن عم الفضل بن سهل، وعلم الفضل بن سهل بذلك فشرع في عقاب أولئك القواد فلم يفتنه . ولما نزل المأمون شرجيل وثب بالفضل أربعة نفر فقتلوه في الحمام وهربوا، وجعل المأمون جعلاً لمن جاء بهم، فجاء بهم العباس بن المهيم الدينوري . فلما حضروا عند المأمون قالوا له أنت أمرتنا بقتله ا وقيل بل اختلفوا في القول فقال بعضهم أمراً بقتله ابن أخيه، وقال آخرون بل عبد العزيز بن عمران من القواد وعلي وموسى، وغيرهم وأنكر آخرون . فأمر المأمون بقتلهم وقتل من أقرؤا عليه من القواد، وبعث إلى الحسن بن سهل وسار إلى العراق .

وجاء الخبر بأن الحسن بن سهل أصابته المالبخوليا واختلط فبعث ديناراً مولاه وركله بأمور العسكرية . وكان إبراهيم بن المهدي وعيسى بالمدائن، وأبو البط وسميد بالنيل والحرب متصلة بينهم . والمطلب بن عبدالله بن مالك قد اعتل بالمدائن، فرجع إلى بغداد وجعل يدعو إلى المأمون سرّاً وإلى خلع إبراهيم، وأن يكون منصور بن المهدي خليفة للمأمون، وداخله في ذلك خزيمة ابن خازم وغيره من القواد . وكتب إلى علي بن هشام وحيد

أن يتقدماً فنزل حميد نهر صرصر وعلي النهروان، وعاد ابراهيم ابن المهدي من المدائن الى بغداد منتصف صفر، وقبض على منصور وخزينة ومنع المطلب مواليه، فأمر ابراهيم بنهب داره ولم يظفر، ونزل حميد وعلي بن هشام المدائن وأقاما بها .

وزوج المأمون في طريقه ابنته من عليّ الرضا، وبعث أخاه ابراهيم بن موسى الكاظم على الموسم، وولاه اليمن وكان به حَنَدَوِيَّه بن عليّ بن عيسى بن ماهان قد غلب عليه . ولما نزل المأمون مدينة طوس مات علي الرضا فجأة آخر صفر من سنة ثلاث من عنب اكله، وبعث المأمون الى الحسن بن سهل بذلك والى أهل بغداد وشيعته يمتدح من عهده اليه وانه قد مات ويدعوهم الى الرجوع لطاعته . ثم سار الى جرجان وأقام بها شهراً وعقد على جرجان لرجاء بن أبي الضحّاك قاعداً وراء النهر، ثم عزله سنة أربع وعقد لغسان بن عبّاد من قرابة الفضل بن سهل على خراسان وجرجان وطبرستان وسجستان وكرمان وروبان ودهارير ثم عزله بطاهر كما نذكره .

ثم سار الى النهروان فلقية أهل بيته وشيعته والقوَاد ووجوه الناس، وكان قد كتب الى طاهر ان يوافيه بها، نجاها من الرقّة ولقيه هنالك . وسار المأمون فدخل بغداد منتصف صفر من سنة أربعة فنزل الرصافة ثم نزل قصره بشاطي. دجلة، وبقي القوَاد في معسكر وانقطعت الفتن وبقي الشيعة يتكلمون في لبس الحضرة،

وكان المأمون قد أمر طاهر بن الحسين أن يسأل حوائجه، فأول شيء سأل لبس السواد فأجابته، وقعد للناس وخلع عليه وعليهم الثياب السود، واستقامت الأمور ^(١).

كانت الفتنة قد وقعت بالموصل بين بني شامة وبني ثعلبة، وكان علي ابن الحسن الممداني متغلباً عليها في قومه، فاستجارت ثعلبة بأخيه محمد فامرهم بالخروج إلى البرية ففعلوا، وتبعهم بنو شامة في ألف رجل وحاصروهم بالقوجاء ومعهم بنو ثعلب، وبمث علي ومحمد اليهم بالمدد فقتلوا جماعة من بني شامة وأسروا منهم ومن بني ثعلب، فجاء أحمد بن عمر بن الخطاب الثعلبي إلى علي فوادعه وسكنت الفتنة. ثم إن علي بن الحسين سطا بمن كان في الموصل من الأزد عسفاً في الحكم عليهم، وقال لهم يوماً الحقوا بعمان فاجتمعت الأزد إلى السيد بن أنس كبيرهم وقائلوه.

وكان في تلك النواحي مهدي بن علوان من الخوارج، فأدخله علي بن الحسين وبايعه وصلى بالناس، واشتدت الحرب. ثم كانت اصراً ^(٢) على علي واصحابه، وأخرجهم الأزد عن البلد إلى الحديثة ثم اتبعوهم فقتلوا علياً وأخاه أحمد في جماعة، ولجأ محمد إلى بغداد وملك السيد بن أنس والأزد الموصل، وخطب للمأمون. ولما قدم المأمون بغداد وفد عليه السيد بن أنس فشكاه محمد بن الحسين

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ١٩٤: ومع ذلك لتسع بقين من صفر.

(٢) الأصغر: الكسر.

ابن صالح واستعداه عليه بقتل أخويه وقومه، فقال نعم يا امير المؤمنين ! ادخلوا الخارجي بلدك وأقاموا على منبرك وأبطلوا دعوتك فأهدر المأمون دماؤهم .

ولاية طاهر على خراسان ووفاته

كان المأمون بعد وصوله الى العراق قد ولّى طاهر بن الحسين الجزيرة والشرطة بجانبي بغداد والسواد، ودخل عليه يوماً في خلوته فأذن له بالجلوس وبكى فقده . فقال المأمون : أبكي لامر ذكره ذلّ وستره حزن ، ولن يخلو أحد من شجنٍ ، وقضى طاهر حديثه وانصرف . وكان حسين الخادم حاضراً قدس اليه على يد كاتبه محمد بن هارون أن يسأل المأمون عن مكاتبته على مائة ألف درهم ومثلها للكاتب ، وخلا حسين بالمأمون وسأله ففطن وقال له : ان الشئ مني ليس برخيص ، والمعروف عندي ليس بضائع فعيبي عن غير المأمون . فأجابه وركب الى المأمون وفاوضه في أمر خراسان ، وانها يخشى عليها من الترك وان غسان بن عباد ليس بكف لها . فقال لقد فكرت في ذلك فمن ترى يصلح لها ؟ قال طاهر بن الحسين : قال هو خالع : قال أنا ضامنه .

فاستدعاه وعقد له من مدينة السلام الى اقصى عمل المشرق من حلوان الى خراسان ، وعسكر من يومه خارج بغداد ، وأقام شهراً تحمل اليه كل يوم عشرة آلاف ألف درهم عادة صاحب خراسان . وولى المأمون مكانه بالجزيرة ابنه عبدالله ، وكان ينوب

عن أبيه بالشرطة فحملها إلى ابن عمه اسحاق بن إبراهيم بن مصعب،
 وخرج إلى عمله ونزل الرقة لقتال نصر بن شبث ثم سار طاهر إلى
 خراسان آخر ذي القعدة سنة خمس ومائتين .

وقيل في سبب ولاية طاهر خراسان : ان عبد الرحمن المطوع
 جمع جمعاً كثيراً بنيسابور لقتال الحرورية ولم يستأذن غسان بن
 عباد وهو الوالي على خراسان، فخشى أن يكون ذلك من المأمون
 فاضطرب، وبعث له الحسن بن مهمل، وخشي المأمون على خراسان
 فولى طاهراً وسار إلى خراسان فأقام بها إلى سنة سبع، ثم اعتزم
 على الخلاف . وخطب يوماً فأمسك عن الدعاة المأمون ودعا بصلاح
 الأمة، وكتب صاحب البريد بذلك إلى المأمون بخلمه، فدعا بأحمد
 ابن أبي خالد فقال : أنت ضمنتني فسر وأتني به . ثم جاء من الغد
 الخبر بموته، فقال المأمون للبريد ونقم الحمد لله الذي قدمه وآخرنا .
 وولى طلحة من قبله، وبعث إليه المأمون أحمد بن أبي خالد ليقوم
 بأمره، فمهر أحمد إلى ما وراء النهر، وافتتح أشروسنة، وأسر كاووس
 ابن خالد أحمد وابنه الفضل وبعث بهما إلى المأمون، ووهب طلحة
 لأحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألف ألف
 وملكاتبته خمسمائة ألف درهم . ثم خالف الحسين بن الحسين بن
 مصعب بكرمان فسار إليه أحمد بن أبي خالد وأتى به إلى المأمون
 فمفا عنه .

وليلة عبد الله بن طاهر الرقة ومصر ومدابته نصر بن شبت

وفي سنة ست ومائتين بلغ الخبر ب وفاة يحيى بن معاذ عامل الجزيرة، وأنه استخلف ابنه أحمد، فولى المأمون عبد الله بن طاهر مكانه وجعل له ما بين الرقة ومصر، فأمره بحرب نصر بن شبت، وقيل ولأه سنة خمس، وقيل سنة سبع . واستخلف على الشرطة ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه، وكتب اليه أبو طاهر كتاباً بالوصية جمع فيه محاسن الآداب والسياسة ومكارم الاخلاق، وقد ذكرناه في مقدمة كتابنا . فسار عبد الله بن طاهر لذلك، وبعث الجيوش لحصار نصر بن شبت بكيسوم في نواحي جانب، ثم سار اليه بنفسه سنة تسع ومائتين وأخذ بمخنقه . وبعث اليه المأمون محمد بن جعفر العامري يدعوه الى الطاعة، فاجاب على شرط ان لا يحضر عنده .

فتوقف المأمون وقال : ما باله ينفر مني فقال أبو جعفر لما تقدم من ذنبه . فقال : فتراه أعظم ذنباً من الفضل ابن الربيع وقد أخذ جميع ما أوصى له به الرشيد من الاموال والسلاح وذهب مع القواد الى اخي واسلني وأفسد عليّ حتى كان ما كان، ومن عيسى بن أبي خالد وقد خالف عليّ ببلدي وأخرب داري وبائع لابراهيم دوني فقال ابن جعفر يا أمير المؤمنين هؤلاء لهم سوابق ودالة يبقون بها، ونصر ليست له في دولتكم سابقة، وانما كان من جند بني أمية، وأنا لا أجيب الى هذا الشرط .

ولح نصر في الخلاف حتى جهده الحصار واستأمن فأمنه عبدالله ابن طاهر، وخرج اليه سنة عشرة وبعث به الى المأمون، وأخرب حصن كيسوم لحس سنين من حصاره . ورجع عبدالله بن طاهر الى الرقة . ثم قدم بقداد سنة إحدى عشرة فتلقاه العباس بن المأمون والمعتصم وسائر الناس .

الظفر بابن عائشة وإبراهيم بن المهدي

كان ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام ويعرف بابن عائشة ممن تولى كبر البيعة لابراهيم بن المهدي، ومعه ابراهيم بن الاغلب ومالك بن شاهين، وكانوا قد اختفوا عند قدوم المأمون في نواحي بقداد . ولما وصل نصر بن شبث وخرجت النظارة أنفذوا للخروج في ذلك اليوم، ثم غلبهم بعض الناس فاخذوا في صفر من سنة عشرة، ثم ضربوا حتى أقرؤا على من كان معهم في الاثر فلم يعرض لهم المأمون وحبسهم فضاك عليهم الحبس وأرادوا ان ينقبوه، فركب المأمون بنفسه وقتلهم وصلب ابن عائشة ثم صلى عليه ودفنه . ثم أخذ في هذه السنة ابراهيم بن المهدي وهو متنقب في زي امرأة يمشي بين امرأتين، واستراب به بعض العسس وقال : أين تردن في هذا الوقت ؟ فأعطاه ابراهيم خاتم ياقوت في يده فازداد رية ورفعن الى صاحب المسلحة، وجاء بهن الى صاحب الجسر فذهب به الى المأمون،

وأحضره والغل في عنقه والملحبة^(١) على صدره ليراه بنو هاشم والناس . ثم حبسه عند أحمد بن أبي خالد ، ثم أخرجه معه عندما سار الحسن بن سهل ليغتم الصلح ، فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران ، وقيل إن إبراهيم لما أخذ حمل الى دار المتصم وكان عند المأمون فأدخله عليه وابنه فيما كان منه . واعتذر بمنظوم من الكلام ومنثور أتى فيه من وراء الغاية وهو منقول في كتب التاريخ فلا نطيل بنقله .

انتفاض مصر والإسكندرية

كان السري بن محمد بن الحكم والياً على مصر وتوفي سنة خمس ومائتين ، وبقي ابنه عبدالله ، فانتفض وخلع الطاعة وأزّل بالأسكندرية جالية من الاندلس أخرجهم الحكم بن هشام من رُبضي قرطبة وغرّبهم الى المشرق . ولما نزلوا بالإسكندرية ثاروا وملكوها وولوا عليهم أبا حفص عمر البلوطي . وفشل عبدالله ابن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شبث فلما فرغ منه ثار من الشام اليهم ، وقدم قائداً من قواده ، ولقيه ابن السري وقاتله وأغذّ ابن طاهر المسير فاحتقهم وهم في القتال ، وانهمز ابن السري الى مصر وحاصره عبدالله بن طاهر حتى نزل على الامان ، وذلك سنة ثمان مائة . ثم بعث الى الجالية الذين ملكوا الإسكندرية بالحرب ، فسألوا الامان على أن يرتحلوا الى بعض الجزائر في بحر الروم بما

(١) الملحبة: كل ما يقطع به .

يلي الاسكندرية ففعل . ووزلوا جزيرة اقريطش واستوطنوها
وأقامت في مملكة المسلمين من أعقابهم دهرأ الى أن غلب عليها
الافرنجة .

العمال بالقولبي

لما استقر المأمون ببغداد وسكن الهيج وذلك سنة أربع ولى
على الكوفة أخاه أبا عيسى ، وعلى البصرة أخاه صالحاً ، وعلى
الحرمين عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي
طالب ، وعلى الموصل السيد بن أنس الأزدي ، وولى على الشرطة
ببغداد ومعاون السواد طاهر بن الحسين استقدمه من الرقة ،
وكان الحسن بن سهل ولاء عليها فقدم واستخلف ابنه عبدالله
عليها . ثم ولاء المأمون سنة خمس خراسان وأعمال المشرق كلها ،
واستقدم ابنه عبدالله فجعله على الشرطة ببغداد مكان أبيه . وولى
يحيى بن معاذ على الجزيرة وعيسى بن محمد بن أبي خالد على ارمينية
وأذربيجان وحمارة بابك . ومات عامل مصر السري بن محمد بن
الحكم فولى ابنه عبيد الله مكانه .

ومات داود بن يزيد عامل السند فولى بشر بن داود مكانه
على أن يحمل ألف درهم كل سنة . ثم مات يحيى بن معاذ
سنة ست واستخلف ابنه أحمد فعزله المأمون وولى مكانه ببغداد
ابن طاهر وأضاف اليه مصر ، وسيره لمحاربة نصر بن شبك وولى
عيسى بن يزيد الجلودى حمارة الزط سنة خمس ، ثم عزله سنة ست

وولي داود بن منحور^(١) مع أعمال البصرة وكور دجلة واليامة والبحرين وولي في سنة سبع محمد بن حفص على طبرستان والرؤيان ودنباوند. وفيها أوقع السيد بن أنس، بجاعة من عرب بني شيبان ووديعه بما فشا من افسادهم في البلاد، فكبسهم بالأسكرة واستباحهم بالقتل والنهب.

وفي سنة تسع ولي صدقة بن علي ويعرف بزريق على ارمينية وأذربيجان وأمره بمحاربة بابك، وقام بأمره أحمد بن الجند الاسكافي فأسره بابك، فولي ابراهيم بن الليث بن الفضل أذربيجان. وكان على جبال طبرستان شهریار بن شروين، فمات سنة عشر وقام مكانه ابنه سابور، فقتله مازيار بن قارن في حرب أسره فيها، وملك جبال طبرستان. وفي سنة إحدى عشرة قتل زريق بن علي بن صدقة الأزدي السيد بن أنس صاحب الموصل، وقد كان زريق تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان وولاه المأمون عليها، فجمع وقصد الموصل لحرب السيد فخرج اليه أربعة آلاف، فاشتد القتال بينهم وقيل السيد في المعركة فغضب المأمون لقتله، وولي محمد بن حميد الطوسي على الموصل وأمره بحرب زريق وبابك الخريجي فسار الى الموصل واستولى عليها سنة اثنتي عشرة.

ومات موسى بن حفص عامل طبرستان فولي المأمون مكانه ابنه، وولي حاجب بن صالح على الهند ف وقعت بينه وبين بشر

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٢٠٤ : داود بن ماسحور. وفي الطبري ج ١٠

ص ٢٥٨ : داود بن ماسحور.

ابن داود صاحب السند حرب، وانهزم بشر الى كرمان . ثم قتل محمد بن حميد الطوسي سنة أربع عشرة، قتله بابك الحارمي . وذلك انه لما فرغ من أمر المتغلبين بالموصل سار الى بابك في العساكر الكاملة الحشد، وتجاوز اليه المضايق ووكل بحفظها حتى انتهى الى الجبل، فصعد وقد أكن بابك الرجال في الشعراء^(١) . فلما جاز ثلاثة فراسخ خرجت عليهم الكبائن، فانهزموا وثبت محمد بن حميد، حتى اذا لم يبق معه إلا رجل واحد فتسلل يطلب النجاة، فعثر في جماعة من الحرّية يقاتلون طائفة من أصحابه فقصدوه وقتلوه، وعظم ذلك على المأمون . واستعمل عبدالله بن طاهر على خراسان لانه كان بلغه ان أخاه طلحة بن طاهر مات وقام عليّ أخوه مكانه خليفة لعبدالله، وعبدالله بالدينور يجهز العساكر الى بابك، فولى علي نيسابور محمد بن حميد، فكثرت عيث الخوارج بخراسان فأمره المأمون بالسير اليها، فسار وزل نيسابور، وسال عن سيرة محمد بن حميد فسكتوا فعزله لسكوتهم . وفي سنة اثنتي عشرة خلع أحمد بن محمد العمري، يعرف بالاحمر، العين باليمن، فولى المأمون ابنه العباس على الجزيرة والثغور والعواصم، وأخاه أبا اسحاق المعتصم على الشام ومصر، وسير عبدالله بن طاهر الى خراسان وأعطى لكل واحد منهم خمسمائة ألف درهم . وبعث المعتصم أبا عبيدة الباذغيسي عاملاً على مصر

(١) كذا في الأصل ولعله اسم مكان .

فوثب به جماعة من القيسية واليانية فقتلوه سنة أربع عشرة، فصار المعتصم الى مصر فقاتلهم، وافتتح مصر وولى عليها واستقامت الامور. وفي سنة ثلاث عشرة ولى المأمون غسان بن عباس على السند لما بلغه خلاف بشر بن داود.

وفي سنة أربع عشرة استقدم المأمون أبا دلف وكان بالكرخ من نواحي همذان منذ سار مع عيسى بن ماهان لحرب طاهر، وقتل عيسى فعاد الى همذان، وراسله طاهر يدعو الى البيعة فامتنع. وقال له ولا أكون مع أحد وأقام بالكرخ. فلما خرج المأمون الى الري أرسل اليه يدعو فصار نحوه وجلاً بعد أن أغرى عليه أصحابه الامتناع. وفي سنة أربع عشرة قتل باليمن، وفيها ولى المأمون علي بن هشام الجبل وقم وأصبهان وأذربيجان، وخلص أهل قم وكانوا سألوا الحطيطه من خراجهم وهو ألف ألف درهم، لأن المأمون لما جاء من العراق أقام بالري أياماً وخفف عنهم من الخراج، فطمع أهل قم في مثلها فأبى فامتنعوا من الاداء، فرح اليهم علي بن هشام وعجيف بن عبسة وظفروا بهم وقتلوا يحيى بن عمران وهدموا سورها وجبوا على سبعة آلاف ألف.

وفي سنة ست عشرة ظهر عبدوس النهري بمصر وقتل بعض عمال المعتصم، فصار المأمون الى مصر وأصلحها وأتى بعبدوس فقتله، وقدم من برقة وأقام بمصر. وفيها غضب المأمون على علي

ابن هشام ووجه عجيفاً وأحمد بن هشام لقبض أمواله وسلاحه لما بلغه من عسفه وظلمه، وأراد قتل عجيف والحق ببابك فلم يقدر، وظفر به عجيف وجاء به الى المأمون فأمر بقتله، وطيف برأسه في الشام والعراق وخراسان ومصر ثم أُلقي في البحر . وقدم غسان بن عباد من السند ومعه بشر بن داود مستأمناً فولي على السند عمران بن موسى السككي وهرب جعفر بن داود القتي الى قم فخلع، وكان محبوساً بمصر منذ عزله المأمون عن قم، فهرب الآن وخلع فغلبه علي بن عيسى القتي وبعث به الى المأمون فقتل .

الصوائف

وفي سنة مائتين قتل الروم ملكهم إليون لسبع سنين ونصف من ملكه، وأعادوا ميخائيل بن جرجس المخلوع، وبقي عليهم تسع سنين . ثم مات سنة خمس عشرة، وملك ابنه نوفل . وفتح عبدالله بن حرداويه، والي طبرستان البلاد والسير من بلاد الديلم وافتتح جبال طبرستان، وأزّل شهريار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارن الى المأمون، وأسر أبا ليل ملك الديلم، وذلك سنة احدى ومائتين . وفيها ظهر بابك الخرمي في الجاوندانية أصحاب جاوندان سهل، وتفسيره الدائم الباقي . وتفسير خرم فرح، وكانوا يعتقدون مذاهب المجوس . وفي سنة أربع عشرة خرج ابو بلال الصابي الشاري، فسرّح اليه المأمون ابنه العباس

في جماعة من القواد وقتلوه .

وفي سنة خمس عشرة دخل المامون بلاد الروم بالصائفة، وسار عن بغداد في المحرم واستخلف عليها اسحاق بن ابراهيم بن مصعب وهو ابن عم طاهر، وولاه السواد وحُلوان وكور دجلة، ولما وصل تكريت لقيه محمد بن علي الرضا فاجازه وزف اليه ابنته أم الفضل، وسار الى المدينة فاقام بها وسار المامون على الموصل الى مَنبِج ثم دابق ثم انطاكية ثم المصيصة وطرسوس . ودخل من هنالك فافتتح حصن قُرَّة عَنوة وهدمه . وقيل بل فتحه على الامان، وفتح قبله حصن ماجد كذلك . وبعثه اشناس الى حصن سدس، ودخل ابنه العباس مَلْطِيَّةَ، ووجه المامون عجيفاً وجعفر الخياط الى حصن سنان فاطاع . وعاد المعتصم من مصر فلقى المامون قبل الموصل، ولقيه العباس ابنه برأس عين . وجاء المامون منصوره من العراق الى دمشق، ثم بلغه ان الروم اغاروا على طرسوس والمصيصة واثخنوا فيهم بالقتل .

وكتب اليه ملك الروم فيه بنفسه فرجع اليهم وافتتح كثيراً من معاقلم واثاخ على هِرْقَلَةَ حتى استامنوا وصالحوه، وبعث المعتصم فافتتح ثلاثين حصناً منها مطمورة، وبعث يحيى بن اكثم فاثخن في البلاد، وقتل وحرق وسبي . ثم رجع المامون الى كَيْسُوم فاقام بها يومين ثم ارتحل الى دمشق .

وفي سنة سبع عشرة رجع المامون الى بلاد الروم فاثاخ على

لؤلؤة فحاصرها مائة يوم، ثم رحل عنها وخلف عجيلاً على حصارها .
وجاء نوفل ملك الروم فاحاط به فبعث اليه المأمون بالمدد، فارتحل
نوفل واستأمن من أهل لؤلؤة الى عجي، وبعث نوفل في المهادنة
والمأمون على سلوین فلم يجبه . ثم رجع المأمون سنة ثمان عشرة
وبعث ابنه العباس الى بناء طوانة فبنى بها ميلاً في ميل ودورها
اربعة فراسخ، وجعل لها اربعة ابواب ونقل اليها الناس من البلدان.

وفاة المأمون وبيعة المعتصم

ثم مرض المأمون على نهر البرزخ واشتد مرضه، ودخل
العراق وهو نريض فمات بطرسوس، وصلى عليه المعتصم وذلك
لعشرين سنة من خلافته، وعهد لابنه المعتصم وهو ابو اسحاق
محمد فبويج له بعد موته، وذلك منتصف رجب من سنة ثمان عشرة
ومائتين . وشعب الجند وهتفوا باسم العباس بن المأمون فاحضره
وبايع، فسكنوا وخرّب لوقته ما كان بناء من مدينة طوانة
واعاد الناس الى بلادهم وحمل ما اطاق حمله من الآلة واحرق
الباقي .

ظهور صاحب الطالقان

وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن
الحسين، كان ملازماً للمسجد بالمدينة، فلزمه شيطان من أهل خراسان
وزين له انه أحق بالامامة، وصار يأتيه بحجّاج خراسان يبايعونه .
ثم خرج به الى الجوزجان وأخفاه وأقبل على الدعاء له، ثم حمله على

أظهار الدعوة للرضا من آل محمد على عادة الشيعة في هذا الابهام كما قدّمناه . وواقعه قواد عبدالله بن طاهر بخراسان المرة بعد المرة فهزموه وأصحابه، وأخرج ناجياً بنفسه ومرت بنساء، فوُثِيَ به الى العامل فقبض عليه وبعثه الى عبدالله بن طاهر، فبعثه الى المعتصم منتصف ربيع أول سنة تسع عشرة، فحبسه عند الخادم مسرور الكبير، ووكل بحفظه فهرب من محبسه ليلة الفطر من سنته ولم يوقف له على خبر .

مبابلرط

وهم قوم من أخلاط الناس غلبوا على طريق البصرة، وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد، وولوا عليهم رجلاً منهم اسمه محمد بن عثمان، وقام بأمره آخر منهم اسمه سحاق . وبعث المعتصم لحربهم في هذه السنة عجيف بن عنبسة في جمادى الآخرة فسار الى واسط وحاربهم، فقتل منهم في معركة ثلثمائة وأسر خمسمائة، ثم قتلهم وبعث برؤسهم الى باب المعتصم وأقام قبائلهم سبعة أشهر . ثم استأمنوا اليه في ذي الحجة آخر السنة وجاؤا بأجمعهم في سبعة وعشرين ألفاً، المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً، فعباهم عجيف في السفن على هيئتهم في الحرب ودخل بهم بغداد في عاشوراء سنة عشرين، وركب المعتصم الى الشامة في سفينة حتى رآهم، ثم غرّبهم الى عين زربة فأغاروا عليهم الروم فلم يفلت منهم أحد .

بناء سامرا

كان المعتصم قد اصطنع قوماً من أهل الحرف بمصر وسماهم المطاربة، وقوماً من سمرقند وأسرؤينة وفرغانة وسماهم الفرغانة وأكثر من صبيانهم، وكانوا يُركضون الدواب في الطرق ويختلفون بها وكضاً، فيصدمون النساء والصبيان فتتأذى العامة بهم، وربما انفرد بعضهم بقتلوه. وتأذى الناس من ذلك ونكروه، وربما أسمعوا النكير للمعتصم، فعمد إلى بناء القاطون، وكانت مدينة بناها الرشيد ولم يستتمها وخربتها فبطلت، فبطلت المعتصم وبناها سنة عشرين وسماها سمر من رأى فرمجة الناس سامرا وصارت داراً للمكهم من لدن المعتصم ومن بعده، واستخلف ببغداد حتى انتقل إليها ابنه الواثق.

نكبة الفضل بن مروان

كان للمعتصم في ولاية أخيه كاتب يعرف ببغداد الجرمقاني، واتصل به الفضل بن مروان، وهو من البردان، وكان حسن الخط. فلما هلك الجرمقاني استكتبه المعتصم وسار معه إلى الشام فأثري. ولما استخلف المعتصم استولى على هواه واستتبع الدواوين واحتجر الاموال، ثم صار يرد أوارس المعتصم في المعطايا ولا ينقذها، واختلفت فيه السمايات عند المعتصم وديسوا عليه عنده من ملا مجلسه ومساخره من يُعير المعتصم باستبداده عليه ورد أوارسه، فحقد له ذلك. ثم نكبه سنة عشرين وصادره وجميع أهل بيته، وجعل مكانه محمد

ابن عبد الملك بن الزيأت وغرب الفضل الى بعض قرى الموصل^(١)

مطالبة بابك الخراساني

قد تقدّم لنا حديث بابك الخرمي وظهوره سنة اثنتين ومائتين بدعوة جاونندان بن سهل، واتخذ مدينة البذلّ لامتناعه وتولى المأمون حروبه، فهزم عساكره وقتل جماعة من قوّاده، وخرب الحصون فيما بين أردبيل وزنجان، فلما وليّ المعتصم بعث أبا سعيد محمد بن يوسف فبنى الحصون التي خربها وشحنها بالرجال والاقوات، وحفظ السابلة لجلب الميرة. وبينما هو في ذلك اغارت بعض سرايا بابك بتلك النواحي فخرج في طلبهم واستنقذ ما أخذوه، وقتل كثيراً وأسر أكثر، وبعث بالرؤس والاسرى الى المعتصم.

وكان ابن البعيث أيضاً في قلعة له حصينة من كور أذربيجان ملكها من يد ابن الرواد، وكان يصانع بابك ويضيف سراياه اذا مروا به. ومرّ به في هذه الايام قائده عصّة، وأضافه على العادة، ثم قبض عليه وقتل أصحابه وبعث به الى المعتصم، فسأله عن عورات بلاد بابك فدّله عليها. ثم حبسه وعقد لقائده الافشين حيدر بن كاوس على الجبال، ووجهه لحرب بابك، فسار اليها وثرل بساحتها وضبط الطرقات ما بينه وبين أردبيل، وأثرل قوّاده في العساكر ما بينه وبين أردبيل يتلقون الميرة من أردبيل من واحد

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٣٦: فنفي الفضل إلى قرية في طريق الموصل تعرف بالسّن وصار محمد وزيراً كاتباً.

الى الآخر حتى تصل عسكر الافشين . وكان اذا وقع بيده أحد من جواسيس بابك يسأله عن احسان بابك اليه فيضاعفه ويطلقه. ثم ان المعتصم بعث بغا الكبير بمدد الافشين بالنفقات، وسمع بابك فاعتزم على اعتراضه، وأخبر الافشين بذلك بعض جواسيسهم فكتب الى بغا أن يرتحل من حصن النهرقيل^(١)، ثم يرجع الى أردبيل ففعل ذلك .

وجاءت الاخبار الى بابك وركب الافشين في يوم موادعته لبغا وأغذّ المسير، وخرجت سرية بابك فلقبت قافلة النهر، ولم يصادفوا بغا فيها فقتلوا من وجدوا فيها من الجند وفاتهم المال . ولقوا في طريقهم الهيثم من قواد الافشين فهزموه وامتنع بحصنه، ونزل بابك عليه يحاصره واذا بالافشين قد وصل، فأوقع بهم، وقتل الكثير من جنده؛ ونجا بابك الى موقان وأرسل الى عسكره في البرّ فلحقت به، وخرج معهم من موقان الى البذّ . ولما رجع الافشين الى عسكره استمرّ على حصار بابك وانقطعت عنه الميرة من سائر النواحي، ووجه صاحب مراغة اليه ميرة فلقبتها سرية من سرايا بابك فأخذوها، ثم خلص اليه بغا بما معه من المال ففرقه في العساكر، وأمر الافشين قواده فتقدّموا ليضيقوا الحصار على بابك في حصن البذّ، ونزل على ستة أميال منه . وسار بغا الكبير حتى أحاط بقرية البذّ وقاتلهم وقتلوا منهم جماعة، فتأخر

(١) اسم الحصن .

الى خندق محمد بن حميد من القواد، وبعث الى الافشين في المدد فبعث اليه أخاه الفضل وأحمد بن الخليل بن هشام وأبا خوس وصاحب شرطة الحسن بن سهل، وأمره بمناجزتهم الى الحرب في يوم عيَّنه له فركبوا في ذلك اليوم، وقصدوا البتّ وأصابهم برد شديد ومطر .

وقاتل الافشين قلب من بازائه من أصحاب بابك واشتدّ عليهم المطر فنزّلوا واتخذ بنا دليلاً أشرف به على جبل يطل منه على الافشين ، ونزل عليهم الثلج والضبّاب فنزلوا منازلهم . وعمد بابك الى الافشين ففض معسكره، وضجر أصحاب بنا من مقامهم في رأس الجبل فارتحل بهم ولا يعلم ما تمّ على الافشين ، وقصد حصن البتّ فتعرف خبر الافشين ورجع على غير الطريق الذي دخلوا منه لكثرة مضايقه وعقباته، وتبعته طلائع بابك فلم يلتفت اليهم مسابقة للمضايق امامه . وأجنهم الليل وخافوا على أثقالهم وأموالهم فمعسكر بهم بنا من رأس جبل وقد تبعوا وفنيت أزوادهم ويبتهم بابك، ففضهم ونهبوا ما كان معهم من المال والسلاح ونجّوا الى خندقهم الأوّل في أسفل الجبل وأقام بنا هنالك . وكان طرخان كبير قواد بابك قد استأذنه أن يشعوا بقرية في ناحية مراغة، فارسل الافشين الى بعض قواده بمراغة فأسرى اليه وقتله وبعث برأسه .

ودخلت سنة اثنتين وعشرين فبعث المعتصم جعفرأ الحياط

بالعساكر مدداً للافشين ، وبعث اتياخ بثلاثين ألف ألف درهم لنفقات الجند فأرسلها وعلم ، ورحل الافشين لأول فصل الربيع ، ودنا من الحصن وخندق على نفسه . وجاء الخبر بأن قائد بابك واسمه أدنين قد عسكر بازائه وبمكة عياله الى بعض حصون الجبل ، فبعث الافشين بعض قواده لاعتراضهم ، فسلكوا مضائق وتلقوا وأغاروا الى ان لقوا العيال فأخذوهم واتصرفوا ، وبلغ الخبر أدنين فركب لاعتراضهم وحاربهم واستنقذ بعض النساء .

وعلم بشأنهم الافشين من علامات كان أمرهم بها ان رأى بهم ريباً ، فركب اليهم فلما لحسوا به فرجوا عن المضيق ونجا القوم ، وتقدم الافشين قليلاً قليلاً الى حصن البذ^(١) وكان يامر الناس بالركوب ليلاً للحراسة خوفاً للبيات ، فضجر الناس من التعب وارتاد في رؤس تلك الجبال أما كن يتحصن فيها الرجال ، فوجد ثلاثة فازل فيها الرجال بازوادهم وسد الطرق اليها بالحجارة وأقام يحاصرهم . وكان يصلي الصبح بخلس ، ثم يسير زحفاً ويضرب الطبول ليحف الناس لزحفه في الجبال والادوية على مصافهم ، واذا امسك وقفوا . وكان اذا أراد ان يتقدم المضيق الذي أتى منه عام أول خلف به عسكراً على رأس العقبة يحفظونه لئلا يأخذه الحرس منه عليهم . وكان بابك متى زحفوا عليه كن عسكراً تحت تلك العقبة ، واجتهد الافشين أن يعرف مكان

(١) كذا في الأصل البدوي غلطة مطبعة ، وفي الكامل لابن الأثير والطبري : البذ .

الكمين فلم يُطبق . وكان يأمر أبا سعيد وجعفرأ الحياط وأحمد ابن الخليل بن هشام فيتقدمون الى الوادي في ثلاثة كراديس ، ويجلس على تلك ينظر اليهم والى قصر بابك . ويقف بابك قبالة في عسكر قليل وقد أكن بقية العسكر، فيشربون الخمر ويلعبون بالسُرْياني ، فاذا صلى الافشين الظهر رجع الى خندقه بروذ الروز مصافاً بعد مصاف ، الاقرب الى العدو ثم الذي يليه ، وآخرين تُرجع^(١) العسكر الذي عقبه المضيق ، حتى ضجرت الحرّمية من المطاولة ، وانصرف بعض الايام وتاخر جعفر ، فخرج الحرّمية من البذ على أصحابه ، فردّهم جعفر على أعقابهم ، وارتفع الصباح ورجع الافشين وقد نشبت الحرب .

وكان مع ابي دلف من أصحاب جعفر قوم من المطوعة فضيّقوا على أصحاب بابك وكانوا يصدعون البذ ، وبعث جعفر الى الافشين يستمده خمسمائة راجل من الناشبة ، فاتى له وأمره بالتحيل في الانصراف ، وتعلق أولئك المطوعة بالبذ وارتفع الصباح وخرج الكمنا من تحت العقبة ، وتبين الافشين أماكنهم واطلع على خدعتهم . وانصرف جعفر الى الافشين وعاتبه ، فاعتذر اليه يستأمن الكمين وأراه مكانه ، فانصرف عن عتابه وعلم أن الرأي معه .

وشكا المطوعة ضيق العلوقة والازاد فاذن لهم في الانصراف ،

(١) كذا ولعلها يرجعون .

وتناولوه بالسنتهم ثم طلبوه في المناهضة فاذن لهم ووادعهم ليوم معلوم ، وتجهز وحمل المال والازاد والماء والحامل لجرجا ، وتقدم الى مكانه بالامس ، وجيز العسكر على العقبة على عادته . وأمر جعفرأ بالتقدم بالمطوعة وأن ياتوا من أسهل الوجوه ، وأطلق يده بمن يريده من الناشبة والنفاطين ، وتقدم جعفر الى مكانه بالامس والمتطوعة معه ، فقاتلوا وتعلقوا بسور البذ حتى ضرب جمعهم ما به وجاء الفعلة بالفؤس وطيف عليهم بالمياه والازودة . ثم جاء الحُرْمِيَّةُ من الباب وكسروا على المطوعة وطرحوهم على السور ورموهم بالحجارة فنالت منهم وضعفوا عن الحرب ، ثم تحاجزوا آخر يومهم وأمرهم الافشين بالانصراف وداخلهم اليأس من الفتح تلك السنة ، وانصرف أكثر المطوعة .

ثم عاود الافشين الحرب بعد اسبوعين ، وبعث من جوف الليل ألفاً من الناشبة الى الجبل الذي وراء البذ حتى يعاينوا الافشين من هذه الناحية فيرمون على الحرمية . وبعث عسكراً آخر كيناً تحت ذلك الجبل الذي وراء البذ ، وركب هو من الغداة الى المكان الذي يقف فيه على عادته . وتقدم جعفر الحياط والقواد حتى صاروا جميعاً حول ذلك الجبل ، فوثب كين بابك من أسفل الجبل بالعسكر الذي جاء اليه لما فضحهم الصبح ، وانحدر الناشبة من الجبل وقد ركبوا الاعلام على رماحهم وقصدوا جميعاً أدنين قائد بابك في جفلة ، فانحدر الى الوادي ، فحمل عليه جماعة

من أصحاب القواد فرمى عليهم الصخور من الجبل، وتحدثت اليهم.

ولما رأى ذلك بابك استأمن للافشين على أن يحمل عياله من البذ، وبينما هم في ذلك اذ جاء الخبر الى الافشين بدخول البذ. وان الناس صعدوا بالاعلام فوق قصور بابك حتى دخل وادياً هنالك. وأحرق الافشين قصور بابك وقتل الحرمة عن آخرهم، وأخذ أمواله وعياله ورجع الى معسكره عند المساء، وخالفه بابك الى الحصن فحمل ما أمكنه من المال والطعام. وجاء الافشين من الغد فهدم القصور وأحرقها، وكتب الى ملوك أرمينية وبطارقتهم باذكار. العيون عليه في نواحيهم حتى يأتوه به. ثم عثر على بابك بعض العيون في وادٍ كثير الفياض يمر من أذربيجان الى أرمينية، فبعث من يأتي به فلم يعثروا عليه لكثرة الفياض والشجر.

وجاء كتاب المعتصم بأمانه فبعث به الافشين بعض المستأمنة من أصحاب بابك فامتنع من قبوله. وقتل بعضهم ثم خرج من ذلك الوادي هو وأخوه عبدالله ومعاوية وآمه يريدون أرمينية، ورآهم الحرس الذين جاؤا لآخذه، وكان أبو السفاح هو المقدم عليهم فرؤا في اتباعهم وأدركوهم على بعض المياه، فركب ونجا وأخذ أبو السفاح معاوية وآم بابك وبعث بهم الى الافشين. وسار بابك في جبال أرمينية مخفياً وقد اذكوا عليه العيون، حتى اذا

مُسَّه الجوع بعث بعض اصحابه بدنانير لشراء قوتهم ، فمثر به بعض
المسلحة .

وبعث الى سهل بن سباط فجاء واجتمع بصاحب بابك الذي
كانت حراسة الطريق عليه ، ودله على بابك فأتاه وخادعه حتى
سار الى حصنه وبعث بالخبر الى الافشين ، فبعث اليه بقائدين من
قبله وأمرهما بطاعة ابن سباط ، فأكتنهما في بعض نواحي الحصن
وأغرى بابك بالصيد وخرج منه . فخرج القائدان من الكمين
فأخذاه وجاء به الى الافشين وسماه معاوية بن سهل بن سباط فعبسه
ووكل بحفظه وأعطى معاوية ألف درهم ، وأتى سهلاً ألف
درهم ومنطقة مفروقة بلجوهر . وبعث الى عيسى بن يوسف بن
أسطقائوس ملك اليلقان يطلب منه عبد الله أخا بابك ، وقد كان
لجأ الى حصنه عندما أحاط به ابن سباط فألفظه اليه ، وجبسه
الافشين مع أخيه .

وكتب الى المعتصم فأمره بالقدوم بها وذلك في شوال من
سنة اثنتين وعشرين ، وسار الالفشين بها الى سامرا فكان يلقاه في
كل رحلة رسول من المعتصم بخيلة وفرن . ولما قرب من سامرا
تلقاه الواثق وكبر لقدمه وأمر الالفشين وبابك عنده بالمطيرة ،
وتوج الالفشين وألبسه وشاحين ووصله بعشرين ألف درهم
وعشرة آلاف درهم يفرقها في غمركه ، وذلك في صفر سنة
ثلاث وعشرين .

وجاء أحمد بن أبي داود الى بابك متنكراً وكلمه، ثم جاء المعتصم أيضاً متنكراً فرآه. ثم عقد من الند واصطف النظارة سحاطين وجي. ببابك راكباً على الفيل. فلما وصل أمر المعتصم بقطع أطرافه ثم بذبحه، وأنفذ رأسه الى خراسان، وصلب شلوه بشارا وبعث باخيه عبدالله الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد ليفعل به مثل ذلك ففعل. وكان الذي أنفق الأفشين في مدة حصاره لبابك سوى الارزاق والاثزال والمعاون عشرة آلاف ألف درهم يوم ركوبه لحاربته وخمسة آلاف يوم قعوده. وجميع من قتل بابك في عشرين سنة أيام قتيبة مائة ألف وخمسة وخمسين ألفاً، وهزم من القواد يحيى بن معاذ وعيسى بن محمد بن أبي خالد واحد بن الجنيد وزريق بن علي بن صدقة ومحمد بن حميد الطوسي وابراهيم بن الليث. وكان الذين اسروا مع بابك ثلاثة آلاف وثلثمائة والذي استنقذ من يديه من المسلمات واولادهن سبعة آلاف وستمائة انسان جعلوا في حظيرة، فمن اتى من اوليائهم واقام بينه على احد منهم اخذه، والذي صار في يد الأفشين من بني بابك وعياله سبعة عشر رجلاً وثلاثاً وعشرين امرأة.

فتح سميرية

وفي سنة ثلاث وعشرين خرج نُوْفَلُ بن ميخائيل مَلِكُ الروم الى بلاد المسلمين، فأوقع بأهل زَبْطرة، لان بابك لما اشرف على الهلاك كتب اليه ان المعتصم قد وجّه عساكره حتى خياطه يعني

جَعْفَرُ بْنُ دِينَارٍ وَطَبَاخَةُ يَعْنِي إِتْيَاخَ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، فَانْتَهَزَ الْفُرْصَةَ ثَلَاثًا أَوْ دُونَهَا . وَظَنَّ بِأَبِيكَ ، أَنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الْمُعْتَصِمَ إِلَى انْفِاذِ الْعَسَاكِرِ لِحَرْبِ الرُّومِ ، فَيَخِيفُ عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ . فَخَرَجَ نُوْفَلٌ فِي مِائَةِ أَلْفٍ وَفِيهِمْ مِنَ الْمُجَبَّرَةِ الَّذِينَ كَانُوا خَرَجُوا بِالْجِبَالِ وَهَزَمَهُمْ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُضْعَبٍ فَلَحِقَ بِالرُّومِ ، وَبَلَغَ نُوْفَلٌ زَبْطَرَةَ فَاسْتَبَاحَهَا قَتْلًا وَسَبِيًّا وَاعَادَ عَلَى مَلَطِيَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَمَثَلَ بِالْأَسْرَى . وَبَلَغَ الْخَبْرَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ فَاسْتَعْظَمَهُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ هَاشِمِيَّةً صَاحَتِ وَهِيَ فِي أَيْدِي الرُّومِ : وَامْتَعَصَاهُ : فَاجَابَ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ لِبَيْكَ ، لِبَيْكَ !

وَنَادَى بِالنَّفِيرِ وَنَهَضَ مِنْ سَاعَتِهِ فَرَكِبَ دَابَّتَهُ وَاحْتَقَبَ شَكَالًا وَسَكَّةً مِنْ حَدِيدٍ فِيهَا رِذَاؤُهُ . وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَاحْضَرَ قَاضِي بَغْدَادَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ إِسْحَاقَ وَمَعَهُ ابْنُ سَهْلٍ فِي ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْعُدُولِ فَاشْهَدَهُمْ بِمَا وَقَفَ مِنَ الضِّيَاعِ ، ثَلَاثًا لَوْلَاهُ وَثَلَاثًا لِمَوَالِيهِ وَثَلَاثًا لَوَجْهِ اللَّهِ . وَسَارَ فَعَسَكَرَ بِقَرَى دَجَلَةَ لِلْبَيْتَيْنِ مِنْ جِمَادَى الْأُولَى ، وَبَعَثَ عُجَيْفَ بْنَ عَبَّسَةَ وَعِمْرَ الْفَرْغَانِيَّ وَجَامِعَةَ مِنَ الْقَوَادِ مَدَدًا لِأَهْلِ زَبْطَرَةَ ، فَوَجَدُوا الرُّومَ قَدْ ارْتَحَلُوا عَنْهَا فَاقَامُوا حَتَّى تَرَجَعَ النَّاسُ وَاطْمَأَنَّنُوا .

وَلَمَّا ظَفَرَ بِبَابِكَ سَأَلَ أَيَّ بِلَادِ الرُّومِ أَعْظَمَ عِنْدَهُمْ فَقِيلَ لَهُ عَمُورِيَّةٌ فَتَجَهَّزَ إِلَيْهَا بِمَا لَا يَمِثُّهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنَ السِّلَاحِ وَالْأَلَةِ وَالْعَدَدِ وَحِيَاضِ الْأَدَمِ وَالْقَرَبِ وَالرَّوَايَا وَجَعَلَ مَقْدَمَتَهُ أَشْنَأَسَ وَبَعْدَهُ مُحَمَّدٌ

ابن ابراهيم بن مصعب وعلى الميمنة اتياخ، وعلى الميسرة جعفر ابن دينار الحياط، وعلى القلب عجيف بن عنبة . وجاء الى بلاد الروم فأقام بساوقية على نهر السن قريباً من البحر، وعلى مسيرة يوم من طرطوس وبعث الاششين الى سروج وأمره بالدخول من درب الحرب وبعث اشناس من درب طرطوس^(١) وأمره بانتظاره بالصفصاف، وقدم وصيفاً في أثر اشناس وواعدهم يوم اللقاء . ورحل المعتصم لست بقين من رجب وبلغه الخبر ان ملك الروم عازم على كبس مقدمته، فبعث الى اشناس بذلك وأن يقيم ثلاثة ايام ليلحق به .

ثم كتب اليه أن يبعث اليه من قواده من يأتيه بخبر الروم وملكهم، فبعث عمر الفرغاني في مائتي فارس، فطاف في البلاد وأحضر جماعة عند اشناس أخبروه بأن ملك الروم بينما هو ينتظر المقدمة ليواقعها اذ جاءه الخبر بأن العساكر دخلت من جهة أرمينية يعني عسكر الافشين، فاستخلف ابن خاله على عسكره وسار الى تلك الناحية، فوجه اشناس بهم الى المعتصم . وكتب المعتصم الى الافشين بالمقام حذراً عليه، وجعل لمن يوصل الكتاب عشرة آلاف درهم، وأوغل في بلاد الروم فلم يدركه الكتاب .

وكتب المعتصم الى اشناس بأن يتقدم والمعتصم في أثره، حتى اذا كانوا على ثلاث مراحل من أنقرة أسر اشناس في طريقه جماعة

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ٥ ص ٢٤٧ : طرطوس .

من الروم فقتلهم، وقال لهم شيخ منهم أنا أدلك على قوم هربوا من أنقرة معهم الطعام والشعير، فبعث معه مالك بن كرد في خمسمائة فارس فدلّ بهم إلى مكان أهل أنقرة فغنموا منهم ووجدوا فيهم جرحى قد حضروا وقعة ملك الروم مع الافشين وقالوا : لما استخلف على عسكره سار إلى ناحية أرمينية فلقينا المسلمين صلاة الغداة فهزمناهم وقتلنا رجالهم واقتربت عساكرنا في طلبهم، ثم رجعوا بعد الظهر فقاتلونا وحرقوا عسكرنا وفقدنا الملك وانهزمنا، ورجعنا إلى العسكر فوجهناه قد انتقض . وجاء الملك من الغد فقتل نائبه الذي استخلفه وكتب إلى بلاده بعقاب المنهزمين ومواعدهتهم بمكان كذا ليلقى المسلمين بها . ووجه خصياً له إلى أنقرة ليحفظها فوجد أهلها قد أجلوا، فأمره الملك بالمسير إلى عمورية، فوعى مالك بن كرد^(١) خبرهم ووجع بالغنيمة والأسرى إلى اشناس وأطلق الأمير الذي دله .

وكتب اشناس بذلك إلى المتصم، ثم جاء البشير من ناحية الافشين بالسلامة، وإن الوقعة كانت لخس بقين من شعبان . وقدم الافشين على المتصم بأنقرة ورحل بعد ثلاث والافشين في ميمنته وأشناس في ميسرته وهو في القلب، وبين كل عسكر وعسكر فرسخان، وأمرهم بالتخريب والتحريق ما بين أنقرة وعمورية .

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٢٤٨ : فرجع مالك بن كيدر بما معهم من الغنيمة والأسرى إلى عسكر اشناس .

ثم وافى عمورية وقسمها على قواده، وخرج اليه رجل من المنتصرة فدلّه على عورة من السور بني ظاهره واخْلَ باطنه، فضرب المعتصم خيمته قبالتة ونصبت عليه المجانيق، فتصدع السور. وكتب بطريقها باطيس والحصي الى الملك يعلنانه بشأنها في السور وغيره، فوقع في يد المسلمين مع رجلين. وفي الكتاب ان باطيس عازم على ان يخرج ليلاً ويمرّ بمسكر المسلمين ويلحق بالملك، فنادى المعتصم حرسه. ثم انشلت فوهة من السور بين برجين، وقد كان الخندق طمّ بأوعية الجلود المملوءة تراباً. ثم ضرب بالذبالات عليها فدحرجا الرجال الى السور، فنشبت في تلك الاوعية وخلص من فيها بعد الجهد. ولما جاء من الغد بالسلام والمنجنيقات فقاتلوهم على تلك الثلثة، وحارب وبدر بالحرب اشناس وجمعت المنجنيقات على تلك الثلثة. وحارب في اليوم الثاني الافشين والمعتصم راكب ازاء الثلثة، واشناس وافشين وخواص الخدّام معه.

ثم كانت الحرب في اليوم الثالث على المعتصم، وتقدّم اتياخ بالمغاربة والاتراك، واشتدّ القتال على الروم الى الليل وفشت فيهم الجراحات، ومشى بطريق تلك الناحية الى رؤساء الروم، وشكا اليهم واستمدّهم فابوا. فبعث الى المعتصم يستامن، فامنه وخرج من الغد الى المعتصم وكان اسمه وندوا، فبينما هو والمعتصم يجاذبه اوماً عبيد الوهاب بن علي من بين يديه الى المسلمين بالدخول، فافتتحوا من الثلثة ورآهم وندوا فخاف، فقال له المعتصم: كل

شيء، تريده هو لك . ودخل المسلمون المدينة وامتنع الروم
بكنيستهم وسطها فأحرقها المسلمون عليهم .

وامتنع باطيس البطريق في بعض أبراجها حتى استنزله المعتصم
بالامان، وجاء الناس بالاسرى والسبي من كل جانب، واصطفى
الاشراف وقتل من سواهم، وبيعت مغانمهم في خمسة أيام وأحرق
الباقي . ووثب الناس على المغانم في بعض الايام ينهبونها فركب
المعتصم وسار نحوهم فكفوا بعمورية فهدمت وأحرق، وحاصرها
خمس وخمسين يوماً من سادس رمضان الى آخر شوال، وفرق
الاسرى على القواد ورجع نحو طرطوس . ولم يزل نوفل مملوكاً
على الروم الى أن هلك سنة تسع وعشرين ومائتين في ولاية
الوائق، ونصبوا ابنه ميخائيل في كفالة أمه ندورة فاقامت عليهم
ست سنين، ثم اتهمها ابنها ميخائيل بقمط من أقاطها عليها وألزمها
بيتها سنة ثلاث وثلاثين .

حبس العباس بن المأمون ومهلكه

كان المعتصم يقدم الافشين على عجيف بن عنبسة ولما بعثه
الى زبطرة لم يطلق يده في النفقات كما أطلق للاشين، وكان
يستقصر شان عجيف وأعماله فطوى عجيف على النكث ولقي
العباس بن المأمون فعذله على قموده عند وفاة المأمون عن الامر
حتى يبيع المعتصم وأغراه قبلاً في ذلك فقبل العباس منه، ودس
رجلاً من بطانته يقال له السمرقندي قرابة عبدالله بن الوضاح وكان

له أدب ومدارة، فاستأمن له جماعة من القواد ومن خواص المعتصم فبايعوه، وواعد كل واحد منهم أن يثب بالقائد الذي معه فيقتله من أصحاب المعتصم، والافشين واشناس بالرجوع الى بغداد فأبى من ذلك وقال: لا أفسد العراق. فلما فتحت عمورية وضعب التدبير بعض الشيء أشار عجيف بأن يضع من ينهب الغنائم، فاذا ركب المعتصم وثبوا به ففعلوا مثل ما ذكرنا. وركب فلم يتجاسروا عليه.

وكان للفرغاني قرابة غلام أرد في جملة المعتصم، فجلس مع ندمان الفرغاني تلك الليلة وقص عليهم ركوب المعتصم، فأشفق الفرغاني وقال يا بني اقل من المقام عند أمير المؤمنين والزم خيمتك، وان سمعت هَيْمَةً فلا تخرج فأنت غلام غر. ثم ارتحل المعتصم الى الثغور، وتغير اشناس على عمر الفرغاني وأحمد بن الحليل وأساء اليهما، فطلبوا من المعتصم ان يضمهما الى من شاء. وشكيا من اشناس، فقال له المعتصم أحسن ادبهما، فحبسهما وحملهما على بغل. فلما صار بالصفصاف حدث الغلام ما سمع من قريبه عمر الفرغاني، فأمر بغا أن يأخذه من عند اشناس ويساله عن تاويل مقالته فانكر وقال انه كان سكران، فدفعه الى اتياخ.

ثم دفع أحمد بن الحليل الى اشناس^(١) عنده نصيحة

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٥٢: وسار المعتصم فانفذ أحمد ابن الحليل الى اشناس يقول له: إن عندي نصيحة لأمير المؤمنين.

للمعتصم، وأخبره خبر العباس بن المأمون والقواد والحرث السمرقندي، فانفذ اشناس الى الحرث وقيده وبعث به الى المعتصم وكان في المقدمة، فاخبر الحرث المعتصم بحيلة الامر فاطلقه وخلع عليه، ولم يصدق على القواد لكثرتهم. ثم حضر العباس بن المأمون واستحلفه ان لا يكتم عنه شيئاً فشرح له القصة فحبسه عند الافشين، وتبع القواد بالجنس والتسكيل وقتل منهم المشاء بن سهيل ثم دفع العباس للافشين، فلما نزل بمنج طلب الطعام فاطعم ومنع الماء. ثم أدرج في سجن^(١) فمات، ولما وصل المعتصم الى نصيبين احتفر لعمر الفرغاني بئراً وطمت عليه، ولما دخلوا بلاد الموصل قتل عجير بمثل ما قتل به العباس، واستلحم جميع القواد في تلك الايام، وسبوا العباس اللعين. ولما وصل الى سامرا جلس اولاد المأمون في داره حتى ماتوا.

انتقاض مازيار ومقتله

كان مازيار بن قارن بن وندا هرمز صاحب طبرستان وكان منافراً لعبدالله بن طاهر فلا يحمل اليه الخراج، وقال لا أحمله الا للمعتصم، فبعث المعتصم من يقبضه من أصحابه ويدفعه الى وكيل عبدالله بن طاهر يرده الى خراسان، وعظمت الفتنة بين مازيار وعبدالله، وعظمت سعاية عبدالله في مازيار عند المعتصم حتى استوحش منه. ولما ظفر الافشين ببابك، وعظم محله عند المعتصم،

(١) كذا بالأصل وفي الكامل: ثم أدرج في مسح فمات بمنج.

وطمع في ولاية خراسان ظن ان انتقاض مازيار وسيلة لذلك ، فجعل يستميل مازيار ويحرّضه على عداوة ابن طاهر وان أدت الى الخلاف لبيعته المعتصم لحربه ، فيكون ذلك وسيلة له الى استيلائه على خراسان ظنا بأن ابن طاهر لا ينهض لمحاربتة .

فانتقض مازيار وحمل الناس على بيعته كرهاً وأخذ رهائنهم وعَجَلَ جباية الحراج ، فاستكثر منه وخرب سور آمد وسور سابة وقتل أهلها الى جبل يعرف بهر مازياروني سرخاشان سورطمس ، منها الى البحر على ثلاثة أميال ، وهي على حد جرجان ، وكانت تبنيه سداً بين الترك وطبرستان وجعل عليه خندقاً ومن أهل جرجان الى نيسابور ، وأنفذ عبدالله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين في جيش كثيف لحفظ جرجان فعسكر على الخندق ، ثم بعث مولاة حيّان بن جبلة الى قومس فعسكر على جبال شروين .

وبعث المعتصم من بغداد محمد بن ابراهيم بن مصعب ، وبعث منصور بن الحسن صاحب دِنبَاوَنَد الى الري ، وبعث ابا الساج الى دنباوند وأحاطت العساكر بجياله من كل ناحية ودخل أصحاب الحسين أصحاب سرخاشان في تسليم سورهم وليس بينهما الا عرض الخندق ، فكلموه وسار الآخرون اليه على حين غفلة من القائدين ، وركب الحسن بن الحسين وقد ملك أصحابه السور ودخلوا منه ، فهرب سرخاشان وقبضوا على أخيه شهریار فقتل ، ثم قبض على سرخاشان على خمسة فراسخ من معسكره ، وجي .

به الى الحسن بن الحسين فقتله أيضاً .

ثم وقعت بين حيان بن جبلة وبين فاروق بن شهریار وهو ابن أخيه مازيار ومن قواده مداخلة استالة حيان، فأجاب أن يسلم مدينة سارية الى حد جرجان على أن يملكوه جبال آبائه، وبعث حيان الى ابن طاهر فسجل لقارن بما سأل، وكان قارن في جملة عبدالله بن قارن أخيه مازيار ومن قواده، فأحضر جميعهم لطعامه وقبض عليهم وبعث بهم الى حيان، فدخل جبال قارن في جموعه، واعتصم لذلك مازيار وأشار عليه أخوه القوهيار أن ينجي سبيل من عنده من أصحابه يؤولون من الجبل الى مواطنهم لئلا يؤتى من قبلهم، فصرف صاحب شرطته وخراجه، وكاتبه حميدة فلحقوا بالسهل، ووثب أهل سارية بطامه عليهم مهرستان بن شهرين، فهرب ودخل حيان سارية .

ثم بعث قوهيار أخوه مازيار محمد بن موسى بن حفص عامل طبرستان، وكانوا قد حبسوه عند انتفاضهم فبعثه الى حيان ليأخذ له الأمان وولاية جبال آبائه على أن يسلم اليه مازيار، وعزل قوهيار بعض أصحابه في عدوله بالاستئذان عن الحسن الى حيان، فرجع اليهم وكتبوا الى الحسن يستدعون قوهيار من أخيه مازيار فركب من معسكره بطمس وجاء لموعدهم، ولقي حيان على فرسخ فرده الى جبال شروين التي افتتحها ووجهه على غيبته عنها فرجع سارية وتوفي وبعث عبدالله مكانه محمد بن الحسين بن مصعب

وعهد اليه ان لا يمنع قارن ما يريد، ولما وصل الحسن الى خرماباد وسط جبال مازيار لقيه قاهيار هنالك واستوثق كل منهما من صاحبه، وكاتب محمد بن ابراهيم بن مصعب من قواد المعتصم قوهيار بمثل ذلك، فركب قاصداً اليه . وبلغ الحسن خبره فركب في العسكر وحازم يسابق محمد بن ابراهيم الى قوهيار فسبقه ولقي قوهيار وقد جاء بأخيه مازيار، فقبض عليه وبعثه مع اثنين من قواده الى خرماباد، ومنها الى مدينة سارية .

ثم ركب واستقبل محمد بن ابراهيم بن مصعب وقال : أين تريد؟ فقال الى المازيار : فقال هو بسارية . ثم حبس الحسن أخوي المازيار ورجع الى مدينة سارية فقيّد المازيار بالقيّد الذي قيّد به محمد بن محمد بن موسى بن حفص . وجاء كتاب عبدالله ابن طاهر بأن يدفع المازيار وأخويه وأهل بيته الى محمد بن ابراهيم يحملهم الى المعتصم . وسأل الحسن المازيار عن امواله فذكر أنها عند قوم من وجوه سارية سمّاهم وأمر الحسن القوهيار بحمل هذه الاموال ، وسار الى الجبل ليحملها، فوثب به بماليك المازيار من الدّيلم وكانوا ألفاً ومائتين فقتلوه بشار أخيه وهربوا الى الديلم ، فاعترضتهم جيوش محمد بن ابراهيم وأخذوهم فبعث بهم الى مدينة سارية .

وقيل إنّ الذي غدر بالمازيار ابن عم له كان يتوارث جبال طبرستان والمازيار يتوارث سهلها ، وكانت جبال طبرستان ثلاثة

أجبل ، فلما انتفض واحتاج الى الرجال دعا ابن عمه من السهل وولاه على أصعبها ، وظن أنه قد وثق به فكاتب هو الحسن وأطلعه على مكاتبة الافشين للزيار ، وداخله ^(١) في الفتك على ان يوليه ما كان . لآبائه ، وأن المازيار لما ولّاه الحسن بن سهل طبرستان انتزع الجبل من يده ، فأفضى له الحسن كتاب ابن طاهر ووثق له فيه وأوعده ليوم معلوم ، ركب فيه الحسن الى الجبل فأدخله ابن عم مازيار وحاصروه حتى نزل على حكمه ، ويقال أخذه أسيراً في الصيد . ومضى الحسن به ولم يشعر صاحب الجبل الآخر وأقام في قتاله لمن كان بازائه فلم يشعر الا والعساكر من ورائه فانهزم ، ومضى الى بلاد الديلم فاتبعوه وقتلوه . ولما صار المازيار في يده طلبت منه كتب الافشين فأحضرها ، وأمر ابن طاهر ان يبعث بها معه الى المعتصم ، فلما وصل الى المعتصم ضربه حتى مات وصلبه الى جانب بابك وذلك سنة أربع وعشرين .

ولاية ابن السيد على الموصل

وفي سنة أربع وعشرين ولّى المعتصم على الموصل عبدالله بن السيد بن أنس الأزدي ، وكان سبب ولايته أن رجلاً من مقدمي الاكراد يعرف بمحضر بن فهرجس كان قد عصى بأعمال الموصل ، وتبعه خلق كثير من الاكراد وغيرهم ، وأفسدوا البلاد فبعث المعتصم لحربه عبدالله بن السيد بن أنس فقاتله وغلبه على ماتعيس وأخرجه منها بعد أن كان استولى عليها ، ولحق بجبل دانس

(١) داخله : شاوره ، وهي من اصطلاحات ابن خلدون .

وامتنع بأعاليه ، وقاتله عبدالله وتوغل في مضائق ذلك الجبل ، فهزمه الاكراد وأثخنوا في أصحابه بالقتل ، وقتل اسحاق بن أنس عم عبدالله . فبعث المعتصم مولاة اتياخ في العساكر الى الموصل سنة خمس وعشرين وقصد جبل داس فقاتل جعفرأ وقتله وافترق أصحابه ، وأوقع بالاكراد واستباحهم وفروا أمامه الى تكريت .

نكبة الافشين ومقتله

كان الافشين من أهل أشروسنة تبوأها ونشأ ببغداد عند المعتصم وعظم محله عنده ، ولما حاصر بابك كان يبعث الى أشروسنة بجميع أمواله فيكتب ابن طاهر بذلك الى المعتصم ، فيأمره المعتصم بأن يجعل عيونه عليه في ذلك . وعثر مرة ابن طاهر على تلك الاموال فأخذها وصرفها في العطاء ، وقال له حاملوها : هذا مال الافشين ، فقال كذبتُم لو كان ذلك لاعلمي أخي افشين به وانما أنتم لصوص ، وكتب الى الافشين بذلك بأنه دفع المال الى الجند ليوجههم الى الترك ، فكتب اليه افشين مالي ومال أمير المؤمنين واحد ، وسأله في إطلاق القوم فأطلقهم واستحكمت الوحشة بينها وتتابعت السعاية فيه من طاهر ، وربما فهم الافشين أن المعتصم يعزله عن خراسان فطمع في ولايتها ، وكان مازيار يحسن له الخلافة ليدعو المعتصم ذلك الى عزله وولاية الافشين لحرب مازيار .

فكان من أمر مازيار ما ذكرناه وسبق الى بغداد مقيداً ، وولى

المعتصم الافشين على أذربيجان فولى عليها من قبله منكجور من بعض قرابته، فاستولى على مال عظيم لبابك، وكتب به صاحب البريد الى المعتصم فكتبه منكجور وهم بقتله، فتمه أهل أذربيل فقاتلهم. وسمع ذلك المعتصم فأمر الافشين بعزل منكجور، وبعث قائداً في عسكره مكانه، ففزع منكجور وخرج من أذربيل فهزمه القائد، ولحق ببعض حصون أذربيجان كان بابك حربه، فأصلحه وتحصن فيه شهراً ثم وثب فيه أصحابه وأسلموه الى القائد، فقدم به الى سامرا فجلسه المعتصم واتهم الافشين في أمره، وذلك سنة خمس وعشرين ومائتين بأن القائد كان بغا الكبير وأنه خرج اليه بالامان هـ .

ولما أحس الافشين بتغير المعتصم أجمع أمره على الفرار واللحاق بآرمينية، وكانت في ولايته، ويخرج منها الى بلاد الخزر ويرجع الى بلاد آثروستة، وصعب عليه ذلك بمباشرة المعتصم أمره فأراد أن يتخذ لهم صنيعاً يشغلهم فيه نهارهم، ثم يسير من أول الليل. وعرض له في أثناء ذلك غضب على بعض مواليه، وكان سيء الملكة فأيقن مولاه بالهلكة، وجاء الى اتياخ فأحضره الى المعتصم وخبره الخبر فأمره بإحضاره وحجسه بالجوثر، وكان ابنه الحسن عاملاً على بعض ما وراء النهر. فكتب المعتصم الى عبدالله بن طاهر في الاحتياال عليه، وكان يشكو من نوح بن اسد صاحب بخارى. فكتب ابن طاهر الى الحسن بولاية بخارى، وكتب الى

نوح بذلك وان يستوثق منه اذا وصل اليه ويبعث به، ثم يبعث به الى ابن طاهر ثم الى المعتصم .

ثم امر المعتصم باحضار الافشين ومناظرته فيما قيل عنه، فاحضر عند الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيأت وعنده القاضي احمد بن أبي دؤاد واسحاق بن ابراهيم وجماعة القواد والاعيان ، واحضر المازيار من محبسه والمؤيد والمرزبان بن ترکش احد ملوك الصُغد ورجلان من اهل الصغد يدعيان ان الافشين ضربهما وهما إمام ومؤذن بمسجد . فكشفا عن ظهورهما وهما عاريان من اللحم ، فقال ابن الزيأت للافشين ما بال هذين ؟ قال عهدا الى معاهدين فوثبا على بيت اصنامهم فكسراها ، واتخذا البيت مسجداً فعاقبتهما على ذلك . وقال ابن الزيأت : ما بال الكتاب المحلى بالذهب والجوهر عندك وفيه الكفر ؟ قال كتاب ورثته من آبائي واوصوني بما فيه من آدابهم فكنت آخذها منه وارك كفرهم ، ولم احتج الى نزع حليته ، وما ظننت ان مثل هذا يخرج عن الاسلام .

ثم قال المؤيد إنه يأكل لحم المُنْحَقَّة ويحملني على أكلها ويقول هو أرطب من لحم المذبوحة . ولقد قال لي يوماً حملت على كل مكروه لي حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل ، الى هذه الغاية لم أختن ولم تسقط عني شعرة العانة . فقال الافشين : أَيْقَنُ هذا عندكم في دينه ؟ وكان مجوسياً قالوا : لا قال فكيف تقبلونه علي ؟ ثم قال للمؤيد أنت ذكرت اني أسررتُ اليك ذلك ،

فلست بشقة في دينك ولا بكريم في عهدك ثم قال له المرزبان :
كيف يكتابك أهل أشرويسنة ؟ قال ما أدري ! قال أليس
يكتابونك بما تفسره بالعربي : الى إله الآلهة من عبده فلان ؟
قال بلى ! فقال ابن الزيات فما أبقيت لفرعون ؟ قال هذه عادة
منهم لأبي وجددي ولي قبل الاسلام ، ولو منعتهم لفسدت علي
طاعتهم .

ثم قال له أنت كاتب هذا ؟ وأشار الى المازيار . كتب أخوه
الى أخي قوهيار انه لن ينصر هذا الدين غيري وغيرك وغير بابك ،
فأما بابك قد قتل نفسه يجمعه ولقد عهدت أن أمنعه فأبى الا خنقه ،
وأنت ان خالفت لم يرمك القوم بغيري ومعى أهل النجدة ، وان
توجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا العرب والمغاربة والترك ،
والعربي كلب تناوله لقمة وتضرب رأسه ، والمغاربة أكلة رأس ،
والاتراك لهم صدمة ثم تجول الخيل جولة فتأتي عليهم ، ويعود هذا
الدين الى ما كان عليه أيام العجم .

فقال الافشين هذا يدعي ان أخي كتب الى أخيه فما يجب
علي ؟ ولو كتب فأنا أستميله مكرأ به لاحظي عند الخليفة كما
حظي به ابن طاهر ، فزجره ابن أبي دؤاد فقال له الافشين : ترفع
طيلسانك فلا تضعه حتى تقتل جماعة فقال : أمتطهر أنت ؟ قال
لا ! قال فما يمنعك وهو شعار الاسلام ؟ قال خشيت علي نفسي
من قطعة ! قال فكيف وأنت تلقي الرماح والسيوف ؟ قال تلك

ضرورة أصبر عليها وهذا أستجلبه . فقال ابن أبي دؤاد لبغا الكبير :
 قد بان لكم أمره يا بغا عليك به ١ قد دفعه بيديه وردّه الى محبسه
 وضرب مازيار أربعائة سوط فمات منها ، وطلب افشين من المعتصم
 أن يُنْفَذَ اليه من يثق به ، فبعث حمدون بن اسماعيل فاعتذر له
 عن جميع ما قيل فيه ، وحمل الى دار اتياخ فقتل بها وصلب
 على باب العامة ، ثم أحرق . وذلك في شعبان من سنة ست
 وعشرين ، وقيل قطع عنه الطعام والشراب حتى مات .

ظهور المبرقع

كان هذا المبرقع يُعرف بأبي حرب اليباني وكان يِفْلَسْطِين ،
 وأراد بعض الجند النزول في داره فمنعه بعض النساء فضر بها
 الجندي وجاءت فشكت اليه بفعل الجندي ، فسار اليه وقتله ، ثم
 هرب الى جبال الاردن ، فأقام بها واختفى يُزْرِقُ على وجهه .
 وصار يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعيب الخليفة ويؤم أنه
 أموي ، واجتمع له قوم من تلك الناحية وقالوا هو السُفْيَانِي .
 ثم أجابه جماعة من رؤساء اليبانية منهم ابن بهيس وكان مطاعاً في
 قومه وغيره فاجتمع له مائة ألف ، وسرح المعتصم رجاء بن أيوب
 في ألف من الجند ، فخام عن لقائه لكثرة من معه ، وعسكر
 قبائله ينتظر أوان الزراعة وانصراف الناس عنه لاعمالهم . وبينما
 هم في الانصراف توفي المعتصم ونادت الفتنة بدمشق ، فأمره الواثق
 بقتل من أثار الفتنة والموذ الى المبرقع ، ففعل وقاتله فأخذه أسيراً

وابن بهيس معه، وقتل من أصحابه عشرين ألفاً وحمله، وذلك سنة سبع وعشرين ومائتين.

وفاة المعتصم وبيعة الواثق

وتوفي المعتصم أبو اسحاق محمد بن المأمون بن الرشيد، منتصف ربيع الاول سنة سبع وعشرين لثمان سنين وثمانية أشهر من خلافته، وبويع ابنه هارون الواثق صبيحته وتكنى أبا جعفر. فشار اهل دمشق بأمرهم وحاصروه، وعسكروا بمرج واسط^(١) وكان رجاء ابن ايوب بالرملة في قتال المبرقع، فرجع اليهم بأمر الواثق فقاتلهم وهزمهم واثخن فيهم، وقتل منهم نحو من ألف وخمسمائة ومن أصحابه نحو ثلثمائة، وصلاح أمر دمشق، ورجع رجاء الى قتال المبرقع حتى جاء به أسيراً^(٢) بيعة الواثق توجه أشناس ووشحه، وكان للواثق سمر يجلسون عنده ويفيضون في الاخبار حتى أخبروه عن شأن البرامكة واستبدادهم على الرشيد واحتجاجهم الاموال، فأغراه ذلك بمصادرة الكتاب فحبسهم وألزمهم الاموال.

فأخذ من أحمد بن اسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه، ومن سليمان بن وهب كاتب أتياخ أربعمائة ألف، ومن الحسن ابن وهب أربعة عشر ألفاً، ومن ابراهيم بن رباح وكاتبه مائة ألف، ومن أبي الوزر مائة وأربعين ألفاً، وكان على اليمن أتياخ، وولاه

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٦٧ : بمرج راهط.

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٢٦٩ : وفي هذه السنة - أي سنة ثمان وعشرين

ومائتين - أعطى الواثق أشناس تاجاً ووشاحين.

عليها المعتصم بعدما عزل جعفر بن دينار وسخطه وحبسه ثم رضي عنه وأطلقه، فلما وليّ الواثق وليّ اتياخ على اليمن من قبله سار باميان، فسار إليها وكان الحرس اسحاق بن يحيى بن معاذ ولأه المعتصم بعد عزل الافشين . وولى الواثق على المدينة سنة احدى وعشرين محمد بن صالح بن العباس وبقي محمد بن داود على مكة ، وتوفي عبدالله بن طاهر سنة ثلاثين، وكان على خراسان وكرمان وطبرستان، والري وكان له الحرب والشرطة والسواد فولى الواثق على اعماله كلها ابنه طاهراً .

وقعة بغا في الاعراب

كان بنو سُليم يُفسِدون بنواحي المدينة ويتسلطون على الناس في أموالهم، وأوقعوا بناس من كِنانة وباهلة، وبعث محمد ابن صالح اليهم مَسْلَحَةَ المدينة ومعهم متطوِّعَةٌ من قريش والانصار، فهزمهم بنو سليم وقتلوا عاِمتهم وأحرقوا لباسهم وسلاحهم وكراعهم ونهبوا القرى ما بين مكة والمدينة وانقطع الطريق، فبعث الواثق بغا الكبير، وقدم المدينة في شعبان فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم خمسين رجلاً وأسر مثلها، واستأمنوا له على حكم الواثق، فقبض على ألف منهم ممن يعرف بالفساد فحبسهم بالمدينة وذلك سنة ثلاثين. ثم حج وسار الى ذات عِرْق وعرض على بني هلال مثل بني سُليم فأخذ من المفسدين منهم نحو ثلثمائة رجل وحبسهم بالمدينة وأطلق الباقين .

ثم خرج بغا الى بني رُرة فنقب أولئك الاسرى الحبس وقتلوا
الموكلين فاجتمع عليهم أهل المدينة ليلاً ومنعواهم من الخروج
فقاتلواهم إلى الصبح ثم قتلواهم ، وشق ذلك على بغا وكان سبب
غيبته ان فزارة وبني رُرة تغلبوا على فلك فخرج اليهم وقدم
رجلاً من قواده يعرض عليهم الامان ، فهربوا من سطوته الى
الشام واتبعهم الى تخوم الحجاز من الشام ، وأقام أربعين ليلة ثم
رجع الى المدينة بمن ظفر منهم .

وجاء قوم من بطون غفار وفزارة وأشجع وتعلبة فاستخلفهم
على الطاعة . ثم سار الى بني كلاب فأقوه في ثلاثة آلاف رجل ،
فحبس أهل الفساد منهم ألفاً بالمدينة وأطلق الباقين ، وأمره الواثق
سنة اثنين وثلاثين بالمسير الى بني تميم باليامة وما قرب منها لقطع
فسادهم ، فسار اليهم ولقي جماعة الشريف منهم فحاربهم وقتل
منهم خمسين وأسر أربعين . ثم سار الى رُرة وبعث اليهم في الطاعة
فامتنعوا وساروا الى جبال السند وطف اليامة ، وبعث سراياهم
فأوقع بهم في كل ناحية . ثم سار اليهم في ألف رجل فلقبهم قريباً
من أضاخ فكشفوا مقدمته وميسرته وأثخنوا في عسكره بالقتل
والنهب .

ثم ساروا تحت الليل وهو في أتباعهم يدعواهم الى الطاعة ،
وبعث طائفة من جنده يدعون بعضهم وأصبح وهو في قلة ، فصلوا
عليه وهزموه الى معسكره واذا بالطائفة الذين بعثهم قد جاؤا من

وجهتهم، فلما رأهم بنو تميم من خلفهم ولوا منهمزمين وأسلموا رجالهم وأموالهم ونجوا على خيلهم ولم يفلت من رجالهم أحد، وقتل منهم نحو ألف وخمسمائة، وأقام بمكان الوقعة وأستأمن له أراؤهم فقيدهم وجبسهم بالبصرة. وقدم عليه واجن الاشروسي في سبعمائة مقاتل مدداً، فبعثه الى اتباعهم الى أن بلغ تبالاً من اعمال اليمن ورجع، وسار بنا الى بغداد بمن معه منهم وكانوا نحو ألفي رجل ومائتي رجل، وكتب الى صالح أمير المدينة أن يوافيه ببغداد من عنده منهم فجاء بهم وسلموا جميعاً.

مقتل أحمد بن نصر

وهو أحمد بن مالك وهو أحد النقباء كما تقدم، وكان أحمد هذا نسبية لاهل الحديث ويفشاه جماعة منهم مثل ابن حصين وابن الدوزقي وأبي زهير، ولقن منهم النكير على الواثق بقوله بخلق القرآن. ثم بعد ذلك الى الشتم، وكان ينعته بالخنزير والكافر، وفشا ذلك عنه. وانتدب رجلا من كان يفشاه: هما أبو هارون السراج وطالب وغيرهما، فدعوا الناس له وبايعه خلق على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرقوا الاموال في الناس ديناراً لكل رجل وأنفذوا لثلاث تمضي من شعبان من سنة احدى وثلاثين يظهرون فيها دعوتهم.

واتفق أن رجالاً ممن بايعهم من بني الاشرس جاؤا قبل الموعد بليلة وقد نال منهم المنكر، فضربوا الطبل وصاحب الشرطة اسحاق

ابن ابراهيم غائب ، فارتاع خليفته محمد اخوه فارسل من يسأل عن ذلك فلم يوجد احد ، واتوه برجل اعور اسمه عيسى وجدوه في الحمام ، فدلهم على بني الاشرس وعلى احمد بن نصر وعلى ابي هارون وطالب ، ثم سيق خادم احمد بن نصر فذكر القصة ، فقبض عليه وبعث بهم جميعاً الى الواثق بسائرا مقيدين ، وجلس لهم مجلساً عاماً وحضر فيه احمد بن ابي دؤاد ، ولم يسأله الواثق عن خروجه وانما سأله عن خلق القرآن فقال : هو كلام الله . ثم سأله عن الرؤية فقال : جاءت بها الاخبار الصحيحة ، ونصيحتي ان لا يخالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم سأل الواثق العلماء حوله عن امره ، فقال عبد الرحمن بن اسحاق قاضي الجانب الغربي : هو حلال الدم ، وقال ابن ابي دؤاد : هو كافر يستتاب . فدعا الواثق بالصنصامة فانتضاها ومشى اليه فضربه على جبل عاتقه ثم على رأسه ، ثم وخزه في بطنه ثم اجهز سبياً الدمشقي عليه وحزوا رأسه ، ونصب ببغداد وصلب شلوه عند بابها .

الفداء والصائفة

وفي سنة احدى وثلاثين عقد الواثق لاحد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة على الثغور والمواصم ، وأمره بحضور الفداء هو وجانان الخادم ، وأمرها أن تمتحن الاسرى باعتقاد القرآن والرؤية . وجاء الروم بأسراهم والمسلمون كذلك والتقوا على نهر اللامس

على مرحلة من طرطوس^(١)، وكان عدّة اسرى المسلمين اربعة آلاف وأربعة وستين، والنساء والصبيان ثمانمائة، وأهل الذمة مائة. فلما فرغوا من الفداء غزا احمد بن سعيد بن مسلم شاتياً واصاب الناس ثلج ومطر وهلك منهم مائة نفس، وأسر منهم نحوها، وخرق بالنبل قرون خلق، ولقيه بطريق من الروم فخام عن لقائه ثم غنم ورجع، فمزله الواثق وولى مكانه نصر بن حمزة الخزاعي.

وفاته الواثق وبيعة المتوكل

وتوفي الواثق أبو جعفر هارون بن المعتصم محمد لست بقين من سنة اثنتين وثلاثين، وكانت علته الاستسقاء وأدخل في تنور مسجر فلقي خفة ثم عاوده في اليوم الثاني اكثر من الاول فأخرج في حَفَّةٍ فمات فيها ولم يشعروا به. وقيل ان ابن أبي دؤاد غمضه ومات لخمس سنين وتسعة أشهر من خلافته. وحضر في الدار أحمد ابن أبي دؤاد واتباعه ووصيف وعمر بن فرح وابن الزيات، وأراد البيعة لمحمد بن واثق وهو غلام إمّر^(٢) فألبسوه فاذا هو قصير، فقال وصيف: أما تتقون الله تولون الخلافة مثل هذا! ثم تناظروا فيمن يولونه وأحضروا المتوكل فألبسه ابن أبي دؤاد الطويلة وعمه وسلم عليه بامارة المؤمنين ولقبه المتوكل وصلى على الواثق ودفنه. ثم وضع العطاء للجند لثمانية أشهر، وولى على بلاد فارس ابراهيم

(١) هي طرسوس.

(٢) أمر: ضعيف الرأي.

ابن محمد بن مُصَعب ، وكان على الموصل غانم بن محمد الطوئس فأقره وعزل ابن العباس محمد بن صول عن ديوان النفقات، وعقد لابنه المنتصر على الحرمين واليمن والطائف .

نكبة الوزير ابن الزيات ومهلكه

كان محمد بن عبد الملك بن الزيات قد استوزره الواثق فاستمكن من دولته وغلب على هؤلاء ، وكان لا يجفل بالمتوكل ولا يوجب حقّه ، وغضب الواثق عليه مرة فجاء الى ابن الزيات ليستنزه فأساء معاملته في التحية والملاقة فقال : اذهب فانك اذا صلحت رضي عنك . وقام عنه حزينا فجاء الى القاضي أحمد ابن دؤاد فلم يدع شيئا من البر إلا فعله وحيّاه وفدّاه ، وخطب حاجته فقال : أحب أن ترضي عني أمير المؤمنين فقال : أفعل ونعمة عين ! ولم يزل بالواثق حتى رضي عنه . وكان ابن الزيات كتب الى الواثق عندما خرج عنه المتوكل ان جعفر أتاني فسأل الرضا عنه وله وفرة شبه زي الخثيين ، فأمره الواثق أن يحضره من شعر قفاه فاستحضره فجاء يظن الرضا عنه وأمر حجاباً أخذ من شعره وضرب به وجهه فحقد له ذلك واساء له .

ولما ولي الخلافة بقي شهراً ثم أمر اتياخ أن يقبض عليه ويقيده بداره ويصادره ، وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين فصادره واستصفي أمواله وأملاكه وسلط عليه أنواع العذاب ، ثم جعله في تنور خشب في داخله مسامير تمنع من الحركة وترجع من فيه

لضيقه، ثم مات منتصف ربيع الاول، وقيل انه مات من الضرب وكان لا يزيد على التشهد وذكر الله. وكان عمر بن الفرج الرَّحَّيي يعامل المتوكل بمثل ذلك فحقد له، ولما استخلف قبض عليه في رمضان واستصفى أمواله ثم صودر على أحد عشر ألف ألف.

نكبة اتياخ ومقتله

كان اتياخ مولى السلام الابرص، وكان عنده ناخوريا طبَّاحاً وكان شجاعاً فاشتراه المعتصم منه سنة تسع وتسعين وارتفع في دولته ودولة الواثق ابنه، وكان له المؤنة بسامرا مع اسحاق بن ابراهيم بن مصعب، وكانت نكبة العطاء في الدولة على يديه وجبهم بداره، مثل أولاد المأمون وابن الزيَّات وصالح وعجيف وعمر بن الفرج وابن الجند وأمثالهم، وكان له البريد والحجابة والجيش والمغاربة والاتراك. وشرب ذات ليلة مع المتوكل فعرِّد على اتياخ، وهم اتياخ بقتله ثم غدا عليه فاعتذر له ودرَّ عليه من زَيْن له الحج فاستأذن المتوكل فأذن له وخلع عليه وجعله أمير كل بلد يمر به.

وسار لذلك في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين، وسار المسكر بين يديه وجعلت الحجابة الى وصيف الخادم، ولما عاد اتياخ من الحج بعث اليه المتوكل بالهدايا والالطاف، وكتب الى اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يأمره بحبسه. فلما قارب بغداد كتب اليه اسحاق بأن المتوكل أمر أن يدخل بغداد وان تلقاه

بنو هاشم ووجوه الناس ، وأن يقعد بدار خزيمة بن خازم فيأمر للناس بالجواز على قدر طبقاتهم ففعل ذلك ، ووقف اسحاق على باب الدار فمنع أصحابه من الدخول اليه ، ووكّل بالابواب ثم قبض على ولديه منصور ومظفر وكاتبه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد ، وبعث اتياخ اليه يسأله الرق بالولدين ففعل ، ولم يزل اتياخ مقيداً بالسجن الى أن مات فقيل انهم منعوه الماء ، وبقي ابناه محبوسين الى أن أطلقهما المنتصر بعد المتوكل .

شأن ابن البغيث

كان محمد بن البغيث بن الخليل ممتنعاً في حصونه بأذربيجان وأعظمها مرند ، واستنزل من حصنه أيام المتوكل وحبس بساراً فهرب من حبسه ولحق بمرند ، وقيل انه في حبس اسحاق بن ابراهيم ابن مصعب وشفع فيه بغا الشراي ، فأطلقه اسحاق في كفاة محمد ابن خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني وكان يتردد الى ساراً حتى مرض المتوكل ففر ولحق بمرند وشجعها بالاقوات ، وجاءه أهل الفتنة من ربيعة وغيرهم فاجتمع له نحو ألفين ومائتي رجل ، والوالي بأذربيجان يومئذ محمد بن حاتم بن هرثمة فلم يقامعه ، فعزله المتوكل وولى محمد بن علي بن الفضل السعدي ، فسار اليه وحاصره بمرند مدة وبعث اليه المتوكل بالمدد ، وطال الحصار فلم يقن فيه ، فبعث بغا الشراي في ألفي فارس فجاء لحصاره . وبعث

(١) أوقف الرجل إذا اصطاد الطير من وقته وهي محضنة .

اليه عيسى بن الشيخ بن السلسل بالامان له ولوجوه أصحابه أن ينزلوا على حكم المتوكل ، فقتل الكثير منهم وانفض جمعه ولحق ببنا وخرج هو هارباً ، ونهبت منازل وأسرت نساؤه وبناته . ثم أدرك بطريقه وأتي به أسيراً وباخويه صقر وخاله وأبنائه حليس وصقر والبغيث ، وجاء بهم بنا الى بغداد وحملهم على الحجال يوم قدومه حتى رأهم الناس وجلسوا . ومات البغيث لشهر من وصوله سنة خمس وثلاثين وجعل بنوه في الشاكرية مع عبدالله بن يحيى خاقان .

بيعة العهد

وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين عقد المتوكل البيعة والعهد وكانوا ثلاثة محمداً وطلحة وإبراهيم ، ويقال في طلحة ابن الزبير ، وجعل محمداً أولهم ولقبه المستنصر وأقطعه أفريقية والمغرب وقسرين والشفور الشامية والحزريّة ، وديار مضر وديار ربيعة ، وهيت والموصل وغانة والخابور ، وكور دجلة والسواد والحرمين وحضرموت والحرمين والسند ومكران وقنّابيل وكور الاهواز والمستغلات بسامرا ، وماء الكوفة وماء البصرة .

وجعل طلحة ثانيهم ولقبه المعتز ، وأقطعه أعمال خراسان وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وأعمال فارس . ثم أضاف اليه سنة أربعين خزن الاموال ودور الضرب في جميع الآفاق ، وأمر أن يرسم اسمه في السكة .

وجعل الثالث إبراهيم وأقطعه حصص ودمشق وفلسطين وسائر
الاعمال الشامية . وفي هذه السنة أمر الجند بتغيير الزي فلبسوا
الطباية العسكية وشدوا الزنابير في أوساطهم ^(١) وجعلوا
الطراز في لباس المالك، ومنع من لباس الناطق، وأمر بهدم
البيع المحدثه لاهل الذمة، ونهى أن يحتفل بهم في الاعمال وأن
يُظهروا في شعابهم الصليان، وأمر أن يحمل على أبوابهم صور شياطين
من الخشب .

ملك محمد بن إبراهيم

كان محمد بن إبراهيم بن الحسن بن مصعب على بلاد فارس ،
وهو ابن أخي طاهر، وكان أخوه اسحاق بن إبراهيم صاحب
الشرطة ببغداد منذ أيام المأمون والمتعمم والوائقي والمتوكل، وكان
ابنه محمد يباب الخليفة بسمرا نائباً عنه . فلما مات اسحاق سنة
خمسة وثلاثين ولاء المتوكل وضم اليه أعمال أبيه ، استخلفه المعتز
على اليمامة والبحرين ومكة وحمل الى المتوكل وبنيه من الجواهر
والذخائر كثيراً، وبلغ ذلك محمد بن إبراهيم فتذكر للخليفة ولمحمد
ابن أخيه، وشكا ذلك محمد الى المتوكل فسرعه الى فارس وولاه
مكان عمه محمد، فسار وعزل عمه محمداً وولى مكانه ابن عمه الحسين
بن اسماعيل بن مصعب، وأمره بقتل عمه محمد فأطعمه ومنعه
الشراب فمات .

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٨٥ : وركوب السروج بالركب
الثب وعمل كرتين في مؤخر السروج .

انتقال أهل أرمينية

كان علي أرمينية يوسف بن محمد فجاءه البطريق بُقْرَاطُ بن أسواط، وهو بطريق البطارقة، يستأمن قبض عليه وعلى ابنه وبعث بهما إلى المتوكل، فاجتمع بطارقة أرمينية مع ابن أخيه وصهره موسى بن زُرَادَة وتحالفوا على قتله وحاصروه بمدينة طرون في رمضان سنة سبع وثلاثين، وخرج لقتالهم فقتلوه ومن كان معه . فرَّح المتوكل ببنا الكبير، فسار على الموصل والجزيرة وأناخ على أردن حتى أخذها وحمل موسى وأخوته إلى المتوكل، وقتل منهم ثلاثين ألفاً وسبي خَلْقاً وسار إلى مدينة ديبيل فأقام بها شهراً، ثم سار إلى تفلّيس فحاصرها وبعث في مقدّمته رِزْكَ التركي، وكان بتفليس اسحاق بن اسماعيل بن اسحاق مولى بني أمية فخرج وقاتلهم، وكانت المدينة كلّها مشيدة من خشب الصنوبر، فأمر بنا أن يرمي عليها بالنفط فاضطربت النار في الخشب، واحترقت قصور اسحاق وجواريه وخمسون ألف إنسان وأسر الباقون، وأحاطت الأتراك والمغاربة باسحاق فأسروه وقتله بنا لوقتته، ونجا أهل اسحاق بأمواله إلى صعدنيل، مدينة حذاء تفلّيس على نهر الكرمن من شرقه بناها أنوشروان وحصنها اسحاق، وجعل أمواله فيها فاستباحها بنا، ثم بعث الجند إلى قلعة أخرى بين بَرْدَعَة وتفلّيس ففتحوها وأسروا بطريقها . ثم سار إلى عيسى بن يوسف في قلعة كيس من كور البليقان ففتحها وأسره وحمل معه جماعة من

البطارقة، وذلك سنة ثمان وثلاثين ومائتين .

عزل ابن حوالة وولاية ابن اكنم

وفي سنة سبع وثلاثين غضب المتوكل على احمد بن ابي دؤاد وقبض ضياعه وجبس أولاده، فحمل ابو الوليد منهم مائة وعشرين الف دينار وجواهر تساوي عشرين الفاً، ثم صولح عن ستة عشر الف درهم واشهد عليهم ببيع املاكهم وقلع أحمد، فأحضر المتوكل يحيى بن اكنم وولاه قضاء القضاة، وولى ابا الوليد بن ابي دؤاد المظالم ثم عزله . وولى ابا الربيع محمد بن يعقوب ثم عزله، وولى يحيى بن اكنم على المظالم ثم عزله سنة اربعين، وصادره على خمسة وسبعين الف دينار واربعة آلاف حزيو^(١)، وولى مكانه جعفر ابن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي . وتوفي في هذه السنة احمد بن ابي دؤاد بعد ابنه ابي الوليد بعشرين يوماً وكان معتزلاً اخذ مذهبهم عن بشر الراسي واخذه بشر عن جهم بن صفوان، واخذه جهم عن الجند بن دهم معلّم مروان .

انتقاض أهل حمص

وفي سنة سبع وثلاثين وثب اهل حمص بعاملهم ابي المغيرة موسى بن ابراهيم الرافقي بسبب انه قتل بعض رؤسائهم فأخرجوه

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٩٤ : «وقبض منه ما يبلغه خمسة وسبعون ألف دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة». وفي الطبري ج ١١ ص ٥٠ : «وفيها عزل يحيى بن اكنم عن القضاء في صفر وقبض منه ما كان له ببغداد ومبلغه خمسة وسبعون ألف دينار وفي أسطوانة في داره ألف دينار وأربعة آلاف جريب بالبصرة». وفي لسان العرب : الجريب من الأرض مقدار معلوم للذراع والمساحة .

وقتلوا من اصحابه، فولى مكانه محمد بن عَبْدَوَيْهِ الانباري فأساء اليهم وعسف فيهم فوثبوا به، وأمره المتوكل بجند من دمشق والرملة فظفر بهم وقتل منهم جماعة، واخرج النصارى منها وهدم كنائسهم وادخل منها بيعة في الجامع كانت تجاوره .

اغارة البجاة على مصر

كانت الهدنة بين أهل مصر والبجاة من لدن الفتح، وكان في بلادهم معادن الذهب يؤدون منها الخس الى أهل مصر، فامتنعوا أيام المتوكل وقتلوا من وجدوه من المسلمين بالمعادن، وكتب صاحب البريد بذلك الى المتوكل، فشاور الناس في غزوهم فأخبروه انهم أهل ابل وشا. وان بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر ولا بدّ فيها من الزاد وان فئت الازواد هلك المسكر فأمسك عنهم . وخاف أهل الصُنْدِ من شرهم فولى المتوكل محمد ابن عبدالله القُتَيْبِي على أسوان وقُفْط والاقْصُر وأسنا وأزمنت، وأمره بحروب البجاة .

وكتب الى عنبسة بن اسحاق الضَّيبي عامل مصر بتجهيز العساكر معه وازاحه عليهم فسار في عشرين ألفاً من الجند والمتطوعة، وحملت المراكب من القُلْزُمِ بالدقيق والتمر والأدَمِ الى سواحل بلاد البجاة، وانتهى الى حصونهم وقلاعهم . وزحف اليه ملكهم واسمه علي بابا في اضعاف عساكرهم على المهارى، وطاولهم علي بابا رجاء ان تقنى ازوادهم فجاءت المراكب وفرقها القُتَيْبِي في

اصحابه، ففناجزهم البجاة الحرب وكانت ابلهم نفورة، فأمر القمي جنده بالتحاذ الاجراس بخيلهم . ثم حملوا عليهم فانهمزوا وانشن فيهم قتلاً واسراً حتى استأمنوا على اداء الخراج لا سلف ولا يأتي وان يرد الى مملكته، وسار مع القمي الى المتوكل واستخلف ابنه، فخلع القمي عليه وعلى اصحابه وكسا ارجلهم الجلال المديحة^(١) وولاهم طريق ما بين مصر وحكة، وولى عليهم سداً الاثياخي الخادم فولى سعد محمد القمي فرجع معهم واستقامت طاعتهم .

الصَّوَائِفُ

وفي سنة ثمان وثلاثين بعد على دمياط استول الروم في مائة مركب فكبسوها، وكان في السلعة التي بها قد ذهبوا^(٢) الى مصر باستدعاء صاحب المونة حنينة بن اسحاق الغني فانتهبوا الفرصة في منيهم وانتهبوا دمياط واحرقوا الجامع بها وأوقروا سفنهم سبياً ومطاعاً، وذهبوا الى تيسر قتلوا فيها مثل ذلك واقطعوا . وغزا بالصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الارمني صاحب الصوائف، وفي سنة احدى واربعين كان الفداء بين الروم وبين المسلمين، وكانت تدور ملكة الروم قد حلت اسرى المسلمين على التنصر، فقتلهم الكبير^(٣) منهم . ثم طلبت المفاداة

(١) كذا ولعلها الممدوحة .

(٢) كذا والصحيح : الذي بها قد ذهب .

(٣) كذا . والسياق يقتضي والكثير .

فيمن بقي فبعث المتوكل سيفاً الخادم بالفداء ومعه قاضي بغداد جعفر بن عبد الواحد، واستخلف على القضاء ابن أبي الشوارب، وكان الفداء على نهر اللامس . ثم اغارت الروم بعد ذلك على روبة فأسروا من كان هنالك من الرُطِّ وشبَّوا نساءهم وأولادهم . ولما رجع علي بن يحيى الارميني من الصائفة خرجت الروم في ناحية سميساط فانتهوا الى آمد، واكتسحوا نواحي الثغور والجزرية^(١) نهياً وأسروا نحواً من عشرة آلاف ورجعوا واتبعهم فرشاش^(٢) وعمر بن عبد الاقطع وقوم من المتطوعة فلم يدر كوههم، وامر المتوكل علي بن يحيى ان يدخل بالثانية في تلك السنة ففعل .

وفي سنة اربع واربعين جاء المتوكل من بغداد الى دمشق وقد اجتمع زولها ونقل الكرسي اليها فأقام بها شهرين، ثم استوبأها ورجع بعد ان بعث بغا الكبير في العساكر للصائفة فدخل بلاد الروم فدوَّخها واكتسحها من سائر النواحي ورجع، وفي سنة خمس واربعين اغارت الروم على سميساط فغنموا، وغزا علي بن يحيى الارميني بالصائفة كركرة وانتقض اهلها على بطريقهم فقبضوا عليه وسلموه الى بعض موالي المتوكل، فأطلق ملك الروم في فداء البطريق الف اسير من المسلمين . وفي سنة ست واربعين غزا عمر بن عبيدالله الاقطع بالصائفة فجاءوا بأربعة آلاف رأس،

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٢٩٧ : «حتى قاربوا آمد وخرجوا من الثغور الجزرية، وكذا في الطبري ج ١١ ص ٥٥ .

(٢) كذا في الأصل واسمه في الكامل لابن الأثير: قريباس، وفي الطبري: قريباس .

وغزا قرقاش فجاء بخمسة آلاف رأس، وغزا الفضل بن قاران في الاسطول بعشرين مركباً فافتتح حصن انطاكية وغزا ملكها دورهم وسبأ، وغزا علي بن يحيى فجاء بخمسة آلاف رأس ومن الظهر بعشرة آلاف، وكان على يده في تلك السنة الفداء في الفين وثلاثمائة من الاسرى .

الولايات في النواحي

وولى المتوكل سنة اثنتين على بلاد فارس محمد بن ابراهيم بن مُصَنَّب، وكان على الموصل غانم بن حميد الطوسي، واستوزر لاول خلافته محمد بن عبد الله بن الزيأت، وولى على ديوان الخراج يحيى بن خاقان الحراساني مولى الازدي، وعزل الفضل بن مروان. وولى على ديوان النفقات ابراهيم بن محمد بن حتول . وولى سنة ثلاث وثلاثين على الحرمين واليمن والطائف ابنه المستنصر، وعزل محمد بن عيسى . وولى على حجابة بابه وصيفاً الخادم عندما سار اتياخ للحج . وفي سنة خمس وثلاثين عهد لاولاده كراماً، وولى على الشرطة ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب مكان ابنه ابراهيم عندما توفي، وكانت وفاته و وفاة الحسن بن سهل في سنة واحدة . وفي سنة ست وثلاثين استكتب عبيد الله ابن يحيى بن خاقان ثم استوزره بعد ذلك وولى على ارمينية وأذربيجان حرباً وخراجاً يوسف بن أبي سعيد محمد بن يوسف

المروزي عندما توفي أبوه فجاءه فسار إليها وضبطها، وأساء إلى البطارقة بالناحية، فوثبوا به كما سرّ وقتلوه .

وبعث المتوكل بغا الكبير في العساكر فأخذ ثاره منهم، وولى معادن السواد عبدالله بن اسحاق بن ابراهيم . وفي سنة تسع وثلاثين عزل ابن أبي دؤاد عن القضاء وصادره، وولى مكانه يحيى ابن أكرم . وقدم محمد بن عبدالله بن طاهر من خراسان فولاه الشرطة والجزية وأعمال السواد، وكان على مكة علي بن عيسى ابن جعفر بن المنصور فحجّ بالناس، ثم ولى مكانه في السنة القابلة عبدالله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى . وولى على الاحداث بطريق مكة والمواسم جعفر بن دينار، وكان على حمص أبو المغيّب موسى بن ابراهيم الراققي وثبوا به سنة تسع وثلاثين، فولى مكانه محمد بن عبدويه . وفي سنة تسع وثلاثين عزل يحيى ابن أكرم عن القضاء، وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان . وفي سنة اثنتين وأربعين ولى على مكة عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام، وولى على ديوان النفقات الحسن بن مخلد بن الجراح عندما توفي ابراهيم بن العباس الصوليّ وكان خليفته فيها من قبل .

وفي سنة خمس وأربعين اختطّ المتوكل مدينته وأثرلها القواد والاولياء وأنفق عليها ألف ألف دينار، وبني فيها قصر اللؤلؤة لم ير مثله في علوه وأجرى له الماء في نهر احتفروه وسماها المتوكلية،

وتسمى الجعفري والماخورة . وفيها ولي على طريق مكة أبا الساج مكان جعفر بن دينار لوفاته تلك السنة . وولي على ديوان الضياع والتوقيع نجاح بن سلمة وكانت له صولة على العمال ، فكان ينال المتوكل فسمى عنده في الحسن بن مخلد ، وكان معه على ديوان الضياع ولي موسى بن عقبة عبد الملك . وكان على ديوان الخراج ، وضمن للمتوكل في مصادرتها أربعين ألفاً . وأذن المتوكل وكانا منقطعين الى عبيد الله بن خاقان ، فتلطفت عند نجاح وخادعه حتى كتب على الرقعتين ، وأشار اليه بأخذ ما فيها معاً وبدأ بنجاح فكتبة وقبض منه مائة وأربعين ألف دينار سوى الغلات والفرش والضياع ، ثم ضرب فمات . وصودر أولاده في جميع البلاد على اموال جمة .

مقتل المتوكل وبيعة المنتصر ابنه

كان المتوكل قد عهد الى ابنه المنتصر ثم ندم وأبغضه لما كان يتوهم فيه من استعجاله الامر لنفسه ، وكان يسميه المنتصر والمستعجل لذلك . وكان المنتصر تنكّر عليه انحرافه عن سنن سلفه فيما ذهبوا اليه من مذهب الاعتزال والتشيع لعلي ، وربما كان الندمان في مجلس المتوكل يفيضون في ثلب علي فينكر المنتصر ذلك ويتهدّدهم ويقول للمتوكل ان علياً هو كبير بيتنا وشيخ بني هاشم ، فان كنت لا بدّ ثالبه فتولّ ذلك بنفسك ولا تجعل لهؤلاء الصفاغين سبيلاً الى ذلك فيستخف به ويشتمه ، ويأمر

وزيره عبيد الله بصفه ويتهذه بالقتل ويصرح بخلعه. وربما استخلف ابنه الخبر في الصلاة والخطبة مراراً وتركه، فطوى من ذلك على النكث. وكان المتوكل قد استفسد الى بغا ووصيف الكبير ووصيف الصغير ودواجن، فأفسدوا عليه الموالي. وكان المتوكل قد أخرج بغا الكبير من الدار وأمره بالمقام بسيماط لتهد الصوائف، فسار لذلك واستخلف مكانه ابنه موسى في الدار، وكان ابن خالة المتوكل، واستخلف على الحتر بغا الشراي الصغير.

ثم تغير المتوكل لوصيف وقبض ضياعه باصبهان والجبل وأقطعها الفتح بن خاقان، فتغير وصيف لذلك وداخل المنتصر في قتل المتوكل، وأعد لذلك جماعة من الموالي بعثهم مع ولده صالح وأحمد وعبد الله ونصر، وجاءوا في الليلة التي اتعدوا فيها. وحضر المنتصر ثم انصرف على عادته، وأخذ زرافة الخادم معه، وأمر بغا الشراي الندمان بالانصراف حتى لم يبق الا الفتح وأربعة من الخاصة، وأغلق الابواب الا باب دجلة فأدخل منه الرجال وأحسن المتوكل وأصحابه بهم فخافوا على أنفسهم، واستأثوا وابتدروا اليه فقتلوه. والقي الفتح نفسه عليهم ليقه فقتلوه.

وبعث الى المنتصر وهو بيت زرافة فأخبره وأوصى بقتل زرافة فمنعه المنتصر، وباع له زرافة وركب الى الدار فبايعه من حضر، وبعث الى وصيف ان الفتح قتل أي قتلته فحضر وباع،

وبعث عن اخويه المعتز والمؤيد فحضرا وبايعا له . وانتهى الخبر الى عبيد الله بن يحيى فركب من ليله وقصد منزل المعتز فلم يجده ، واجتمع عليه عشرة آلاف من الازد والارمن والزواقل وأغروه بالحملة على المنتصر وأصحابه فأبى وخام عن ذلك ، وأصبح المنتصر فأمر بدفن المتوكل والفتح ، وذلك لاربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين . وشاع الخبر بقتل المتوكل فثار الجند وتبعهم ^(١) وركب بعضهم بعضاً وقصدوا باب السلطان ، فخرج اليهم بعض الاولياء فاسمموه ، ورجع فخرج المنتصر بنفسه وبين يديه المغاربة فشدوهم عن الابواب ففرقوا بعد أن قتل منهم ستة أنفس .

خُلفاء بني العباس أيام الفِتنَةِ

الخبر عن الظفا من بني العباس أيام الفتنة، وتغلب الأولياء.

وتخليق نطق الحولة باستجداد الولاية في القواص

من لحن المنتصر إلى أيام المستكفي

كان بنو العباس حين ولوا الخلافة قد امتدت اياتهم على جميع ممالك الاسلام ، كما كان بنو أمية من قبلهم . ثم لحق بالاندلس من قل بني أمية من ولد هشام بن عبد الملك حافده عبد الرحمن

(١) هنا بياض بالأصل ، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٠٦ : فتوافى الجند والشاكسة بباب العامة وبالجعفرية وغيرهم من الغوغاء والعامة وكثر الناس وتسامعوا وركب بعضهم بعضاً .

ابن معاوية بن هشام ، ونجاً من تلك الهلكة فأجاز البحر ودخل
الاندلس ، فملكها من يد عبد الرحمن بن يوسف الفهري ، وخطب
السفاح فيها حوْلاً ثم لحق به أهل بيته من المشرق فعدلوه في ذلك
فقطعت الدعوة عنهم . وبقيت بلاد الاندلس مقطعة من الدولة
الاسلامية عن بني العباس . ثم لما كانت وقعة فتح أيام الهادي
علي بن الحسن بن علي سنة تسع وتسعين ومائة ، وقتل داعيتهم
يومئذ حسين بن علي بن حسن المثنى وجاعة من أهل بيته ونجاً
آخرون ، وخلص منهم ادريس بن عبدالله بن حسن الى المغرب
الاقصى ، وقام بدعوته البرابرة هنالك ، فاقتطع المغرب عن بني
العباس فاستحدثوا هنالك دولة لانفسهم .

ثم ضعفت الدولة العباسية بعد الاستفحال ، وتغلب على الخليفة
فيها الاولياء والقراية والمصطنعون ، وصار تحت حُجْرِهِمْ من حين
قتل المتوكل وحدثت الفتن ببغداد ، وصار العلوية الى النواحي
مظهرين لدعوتهم ، فدعا أبو عبد الله الشيعي سنة ست وثمانين
ومائتين بافريقية في طامة لعبيد الله المهدي بن محمد بن جعفر بن محمد
ابن اسماعيل بن جعفر الصادق وباع له ، وانتزع افريقية من يد
بني الأغلب واستولى عليها وعلى المغرب الاقصى ومصر والشام ،
واقتطعوا سائر هذه الاعمال عن بني العباس واستحدثوا له دولة
أقامت مئتين وسبعين سنة كما يذكر في أخبارهم . ثم ظهر
بطبرستان من العلوية الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن

ابن زيد بن الحسن السبط ويعرف بالداعي، خرج سنة خمسين ومائتين أيام المستعين ولحقه بالديلم، فأسلموا على يديه، وملك طبرستان ونواحيها وصار هنالك دولة أخذها من يد أخيه سنة إحدى وثلاثمائة الأطروش من بني الحسين، ثم من بني علي، عمر داعي الطالقان أيام المعتصم، وقد مر خبره. واسم هذا الأطروش الحسن بن علي بن الحسين بن علي ابن عمر، وكانت لهم دولة وانقرضت أيام الحسين، واستولى عليها الديلم، وصارت لهم دولة أخرى.

وظهر باليمن الرئيس وهو ابن إبراهيم طباطبائي بن اسماعيل بن ابراهيم بن حسن المشي فأظهر هنالك دعوة الزيدية وملك صنعاء وصنعاء وبلاد اليمن، وكانت لهم هنالك دولة ولم يزل حتى الآن. وأول من ظهر منهم يحيى بن الحسين بن القاكم سنة تسعين ومائتين ثم ظهر أيام الفتنة من دعاة العلوية صاحب الزنج ادعى أنه أحمد^(١) ابن عيسى بن زيد الشهيد، وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدي، وطعن الناس في نسبته فادعى أنه من ولد يحيى بن زيد قتيل الجوزجان، وقيل إنه انتسب إلى طاهر بن الحسين بن علي والذي ثبت عند التحقيق أنه علي بن عبد الرحيم بن عبد القيس، فكانت له وليته دولة بمواسمي البصرة أيام الفتنه قام بها الزنج الى أن انقرضت على يد المعتضد أيام العباسيين ومائتين. ثم ظهر القرظ بنواحي البحرين وعمان فسار اليها من الكوفة

(١) قوله أحمد في المروج أنه علي بن أحمد ا هـ مصححة.

سنة تسع وسبعين أيام المعتضد، وانتسب الى بني اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق دعوى كاذبة، وكان من أصحابه الحسن الجمالي وذكرونة القاشاني، فقاموا من بعده بالدعوة ودعوا لعبد الله المهدي وغلبوا على البصرة والكوفة، ثم انقطعوا عنها الى البحرين وعمان، وكانت لهم هنالك دولة انقضت آخر المائة الرابعة، وتغلب عليهم العرب من بني سُليم وبني عقيل. وفي خلال ذلك استبدّ بنو سامان بما وراء النهر آخر الستين ومائتين وأقاموا على الدعوة إلا أنهم لا ينفذون أوامر الخلفاء، وأقامت دولتهم الى آخر المئة الرابعة.

ثم اتصلت دولة أخرى في مواليهم بغزنة الى منتصف المائة السادسة، وكانت للاغلبة بالقيروان وإفريقية دولة أخرى بمصر والشام بالاستبداد من لدن الحسين والمائتين أيام الفتنة الى آخر المائة الثالثة، ثم أعقبتها دولة أخرى لمواليهم بني طفج الى الستين والثلاثمائة. وفي خلال هذا كله تضايق نطاق الدولة العباسية الى نواحي السواد والجزيرة فقط، إلا أنهم قاثون ببغداد على أمرهم. ثم كانت للديلم دولة أخرى استولوا فيها على النواحي وملكوا الاعمال ثم ساروا الى بغداد وملكوها وصيروا الخليفة في ملكتهم من لدن المستكفي أعوام الثلاثين والثلاثمائة، وكانت من أعظم الدول. ثم أخذها من أياديهم السلجوقية من الغز إحدى شعوب الترك، فلم تزل دولتهم من لدن القائم سنة أربعين وأربعمائة الى

آخر المائة السادسة، وكانت دولتهم من أعظم الدول في العالم. وتشعبت عنها دول هي متصلة الى عهدنا حسبما يذكر ذلك كله في مكانه، ثم استبدت الخلفاء من بني العباس آخراً في هذا النطاق الضيق ما بين دجلة والفرات وأعمال السواد وبعض أعمال فارس، الى ان خرج التتار من مقازة الصين وزحفوا الى الدولة السلجوقية وهم على دين المجوسية، وزحفوا الى بغداد فقتلوا الخليفة المعتصم، وانقرض امر الخلافة، وذلك سنة ست وخمسين وستائة. ثم اسلموا بعد ذلك وكانت لهم دولة عظيمة، وتشعبت عنها دول لهم ولاشباعهم في النواحي وهي باقية لهذا العهد آخذة في الثلاثين كما نذكر ذلك كله في اماكنه.

دولة المنتصر

ولما بويع المنتصر كما ذكرناه ولي على المظالم ابا عمرو احمد بن سعيد، وعلى دمشق عيسى بن محمد النوشري، وكان على وزارته احمد بن الحبيب، واستقامت اموره وتفاوض وصيف وبنا واحمد ابن الحبيب في شأن المعتز والمؤيد لما وقفوا من سطوتها بسبب قتل المتوكل، فعملوا المنتصر على خلعهما لاربعين يوماً من خلافته وبعث اليهما بذلك، فأجاب المؤيد وامتنع المعتز فأغلطوا عليه وأوهموه القتل، فخلأ به المؤيد وتلطف به حتى اجاب وخلع نفسه وكتبوا ذلك بخطهما. ثم دخلا على المنتصر فأجلسهما واعتذر لهما بسمع من الامراء بأنهم الذين حملوه على خلعهما فأجبتهم الى ذلك

خشية عليكما منهم، فقبلاً يده وشكراً له وشهد عليهما القضاة
وبنو هاشم والقواد ووجوه الناس، وكتب بذلك المنتصر الى الآفاق والى
محمد بن طاهر ببغداد . ثم ان احمد بن الحبيب اخا المنتصر امر
باخراج وصيف للصائفة وابعاده عن الدولة لما بينهما من الشحنة،
فأحضره المنتصر وقال له : قد اتانا من طاغية الروم أنه افسد
الشعر فلا بد من مسيرك او مسيري، فقال بل انا اشخص يا امير
المؤمنين فأمر احمد بن الحبيب ان يجهزه ويزيح علل العسكر
معه، واره ان يوافي ثغر مَلْطِيَّةَ، فسار، وعلى مقدمته مزاحم بن
خاقان أخو الفتح، وعلى نفقات العساكر والمغانم والمقاسم أبو الوليد
القروالي ان يأتيه رأيه .

وفة المنتصر وبيعة المستعين

ثم أصابت المنتصر علة الذبحة فهلك لحس بقين من ربيع
الأول من سنة ثمان واربعين ومائتين لسته أشهر من ولايته ،
وقيل بل أكثر من ذلك ، فجعل السُم في مشرطة الطبيب ،
فاجتمع الموالي في القصر وفيهم بنا الصغير وبنا الكبير وأتامش
وغيرهم، فاستحلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسية على الرضا
بمن يرضونه لهم ، ثم خلصوا للمشورة ومعهم أحمد بن الحبيب ،
فعدلوا عن ولد المتوكل خوفاً منهم ونظروا في ولد المتصم فبايعوه
واستكتب أحمد بن الحبيب واستوزر أتامش وغدا على دار
العامة في زي الخلافة ، وابراهيم بن اسحق يحمل بين يديه الحربة ،

وصفت المالك والاشروسية صفين بترتيب دواجن، وحضر أصحاب المراتب من العباسيين والطلبين، وثار جماعة من الجند وقصدوا الدار يذكرون أنهم من أصحاب محمد بن عبدالله بن طاهر، والغوغاء^(١) فشهروا السلاح وهتفوا باسم المعتز وشذوا على أصحاب دواجن فتضعضعوا، ثم جاءت الميضة والشاكرية وحمل عليهم المغاربة والاشروسية، فشبت الحرب وانتهت الدروع والسلاح من الخزائن بدار العامة، وجاء بغا الصغرى فدهم عنها وقتل منهم عدة وفتقت السجون وتمت بيعة الاتزال للمستعين، ووضع العطاء على البيعة وبعث الى محمد بن عبدالله بن طاهر فبايع له هو والناس ببغداد.

ثم جاء الخبر بوفاة طاهر بن عبدالله بن طاهر بخراسان، وهلك عمه الحسين بن طاهر بمرو، ففقد المستعين لابنه محمد بن طاهر مكانه، وعقد لمحمد بن عبدالله بن طاهر على خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين، وولى عمه طلحة على نيسابور، وابنه منصور بن طلحة على مرو وسرخس وخوارزم، وعمه الحسين بن عبدالله على هراة وأعمالها، وعمه سليمان بن عبدالله على طبرستان، والعباس ابن عمه على الجوزجان والطاقان.

ومات بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله كلها وبعث أناجور من قواد الترك الى العمرط الشعلي فقتله، واستأذنه عبدالله

(١) كذا بالأصل ومقتضى السياق: وأما الغوغاء فشهروا السلاح.

ابن يحيى بن خان في الحج فأذن له، ثم بعث خلفه من نفاه الى برقة، وحبس المعتز والمؤيد في حجره بالجوسق بعد أن أراد قواد الاتراك قتلها، فنعمهم أحمد بن الحصيب من ذلك . ثم قبض على أحمد بن الحصيب فاستصفي ماله ومال ولده ونفاه الى قرطيش، واستوزر أتامش^(١) وعقد له على مصر والمغرب، وعقد ببغا الصغير على حلوان وماسبدان ومهرجا ترف، وجعل شاهك الخادم على داره وكراعه وحرمة وخاصة أموره وخدمه، واشناس على جميع الناس . وعزل علي بن يحيى الارمني عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان . وكان على حص كندر، فوثب به أهلها فأخرجوه، فبعث المستمين الفضل ابن قارن وهو أخو ملازيار فاستباحهم وحمل أعيانهم الى سامرا، وبعث المستمين الى وصيف وهو بالشعر الشامي بأن يفزو بالصائفة، فدخل بلاد الروم وافتتح حصن قرورية . ثم غزا بالصائفة سنة تسع وأربعين جعفر بن دينار وافتتح مطامير، واستأذنه عمر بن عبدالله الاقطع في تدويخ بلاد الروم فأذن له فدخل في جماعة من أهل مَلَطِيَّة ولقي ملك الروم فخرج الاسقف في خمسين ألفاً أحاطوا به، وقتل عمر في ألفين من المسلمين . وكان على الثغور الجزرية فأغار عليها الروم، وبلغ ذلك علي بن يحيى وهو قابل من ارمينية الى ميفارقين ومعه جماعة من أهلها، فنفر اليهم وهو في نحو اربعمائة فقتلوا وقتل .

(١) كذا وهو اسم مكان ولعله محرف .

فتنة بغداد وسامرا

ولما اتصل الخبر ببغداد وسامرا بقتل عمر بن عبد الله وعليّ ابن يحيى شق ذلك على الناس لما كانوا عليه من عظيم الغناء في الجهاد، واشتدّ نكيرهم على الترك في غفلتهم عن المصالح، وتذكروا قتل المتوكل واستيلائهم على الامور، فاجتمعت العامة وتنادوا بالنفير الى الجهاد. وانضم اليهم الشاكريّة يطلبون ارزاقهم، ثم فتقوا السجون وقطعوا الجسور وانتهبوا دور كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر. ثم اخرج اهل اليسار من بغداد الأموال ففرّقوها في المجاهدين، وجاءت العامة من الجبال وفارس والاهواز فتفروا للغزو، ولم يظهر للمستعين ولا لاهل الدولة في ذلك اثر. ثم وثب العامة بسامرا وفتقوا السجون وخرج من كان فيها، وجاء جماعة من الموالي في طلبهم فوثب العامة بهم وهزموهم، وركب بغا ووصيف وأتامش في الترك فقتلوا من العامة خلقاً وانتهبوا منازلهم وسكنت الفتنة.

مقتل أتامش

كان المستعين لما وليّ أطلق يد امه وأتامش وشاهك الخادم في الاموال، وما فضل عنهم فلنققات العباس بن المستعين وكان في حجر أتامش، فبعث ذلك عليه بغا ووصيف، وضاق حال الاتراك والفراعنة ودسهم عليهم بغا ووصيف، فخرج منهم اهل الكرخ والدور وقصدوه في الجوسق مع المستعين، واراد الهرب فلم يطق

واستجار بالمستعين فلم يُجره، وحاصروه يومين . ثم افتتحوا عليه الجوسق وقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم ونهبت اموالهم، واستوزر المستعين مكانه أبا عبدالله بن محمد بن عليّ عليّ الاهواز، وبغا الصغير على فلسطين . ثم غضب بغا الصغير على ابي صالح فهرب الى بغداد، واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجانيّ، وولى على ديوان الرسائل سعيد بن حميد .

ظهور يحيى بن عمر ومقتله

كان على الطالبين بالكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن زيد الشهيد ويكنى ابا الحسين، وامه من ولد عبدالله بن جعفر وكان من سراتهم ووجوههم، وكان عمر بن فرج يتولى امر الطالبين ايام المتوكل، فعرض له ابو الحسين عند مقدمه من خراسان يسأله صلة لدين لزمه، فأغلق له عمر القول وجبسه حتى أخذ عليه الكفلاء وانطلق الى بغداد . ثم جاء الى سامرا، وقد أملق فتعرض لوصيف في رزق يجرى له، فأساءه^(١) عليه واليها فرجع الى الكوفة وعاملها يومئذ أيوب بن الحسين بن موسى بن جعفر بن سليمان بن عليّ من قبل محمد بن عبدالله بن طاهر، فاعتزم على الخروج والتف عليه جمع من الاعراب واهل الكوفة، ودعا للرضي من آل محمد ففتق السجون ونهبها وطرد العمال، واخذ من بيت المال الف دينار وسبعين الف درهم .

(١) كذا ولعلها بمعنى أساء إجرائه عليه .

وكان صاحب البريد قد طَيرَ بخبره الى محمد بن عبدالله بن طاهر، فكتب الى عامله بالسواد عبدالله بن محمود السرخسي ان يصير مدداً الى الكوفة، فلقيه وقاتله، فهزمهم يحيى، وانتهب ما معهم وخرج الى سواد الكوفة وتبعه خلق من الزيدية، وانتهى الى ناحية واسط وكثرت جموعه. وسرح محمد بن عبدالله بن طاهر الى محاربة الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب في العساكر فصار اليه.

وقد كان يحيى قصد الكوفة فلقيه عبد الرحمن بن الخطاب المعروف بوجه الفلّس فهزمه يحيى الى ناحية ساهي، ودخل الكوفة واجتمعت عليه الزيدية واشتمل عليه عامة اهل الكوفة وامداد الزيدية من بغداد، وجاء الحسين بن اسماعيل وانضم اليه عبد الرحمن بن الخطاب. وخرج يحيى من الكوفة ليواجههم الحرب فأسرى ليلته وصيبح العساكر فساروا اليه فهزموه ووضعوا السيف في اصحابه، واسروا الكثير من اتباعه كان منهم الميّم العجلي وغيره، وانجلت الحرب عن يحيى بن عمر قتيلاً فبعثوا برأسه الى محمد بن عبدالله بن طاهر فبعث به الى المستعين، وجعل في صندوق في بيت السلاح، وجي بالاسرى فحبسوا وكان ذلك منتصف رجب سنة خمس ومائتين^(١).

(١) كذا في الأصل، وقد ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في حوادث سنة خمسين ومائتين.

السَّوْلَةُ الْعَلَوِيَّةُ

ابْتِداءُ الدَّوْلَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِطَبْرِسْتَانِ

لما ظهر محمد بن عبدالله بن طاهر بيجي بن عمرو وكان له من الغناء في حربه ما قدّمناه، أقطعه المستعين قطائع من صوافي السلطان بطبرستان كانت منها قطعة بقرب ثغر الديلم تسمى روسالوس، وفيها أرض موات ذات غياض وأشجار وكلاء، مباحة لمصالح الناس من الاحتطاب والرعي، وكان عامل طبرستان يومئذ من قبل محمد بن طاهر صاحب خراسان عمه سليمان بن عبدالله بن طاهر وهو أخو محمد صاحب القطائع، وكان سليمان مكفولاً لأمه، وقد حظي عندها وتقدّم وفرّق أولاده في أعمال طبرستان. وأسأوا السيرة في الرعايا، ودخل محمد بن أوس بلاد الديلم وهم مسلمون، فسبى منهم وانحرفوا لذلك. وجاء نائب محمد بن عبدالله لقبض القطائع فحاز فيها تلك الأرض الموات المرصدة لمرافق الناس، فنكر ذلك الناظر على تلك الأرض وهما محمد وجعفر ابنا رستم واستنهضا من أطاعهما من أهل تلك الناحية لمنعه من ذلك، فخافهما النائب ولحق بسليمان صاحب طبرستان. وبعث ابنا رستم إلى الديلم يستجدانهم على حرب سليمان، وبعث إلى محمد بن إبراهيم من العلويين بطبرستان يدعوانه إلى القيام بأمره، فامتنع ودلها

على كبير العلوية بالري الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط، فشخص اليها وقد اجتمع أهل كلاب وسالوس ومقدمهم ابنا رستم وأهل الريان ومعهم الديلم بأسرهم، فبايعوه جميعاً وطرّدوا عمال سليمان وابن أوس .

ثم انضم اليهم جبال طبرستان وزحف الحسن بن معه الى مدينة آمد، وخرج ابن أوس من سارية لمداقته، فانهزم ولحق بسليمان من سارية، فخرج سليمان لحرب الحسن . ولما التقى الجمعان بعث الحسن بعض قواده خالف سليمان الى سارية، وسمع بذلك سليمان فانهزم، وملك الحسن سارية وبعث بعيال سليمان وأولاده في البحر الى جرجان . وقيل : ان سليمان انهزم اختياراً لما كان بنو طاهر يتهمون به من التشيع^(١) . ثم بعث الحسن الى الري ابن عمه وهو القاسم بن علي بن اسماعيل، ويقال محمد بن جعفر ابن عبدالله العقيقي بن الحسين بن علي بن زين العابدين، فملكها . وبعث المستعين جنداً الى همدان ليمنعها . ولما ملك محمد بن جعفر قائد الحسن بن زيد الري أساء السيرة، وبعث محمد بن طاهر قائد محمد بن ميكال أخو الشاه فغلبه على الري وانتزعها منه وأسرهم، فبعث اليه الحسن بن زيد قائده دواجن، فهزم ابن ميكال وقتله واسترجع الري . ثم وجع سليمان بن طاهر من جرجان الى طبرستان فملكها، ولحق الحسين بالديلم، وسار سليمان الى سارية

(١) كذا وهي التشيع .

وآمد ومعه أبناء قارن بن شهرزاد، فصيح عنهم ونهى أصحابه عن الفتك والاذى . ثم جاء موسى بن بغا بالعساكر فملك الريّ من يدي أبي دلف، وبعث مصلحاً الى طبرستان فحارب الحسن ابن زيد وهزمه، واستولى على طبرستان، ولحق الحسن بالديلم ودخل مفلح آمد وخرب منازل الحسن ورجع الى موسى بالريّ .

مقتل بنو

وكان باغر هذا من قواد الترك ومن جملة بنو الصغير، ولما قتل المتوكل زيد في أرزاقه وأقطعوه قرى بسواد الكوفة وضمها له بعض أهل ياروسما بألفي دينار فطلبه ابن مارمة وكيل باغر وحبسه، ثم تخلص وسار الى سارا وكانت له ذمة من نصراني عند بنو الصغير، فأجاره النصراني من كيد بنو وأغراه به، فغضب لذلك باغر وشكى الى بنو فأغلظ له القول وقال: اني مستبدل من النصراني، وأفعل فيه بعد ذلك ما تريد . ودسّ الى النصراني بالخذر من باغر وأظهر عزله، وبقي باغر يتهدده وقد انقطع عن المستعين، وقد منعه بنو في يوم نوبته عن الحضور بدار السلطان، فسأل المستعين وصيفاً من أعمال اتياخ وقلدها لباجر، فمذل وصيفاً في الشأن فحلف له انه ما علم قصد الخليفة . وتنكر بنو لباجر فجمع أصحابه الذين بايعوه على المتوكل وجدّد عليهم العهد في قتل المستعين وبنو ووصيف، وأن ينصبوا ابن المعتصم أو ابن الواثق ويكون الامر لهم . ونما الخبر على الترك الى المستعين فأحضر بنو ووصيفاً

وأعلمها بالخبر، فحلفا له على العلم وأمروا بجس باغر ورجلين معه من الاتراك، فسخطوا ذلك وثاروا فانتهبوا الاصلب وحضروا الجوثق . وأمر بنا ووصيف وشاهك الخادم وكاتبه أحمد بن صالح ابن شيرزاده، ونزل على محمد بن طاهر في بيته في الحرم سنة احدى وخمسين، ولحق به القواد والكتاب والعمال وبنو هاشم، وتخلّف جعفر الحياط وسليمان بن يحيى بن معاذ، فقدم الاتراك وركب جماعة من قوادهم الى المستعين وأخبروه ليردّوهم فأبوا ورجعوا آيسين منه وتفاوضوا فيبيعة للمعتز .

بيعة المعتز وحصار المستعين

كان قواد الاتراك لما جاؤا الى المستعين يتغذّون من فعلهم ويتطارحون في الرضا عنهم والرجوع الى دار مكة وهو يوبخهم ويعتد عليهم إحسانه وإسائتهم، ولم يزالوا به حتى صرّح لهم بالرضا فقال بعضهم : فان كنت رضىت فقيم واركب معنا الى سامرا فكلّمه ابن طاهر لسوء خطابهم، وضجّك المستعين لمُجَنَّتِهِمْ وجهلهم بأداب الخطاب، وأمر باستمرار ارضاقهم ووعدهم بالرجوع، فانصرفوا حاقدين ما كان من ابن طاهر، وأخرجوا المعتز من محبسه وبايعوا له بالخلافة، وأعطى للناس شهرين . وحضر للبيعة أبو أحمد بن الرشيد فامتنع منها وقال : قد خلعت نفسك ا فقال أكرهت ا فقال ما علمنا ذلك ولا نخلص لنا في ايماننا فتركه .

ولولا على الشرطة ابراهيم البربرج وأضيفت له الكتابة والدواوين

وبيت المال، وهرب عتاب بن عتاب من القواد الى بغداد، وقام محمد بن عبدالله بن طاهر بالاحتشاد، واستقدم مالك بن طوق في أهل بيته وجنده، وأمر حَوْبَةَ بن قيس - وهو على الانبار - بالاحتشاد . وكتب الى سليمان بن عِمْران صاحب الموصل بمنع الميرة عن سارما وشرع في تحصين بغداد وأدار عليها الاسوار والحنادق من الجانبين، وجعل على كل باب قائداً، ونصب على الابواب المجانيق والعرادات، وشحن الاسوار بالرماء والمقاتلة، وبلغت النفقة في ذلك ثلثمائة وثلثين ألف دينار، وفوض للعيادين الرزق وأغدق عليهم، وأنفذ كتب المستعين الى العمال بالنواحي تحمل الحراج الى بغداد .

وكتب المستعين الى الاتراك يأمرهم بالرجوع عما فعلوا، وكتب المعتز الى محمد يدعوهم الى بيعته، وطالت المراجعات في ذلك، وكان موسى بن بغا قد خرج لقتال أهل حمص، فاختلفت اليه وهو بالشام كتب المستعين والمعتز يدعوهم كل واحد منهما الى نفسه، فأختار المعتز ورجع اليه، وهرب اليه عبدالله بن بغا الصغير من بغداد بعد أن هرب عنه فقتله . وهرب الحسن بن الافشين الى بغداد فخلع عليه المستعين وضم اليه الاشروسيّة . ثم عقد المعتز لآخيه الى أحمد الواثق عن حرب بغداد وضم اليه الجنود مع باكليال من قوادهم، فسار في خمسين ألفاً من الاتراك والفراغنة والمقاربة، وانتهبوا ما بين عكبرا وبغداد من القرى والضيايع

وغربوها، وهرب اليهم جماعة من أصحاب بنا الصغير ووصلوا الى باب الشامية .

وولي المستعين على باب الشامية الحسين بن اسماعيل بن ابراهيم ابن الحسن بن مُصَنَّب ، وجعل القواد هنالك تحت يده، ووافت طلائع الاتراك الى باب الشامية فوقفوا بالقرب منه وأمدّه ابن طاهر بالشاه بن ميكال ويبداء الطبري . ثم ركب محمد بن عبد الله بن طاهر من القند ومعه بنا ووصيف والفقهاء والقضاة ، وذلك عاشر صفر، وبعث اليهم يدعوهم الى مراجعة الطاعة على المعتر ولي عهده فلم يجيبوا ، فانصرفوا وبعث اليه القواد من القند بأنهم زحفوا الى باب الشامية فنهاهم عن مناداتهم بالقتال .

وقدم ذلك اليوم عبد الله بن سليمان خليفة بنا من مكة في ثلثائة رجل . ثم جاء الاتراك من القند فاقتتلوا مع القواد وانهزم القواد ، وبلغ ابن طاهر أن جماعة من الاتراك سادوا نحو النهروان ، فبعث قائداً من أصحابه اليهم فرجع متهزماً ، واستولى الاتراك على طريق خراسان وقطعوها عن بندگان . ثم بعث المعتر عسكرياً آخر نحو اربعة آلاف فقتلوا في الجلباب الغربي ، وبعث ابن طاهر اليهم الشاه بن ميكال فهزمهم وأثنى عليهم ، ورجع الى بندگان فخلع عليه وسائر القواد أربع خلع وطوقاً وسواراً من ذهب لكل واحد . ثم أمر ابن طاهر بهدم الدور والجوانيت الى باب الشامية ليتسع المجال للعرب ، وقدمت عليه أموال فارس والاهواز مع

مكحول الأثروسي، وخرج الاتراك لاعتراضه. وبعث ابن طاهر لحفظه فقدموا به بغداد ولم يظفر به الاتراك، ومضوا نحو النهروان فأحرقوا سفن الجسر.

وكان المستعين قد بعث محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد وإلياً على الثغور الجزرية وأقام ينتظر الجند والمال، فلما بلغه خبر هذه الفتنة جاء على طريق الرقة إلى بغداد، فخلع عليه ابن طاهر وبعثه في جيش كثيف لمحاربتهم، وصار إلى ضيعة بالسواد فأقام بها. فقال ابن طاهر: لن يفلح أحد من العرب إلا أن يكون معه نبي ينصره الله به، ثم ذهب الاتراك وقاتلوا. واتصل الحصار واشتدت الحرب وانتهت الاسواق، وورد الخبر من الثغور بأن بلكاجور حمل الناس على بيعة المعتز. فقال ابن طاهر: لعله ظن موت المستعين فكان كذلك، ووصل كتابه بأنه جدد البيعة. وكان موسى بن بغا مع الاتراك كما قد قدمنا فأراد الرجوع على المستعين فامتنع أصحابه وقاتلوه فلم يتم له أمره، وفر القمّاطون من البصرة ورموا على الاتراك فأحرقوهم، فبعث ابن طاهر إلى المدائن ليحفظها وأمدّه بثلاثة آلاف فارس، وبعث إلى الأنبار حوبة بن قيس فشق الماء إلى خندقها من الفرات وجاء إلى الاسحاق من قبل المعتز، فسبق المدد الذي جاء من قبل ابن طاهر وملك الأنبار. ورجع حوبة إلى بغداد فأنفذ ابن طاهر الحسين بن اسماعيل في جماعة من القواد والجند، فاعترضه الاتراك وحاربوه وعاد إلى

الأنبار، وتقدم هو لينزل عليهما، وبينما هو يَحْطُ الأثقال اذا بالاتراك فقاتلهم وهزمهم وأثخن فيهم، وكانوا قد كنوا له فخرج الكمين وانهزم الحسين وغرق كثير من أصحابه في الفرات. وأخذ الاتراك عسكره ووصل الى الياسرية آخر جادي الآخرة، ومنع ابن طاهر المنهزمين من دخول بغداد، وتوعدهم على الرجوع اليه. وأمدّه يحنّد آخر فدخل من الياسرية، وبعث على الخاض الحسين بن عليّ بن يحيى الأرميني في مائتي مقاتل ليمنع الاتراك من العبور اليه من عدوة الفرات، فوافوه وقاتلوه عليها فهزموه، وركب الحسين في زورق منحدرًا، وترك عسكره وأثقاله فاستولى عليها الاتراك، ووصل المنهزمون الى بغداد من ليثهم. ولحق من عسكره جماعة من القواد والكتاب بالمعتز وفيهم عليّ ومحمد ابنا الوائق، وذلك أوّل رجب.

ثم كانت بينهم عدة وقعات، وقتل من الفريقين خلق، ودخل الاتراك في كثير من الايام بغداد وأخرجوا عنها. ثم ساروا الى المدائن وغلبوا عليها ابن أبي السّفّاح وملكوها. وجاء الاتراك الذين بالأنبار الى الجانب الغربي، وانتهوا الى صرصر وقصر ابن هُبَيْرَة، واتصل الحصار الى شهر ذي القعدة، وخرج ابن طاهر في بعض أيامه في جميع القواد والعساكر، فقاتلهم وانهزموا وقتل منهم خلق، وارتقم الذين كانوا مع بفا ووصيف لذلك فلحقوا بالاتراك. ثم تراجع الاتراك وانهزم أهل بغداد.

ثم خرج في ذي الحجة رشيد بن كاووس أخو الافشين ساعياً في الصلح بين الفريقين، واتهم الناس ابن طاهر بالسعي في خلع المستعين، فلما جاء رشيد وأبلغهم سلام المعتز وأخيه أبي أحمد شتموه وشتموا ابن طاهر، وعمدوا إلى دار رشيد ليهدموها، وسأل ابن طاهر من المستعين أن يسكنهم فخرج إليهم ونهاهم وبرا ابن طاهر مما اتهموه به فانصرفوا، وترددت الرسل بين ابن طاهر وبين أبي أحمد فتجدد للعامة والجند سوء الظن. وطلب الجند أرزاقهم فوعدهم بشهرين، وأمرهم بالنزول فأبوا إلا أن يعلمهم الصحيح من رأيه في المستعين. وخاف أن يدخلوا الأتراك كما عمل أهل المدائن والأنبار، فاصعد المستعين على سطح دار العامة حتى رآه الناس ويده البردة والقضيب، وأقسم عليهم فانصرفوا. واعتزم ابن طاهر على التحول إلى المدائن، فجاءه وجوه الناس واعتذروا له بالقوفا فاقصروا بنقل المستعين عن دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم بالرصافة. وأمر القواد وبني هاشم بالكون مع ابن طاهر، فركب في تعبئة وحلف لهم على المستعين وعلى قصد الإصلاح فدعوا له، وسار إلى المستعين وأغراه به، وأمر بغا ووصيفاً بقتله فلم يفعلوا. وجاءه أحمد ابن إسرائيل والحسين بن غلدة بمثل ذلك في المستعين، فتغير له ابن طاهر. فلما كان يوم الاضحى وقد حضر الفقهاء والقضاة طالبه ابن طاهر بامضاء الصلح، فأجاب وخرج إلى باب الشمسية، فجلس هناك ابن طاهر إلى المستعين

وأخبره بأنه عقد الامر الى أن يخلع نفسه، ويبدلوا له خمسين ألف دينار، ويعطوه غلة ثلاثين ألف دينار، ويقيم بالحجاز متردداً بين الحرمين، ويكون بغا والياً على الحجاز، ووصيف على الجبل، ويكون تلك الجباية لابن طاهر، وجند بغداد والثلاثان للعوالي والاتراك. فامتنع المستعين أولاً من الخلع ظناً منه أن وصيفاً وبغا معه. ثم تبين موافقتها عليه، فأجاب وكتب بما أراد من الشروط، وأدخل الفقهاء والقضاة وأشهدهم بأنه قد صير أمره الى ابن طاهر. ثم أحضر القواد وأخبرهم بأنه ما قصد بهذا الاصلاح الا حقن الدماء، وأخرجهم الى المعتز ليوافقهم بخطه على كتاب الشرط ويشهدوا على اقراره، فجاءوا بذلك لست خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين.

خلع المستعين ومقتله والفتن خلال ذلك

ولما تم ما عقده ابن طاهر ووافى القواد بخط المعتز على كتاب الشروط أخذ البيعة للمعتز على أهل بغداد، وخطب له بها وبابيع له المستعين وأشهد على نفسه بذلك، فنقله من الرصافة الى قصر الحسن بن سهل ومعه عياله وأهله، وأخذ البُرْدَة والقضيب والخاتم ومنع من الخروج الى مسكة، فطلب البصرة فمنع منها، وبعث الى واسط. فاستوزر المعتز أحمد بن أبي اسرائيل، ورجع أخوه أبو أحمد الى سامرا. وفي آخر المحرم انصرف أبو الساج دُبَازُ ابن درموسب الى بغداد، فقلده ابن طاهر معاون السواد، فبعث

معه مؤنه اليها لطرده الاتراك والمغاربة عنها، وسار هو الى الكوفة .
ثم كتب المعتز الى ابن طاهر باسقاط بغا ووصيف ومن معها
من الدواوين، وكان محمد أبو عون من قواد ابن طاهر قد تكفل
لابي اسحاق بقتلها، وعقد له المعتز على اليامة والبحرين والبصرة .
ونفي الخبر اليها بذلك فركبا الى ابن طاهر وأخبراه الخبر وأن
القوم قد نقضوا العهد . ثم بعث وصيف أخته سعاد الى المؤيد ،
وكان في حُجْرِها فاستوهبت له الرضا من المعتز، وكذا فعل أبو
أحمد مع بغا، وكتب لهم المعتز جميعاً بالرضا . ثم رغب الاتراك في
احضارهما بساراء، فكتب بذلك وُدس الى ابن طاهر بمنعهما فخرجا
فيمن معهما ولم يقدر ابن طاهر على منعهما . وحضرا بساراء فمقد
اليها المعتز على أعمالهما، وردّ البريد الى موسى بن بغا الكبير .
ثم كانت فتنة بين جند بغداد وابن طاهر في شهر رمضان،
جاؤا اليه يطلبون أرزاقهم قال : كتبت الى أمير المؤمنين في ذلك
فكتب إليّ إن كنت تريد الجند لنفسك فأعطهم، وإن كان لنا
فلا حاجة لنا فيهم . فشغبوا ففرّق فيهم ألفي دينار فسكنوا .
ثم اجتمعوا ثانية ومعهم الأعلام والطبول، وضربوا الخيام بباب
الشماسية وبنوا البيوت من الاعواد والقصب . وجمع محمد بن ابراهيم
أصحابه وشحن داره بالرجال، وأرادوا يوم الجمعة أن يمنعوا الخطيب
من الدعاء للمعتز فمقد واعتذر بالمرض، فخرجوا الى الجسر ليقطعوه
فقاتلهم أصحاب ابن طاهر ودفنهم عنه . ثم دفنوا أصحاب ابن

طاهر باعانة أهل الجانب الشرقي، وجاء العامة فجلس الشرطة فأمر ابن طاهر باحراق الحوانيت الى باب الجسر، ومات أصحاب تعبئة الحرب وجاء من دله على عورة الجند، فرح الشاه ابن ميكال وعرض القواد فصار الى ناحيتهم، وافترقوا وقتل بينهم ابن الخليل . وحمل رئيسهم الآخر ابن القاسم عبود بن الموفق الى ابن طاهر ومات في خلال ذلك . وأخرج المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد، وذلك أن العلاء بن أحمد عامل أرمينية بعث الى المؤيد بخمسة آلاف دينار، فأخذها عيسى بن فرخان شاه، فأغرى المؤيد بعيسى الاتراك والمقاربة، فبعث المعتز الى المؤيد وأبي أحمد فحبسهما وقيد المؤيد، فأخذ خطه بخلع نفسه . ثم نفي اليه أن الاتراك يرومون إخراجهم من الجبل، فسأل عن ذلك موسى بن بنّا فأنكر علم ذلك، وأخرج المؤيد من القيد ميتاً ودفنته أمه، فيقال غطى على أنفه ثياب، وقيل أقعد في الثلج ووضع على رأسه . ثم نقل أخوه ابن أحمد الى مجلسه .

ثم اعتزم المعتز على قتل المستعين، فكتب الى محمد بن عبد الله ابن طاهر ان يسلمه الى سيا الخادم، وكتب محمد في ذلك الى الموكلين به بواسط، يقال بل أرسل بذلك أحمد بن طولون، فصار به في القاطون وسلمه الى سعيد بن صالح، فضربه سعيد حتى مات، وقيل ألقاه في دجلة بجبر في رجله، وكانت معه دابته فقتلت معه وحمل رأسه الى المعتز فأمر بدفنه، وأمر لسعيد بخمسين ألف

درهم وولاه معونة البصرة . ثم وقعت فتنة بين الاتراك والمغاربة
مستهمل رجب، بسبب ان الاتراك وثبوا بعيسى بن فرخان شاه
فضربوه وأخذوا دابته لما أمرهم المؤيد، فامتعضت المغاربة له ونكروا
على الاتراك وغلبوهم على الجوسق، وأخذوا دوابهم وركبوها
وملكوا بيت المال .

واستجاش الاتراك بمن كان منهم في الكرخ والدور، وانضم
الفوغاء والشاكرية الى المغاربة، فضعفت الاتراك عن لقائهم وسمي
بينهم جعفر بن عبد الواحد في الصلح، فتوادعوا أياماً . ثم اجتمع
الاتراك على حين افتراق المغاربة، فقصد محمد بن راشد ونصر بن
سعيد منزل محمد بن عون يختفيان عنده حتى تسكن الميعة، فدرس
للأتراك بخبرها وجاؤا فقتلوهما في منزله وبلغ ذلك المعتز فهم يقتل
ابن عون ثم نفاه .

أخبار سلاسل الخارجي

كان الوالي على الموصل عُقْبَةُ بن محمد بن جعفر بن محمد بن
الاشعث بن هاني الخزاعي وكان صاحب الشرطة بالحديثة من أعمالها
حسين بن بكير، وكان مساور بن عبدالله بن مساور البجلي من
الخوارج يسكن بالبوازيج . وحبس صاحب الشرطة حسين بن
بكير بالحديثة ابنا للمساور هذا يسمى جوثة وكان جيلاً، فكتب
الى أبيه مساور بأن حسين بن بكير نال منه الفاحشة، فغضب
لذلك وخرج فقصد الحديثة، فاخفى حسين وأخرج ابنه من

الجلس . ثم كثر جمعه من الاكراد والاعراب، وقصد الموصل فقاتلها أياماً، ثم رجع فكان تحت طريق خراسان، وكانت لنظر بNDAR ومظفر بن مشبك^(١) فسار اليه بNDAR في ثلثائة مقاتل، والحوارج مع مساور في سبعمائة فهزموه وقتلوه، ولم ينج منهم الا نحو خمسين رجلاً، وفر مظفر الى بNDAR .

وجاء الحوارج الى جلولا، وكانت فيهم حرب هلك فيها من الجانبين خلق . ثم سار خطر مشن في العساكر فلقبهم بجلولا، وهزمه مساور . ثم استولى مساور على أكثر أعمال الموصل، ثم ولي الموصل أيوب بن احمد بن عمر بن الخطاب التغلبي سنة اربع وخمسين، فاستخلف عليها ابنه الحسن، فجمع عسكراً كان فيهم حمدون بن الحرث بن لقمان جد الامراء من بني حمدان، ومحمد ابن عبدالله بن السيد بن انس، وسار الى مساور وعبر اليه نهر الزاب، فتأخر عن موضعه . وسار الحسن في طلبه فالتقوا واقتتلوا وانهزم عسكر الموصل، وقتل محمد بن السيد الازدي، ونجا الحسن ابن أيوب الى اعمال اربل .

ثم كانت الفتنة سنة خمس وخمسين خلع المعتز وبوع للهتدي، وولى على الموصل عبدالله بن سليمان . فزحف اليه مساور، وخام عبدالله عن لقائه، فملك مساور البلد، وأقام بها جمعة وصلى وخطب، ثم خرج منها الى الحديثة وكانت دار هجرته . ثم

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٣٥ : مظفر بن سبيل .

انتقض عليه سنة ست وخمسين رجل من الخوارج اسمه عبيدة بن زُهَيْرِ المَعْرِيّ بسبب الخلاف في توبة الخاطي . وقال عبيدة لا تقبل واجتمع معه جماعة، وخرج اليهم مساور من الحديثة واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم قتل عبيدة وانهزم اصحابه .

وخرج اليه آخر من بني زُهَيْرِ اسمه طوق، فجمع له الحسن بن أيوب بن أحمد العدويّ جمعاً كثيراً وحاربه فقاتله سنة خمس أو سبع، واستولى مساور على أكثر العراق ومنع الاموال، فسار اليه موسى ابن بَغَا بأكيال في المساكر فانتهموا الى ^(١) وبلغهم خبر الاتراك مع المهدي فأقاموا ثم زحفوا بخلع المهدي، فلما ولي المعتمد سَيرَ مفلحاً الى قتال مساور في عسكر كبير، وخرج مساور عن الحديثة الى جبلين حذاءها وقاتله مفلح في اتباعه، ولحق الجبل فاعتصم به وأقام مفلح في حصاره، فكانت بينهما وقعات، وكثرت الجراحة في أصحاب مساور من لدن حربه مع عبيدة الى هذه الحروب فسار عن الجبل وتركه وأصبح مفلح وقد فقدهم فسار الى الموصل ثم الى ديار ربيعة وسنجار ونصيبين والخابور، فأصلح أمورها وخرج من الموصل الى الحديثة ففارقها عنه، فرجع مساور

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل ج ٥ ص ٣٤٥: ثم أتى بأكيال التركي، كتب إليه ولاية طريق خراسان في ذي القعدة، وكان مساور بن عبد الحميد قد استخلف رجلاً اسمه موسى بالدمسكرة ونواحها في ثلاثمائة رجل وإليه ما بين حلوان والسوس على طريق خراسان وبطن جوشي .

في اتباعهم يتخطف من أعقابهم ويقاثلهم حتى وصل الحديثة، فأقام بها أياماً، ثم سار الى بغداد في رمضان سنة ست وخمسين، فرجع مساور الى الحديثة واستولى على البلاد واشتدت شوكته، ثم أوقع به مسرور البلخي سنة ثمان وخمسين، وجهاز العسكر بالحديثة مع جعلان من قواد الترك. ثم قتل سنة احدى وستين يحيى بن جعفر من ولاية خراسان، وسار مسرور في طلبه وتبعه الموفق فلم يدركاه.

مقتل وصيف ثم بغا

وفي سنة ثلاث وخمسين ايام المعتز اجتمع الجند من الاتراك والفراغنة والاشروسية فطلبوا ارزاقهم منهم لاربعة أشهر وشغبوا، فخرج اليهم بغا ووصيف وسيا الطويل، وكلهم وصيف واعتذرو بعدم المال وقال: خذوا الزاب في ارزاقكم. وثرلوا بدار اشناس يتناظرون في ذلك، ومضى بغا وسيا الى المعتز يسألانه في أمرهم، وبقي وصيف في أيديهم فوثب عليه بعضهم فقتله وقطعوا رأسه ونصبوه. ثم اتقادوا وأهدر لهم ذلك، وجعل المعتز لبغا الشراي ما كان لوصيف، وألبسه التاج والوشاحين، ثم تغير له المعتز لما عليه من الاستبداد على الدولة، وخشي غائلته ومال باطناً الى بابكيال وداخله في أمره واعتدبه لذلك.

ثم زوج بغا ابنته آمنة من صالح بن وصيف وشغل يجهازها، فركب المعتز في تلك الغفلة ومعه حمدان بن اسرائيل الى بابكيال

في كرخ سامرا، وكانت بينه وبين بغا وحشة شديدة، وبلغ ذلك بغا فركب في خمسمائة من غلمانه وولده وقواده، وكان أكثرهم منحرفين عنه ولحق بالسن، وأقام المعتز على وجل لا ينام الا بسلاحه . ثم تعلق أصحاب بغا عليه فأعرض عنهم وركب البحر راجعاً الى بغداد، وجاء الجسر ليلاً لئلا يفتن به الموكلون هنالك، وبعثوا الى المعتز بخبره، فأمر بقتله وحمل اليه رأسه، ونصب بسامرا وأحرقت المغاربة شلوه، وكان قصد دار صالح بن وصيف ليثبوا على المعتز .

ابتداء دولة الصفار

كان يعقوب بن الليث ^(١) عمر الصفري بسجستان، وكان صالح بن النضر الكناني من أهل البيت قد ظهر بتلك الناحية وقام يقاتل الخوارج، وسمى أصحابه المتطوعة، حتى قيل له صالح المطوعي، وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث هذا وغلبوا على سجستان، ثم أخرجهم عنها طاهر بن عبد الله أمير خراسان . وهلك صالح اثر ذلك، وقام بأمر المتطوعة درهم بن الحسن فكثر اتباعه . وكان يعقوب بن الليث شهماً وكان درهم مضعفاً، واحتال صاحب خراسان حتى ظفر به وحبس ببغداد،

(١) كذا بياضان بالأصل، وفي الكامل ج ٥ ص ٣٤٠: استولى يعقوب بن الليث الصفار على كرمان.

فاجتمعت المتطوعة على يعقوب بن الليث، وقام بقتال السراة وأتيح له الظفر عليهم وأثخن فيهم وخرب قراهم، وكانت له شرية في اصحابه لم تكن لاحد قبله، فحسنت طاعتهم له وعظم أمره ومملك سجستان مظهراً طاعة الخليفة وكاتبه وقلده حرب السراة، فأحسن الغناء فيه وتجاوزته الى سائر أبواب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم سار من سجستان الى فواحي خراسان وعليها يومئذ محمد ابن عبدالله بن طاهر، وعلى هراة من قبله محمد بن أوس الانباري، فجمع لمحاربة يعقوب وسار اليهم في التعبية، فاقتتلوا وانهزم ابن أوس ومملك يعقوب هراة وبوشنج، وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الاطراف . وكان المعتز قد كتب بولاية سجستان، فكتب له الآن بولاية كرمان، وكان علي فارس علي بن الحسين بن شبل، وأبطأ عامل الحراج واعتذر، فكتب له المعتز بولاية كرمان يريد إعداء كل منهما بصاحبه لان طاعتها مهوضة^(١)، فأرسل علي بن الحسين بقارس طوق بن الفلّس خليفة على كرمان، وسار يعقوب الصفار من سجستان فسبقه طوق واستولى عليها، وأقام يعقوب بمكانه قريباً منها يترقب خروج طوق اليه .

وبعد شهرين ارتحل الى سجستان فوضع طوق أوزار الحرب

(١) كذا وإذا كانت من فعل «هاض» فينبغي أن تكون «مهيضة» أي مكسورة.

وأقبل على اللهو، واتصل ذلك بيعقوب في طريقه، فكر راجعاً
 واغذ السير فصادفه بعد يومين، وركب أصحابه وقد أحيط بهم
 ففروا تاجين بأنفسهم، وملك يعقوب كرمان وجبس طوق . وبلغ
 الخبر الى علي بن الحسين وهو على شيراز، فجمع جيشه ونزل على
 مضيق شيراز وأقبل عليه يعقوب حتى نزل قبائله، والمضيق متوعر
 بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما، فاقترحم يعقوب النهر بينهما
 وأجاز الى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا، وأخذ علي أسيراً،
 واستولى على جميع عسكره، ودخل شيراز وملكها وجبى الخراج
 ورجع الى سجستان وذلك سنة خمس وخمسين .

ويقال بل وقع بينهما بعد عبور النهر حرب شديدة انهزم
 آخرها علي، وكان عسكره نحواً من خمسة عشر ألفاً من الموالي
 والاكراد، ورجعوا منهزمين الى شيراز آخر يومهم وازدحموا في
 الابواب، وافترقوا في نواحي فارس وانتهوا الى الاهواز وبلغ
 القتلى منهم خمسة آلاف، ولما دخل يعقوب وملك فارس امتحن
 علياً وأخذ منه ألف بردة، ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يحده،
 وكتب الى الخليفة بطاعته وأهدى هدية جليلة يقال منها عشر بازات
 بيض وباز أبلق صيني ومائة نافجة من المسك وغير ذلك من
 الطرف ورجع الى سجستان، ثم استعاد الخليفة بعد ذلك فارس
 وبعث عماله اليها .

ابتداء دولة ابن طولون بمصر

كان بابكIAL من أكابر قواد الأتراك مع بقا ووصيف وسيا الطويل، ولما حدثت هذه الفتن وتغلبوا على الخلفاء أخذوا الأعمال والنواحي في اقطاعهم، فاقطع المعتز بابكIAL هذا أعمال مصر وبها يومئذ ابن مدير، وكان بابكIAL مقيماً بالحفيدة فنظر فيمن يستخلفه عليها، وكان أحمد بن طولون من أبناء الأتراك وأبوه من سُبي فرغانة وربي في دار الخلفاء، ونشأ ابنه أحمد بها على طريقة مستقيمة لبابكIAL خاله، وأشير عليه بتوليته فيمنه على مصر فاستولى عليها أولاً دون أعمالها والاسكندرية. ثم قتل المعتز بابكIAL وصارت مصر في اقطاع بارجوع الترك^(١)، وكان بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة، فكتب إليه واستخلفه على مصر جميعها ورسخت قدمه فيها وأصارها تراثاً لابنه فكانت لهم فيها الدولة المعروفة.

استقدام سليمان بن طاهر لولاية بغداد

قد تقدم لنا أن محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسين كان على العراق والسواد، وكانت لهم الشرطة وغيرها، وكان مقيماً ببغداد، وكان في المدافعة عن المستعين لما جأ إليه. ثم صلح ما بينه وبين المعتز، واستقل المعتز بالخلافة والآثر المذكورة. ثم هلك آخر سنة ثلاث وثمانين أيام المعتز وفوض ما كان بيده من الولاية إلى

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٣٩: فلما قتل المهدي بابكIAL وصارت مصر لياركوج التركي، وكانت بينه وبين أحمد بن طولون مودة متأكدة، استعمله على ديار مصر جميعها.

أخيه عبيدالله، نازعه ابنه طاهر في الصلاة عليه ومالت العامة مع أصحاب طاهر، والقواد مع عبيدالله لوصية أخيه . ثم أمضى المعتز عهد أخيه وخلع عليه، وبذل لصاحب الخلع خمسين ألف درهم . ثم بعث المعتز عن سليمان بن عبدالله بن طاهر من خراسان ، وولاه على العراق والشرطة وغيرها مكان أخيه محمد، وعزل أخاهما عبيدالله . فلما علم عبيدالله تقدم سليمان أخذ ما في بيت المال وانتقل الى غربي دجلة، وجاء سليمان وقائده محمد بن أوس ومعه جند من خراسان، فأساؤا السيرة في أهل بغداد فحنق الناس عليهم وأعطى أرزاقهم مما بقي في بيت المال، وقدمهم على جند بغداد وشاكرتهم، فاتفق الجند على الثورة وفتقوا السجون، وعبر ابن أوس الى الجزيرة واتبعه الجند والعامة، فحاربهم وانهمز وأخرجوه من باب الشامية، ونهب من منزله قيمة ألفي ألف درهم، ومن الامتعة ما لا يحصر ونهب منازل جنده .

ورأى سليمان أن يسكن النائرة فأمره بالخروج الى خراسان، ثم كانت الفتنة في خلع المعتز وولاية المهدي كما يذكر، وبعث المهدي سلخ رجب من سنة خمس وخمسين الى سليمان ليأخذ البيعة له ببغداد، وكان أبو أحمد بن المتوكل ببغداد قد بعث اليها المعتز، فنقله سليمان الى داره ووثب الجند والعامة لذلك واجتمعوا بباب سليمان، وقتلهم أصحابه ملياً، ثم انصرفوا وخطب من الغد للمعتز فسكنوا ثم ساروا ودعوا الى بيعة أبي أحمد، وطلبوا رؤيته

فأظهروه لهم ووعدهم بما طلبوا، فاقتربوا ووكل بحفظ أبي أحمد ثم بايع للمهدي في شعبان من تلك السنة .

خبر كرخ أصبهان وأبي دلف

قد تقدّم لنا شأن أبي دلف أيام المأمون وأنه كان مقبلاً بكرخه، وإن المأمون عفا له عما وقع منه في القمود عن نصره، وأقام بتلك الناحية وهلك، فقام ابنه عبد العزيز مكانه . ولما كانت أيام الفتنة تمسك بطاعة المستعين، وولى وصيف على الجبل وأصبهان، فكتب إلى عبد العزيز باستخلافه عليها وبعث عليه بالخلع، وعقد المعتز لموسى بن بقاء الكبير في شهر رجب من سنة ثلاث وخمسين على الجبل وأصبهان، فسار لذلك وفي مقدمته مفلح، فلقاه عبد العزيز بن أبي دلف في عشرين ألفاً خارج همدان، فتحاربوا وانهزم عبد العزيز وقتل أصحابه . وسار مفلح إلى الكرخ، فخرج إليه عبد العزيز وقاتله ثانية، فانهزم واستولى مفلح على الكرخ . ومضى عبد العزيز إلى قلعة نهاوند، فتحصن بها وأخذ مفلح أهله وآمه .

ثم عقد له وصيف سنة اثنين وخمسين على أعمال الجبل، ثم عقد لموسى بن بقاء، فسار وفي مقدمته مفلح، فقاتله عبد العزيز فانهزم وملك مفلح الكرخ وأخذ ماله وعياله . ثم ملك عبد العزيز وقام مكانه ابنه دلف، وقاتله القاسم بن صباه من أهالي أصبهان . ثم قتل القاسم أصحاب أبي دلف وولوا أخاه أحمد بن عبد العزيز

سنة خمس وستين . وولاه عمر الصفار من قبله على أصبهان عندما ولاه عليها المعتمد سنة ست وستين، وحاربه كفلينغ التركي سنة تسع وستين، فغلبه أحمد وأخرجه الى الصميرة، وبعث اليه عمر سنة ثمان وستين في المال فبعث اليه . ثم سار الموفق سنة ست وسبعين يريد أحمد بأصبهان، فشاغله أحمد عن البلد وترك داره بفرشها لتزول الموفق . ثم مات أحمد سنة ثمانين وولى أخوه عمر وأخوه بكير يرادفه، وقتلا رافع بن الليث بأمر المعتضد فهزمها كما يأتي ذكره . ثم قلد المعتضد أَصْبَهَانَ وَنَهَاوَنْدَ والكرخ عمر بن عبد العزيز سنة احدى وثمانين ثم راجعا الطاعة .

ظهِرَ الْمُعْتَزُّ وَمَوْتُهُ وَبَيْعَةُ الْمُفْتَحِيِّ

كان صالح بن وصيف بن بغا متغلباً على المعتز وكان كاتبه احمد بن اسرائيل، وكانت أمه قبيصة ووزيرها الحسن بن مخلد . وكان أبو نوح عيسى بن ابراهيم من كبار الكتاب وجباة الاموال . وطلب الاتراك أرزاقهم وشغبوا، فقال صالح للمعتز : هذه الاموال قد ذهب بها الكتاب والوزراء، وليس في بيت المال شيء، فردّ عليه احمد بن اسرائيل وأفحش في ردّه، وتفاوضا في الكلام فسقط صالح مغشياً عليه، وتبادر أصحابه بالباب فدخلوا منتفضين سيوفهم فدخل الى قصره، فأمر صالح بالوزراء الثلاثة فقيدوا، وشفع المعتز في أمر وزيره فلم تقبل شفاعته، وصادروهم على مال جليل حملوه فلم يسدّ شيئاً، فلما فعلوا بالكتاب ما فعلوا من

المصادرة اتهم الجند انهم حملوا على مال ولم يكن ذلك، فشفعوا في طلب أرزاقهم وضمنوا للمعتز قتل صالح بن وصيف على خمسين ألفاً يبذلها لهم . وسألها من أمه فاعتذرت فاتفقت كلمتهم على خلعهم .

ودخل اليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا المعروف بأبي نصر وبابكيال وطلبوه في الخروج اليهم، فاعتذر لهم وأذن لبعضهم في الدخول فدخلوا، وجروا الى الباب وضربوه وأقاموه في الشمس في صحن الدار، وكلما مرّ به أحد منهم لطمه . ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب في جماعة فأشهدهم على خلعهم، وعلى صالح بن وصيف بأمانه وأمان أمه وأخته وولده . وفرت أمه قبيصة من سرب كانت اتخذته بالدار، ثم عذبوا المعتز ثم جعلوه في سرب وطبوا عليه، وأشهدوا على موته بني هاشم والقواد، وذلك آخر رجب من سنة خمس وخمسين، وبايعوا محمد بن عمه الوائلي، ولقبوه المهتدي بالله عندما خلع المعتز نفسه وأقرّ بالعجز والرغبة في تسليمها الى المهتدي بايعة الخاصة والعامة . وكانت قبيصة أم المعتز لما فعل صالح بالكتاب ما فعل قد (١) نفرا منهم على الفتك بصالح، ونمي ذلك اليه، فجمع الاتراك على الثوران،

(١) كذا بياض في الأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٤٣: ذكر ظهور قبيصة أم المعتز: قد ذكرنا استنارها عند قتل ابنها . وكان السبب في هربها وظهورها أنها كانت قد واطأت النفر من الكتاب الذي أوقع بهم صالح على الفتك بصالح .

وأيقنت قبيحة بالهلاك فأودعت ما في الخزان من الاموال والجواهر، وحفرت سرباً في حجرتها هربت منه لما أحيط بالمتز، ولما قتل خشيت على نفسها فبعثت الى صالح تستأمنه فأحضرها في رمضان وظفر منها بخمسمائة ألف دينار، وعذبها على خزائن تحت الارض فيها ألف دينار وثلثمائة ألف دينار ومقدار مكوك من الزرجد لم ير مثله، ومقدار مكوك آخر من اللؤلؤ العظيم وجراب من الياقوت الاحمر القليل النظيف، وذمها الناس بأنها عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار ومعها هذا المال، ثم سارت الى مكة فأقامت هنالك، وقبض صالح على أحمد بن اسرائيل وزيد بن المتز وعذبه وصادره. ثم قبض على أبي نوح وفعل به مثله وقبض على الحسن بن مخلد كذلك ولم يمت. وبلغ المهدي ذلك فنكره وقال: كان الحبس كافياً في العقوبة. ولأول ولاية المهدي أخرج الثيَّانَ والمغنين من سمرات ونفاهم عنها، وأمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرد الكلاب وردَّ المظالم وجلس للعامة، وكانت القتنُ قائمة، والدولة مضطربة، فشرَّ لاصلاحها لو أمهل واستوزر سليمان بن وهب وغلب على أمره صالح بن وصيف وقام بالدولة.

سير موسى بن بغا الى سمرات وقتل صالح بن وصيف

كان موسى بن بغا غائباً بنواحي الري وأصبهان منذ ولاية المتز عليها سنة ثلاث وخمسين، ومعه مفلح غلام أبي الساج،

وكانت قبيحة أم المعتز لما رأت اضطراب أموره كتبت إلى موسى قبل أن يفوت في المعتز أمره، فجاءه كتابها وقد بعث مفلحاً لحرب الحسن بن زيد العلوي فحربه بطبرستان فغلبه، وأحرق قصوره بآمد وخرج في اتباعه إلى الديلم، فكتب إلى موسى بالرجوع لمداهمة من شاء وبينما هو في استقدامه وانتظاره قتل المعتز وبويع المهتدي، وبلغ أصحابه ما حواه صالح من أموال المعتز وكتابه وأمه فشرهوا إلى مثل ذلك، وأغروا موسى بالمسير إلى سامرا. ورجع مفلح من بلاد الديلم إليه وهو بالري، فسار نحو سامرا، وسمع المهتدي بذلك فكتب إليه بالمقام يحذره على ما وراه من العلويين فلم يصنع لذلك، وأفحش أصحابه في إساءة الرسل الواصلين بالكتب. فكتب بالاعتذار واحتج بما عاينه الرسل وأنه يخشى أن يقتله أصحابه إن عادوا إلى الري وصالح بن وصيف في خلال ذلك ينري به المهتدي وينسئه إلى المعصية والخلاف إلى أن قدم في المحرم سنة ست وخمسين ودخل في التبعة، فاختفى صالح بن وصيف، ومضى موسى إلى الجوسق والمهتدي جالس للمظالم. فأعرض له عن الإذن ساعة ارتأب فيها هو وأصحابه وظنوا أنه ينتظر قدوم صالح بالعساكر. ثم أخذ لهم فدخلوا وقبضوا على المهتدي وأودعوه دار باجورة، وانتهبوا ما كان في الجوسق. واستنافت المهتدي بموسى فعطف عليه؛ ثم أخذ عليه اليهود والأيمان أن لا يوالي صالحاً، وأن باطنه وظاهره في موالاتهم سواء.

فجدّوا له البيعة واستبدّ موسى بالاسر، وبعث الى صالح للمطالبة بما احتجبه من الاموال فلم يوقف له على أثر، وأخذوا في البحث عنه . وفي آخر المحرم احضر المهدي كتاباً رفعه اليه سيما الشرايي زعم أن امرأة دفعته اليه وغابت فلم يرها، وحضر القواد وقرأه سليمان بن وهب عليهم وهو بخط صالح يذكر ما صار اليه من الاموال، وأنه انما استتر خشية على نفسه وحسماً للفتنة وإبقاء على الموالي . ولما قرأ الكتاب حثّم المهدي على الصلح والاتفاق، فاتهمه الاتراك بالميل الى صالح وأنه مطلع على مكانه، وطال الكلام بينهم بذلك .

ثم اجتمعوا من الفد بدار موسى بن بغا داخل الجوسق واتفقوا على خلع المهدي، إلا أخا بابكيال فانه أبي من ذلك وتهدّهم بأنه مفارقهم الى خراسان، واتصل الخبر بالمهدي فاستدعاه اليه، وقد نظّف ثيابه وتطيّب وتقلّد سيفه فأرعد وأبرق، وتهدّهم بالاستماتة، ثم حلف لا يعلم مكان صالح، وقال لمحمد بن بغا وبابكيال قد حضرتما مع صالح في أمر المعتز وأموال الكتاب وأنتم شركاؤه في ذلك كله . وانتشر الخبر في العامة بأنهم أرهقوه وأرادوا خلعهم، فطلقوا يحاذرون على الدعاء في المساجد والطرقات ويبغون على القواد بنعيم على الخليفة، ويرمون الرقاع بذلك في الطرقات . ثم ان الموالي بالكرخ والدور دسّوا الى المهدي أن يبعثوا اليه أخاه أبا القاسم عبدالله بعد أن ركبوا وتحركوا، فقالوا لابي القاسم :

بلغنا ما عليه موسى وبابكيال وأصحابها ونحن شيعة للخليفة فيما يريد، وشكوا مع ذلك تأخر أرزاقهم وما صاروا من الاقطاع والزيادات إلى قوادهم وما أخذ النساء والدخلاء حتى أصعب ذلك كله بالخراج والضياح، وكتبوا بذلك إلى المهدي .

فأجابهم بالثناء على التشيع له والطلاعة، والوعد الجميل في الرزق، والنظر الجميل في شأن الاقطاعات للقواد والنساء، فأفاضوا في الدعاء وأجمعوا على منع الخليفة من الخمر والاستبداد عليه، وأن ترجع الرسوم إلى عاداتها أيام المستمين على كل عشرة عريف، وعلى كل خمسين خليفة، وعلى كل مائة قائد، وأن تسقط النساء والزيادة في الاقطاع، ويوضع المعطى في كل شهرين، وكتبوا بذلك إلى المهدي وانهم صارتون إلى بابهم ليقضي حوائجهم، وإن أحد اعترض عليه أخذوا رأسه وإن تعرض له أحد قتلوا موسى بن بغا وبابكيال وماجور . فجاء أبو القاسم بالكتاب وقد قعد المهدي للمظالم وعنده الفقهاء والقضاة والقواد فلقنوا في مراتبهم، فقرأ كتابهم على القواد فاضطربوا وكتب جوابهم بما سألوا، وطلب أبو القاسم من القواد أن يبحثوا معه رسولا بالمعذر عنهم ففعلوا، ومضى أبو القاسم إليهم بكتاب الكتاب ورسول القواد واعذارهم . فكتبوا إلى المهدي يطلبون التوقيعات بحط الزيادات ورد عاداتها أيام المستمين، ومحاسبة موسى بن بغا وصالح بن وصيف

على ما عندهم من الاموال ووضع العطاء على كل شهرين وصرف
النظر في الجيش الى بعض اخوته او قرابته واخراجه من الموالي،
وكتبوا بذلك الى المهتدي والقواد فأجابهم الى جميع ما سألوه .

وكتب اليهم موسى بن بغا بالاجابة في شأن صالح والاذن في ظهوره
فقرؤا الكتابين ووعدوا بالجواب، فركب اليهم أبو القاسم واتبعه
موسى في ألف وخمسة مائة فوقف في طريقهم، وجاءهم ابو القاسم
فاضطربوا في الجواب ولم يتفقوا فرجع وردّ موسى بن بغا فأمرهم
المهتدي بالرجوع وأن يتقدم اليهم محمد بن بغا مع ابي القاسم،
ويدفعوا اليهم كتاب الامان لصالح بن وصيف، وقد كان من
طلبتهم ان يكون موسى في مرتبة أبيه وصالح كذلك والجيش
في يده، وأن يظهر على الامان فأجيبوا إلى ذلك .

وافترق الناس الى الكرخ والدور وسامرا، فلما كان من الغد
ركب بنو وصيف في جماعة ولبسوا السلاح فنهبوا دواب العامة
وعسكروا بسامرا وتملقوا بأبي القاسم يطلبون صالحاً، فأنكر
المهتدي ان يكون علم بمكانه، وقال ان كان عندهم فليظهروه .
ثم ركب ابن بغا في القواد ومعه اربعة آلاف فارس وعسكر
وافترق الأتراك ولم يظهر للكرخين ولا لاهل الدور وسامرا في
هذا اليوم حركة . وجدّ موسى في طلب صالح ونادى عليه وعثر
عليه بعض الغوغاء فجاء به الى الجوسق والعامة في اتباعه فضربه

بعض اصحاب مفلح ققتله، وطيف برأسه على قناة وخرج موسى
ابن بنا لقتال السراة بناحية السن .

الصَّوَائِفُ

منذ ولاية المنتصر الى ان لم يلزم المفتحي

في سنة ثمان وأربعين أيام المستعين خرج بناحية الموصل محمد
ابن عمر الشاربي وحكم، فسرّح المنتصر اسعاق بن ثابت الفرغاني
فأسره في عدّة من أصحابه وقتلوا وصلبوا . وفي هذه السنة غزا
بالصائفة وصيف وأمره المنتصر بالمقام بملطية أربع سنين يغزو في
أوقات الغزو الى ان يأتيه رأيه، وكان مقيماً بالشعر الشامي فدخل
بلاد الروم وافتتح حصن قدورية . وفي سنة تسع وأربعين غزا
بالصائفة جعفر بن دينار، فافتتح مطامير واستأذنه عمر بن عبدالله
الأقطع في الدخول الى بلاد الروم فأذن له، فدخل في جموع من
أهل ملطية ولقي ملك الروم بمرج الاسقف في خمسين ألفاً فأحاطوا
به، وقيل في ألفين من المسلمين، وخرج الروم الى الثغور الخزرية
فاستباحوها، وبلغ ذلك علي ابن يحيى الارمني وقد كان صرف
عن الثغور الشامية وعقد له على أرمينية وأذربيجان . فلما سمع
بخبهرهم نفر اليهم وقاتلهم فانهزم وقتل في اربعمائة من المسلمين، وفي

سنة ثلاث وخمسين أيام المعتز غزا محمد بن معاذ من ناحية ملطية فانهزم وأسر .

الولاية

لما ولي المنتصر استوزر أحمد بن الحصب، وولي على المظالم أبا عمر أحمد بن سعيد مولى بني هاشم . ثم ولي المستعين ومات طاهر بن عبدالله بخراسان، فولى المستعين مكانه ابنه محمداً وولى محمد بن عبد الله على العراق وجعل اليه الحرمين والشرطة ومعادن السواد، واستخلف أخاه سليمان بن عبدالله على طبرستان . وتوفي بغا الكبير فولى ابنه موسى على أعماله، وضاف اليه ديوان البريد، وشغب أهل حصص على عاملهم وأخرجوه، فبعث عليهم المستعين الفضل بن قارن أخا مازيار فقتل منهم خلقاً وحمل مائة من أعيانهم الى سامرا .

واستوزر المستعين أتامش بعد أن عزل أحمد بن الحصب، واستصفى بقى الى اقريطش، وعقد أتامش على مصر والمغرب، ولبغا الشرابي على حلوان وماسبدان ومهرجا بعده . ثم قتل أتامش فاستوزر المستعين مكانه أبا صالح عبدالله بن محمد بن داود، وعزل الفضل بن مروان عن ديوان الخراج وولاه عيسى بن فرخان شاء، وولى وصيفاً على الاهواز وبنا الصغير على فلسطين، ثم غضب بغا على ابي صالح ففرّ الى بغداد، واستوزر المستعين مكانه محمد بن الفضل الجرجاني، وولى ديوان الرسائل سعيد بن

حميد وعزل جعفر بن عبد الواحد عن القضاء ونفاه الى البصرة،
 وولي جعفر بن محمد بن عماد البرجيني.

وفي خمسين عقد لجعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف
 بساسان على مكة، ووثب أهل حصص على عاملهم الفضل بن قارن
 فقتلوه فسرّح اليهم المستمين موسى بن بنغا وحاربوه فهزمهم،
 وافتتحت حصص وأثخن فيهم وأحرقها. وفيها وثب الشاكريّة
 والجند بفارس بعبد الله بن اسحاق فانتهبوا منزله، وقتلوا محمد بن
 الحسن بن قارن، وهرب عبد الله بن اسحاق وفيها كان ظهور
 العلويّة بنواحي طبرستان. وفي سنة احدى وخمسين عقد المعتز
 لبغا ووصيف على أعمالها، وردّ البريد الى موسى بن بنّا الكبير
 وعقد محمد بن طاهر لابي الساج وقدم بين يديه عبد الرحمن كما
 قلنا، وأظهر أنه اتما جاء لحرب الأعراب وتلطّف لابي أحمد حتى
 خالطه وقبّده وبعث الى بّنداد في سنة ائتين وخمسين. وولي
 المعتز الحسين بن أبي الشوارب على القضاء، وبعث محمد بن عبد الله
 ابن طاهر أبا الساج على طريق مكة وعقد المعتز لعيسى الشيخ
 ابن السليل الشيباني من ولد جساس بن مرة على الرملة فاستولى
 على فلسطين وعلى دمشق وأعمالها، وقطع ما كان يحمل من الشام.
 وكان ابراهيم بن المدير على مصر فبعث الى بّنداد من المال
 بسبعائة ألف دينار فاعترضها عيسى وأخذها، وطولب بالمال فقال :
 الفتنة على الجند ا فولاة المعتمد على ارمينية يقيم بها دعواه .

وبعث المعتمد الى الشام ماجور على دمشق وأعمالها، وبلغ الخبر الى عيسى فبعث ابنه منصوراً في عشرين ألف مقاتل فانهزم وقتل، وسار عيسى الى أرمينية على طريق الساحل . وفيها عقد وصيف لعبد العزيز بن أبي دلف العجلي على أعمال الجبل . وفي سنة ثلاث وخمسين عقد لموسى بن بغا على الجبل، فسار وفي مقدمته مفلح مولى بني الساج، وقاتله عبد العزيز بن أبي دلف فانهزم ولجأ الى قلعة لهاذر، وملك مفلح الكرخ وأخذ اهله وعياله، وفيها مات ابن عبدالله بن طاهر ببغداد وولى أخوه عبيدالله بعده . ثم بعث المعتز عن أخيه سليمان بطبرستان فولاه مكانه وكان على الموصل سليمان بن عمران الأزدي، وكانت بينه وبين الأزدي حروب بنواحي الموصل . وفيها مات مزاحم بن خاقان بمصر . وفيها ملك يعقوب الصفار سجستان وفارس وهراة، وكان ابتداء دولته، وولى بابكيال أحمد بن طولون على بر مصر من قبله فكان ابتداء دولته . ثم أقطعها المعتمد سنة سبع وخمسين ليارجوع فولى عليها أحمد بن طولون من قبله، وفي سنة خمس وخمسين أيام المهدي استولى مساور الخارجي على الموصل وفيها ظهر صاحب الزنج وكان ابتداء فتنه .

أخبار صلح الزنج وابتداء فتنه

كان أكثر دعاة العلوية الخارجين بالعراق أيام المتصم وما بعده أكثرهم من الزيدية وكان من أئمتهم علي بن محمد بن أحمد

ابن عيسى بن زيد الشهير وكان فاضلاً بالبصرة، ولما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمه علي بن محمد بن الحسين، فقتل بفدك، ولأيام من قتله خرج رجل بالري يدعي انه علي بن محمد ابن أحمد بن عيسى المطلوب، وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهدي. ولما ملك البصرة لقي علياً هذا حياً معروفاً بالنسب، فرجع عن ذلك وانتسب الي يحيى قتيلاً الجوزجان أخى عيسى المذكور.

ونسبه المسمودي إلى طاهر بن الحسين، وواظنه الحسين بن طاهر ابن يحيى الحديث بن الحسين بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن علي، لان ابن حزم قال في الحسين السبط انه لا عقب له الا من علي بن الحسين، وقال فيه علي بن محمد بن جعفر بن الحسين ابن طاهر. وقال الطبري وابن حزم وغيرهم من المحققين انه من عبد القيس، واسمه علي بن عبد الرحيم من قرية من قرى الري، ورأى كثرة خروج الزيدية فحدثته نفسه بالتوثب فانتحل هذا النسب، ويشهد لذلك انه كان علي وأبي الازارقة من الخوارج، ولا يكون ذلك من اهل البيت. وسياقة خبره انه كان اتصل بجماعة من حاشية المنتصر وملكهم.

ثم شخص من ساروا إلى البصرة سنة تسع وأربعين أدمى انه من ولد العباس بن ابي طالب، ثم من ولده الحسن بن عبدالله ابن العباس، ودعا الناس إلى طاعته فاتبعه كثير من اهل حيدر

وغيرها، وقاتلوا اصحاب السلطان بسببه وعظمت فتنته، فتحول عنهم الى الاحساء ونزل على بني الشماس من سعد بن تميم، وصحبه جماعة من البحرين منهم يحيى بن محمد الازرق وسليمان بن جامع فكانا قائدين له، وقاتل اهل البحرين فانهمزم وافترقت العرب عنه واتبعه علي بن أبان وسار الى البصرة ونزل في بني ضبيعة وعاملها يومئذ محمد بن رجاء، والفتنة فيها بين البلاءية والسعدية، وطلبه ابن رجاء فهرب وحبس ابنه وزوجته وجماعة من اصحابه، فسار الى بغداد واقام بها حولا وانتسب الى محمد ابن ابي احمد بن عيسى كما قلناه، واستمال بها جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحاني من ولد زيد بن صوحان، ومسروق ورفيق غلامان ليحيى بن عبد الرحمن، وسمى مسروقا حمزة وكناه ابا احمد، وسمى رفيقا جعفرا وكناه ابا الفضل .

ثم وثب رؤساء البلاءية والسعدية بالبصرة واخرجوا العامل محمد بن رجاء، فبلغه ذلك وهو ببغداد، وان اهل خلعوه، فرجع الى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين ويحيى بن محمد وسليمان ابن جامع ومسروق ورفيق، فنزل بقصر القرش ودعا الغلمان من الزوج ووعدهم بالعتق فاجتمع له منهم خلق وخطبهم ووعدهم بالملك ورغبهم في الاحسان، وحلف لهم وكتب لهم في خرقاة : **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾** الآية . واتخذها راية، وجاءه موالي الزوج في عبيدهم، فأمر كل عبد ان يضرب

مولاه وجبهم ثم اطلقهم، ولم يزل هذا رأيه والزنج في متابعتة والدخول في أمره وهو يخطبهم في كل وقت ويرغبهم . ثم عبر دُجَيْلًا الى نهر ميمون، فاخرج عند الحَيْرِي ومملكه وسار الى الأُبَلَّة وبها ابن أبي عون، فخرج اليه في أربعة آلاف فهزمهم ونال منهم .

ثم سار الى القاديسية فنهبا وكثر سلاحهم، وخرج جماعة من اهل البصرة لقتاله فبعث اليهم يحيى بن محمد في خمسمائة رجل، فهزمهم وأخذ سلاحهم . ثم طائفة اخرى كذلك واخرى، وخرج قائدان من البصرة فهزما وقتلا منها، وكانت معها سفن ألقتهما الرياح الى الشطر فغنموا ما فيها وقتلوا وكثر عيثه وفساده . وجاء أبو هلال من قواد الاتراك في أربعة آلاف مقاتل فلقبه على نهر الريان فهزمه الزنج واستلحموا اكثر اصحابه . ثم خرج ابو منصور احد موالي الهاشمين في عسكر عظيم من المطوعة والبلالية والسعدية فسرّح للقائهم علي بن أبان، فلقي طائفة منهم فهزمهم . ثم ارسل طائفة اخرى الى رفا السفن وفيه نحو من ألفي سفينة، فهرب عنها أهلها ونهبوها ثم جاءه عساكر ابي منصور وقعد الزنج لهم بين النخل، وعليهم علي بن ابي أبان ومحمد بن مسلم فهزموا العسكر وقتلوا منهم واخذوا سلاحهم . ثم سار فنهب القرى حتى امتلأت أيديهم بالنهب . ثم سار يريد البصرة ولقيته عساكرها فهزمهم الزنج وانخنوا فيهم .

ثم سار سن الغدن نحو البصرة وخرج اليه اهلها واحتشدوا وزحفوا إليه برأً ومجرأً فلقبهم بالسُّدِّ وانهمزوا هزيمةً شنعاء. كثر فيها القتل. ووهن أهل البصرة وكتبوا الى الخليفة فبعث اليهم جعلان التركي مدداً، ووئى على الأبلّة أبا الأحوص الباهلي وأمه يجند من الأتراك. وقد بث صاحب الزنج أصحابه يميناً وشمالاً للغارة والنهب. ولما وصل جعلان الى البصرة نزل على فرسخ منهم وخندق عليه، وأقام ستة اشهر يسرح لحربهم الزيني مع بني هاشم ومرجف. ثم بيته الزنج فقتلوا جماعة من أصحابه، وتحول عن مكانه، ثم انصرف عن حربهم وظفر صاحب الزنج بعدد من المراكب غنم فيها أموالاً عظيمة، وقتل اهلها وألحّ بالغارات على الأبلّة الى ان دخلها غنوة آخر رجب سنة ست وخمسين، وقتل عاملها أبا الأحوص عبيد الله بن حميد الطوسي وخلقاً من اهلها واستباحها وأحرقها، وبلغ ذلك اهل عبادان فاستأمنوا له وملكها واستولى على ما فيها من الأموال والعبيد والسلاح الى الاهواز، وبها ابراهيم بن المدبر على الخراج، فهرب أهلها ودخلها الزنج ونهبوا واسروا ابن المدبر، فخاف اهل البصرة وافترق كثير منهم إلى البلدان. وبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين، فهزهم واخذ ما معهم واثخن فيهم، وكان ابن المدبر أسيراً عندهم في بيت يحيى بن محمد البَحْرَانِيّ، وقد ضمن لهم ما لا كثيراً

وكل به رجلين قد اخلفهم حتى حفر سرباً من البيت وخرج منه ولحق بأهله .

خلع المهدي وقتله وبيعة المعتمد

وفي أول رجب من سنة ست وخمسين شغب الأتراك من الترك والدور بطلب أرزاقهم وبعث المهدي أخاه أبا القاسم ومعه كفقا وغيره فشكّوهم^(١) وعادوا وبلغ محمد بن بنا أن المهدي قال للأتراك ان الاموال عند محمد وموسى ابني بنا، فهرب الى أخيه بالسند وهو في مقابلة موسى الشاربي فأمنه المهدي ورجع ومعه اخوه حنون وكيغلق، فكتب له المهدي بالامان ورجع الى اصحابه وجلسه وصادده على خمسة عشر الف دينار، ثم قتله وبعث بابكيال بكتابه الى موسى بن بنا بأن يتسلم العسكر واوصاه بمعاربة الشاربي وقتل موسى بن بنا ومفلح، فقرأ الكتاب على موسى وتواطوا على أن يرجع بابكيال فيتدير على قتل المهدي، فرجع ومعه يارجوج واساتكين وسيا الطويل ودخلوا دار الخلافة منتصف رجب، فحبس بابكيال من يديهم واجتمع اصحابه ومعهم الأتراك وشغبوا .

وكان عند المهدي صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور

(١) كذا بالأصل وأنت ترى أن في هذه العبارة أكثر من غلطة، وإليك عبارة ابن الأثير في ج ٥ ص ٣٥٥: في رجب الخامس عشر منه خلع المهدي وتوفي لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه، وكان السبب في ذلك أن أهل الكرخ والدور من الأتراك الذي تقدم ذكرهم تحرّكوا في أول رجب لطلب أرزاقهم فوجه المهدي إليه أخاه أبا القاسم وكيغلق وغيرهما فسكنوهم ورجعوا.

فأشار بقتله ومناجزتهم، فركب في المغاربة والأتراك والفراغنة على التعبية . ومشى والبلخي في الميمنة ويارجوج في اليسرة، ووقف هو في القلب ومعه اساتكين وغيره من القواد، وبعث برأس بابكيال اليهم مع عتاب بن عتاب، ولحق الأتراك من ميمنة المهدي وميسرته باخوانهم الأتراك، فانهزم الباقون عن المهدي وولى منهزماً ينادي بالناس ولا يحبيه احد، وسار الى السجن فأطلق المحبوسين ودخل دار احمد بن جميل صاحب الشرطة، وافتتحوا عليه وحملوه على بغل الى الجوسق، وحبس عند احمد بن خاقان، وارادوه على الخلع فأبى واستأثت، فأخرجوا رقعة بخطه لموسى بن بنا وبابكيال وجماعة القواد انه لا يغدر بهم ولا يقاتلهم ولا يهزم بذلك، ومتى فعل شيئاً من ذلك فقد جعل امر الخلافة بأيديهم يولون من شاءوا، فاستحلوا بذلك امره وقتلوه .

وقيل في سبب خلعه غير هذا وهو ان اهل الكرخ والدور من الأتراك طلبوا الدخول على المهدي ليكلموه فأذن لهم، وخرج محمد بن بنا الى الحمدية، ودخلوا في اربعة آلاف، فطلبوا ان يعزل عنهم قواده ويصادروهم وكتائبهم على الاهواز، ويصير الامر الى اخوته فوعدهم بالاجابة واصبحوا من الفد يطلبون الوفاء بما وعدهم به، فاعتذر لهم بالعجز عن ذلك إلا بسياسة ورفق فأبوا الا المعالجة فاستخلفهم على القيام معه في ذلك بإيمان البيعة فحلفوا ثم كتبوا الى محمد بن بنا عن المهدي وعنهم يعذلونه في غيبتة

عن مجلسهم مع المهدي، وانهم انما جاؤا بشكوى حالهم ووجدوا الدار خالية، فأقاموا ورجع محمد بن بغا فحبسوه في الاموال وكتبوا الى موسى بن بغا ومفلح بالقدوم وتسليم العسكر الى من ذكره لهم، وبعثوا من يقيدهما ان لم يأترا ذلك .

ولما قرئت الكتب على موسى واصحابه امتنعوا لذلك وساروا نحو ساراء، وخرج المهدي لقتالهم على التعبئة وترددت الرسل بينهم بطلب موسى ان يولي على ناحية ينصرف اليها، ويطلب اصحاب المهدي ان يحضر عندهم فيناظرهم على الاموال الى ان انفض عنهم اصحابه وسار هو ومفلح على طريق خراسان، ورجع بابكيال وجماعة من القواد الى المهدي فقتل بابكيال ثم انف الاترك من مساواة الفراغة والمغاربة لهم وارادوا طردهم فابى المهدي ذلك، فخرج الاترك عن الدار بأجمعهم طالين ثار بابكيال، فركب المهدي على التعبئة في ستة آلاف من الفراغة والمغاربة ونحو الف من الاترك اصحاب صالح بن وصيف، واجتمع الاترك للحرب في عشرة آلاف، فانهزم المهدي وكان ما ذكرناه من شأنه . ثم احضر ابو العباس احمد بن المتوكل وكان محبوساً بالجوسق، فبايعه الناس، وكتب الاترك الى موسى بن بغا وهو غائب فعرض وكرمت البيعة لاحمد بن المتوكل ولقب المعتمد على الله، واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فأصبح المهدي ثاني يوم البيعة ميتاً منتصف رجب من سنة ست وخمسين على رأس سنة من ولايته .

ولم يزل ابن خاقان في وزارته الى أن هلك سنة ثلاث وستين من سقطلة بالميدان سال فيها دماغه من منغريه، فاستوزر محمد بن مغلد . ثم سخط عليه موسى بن بغا واختلفا فاستوزر مكانه سليمان ابن وهب، ثم عزله وجبسه وولى الحسن بن مغلد، وغضب الموفق لجبسه ابن وهب وعسكر بالجانب الغربي وترددت الرسل بينهما فاتفقا وأطلقه وذلك سنة أربع وستين .

ظهور العلوية بمصر والكوفة

وفي سنة ست وخمسين ظهر بمصر ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبدالله بن محمد بن الحنفية، ويُعرف بالصوسي، يدعو الى الرضا من آل محمد، وملك أشياء من بلاد الصعيد . وجاءه عسكر أحمد بن طولون من مصر فهزمهم وقتل قائدهم، فجاء جيش آخر فانهزم أمامهم الى الواحات وجمع هنالك جموعاً وسار الى الأشمونين^(١)، فلقية هنالك أبو عبد الرحمن الممرى، وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر كان قد أخذ نفسه بحرب البجاة وغزو بلادهم لما كان منهم في غزو بلاد المسلمين، فاشتد أمره في تلك الناحية وكثر اتباعه . وبعث اليه ابن طولون عسكراً فقال لقائده: أنا ألبث هناك لدفع الاذى عن بلاد المسلمين، فشاوِر أحمد بن طولون فأبى القائد الا من أجزته^(٢) فهزمه العمري .

(١) كذا وفي الكامل ج ٥ ص ٣٦٩: الأشمونين.

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل: فاكتب الى الأمير أحمد عرفه كيف حالي، فإن أمرك بالانصراف فانصرف وإلا فإن أمرك بغير ذلك كنت معذوراً. فلم يجبه إلى ذلك. وقتله، فانهزم جيش ابن طولون.

ولما سمع ابن طولون خبره أنكر عليهم أن لا يكونوا بذكره، فبقي على حاله من الغارة على البجاة حتى أدوا الجزية . فلما جاء الصولي من الاشمونين لقيه العمري فهزمه وعاد العمري الى أسوان واشتد عَيْثُهُ، فبعث اليه ابن طولون العساكر فهرب الى عيذاب وأجاز البحر الى مكة وافترق أصحابه، وقبض عليه والي مكة وبعث به الى ابن طولون فحبسه مدة ثم أطلقه فرجع الى المدينة ومات بها ^(١) وفي هذه السنة ظهر علي بن زيد، وجاءه الشاه بن ميكال من قبل المعتمد في جيش كثيف فهزمه وأثخن في أصحابه . فصرح المعتمد الى حربه كيجور التركي فخرج علي عن الكوفة الى القادسيّة وملك كيجور الكوفة أوّل شوال ، وأقام علي بن زيد ببلاد بني أسد . ثم غزا كيجور آخر ذي الحجة فأوقع به وقتل وأسر من أصحابه ورجع الى الكوفة، ثم الى سر من رأى، وبقي علي هناك الى أن بعث المعتمد سنة تسع ^(٢) عسكرياً فقتلوه بعبكرا وانقطع أمره، وقيل سار الى صاحب الزنج فقتله سنة ستين وفي هذه السنة غلب الحسين بن زيد الطالبي على الري وسار موسى بن بغا اليه .

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل : فلما كان بعد مدة وثب على العمري غلامان له فقتلاه وحلّا رأسه إلى أحد بن طولون، فلما حضرا عنده سألهما عن سبب قتله فقالا : أردنا التقرب إليك بذلك فقتلها وأمر برأس العمري فغسل وكفن ودفن .

(٢) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٥ ص ٣٦٠ : فوجه إليه الخليفة نفراً من القواد فقتلوه بعبكرا في ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائتين .

بقية أخبار الزنج

قد تقدّم لنا أن المعتمد بعث سعيد بن صالح الحاجب لحربهم فأرّقع بهم، ثم عاودوه فأوقعوا به وقتلوا من أصحابه وأحرقوا عسكره، ورجع إلى ساراء فمقد المعتمد على حربهم لجعفر بن منصور الحياط فقطع عنهم ميرة السفن . ثم سار إليهم في البحر فهزموه إلى البحرين، ثم بعث الحبيث عليّ بن أبان من قواده إلى أربل لقطع قنطرتها، فلقى إبراهيم بن سينا منصرفاً من فارس، فأوقع بهم إبراهيم وخرج عليّ بن أبان وسار إبراهيم إلى نهر جيّ وأمر كاتبه شاهين بن بسطام باتباعه . وجاء الخبر إلى عليّ بن أبان بإقبال شاهين فسار ولقيه وهزمه أشدّ من الأوّل، وانصرف إلى جيّ .

وكان منصور بن جعفر الحياط منذ انهزم في البحر لم يعد لقتال الزنج واقتصر على حفر الخنادق وإصلاح السفن، فزحف عليّ بن أبان لحصاره بالبصرة وضيق على أهل البلد وأشرف على دخولها وبعث لاحتشاد العرب، فوافاه منهم خلق فدفعهم لقتال أهل البصرة وفرّتهم على نواحيها فقاتلهم كذلك يومين، ثم افتتحها عليّ بن أبان منتصف شوال وأفحش في القتل والتخريب، ورجع ثم عاودهم ثانية وثالثة حتى طلبوا الأمان فأمنهم وأحضرهم في بعض دور الإمارة فقتلهم أجمعين وحرق عليّ بن أبان الجامع ومواضع من البصرة، واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل وعم النهب وأقام

كذلك أياماً . ثم نادى بالامان فلم يظهر أحد، وانتهى الخبر الى الحبيث فصرف علي بن أبان وولى عليها يحيى بن محمد البحراني .

مسير المولد لمبهم

لما دخل الزنج البصرة وخربوها أمر المعتمد محمداً المعروف بالمولد بالمسير الى البصرة، وسار الى الأُبُلَّةِ ثم زل البصرة واجتمع اليه أهلها، وأخرج الزنج عنها الى نهر معقل . ثم بعث الحبيث قائده يحيى بن محمد لحرب المولد فقاتله عشرة أيام، ووطن المولد نفسه على المقام، وبعث الحبيث الى يحيى بن محمد أبا الليث الأصهباني مدداً وأمرهم بتبيت المولد، فبيتوه وقتلوه تلك الليلة والغد الى المساء . ثم هزموه وغنم الزنج عسكره واتبعه البحراني الى الجامدة، وأوقع بأهلها ونهب تلك القرى أجمع، وعاث فيها ورجع الى نهر معقل .

مقتل منصور الحياط

كان الزنج لما فرغوا من البصرة سار علي بن أبان الى جي، وعلى الاهواز يومئذ منصور بن جعفر الحياط قد ولاه عليها المعتمد بعد موافقته الزنج بالبحرين، فسار الى الاهواز ونزل جي وسار علي بن أبان قائد الزنج لحربه . وجاء أبو الليث الاصهباني في البحر مدداً له، وتقدم الى منصور من غير أمر علي فظفر منصور وقتل الكثير من معه واقلت منهزماً الى الحبيث . ثم واقع علي بن أبان مع منصور فهزمه واتبعه الزنج فحمل عليهم وألقى نفسه في النهر

ليعبر اليهم ففرق، وقيل تقدّم اليه بعض الزنج لما رآه فقتله في الماء . ثم قتل أخوه خلف وغيره من العسكر وولى يارجوج . على عمل منصور أصطخُورَ من قواد الأتراك .

سير الموفق لمحرب الزنج

كان أبو أحمد الموفق، وهو أخو المعتمد بمكة، وكان المعتمد قد استقدمه عندما اشتدّ أمر الزنج وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن، ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليامة والبحرين مكان سعيد بن صالح . ولما انهزم سعيد بن سعيد بن صالح عقد يارجوج لمنصور بن جعفر مكانه على البصرة وكور دجلة والاهواز ثم قتله كما قلنا . فعقد المعتمد لآخيه أبي أحمد الموفق على مصر وقنسرين والعواصم وخلع على مفلح، وذلك في ربيع سنة ثمان وخمسين وسيرهما لحرب الزنج فساروا في عدة كاملة .

وخرج المعتمد بشيع أخاه، وكان عليّ بن أبان يحمي ويحمي ابن محمد البحراني بنهر المباس والحديث في قلة من الناس وأصحابه مترددون الى البصرة لنقل ما نهبوه . فلما نزل الموفق نهر معقل أجفل الزنج الى صاحبهم مرتاعين، فأمر عليّ بن أبان بالمسير اليهم ولقي مفلحاً في مقدمة الموفق فاقتتلوا، وبينما هم يقتتلون اذ أصاب مفلحاً سهم غريب فقتل وانهزم أصحابه وأسر الكثير منهم، ثم

رحل الموفق نحو الأبلّة ليجمع العساكر، ونزل نهر أبي الأسد ووقع الموتان في عسكره فرجع الى بادرد، وأقام لتجهيز الآلة وإزاحة العلل وإصلاح السفن . ثم عاد الى عسكر الحيث فالتفوا واشتدّ الحرب بينهم على نهر أبي الحصب وقتل جماعة من الزنج واستنقذ كثيراً من النساء المسيات، ورجع الى عسكره ببادرد فوقع الحريق في عسكره، ورحل الى واسط، وافترق أصحابه، فرجع الى سامرا واستخلف على واسط .

مقتل البحراني قائد الزنج

كان أصطيخور لما ولي الأهواز بعد منصور الحياط بلغه مسير يحيى بن محمد قائد الزنج الى نهر العباس عند مسير الموفق اليهم، فخرج اليه أصطيخور فقاتله، وعبر يحيى النهر، وغنم سفن الميرة التي كانت عند أصطيخور، وبعث طلائعه الى دجلة فلقوا جيش الموفق فرجعوا هارين، وطلائع الموفق في اتباعهم، وعبروا النهر منهزمين . وبقي يحيى فقاتل وانهزم، ودخل في بعض السفن جريماً وغنم طلائع الموفق غنائمهم والسفن، وأحرقوا بعضها وعبروا الماخورة على يحيى فأزلوه من سفنهم خشية على أنفسهم، فسمى به طبيب كان يداوي جراحه، وقبض عليه وحمل الى سامرا وقطع، ثم قتل، ثم أنفذ الحيث علي بن أنان وسليمان بن موسى الشّراني من قواده الى الأهواز، وضم اليها الجيش الذي كان مع يحيى ومحمد البحراني، وذلك سنة تسع وخمسين فلقيهما أصطيخور بدستيسان

وانهزم أمامها وغرق، وهلك من أصحابه خلق وأسير الحسن بن هزيمة والحسن بن جعفر وغيرها وجسوا، ودخل الزنج الأهواز فأقاموا يُفسدون في نواحيها ويفتمون إلى أن قدم موسى بن بنا.

سير ابن بنا لمحلب الزنج

ولما ملك الزنج الأهواز سنة تسع وخمسين سرح المتمدن لحربهم موسى بن بنا وعقد له على الأعمال، فبعث إلى الأهواز عبد الرحمن بن مفلح، وإلى البصرة اسحاق بن كنداجق، وإلى بادود إبراهيم بن سيار، وأمرهم بمحاربة الزنج. فسار عبد الرحمن إلى علي بن أبان فهزمه أولاً، ثم كانت لعبد الرحمن الكرة ثانياً فأنخن فيهم، ورجعوا إلى الحبيث، وجاء عبد الرحمن إلى حصن تهدي فسكر به، وزحف إليه علي بن أبان فامتنع عليه، فسار إلى إبراهيم بن سيار ببادرود فواقعه، فانهزم أولاً إبراهيم ثم كانت له الكرة ثانياً. وسار ابن أبان في الفيض فأضرموها عليهم ناراً ففروا هارين، وأسير منهم جماعة. وسار عبد الرحمن إلى علي بن أبان، وجاءه المدد من الحبيث في البحر، فبينما عبد الرحمن في حربته اذ بعث علي جماعة من خلفه وشمر بهم، فرجع القهقري ولم يصب منهم شيء، إلا بعض السفن البحرية. ثم راجع عبد الرحمن حرب علي بن أبان وفي مقدمته طاشتمر، فأوقعوا بعلي بن أبان ولحق بالحبيث صاحب الزنج، وأقام عبد الرحمن بن مفلح. وإبراهيم يتناوبان حرب الحبيث ويوقمان به، واسحاق بن كنداجق

بالبصرة يقطع عنه المدد، وهو يبعث لكل منها طائفة يقاتلونهم،
واقاموا على ذلك سبعة عشر شهراً الى أن صُرف موسى بن بَغَا
عن حربهم وَوَلِيَهَا مَسْرُورُ الْبَلْخِي كما نذكر .

استيلاء الصفار على فارس وطبرستان

قد تقدّم استيلاء يَعْقُوبُ بْنُ الْيَثِ الصَّفَّارِ على فارس أَيَّامَ
الْمُعْتَزِّ من يدِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَقْبَلٍ . ثم عادت فَارِسُ الى
الْخَلْفَاءِ وَوَلِيَهَا الْحَرْثُ بْنُ سَيِّمٍ، وكان بها من رجال العراق محمد
ابن واصل بن ابراهيم التميمي، فاتفق مع أحمد بن الليث من
الأكراد الذين بنواحيها ووثبوا بالحرث بن سيما فقتلوه، واستولى
ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين، وقام بدعوة الْمُعْتَمِدِ
وبعث عليها المعتمد الحسن بن الفياض، فسار اليه يعقوب بن الليث
سنة سبع وخمسين، وبلغ ذلك المعتمد فكتب اليه بالانكير، وبعث
اليه الْمُؤَفَّقُ بولاية بَلْخِ وَطَخَارِسْتَانَ فَلَكَهْمَا وَقَبْضُ عَلَى دَنْبِيلٍ،
وبعث الى المعتمد بِرُسُلِهِ وَهَدَايَاهُ . ثم رجع الى بَسْتٍ، واعتزم
على الْعَوْدِ الى سِجِسْتَانَ، فَمَجَّلَ بَعْضُ قُوَّادِهِ الرِّحِيلَ قَبْلَهُ، فغضب
وأقام سنة ثم رجع الى سِجِسْتَانَ .

استيلاء الصفار على خراسان وانقباض أمر بني طاهر منها

ثم استيلائه على طبرستان

ثم جاء الى هَرَّاةَ وحاصر مدينة نيسابور حتى ملكها ثم سار
الى بوشنج وقبض على الحسين بن علي بن طاهر بن الحسين، وبعث

اليه محمد بن طاهر بن عبدالله شافعاً فيه فأبى من اطلاقه، ثم ولى على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع الى سجستان وكان بها عبدالله السحري ينازعه . فلما قوي عليه يعقوب فرّ منه الى خراسان وحاصر محمد بن طاهر في نيسابور، ورجع اليه الفقهاء فأصلحوا بينه وبين محمد، وولاه الطَّبَّسَيْن وقَهْستَانَ، وأرسل يعقوب في طلبه فأجاره محمد فسار يعقوب اليه بنيسابور فلم يطق لقاءه وئزّل يعقوب بظاهرها، فبعث محمد بعمومته وأهل بيته فتلقوه . ثم خرج اليه فوبخه على التفريط في عمله وقبض عليه وعلى أهل بيته، ودخل نيسابور واستعمل عليها، وأرسل الى الخليفة بأن أهل خراسان استدعوه لتفريط ابن طاهر في أمره، وغلبه العلوي على طبرستان فبعث اليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده، وإلا سلك به سبيل المخالفين وذلك سنة تسع وخمسين .

وقيل في ملكه نيسابور غير ذلك وهو ان محمد بن طاهر أصاب دولته المعجز والإدبار، فكاتب بعض قرابته يعقوب بن الصفار واستدعوه، فكتب يعقوب الى محمد بن طاهر بمجيئه الى ناحية موزيا بقصد الحسن بن زيد في طبرستان، وان المعتمد أمره بذلك، وانه لا يعرض شيئاً من أعمال خراسان . وبعث بعض قواده عيناً عليه يمنعه من البراح عن نيسابور، وجاء بعده . وقدم أخاه عمراً الى محمد بن طاهر فقبض عليه وعثقه على الاعمال والمعجز، وقبض على جميع أهل بيته نحو من مائة وستين رجلاً، وحملهم جميعاً الى

سجستان، واستولى على خراسان، ووثب نوابه في سائر أعمالها، وذلك لأحدى عشرة سنة وشهرين من ولاية محمد.

ولما قبض يعقوب على ابن طاهر واستولى على خراسان هرب منازعه عبدالله السجزي إلى الحسن بن زيد صاحب طبرستان، فبعث إليه فيه فأجابه، وسار إلى يعقوب ستة سنين وحاربه فانهمز الحسن إلى أرض الديلم، وملك يعقوب سارية وآمل ومضى في أثر الحسين من عسكره نحو من أربعين ألفاً من الرجل والظهر ونجا بعد مشقة شديدة، وكتب إلى المعتد بذلك وكان عبدالله السجزي قد هرب بعد هزيمة الحسن العلوي إلى الري فسار يعقوب في طلبه، وكتب إلى عامل الري يؤذنه بالحرب إن لم يدفعه إليه، فبعث به إليه وقتله ورجع إلى سجستان.

استيلاء الحسن بن زيد على جرجان

ولما هرب الحسن بن زيد أمام مفلح من طبرستان، ورجع مفلح اعتزم الحسن على الرجوع إلى جرجان فبعث محمد بن طاهر إليها العساكر لحفظها فلم يفتوا عنها، وجاء الحسن فملكها وضعف أمر ابن طاهر في خراسان، وانتقض عليه كثير من أعمالها، وظهر المتخلبون في نواحيها، وعاث السراة من الخوارج في أعمالها ولم يقدر على دفعهم، وآل ذلك إلى تغلب الصفار على ابن طاهر، وانتزع خراسان من يده كما ذكرنا^(١).

(١) هنا بياض بالأصل مقدار صحيفة وفي الطبري ح ١١ ص ٢٦٠: وذكر أنه - أي يعقوب =

فتنة الموصل

كان الْمُعْتَمَدُ قد ولى على الموصل أشاتكين من قُوَادِ الاتراك، فبعث عليها هو ابنه أذْكَرْتَكِين، وسار اليها في جمادى سنة تسع وخمسين، فأساء السيرة وأظهر المنكر وعسف بالناس في طلب الخوارج، وتعرض بعض الايام رجل من حاشيته الى امرأة في الطريق، وتخلصها من يده بعض الصالحين، فأحضره أذكرتكين وضربه ضرباً شديداً، فاجتمع وجوه البلد وقامروا في رفع امرهم الى المعتمد، فركب اليهم ليوقع بهم فقاتلوه وأخرجوه، واجتمعوا على يحيى بن سليمان وولوه أمرهم. ولما كانت سنة احدى وستين ولى استاكين عليها المهيتم بن عبدالله بن العمْدِ الثعلبيّ العدويّ وأمره ان يزحف لحربهم ففعل، وقاتلوه أياماً وكثرت القتلى بينهم، ورجع عنهم المهيتم، وولى أستاذكين مكانه اسحاق بن أيوب الثعلبيّ جدّ بني حمدان وغيره، وحاصرها مدة، ومرض يحيى بن سليمان الامير في اثناها فطمع اسحاق في البلد وجدّ في الحصار، واقتحمها من بعض الجهات فأخرجوه، وحملوا يحيى بن سليمان في قُبّةٍ وألقوه أمام الصّفّ واشتدّ القتال، ولم يزل اسحاق يرأسهم ويعدهم حسن

= الليث - كتب إلى السلطان كتاباً يذكر فيه مسيره إلى الحسن بن زيد، وأنه سار من جرجان إلى طميس فاقتحمها ثم سار إلى سارية، وقد أغرب الحسن بن زيد القناطر ورفع المعابر وعور الطريق، وعسكر الحسن بن زيد على باب سارية متحصناً بأودية عظام، وقد ماله خرشاد بن جيلان وصاحب الديلم فزحف باقتدار فيمن جمع إليه من الطبرية والديلملة والخراسانية والقمية والجبيلية والشامية والجزرية، فهزمته وقتلت عدة لم يبلغها بمهدي عدة، وأسرت سبعين من الطالبين وذلك في رجب وسار الحسن بن زيد إلى الشرر ومعه الديلم.

السيرة الى ان أجابوه على ان يقيم بالرَبَضِ فاقام اسبوعاً، ثم حدثت ممن بانيه بعض الفعلات فوثبوا به وأخرجوه، واستقر يحيى بن سليمان بالموصل .

حروب ابن واصل بفارس

قد تقدم لنا وثوب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي بالحرث بن سيار عامل فارس وتقلبه عليها سنة ست وخمسين، فلما بلغ ذلك الى المعتمد اضاف فارس الى عبد الرحمن بن مفلح وبعثه الى الاهواز وامته بطاشتمر، وزحفوا من الاهواز الى ابن واصل سنة احدى وستين، فسار معهم من فارس ومعه ابو داود المَلُوس، ولقيهم برام هرز فهزمهم، وقتل طاشتمر وأسر ابن مفلح وغنم عسكرهم . وبعث اليه المعتمد في اطلاق ابن مفلح فقتله خفية وسار لحرب موسى بن بتا بواسط، وانتهى الى الاهواز، وبها ابراهيم بن سيار في جموع كثيرة . ولما رأى موسى بن بتا اضطراب هذه الناحية استعفى المعتمد من ولايتهم فأعفاه، وكان عند انصراف ابن مفلح عن الاهواز الى فارس قد ولى مكانه بالساج وأمره بمحاربة الزنج، فبعث صهره عبد الرحمن لذلك فلقبه علي بن أبان قائد الزنج، فهزمه علي وقتله، وانحاز أبو الساج الى عسكر مكرم، وملك الزنج الاهواز فعاثوا فيها .

ثم عزل ابو الساج عن ذلك وولى مكانه ابراهيم بن سيار فلم يزل بها حتى انصرف موسى بن بتا عن الاعمال كلها ولما هزم

ابراهيم بن سيبا بن واصل عبد الرحمن بن مفلح وقتله، طمع
يَعْقُوبُ الصَّفَّارُ في ملك فارس، فسار من سِجِسْتَانِ يُجْدَاءَ ورجع
ابن واصل من الاهواز، وترك محاربة ابن سيبا، وأرسل خاله أبا
بِلَالٍ يَرْدَاسَ الى الصفار، وراجع بالكتب والرسل بجس ابن
واصل رسله، ورحل بعد السير ليفجأه على بنته، وشعر به الصفار
فقال لحاله مرداس ان صاحبك قد غدر بنا وسار اليهم، وقد أعيوا
وتعبوا من شدة السير، ومات أكثرهم عطشاً . فلما تراءى الجمعان
انهزم ابن واصل دون قتال، وغنم الصفار ما في عسكره وما
كان لابن مفلح، واستولى على بلاد فارس وربب بها العُمالَ
وأوقع بأهل زَمَ لاعانتهم ابن واصل، وطمع في الاستيلاء على
الاهواز وغيرها .

سبأ دولة بني سلمان بن النضر

كان جدّهم أَسَدُ بن سامان من أهل خراسان وبيوتها،
وينتسبون في الفرس تارة الى سَامَةَ بن لُؤَيٍّ وإلى ابن غَالِبٍ أخرى .
وكان لَأَسَدٍ اربعة من الولد: نوح وأحمد ويحيى وإلياس . وتقدّموا
عند المأمون أيام ولايته خراسان واستعملهم، ولما انصرف المأمون
الى العراق ولّى على خُراسان غَسَّانَ بن عَبَّاد من قرابة الفضل بن
سهل، فولّى نوحاً منهم على سَمَرْقَنْدَ وأحمد على قَزَغَانةَ، ويحيى
على الشاش وأشروسنة والياس على هَرَاةَ . فلما ولي طاهر بن
الحسين بعده أقرهم على أعمالهم . ثم مات نوح بن أسد فأقر أخوته

يحيى وأحمد على عمله، وكان حسن السيرة . ومات الياس بهراة، فولى عبدالله بن طاهر مكانه ابنه أبا اسحاق محمد بن الياس، وكان لأحمد بن اسد من البنين سبعة نصر ويعقوب ويحيى واسماعيل واسحاق وأسد وكنيته أبو الاشعث وحמיד وكنيته أبو غانم .

فلما توفي أحمد استخلف ابنه نصرأ على أعماله بسمرقند وما إليها، وأقام الى انقراض أيام بني طاهر وبعدهم، وكان يلي أعماله من قبل ولاية خراسان الى حين انقراض أيام بني طاهر . واستولى الصَّفَّارُ على خُراسان، فمقد المتعهد لنصر هذا على أعماله من قبله سنة احدى وستين، ولما ملك يعقوب الصَّفَّارُ خُراسان كما قلنا بعث نصر جيوشه الى شط جَيْحُون مَسْلَحَةً من الصفار، فقتلوا مقدمهم ورجعوا الى بُخَارَى، وخشيمهم وإليها على نفسه فقر عنها، فولوا عليهم ثم عزلوا ثم ولّوا ثم عزلوا فبعث نصر أخاه اسماعيل لضبط بُخَارَى .

ثم وَلَّى خُراسان بعد ذلك رافع بن هَرَثَمَةَ بدعوة بني طاهر، وغلب الصفار عليها، وحصلت بينه وبين اسماعيل صاحب بُخَارَى موالاة اتفاقا فيها على التعاون والتعاقد، وطلب منه اسماعيل اعمال خوارزم، فولاه إياها، وفسد ما بين اسماعيل وأخيه نصر، وزحف نصر اليه سنة اثنتين وسبعين، واستجاش اسماعيل رافع بن هَرَثَمَةَ فسار اليه بنفسه مددًا، ووصل الى بُخَارَى، ثم أوقع الصلح بينه

وبين أخيه خوفاً على نفسه، وإنصرف رافع ثم انتقض ما بينهما وتجاربا سنة خمس وسبعين، وظفر اسماعيل بنصر . ولا حضر عنده ترجل له اسماعيل وقبل يده وردّه الى كرسي امارته بسمرقند، وأقام ثابتاً عنه ببخارى، وكان اسماعيل خيراً مكرماً لاهل العلم والدين .

سير الموفق الى البصرة لمب الزنج وولاية العهد

ولما استعفى موسى بن بغا من ولاية الناحية الشرقية عزم المعتمد على تجهيز أخيه أبي أحمد الموفق ، فجلس في دار العامة وأحضر الناس على طبقاتهم، وذلك في شوال من سنة احدى وستين، وعقد لابنه جعفر العهد من بعده، ولقّبه المَقْوُض الى الله، وضم اليه موسى بن بنا وولاء افريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان ونهر نصدق، وعقد لآخيه أبي أحمد العهد بعده ولقّبه الناصر لدين الله الموفق، وولاء المشرق وبنداد وسواد الكوفة وطريق مكّة واليمن وكنكر وكوردجلة والاهواز وفارس وأصبهان والكرخ والدينور والري وزنجان والسند . وعقد لكل واحد منها لواءين أبيض وأسود، وشرط أنه ان مات وجعفر لم يبلغ يتقدّم الموفق عليه، ويكون هو بعده، وأخذت البيعة بذلك على الناس، وعقد جعفر لموسى بن بغا على أعمال العرب، واستوزر صاعد بن بخلد، ثم نكبه سنة اثنتين وسبعين واستصفاه واستكتب مكانه الصُّفْر اسماعيل بن بابل، وأمر المعتمد

أخاه الموفق بالمسير لحرب الزنج فبعثه في مقدمته واعتزم على
المسير بعده .

وقعة الصفار والموفق

لما كان يعقوب الصفار ملك فارس من يد واصل، وخراسان
من يد ابن طاهر، وقبض عليه صرح المعتمد بأنه لم يؤله ولا فعل
ما فعل بأذنه، وبعث ذلك مع حاج خراسان وطبرستان . ثم سار
الى الاهواز يريد لقاء المعتمد وذلك سنة اثنين وسبعين . فأرسل
اليه المعتمد اسماعيل بن اسحاق وفهواج من قواد الاتراك ليردوه
على ذلك، وبعث معهما من كان في حبسه من اصحابه الذين حبسوا
عندما قبض على محمد بن طاهر، وعاد اسماعيل من عند الصفار
بعزمه على الموصل، فتأخر الموفق لذلك عن المسير لحرب الزنج
ووصل مع اسماعيل من عند الصفار حاجبه درهم يطلب ولاية
طبرستان وخراسان وجرجان والري وفارس والشرطة ببغداد، فولاه
المعتمد ذلك كله مضافاً الى ما بيده من سجستان وكرمان، وأعاد
حاجبه اليه بذلك ومعه عمر بن سيا فكتب يقول : لا بد من
الحضور بباب المعتمد . وارتحل من عسكر مكرم حاماً، وسار
اليه أبو الساج من الاهواز لدخوله تحت ولايته، فأكرمه ووصله
وسار الى بغداد . ونهض المعتمد من بغداد فمسكر بالزعفرانية
وأخوه مسرور البلخي فقاتله منتصف رجب، وانهزمت ميسرة
الموفق وقتل فيها ابراهيم بن سيا وغيره من القواد .

ثم تراجعوا واشتدَّت الحرب، وجاء إلى الموفق محمد بن أوس والداراني مدداً من المعتمد، وفشل أصحاب الصفار لما رأوا مدد الخليفة فانهزموا، وخرج الصفار واتبعهم أصحاب الموفق وغنموا من عسكره نحواً من عشرة آلاف من الظهر، ومن الأموال ما يؤد حمله، وكان محمد بن طاهر معتقلاً معه في العسكر منذ قبض عليه بخراسان، فتخلص ذلك اليوم، وجاء إلى الموفق وخلص عليه وولاه الشرطة ببغداد، وسار الصفار إلى خوزستان فقتل جنديسابور، وأرسله صاحب الزنج يحميه على الرجوع ويعدّه المساعدة، فكتب إليه: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة . وكان ابن واصل قد خالف الصفار إلى فارس وملكها فكتب إليه المعتمد بولايتها، وبعث الصفار إليه جيشاً مع عمر ابن السري من قواده، فأخرجه عنها وولى على الأهواز محمد بن عبدالله بن طاهر . ثم رجع المعتمد إلى سارا والموفق إلى واسط، واعتزم الموفق على اتباع الصفار فقمع به المرض عن ذلك، وعاد إلى بغداد ومعه مسرور البلخي سار بعد موسى وأقطعه ما لأبي الساج من الضياع والمنازل، وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد .

سلسلة أخبار الزنج

قد ذكر أن مسروراً البلخي سار بعد موسى بن بفا لحرب الزنج، ثم سار مسرور للقاء المعتمد وحضر الموفق حرب الصفار، وبلغ صاحب الزنج جاؤا تلك النواحي من العساكر، فبعث

سراياه فيها للتهب والحرق والتخريب في بعث سليمان بن جامع الى البطيحة وسليمان بن موسى الى القادسية . وجاء ابو التركي في السفن يريد عسكر الزنج فأخذ عليه سليمان بن موسى وقاتله شهراً حتى تخلص وانحاز الى سليمان بن جامع، وبعث اليهما الحديث بالمدد، وكان مسرور قد بعث قبل مسيره من واسط جنداً في البحر الى سليمان فهزمهم وأوقع بهم وقتل أسراهم، وزل يرقو مروان قريباً من يعقوب متحصناً بالقياض والأغوار . وزحف اليه قائدان من بغداد وهما أغرتمش وحشيش في العساكر برأ وبجرأ، وأمر سليمان اصحابه بالاختفاء في تلك القياض حتى يسموا أصوات الطبول .

وأقبل اغرتمش، ونهض شردمة من الزنج فواقموا أصحابه وشاغلوهم، وسار سليمان من خلفهم وضرب طبوله وعبروا اليهم في الماء، فانهزم اصحاب اغرتمش وظهر ما كان مختفياً، وقتل حشيش واتبعوهم الى العسكر وغنموا منه، واخذوا من القطع البحرية، ثم استردوها اغرتمش من ايديهم، وعاد سليمان ظافراً وبعث برأس حشيش الى الحديث صاحبه، فبعث به الى علي بن أبان في نواحي الاهواز، وكان مسرور البلخي قد بعث الى كور الاهواز أحمد ابن كيتونة، فقتل الموس وكان صاحب الاهواز من قبل الصفار يكاتب صاحب الزنج ويداريه، ويطلب له الولاية عنه، فشرط عليه ان يكون خليفة لابن أبان، واجتمعا بقم .

ولما رأى أحمد تظافرها رجع الى السوس، وكان علي بن أبان يروم خطبة محمد له بعمله، فلما اجتمعا بتستر خطب للمعتضد والصفار ولم يذكر الحبيث، فغضب علي وسار الى الاهواز . وجاء احمد ابن كيتونة الى تستر، فأوقع بمحمد بن عبدالله وتحصن منه بتستر. وأقبل علي بن أبان اليه فاقتلا واشتد القتال بينهما، وانهزم علي ابن أبان، وقتل جماعة من اصحابه ونجا بنفسه جريحاً في الساريات بالنهر، وعاد الى الاهواز . وسار منها الى عسكر الحبيث، واستخلف علي عسكره بالاهواز حتى داوى جراحه ورجع . ثم بعث أخاه الخليل الى أحمد بن كيتونة بعسكر مكرم فقاتله، وقد أكن لهم فانهزموا، وقتل من الزنج خلق ورجع المنهزمون الى علي بن أبان، وبعث مسلحة الى السرقان فاعترضهم جيش من أعيان فارس أصحاب احمد بن كيتونة، وقتلهم الزنج جميعاً فحظي عنده بذلك وبعث في اثر ابراهيم من قتله في سرخس .

ولما أراد الصفار العود الى سجستان ولّى علي نيسابور عزيز ابن السريّ وعلي هراة أخاه عمرو بن الليث، فاستخلف عمرو عليها طاهر بن حفص الباذغيسيّ وسار الى سجستان سنة احدى وستين، فجاء الحبيث الى اخيه علي وزين له ان يقيم نائباً عنه في أموره بخراسان، وطلب ذلك من اخيه يعقوب فأذن له . ولما ارتحلوا جمع جمعاً وحارب علياً فأخرجه من بلده، ثم غلب عزيز بن السري على نيسابور وملكها أوّل اثنتين وستين، وقام بدعوة بني طاهر .

واستقدم رافع بن هرثة من رجالاتهم فجعله صاحب جيشه، وكتب الى يَمْعُر بن سَرْكَب وهو يحاصر بَلْخ يستقدمه فلم يثق اليه، وسار الى هراة فللكها من يد طاهر بن حفص، وقتله وزحف اليه أحمد وكانت بينهما مواساة . ثم داخل بعض قوَاد احمد الحجستاني في الغدر بيعمر، على ان يَمَكِّنَهُ من أخيه ابي طلحة، فكلف ذلك القائد به فتم ذلك، وكبهم احمد وقبض على يعمر وبعثه الى نائيه بنيسابور فقتله، وقتل أبا طلحة القائد الذي غدر بأخيه وسار الى نيسابور في جماعة، فلقي بها الحسين بن طاهر بروداً من أصبهان طمعاً ان يدعو له احمد الحجستاني كما كان يزعم حين أورد فلم يخطب، فخطب له ابو طلحة وأقام معه بنيسابور، فسار اليهما الحجستاني من هراة في اثني عشر ألفاً .

وقدّم أخاه العباس فخرج اليه ابو طلحة وهزمه، فرجع احمد الى هراة ولم يقف على خير أخيه، وانتدب رافع وهرثة الى استعلام خبره واستأمن الى ابي طلحة فأمنه ووثق اليه . وبعث رافع الى أحمد بنجر أخيه العباس، ثم أنفذ طاهر الى يَمْعُر لجباية مالها وضم معه قائدين لذلك، فجي المال وقبض على القائدين وانتقض . وسار الى الحجستاني ونزل في طريقه بقرية وبها علي بن يحيى الخارجي، فنزل ناحية عنه . وركب ابن طاهر في اتباعه فادر كه بتلك القرية، فأوقع بالخارجي يظنه رافعاً، ونجا رافع الى الحجستاني . وبعث ابن طاهر اسحاق الشاربي الى جرجان لمحاربة

الحسن بن زيد والذئلم منتصف ثلاث وستين، فأثنى في الديلم ثم انتفض على ابن طاهر، فسار اليه وكبسه اسحاق في طريقه فانهمزم الى نيسابور واستضعفه أهلها فأخرجوه، فأقام على فرسخ منها، وجمع جمعاً وحاربهم، ثم كتب على أهل نيسابور، الى اسحاق باستدعائه ومساعدته علي بن طاهر وأبي طلحة، وكتب الى أهل نيسابور عن اسحاق بالمواعدة . وسار اسحاق أبو محمد في قلة من الجند، فاعترضه أبو طلحة وقتله وحاصر نيسابور، فاستقدموا الخجستاني من هراة وأدخلوه .

وسار أبو طلحة الى الحسن بن زيد مستنجداً فأنجده ولم يظفر، وعاد الى بلخ وحاصرها سنة خمس وستين، وخرج للخجستاني من نيسابور به، وحاربه الحسن بن زيد لمساعدته أبا طلحة . وجاء أهل جرجان مَدداً للحسن، فهزمهم الخجستاني وأغرمهم أربعة آلاف درهم . ثم جاء عمرو ابن الليث الى هراة بعد وفاة أخيه يعقوب الصفار، وعاد الخجستاني من جرجان الى نيسابور، وسار اليه عمرو من هراة فاقتتلا وانهمزم عمرو ورجع الى هراة، وأقام أحمد بنيسابور .

وكانت الفقهاء بنيسابور يميلون الى عمرو لتولية السلطان إياه، فأوقع الخجستاني بينهم الفتنة ليشغلهم بها، ثم سار الى هراة سنة سبع وستين وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر منه بشيء، فسار نحو سجستان وترك نائبه بنيسابور فأساء السيرة وقوى أهل الفساد،

فوثب به أهل نيسابور واستعانوا بعمر بن الليث وبعث اليهم جنداً يقبض على نائب الحجستاني وأقاموا بها، ورجع من سجستان فأخرجهم وملكها وأقام إلى تمام سبع وستين، وكاتب عمرو أبا طلحة وهو يجاصر بلخ فقدم عليه وأعطاه أموالاً واستخلفه بخراسان، وسار إلى سجستان، وسار أحمد إلى سرخس ولقي أبو طلحة فهزمه أحمد ولحق بسجستان، وأقام أحمد بطخارستان. ثم جاء أبو طلحة إلى نيسابور فقبض على أهل الحجستاني وعياله، وجاء أحمد من طخارستان إلى نيسابور وأقام بها. ثم تبين لابن طاهر أن الحجستاني إنما يروم لنفسه، وليس على ما يدعيه من القيام بأمرهم.

وكان على خوارزم أحمد بن محمد بن طاهر، فبعث قائده أبا العباس النوفلي إلى نيسابور في خمسة آلاف مقاتل، وخرج أحمد أمامهم وأقام قريباً منهم، وأفحش النوفلي في القتل والضرب والتشويه، وبعث إليه الحجستاني فنهاه عن مثل ذلك ف ضرب الرسل، فلحق أهل نيسابور بالحجستاني وأستدعوه وجاؤا به وقبض على النوفلي وقتله. ثم بلغه أن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبد الله ابن طاهر يبرو، فسار إليه من أسورد في يوم وليلة وقبض عليه وولى عليها موسى البلخي، ثم وافاها الحسين بن طاهر فأحسن فيهم السيرة ووصل إليه نحو عشرين ألف درهم، وكان الحجستاني لما بلغه أخذ والدته من نيسابور وهو بطخارستان وسار مجداً، فلما بلغ هراة أتاه غلام لابي طلحة مستأمناً فأمنه وقربه فنص به

وغلامه الخالصة عنده والجنود، وطلب الفرصة في قتل الحجستاني وكان قد غور ساقية قطع، فاتفقا على قتله فقتلاه في شوال سنة ثمان وستين . وانفذ دامجور خاتمه الى الاسطبل مع جماعة فركبوا الدواب وساروا بالخبر الى ابي طلحة ليستقدموه ، وأبطأ ظهوره على القواد فدخلوا فوجدوه قتيلاً، وأخبرهم صاحب الاسطبل بنهر الخاتم والدواب، وطلبوا دامجور فلم يجدوه ثم عثروا عليه بعد أيام فقتلوه، واجتمعوا على رافع بن هرثة وكان من خبره ما نذكره .

استيلاء الحفار على الاهواز

ثم سار يعقوب الصفار من فارس الى الاهواز، وأحمد بن كيتونة قائد مسرور البلخي على الاهواز مقيم على تستر، فرحل عنها وئزى يعقوب جنديسابور، ففر كل من كان في تلك النواحي من عساكر السلطان، وبعث الى الاهواز من اصحابه الخضر بن المعير، فافرج عنها علي بن أبان والزنج وئزلوا السدرة، ودخل خضر الاهواز، وأقام أصحاب الخضر وابن أبان يغير بعضهم على بعض . ثم فر ابن أبان وسار الى الاهواز فأوقع بالخضر وفتك في أصحابه وغنم، ولحق الخضر بمسكر مكرم، واستخرج ابن أبان ما كان بالاهواز ورجع الى نهر السدرة . وبعث يعقوب الى الخضر مدداً وأمره بالكف عن قتال الزنج والمقام بالاهواز، فأبى

ابن أبان من ذلك إلا ان ينقل طعاماً ما كان هناك فنقله
وتوادعوا .

استيلاء الزنج على واسط

قد تقدم لنا واقعة أغرقش مع سليمان بن جامع، وظفر سليمان
به، فلما انقضى أمره سار سليمان الى صاحب الخبيث ومرت في طريقه
بمعسكر تكين البخاري وهو يردد، فلما جاذاه قريباً أشار عليه
الجناني ان يغير على المعسكر في البحر ويستطرد لهم لينتهزوا
منهم الفرصة ففعل، وجاء مستطرداً وقد أكنوا لهم الكمناء حتى
أجازوا موضع الكائن . وركب سليمان اليهم وعطف الجناني على
من في النهر وخرجت الكائن من خلفهم فأثخنوا فيهم الى
معسكرهم، ثم بيتوهم ليلاً فنالوا منهم، وانكشف سليمان قليلاً،
ثم عبر أصحابه وأتاهم من وجوه عديدة برأ وبجراً، فانهزم تكين
وغنم الزنج عسكره . ثم استخلف سليمان على عسكره الجناني،
وسار الى صاحب الخبيث سنة ثلاث وستين . ومضى الجناني بالمعسكر
لطلب الميرة ، فاعترضه جعلان من قواد السلطان وهزمه وأخذ
سيفه .

ثم زحف منكجور ومحمد بن علي بن جيب من القواد، وبلغ
الحجاجية فرجع سليمان مغدداً الى طهتا يريد جعلان وفي مقدمته
الجناني . ثم كثر الى ابن خبيث فهزمه وقتل أخاه وغنم ما معه .
ثم سار في شعبان الى قرية حسان فأوقع بالقائد هناك جيش ابن

خمار تكين وهزمه ونهب القرية وأحرقها . ثم بعث العساكر في الجهات للنهب برأ وبجرأ، واعترض جملان بعضهم فأوقع بهم، ثم سار سليمان الى الرصافة فأوقع بالقائد بها واستباحها وغنم ما فيها ورجع الى منزله بمدينة الحبيث، وجاء مطر الى الحجاجية فعات فيها وأسر جماعة منها كان منهم القاضي سليمان، فحمله الى واسط . ثم سار الى طهتا وكتب الجنابي بذلك الى سليمان فوافاه لاثنتين من ذي الحجة، وجاء أحمد بن كيتونة بعد أن كان سار الى الكوفة وجبيل، فعاد الى البريدية وصرف جملان وضبط تلك الاعمال، وأوقع تكين بسليمان وقتل جماعة من قواده . ثم ولي الموفق على مدينة واسط محمد بن الوليد وجاءه في العساكر، واستمد سليمان صاحبه بالخليل بن أبان في ألف وخمسمائة مقاتل، فزحف الى ابن المولد وهزمه واقتحم واسط بها منكجور البخاري فقاتله عامة يومه، ثم قتل ونهب البلد وأحرقها وانصرف سليمان الى جبيل، واستدعوه في نواحيها تسعين ليلة .

استيلاء ابن طولون على الشام

كان على دمشق أيام المعتمد ماجور من قواد الاتراك، فتوفي سنة أربع وستين وقام ابنه علي مكانه . وتجهز أحمد بن طولون من مصر الى دمشق، وكتب الى ابن ماجور بان المعتمد اقطعه الشام والشفور فأجاب بالطاعة، وسار أحمد واستخلف على مصر ابنه العباس، ولقيه ابن ماجور بالزملة فولاه عليها، وسار الى

دمشق فملكها وأقر القوّاد على اقطاعهم . ثم سار الى حمص فملكها ثم حماة ثم حلب، وكان على انطاكية وطرسوس سيما الطويل من قوّاد الاتراك، فبعث اليه ابن طولون بالطاعة، وأن يقره على ولايته فامتنع، فسار اليه ودلّوه على عَوْزَةٍ في سور البلد نصب عليها المجانيق، وقاتله فملكها عَنوَةً وقتل سيما في الحرب، فسار ثم قصد طرسوس فدخلها واعتزم على المقام بها ويريد الغزو . وشكا أهلها غلاء السعر وسألوه الرحيل فرحل عنهم الى الشام، ومضى الى حران وبها محمد بن أتامش فحاربه وهزمه واستولى عليها .

ثم جاءه الخبر بانتقاض ابنه العباس بمصر وانه أخذ الاموال وسار الى بَرْقَةِ فلم يكثرث لذلك، وأصلح أحوال الشام وأثّرل بِجَرَّانٍ عسكرياً وولى مولاه لؤلؤاً على الرِّقَةِ وأثّرل معه عسكرياً، وبلغ موسى بن أتامش خبر أخيه محمد فجمع العساكر وسار نحو جَرْجان وبها أحمد بن جيفونة من قوّاد ابن طولون فأهل مسيره، وقال له بعض الاعراب واسمه أبو الاعز لا يهكم أمره فانه طَيَّاشٌ قَلِقٌ وأنا آتيك به ا فقال افعل ا وزاده عشرين رجلاً، وسار الى عسكر موسى بن أتامش، فأكن بعض أصحابه ودخل العسكر بالباقي على زِيّ الأعراب، وقصد الحيل المرتبطة عند خيام ابن موسى فأطلقها وصاحوا فيها فنفرت واحتاج العسكر وركبوا واستطرد لهم أبو الأعز حتى جاوز الكمين وموسى في أوائلهم، فخرج الكمين

وانهزم أصحاب موسى من ورائه، وعطف عليه أبو الأعز فأخذه أسيراً وجاء به الى ابن جيفونة؛ وبعث به الى ابن طولون فاعتقله وعاد الى مصر وذلك سنة ست وستين .

ومن أخبار الزنج ان سليمان احتفر نهراً يمر الى سواد الكوفة ليتمياً له الغارة على تلك النواحي وكان أحمد بن كيتونة ^(١) فكبسهم وهم يعلمون، وقد جمروا عساكرهم لذلك فأوقع بهم وقتل منهم نحواً من أربعين قائداً وأحرق سفنهم، ورجع سليمان هزوماً الى طهتا. ثم عدت عساكر الزنج على النعمانية واستباحوها وصار أهلها الى جرجرايا وأجفل أهل السواد الى بغداد، وزحف علي بن أبان بعسكر الزنج الى تستر فحاصرها وأشرف على أخذها. وكان الموفق يستعمل على كور الأهواز مسروراً البلخي فولى عليها تكين البخاري فساد اليها ووافاها أهل تستر في تلك الحال فأغرى علي بن أبان وهزمه، وقتل من الزنج خلقاً وثرل تستر. وبعث ابن أبان جماعة من قواد الزنج ليقيموا بقنطرة فارس، وجاء عين بخبرهم الى تكين فكبسهم وهزمهم وقتل منهم جماعة. وسار ابن أبان فانهزم أمامه وكتب ابن أبان الى تكين يسأله المودة فوادعه بعض الشيء، واتهمه مسرور فساد وقبض عليه وجبسه عند عجلان ابن أبان، وفر منه أصحابه وطائفة الى الزنج وطائفة الى محمد بن عبدالله الكرخي ثم أمّن الباقيين فرجعوا اليه .

(١) كذا يباض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢٠ : أحمد بن ليشويه، وهو عامل الموفق بجنبله.

موت يعقوب الصفار وولاية عمر وأخيه

وفي سنة خمس وستين أخريات شوال مات يعقوب الصفار وقد كان افتتح الرجح وقتل ملكهما وأسلم أهلها على يده، وكانت مملكة واسعة الحدود. وافتتح زابلستان وهي غزنة، وكان المعتمد قد استماله وقتله أعمال فارس. ولما مات قام أخوه عمرو بن الليث وكتب إلى المعتمد بطاعته، فولاه الموفق من قبله ما كان له من الاعمال : خراسان وأصبهان والسند وسجستان والشرطة ببغداد وسر من رأى وقبله عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وخلع الموفق عمرو بن الليث، وولى على أصبهان من قبله أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف محمد بن أبي الساج .

أخبار الزنج مع أغرتمش

قد كان تقدم لنا إيقاع سليمان بن جامع بأغرتمش وحربه بعد ذلك مع تكين وجملان ومطر بن جامع وأحمد بن كيتونة واستيلائه على مدينة واسط . ثم ولى أغرتمش مكان تكين البخاري ما يتولاه من اعمال الاهواز فدخل تستر في رمضان ومعه مطر بن جامع، وقتل جماعة من اصحاب أبان كانوا مأسورين بها . ثم سار إلى عسكر مكرم، ووافاه هناك علي بن أبان والزنج، فاقتتلوا ثم تجاوزوا لكثرة الزنج، ورجع علي إلى الاهواز وسار أغرتمش إلى الخليل بن أبان ليحبروا إليه من قنطرة أربل، وجاءه أخوه علي وخاف أصحابه المخلفون بالاهواز فارتحلوا إلى نهر

السروة وتحارب علي واغترش يوماً ثم رجع عليّ الى الاهواز ولم يجد اصحابه، فبعث من يردهم اليه فلم يرجعوا . وجاء اغترش وقتل مطر ابن جامع في عدّة من القوَاد، وجاء المدد لابن أبان من صاحبه الحبيث فوادعه اغترش وتركه .

ثم بعث محمد بن عبيد الله الى أَيْكَلَاي ابن الحبيث في ان يرفع عنه يد ابن أبان فزاد ذلك في غيظه، وبعث يطالبة محمد بالخراج ودافعه فساد اليه، وهرب محمد من دَامَهْرْمَز الى اقصى معاقله، ودخل عليّ والزنج دامهرمز وغنموا ما فيها . ثم صالحه محمد على مائتي ألف درهم، وترك أعماله . ثم استنجد محمد بن عبيد الله على الاكراد، على أنْ لعلّ غنائمهم، فاستخلف عليّ على ذلك مُجَلِّز، وطلب منه الرهن فمطلّ وبعث اليه الجيش فزحف بهم الى الاكراد . فلما نشب القتال انهزم اصحاب محمد فانهزم الزنج وأثخن الاكراد فيهم، وبعث عليّ من يعترضهم فاستلبوهم، وكتب علي الى محمد يتهدده فاعتذر وردّ عليهم كثيراً من أسلّابهم، وخشي من الحبيث وبعث الى اصحابه ما لا يسألوه في الرضا عنه، فأجابهم الى ذلك على ان يقيم دعوته في أعماله ففعل كذلك . ثم سار ابن أبان لحصار مؤتة واستكثر من آلات الحصار، وعلم بذلك سرور البلخي وهو بكور الاهواز فساد اليه ووافاه عليها ، فانهزم ابن أبان وترك ما كان حمله هناك، وقتل من الزنج خلق، وجاء الخبر بمسير الموفق اليهم .

استرجاع ابن الموفق ما غلب عليه الزنج من أعمال دجلة

لما دخل الزنج واسط وعاثوا فيها كما ذكرناه؛ بعث الموفقُ ابنه أبا العباس، وهو الذي ولي الخلافة بعد المعتد، ولقب المعتضد فبعثه أبوه بين يديه في ربيع سنة ست وستين في عشرة آلاف من الحيل والرجال، وركب لتشييعه، وبعث معه السفن في النهر، عليها أبو حمزة نصر، فسار حتى وافى الحيل والرجل والسفن النهرية وعلى مقدمته الجناني وانهم نزلوا الجزيرة قريباً من بردوبا، وجاءهم سليمان بن موسى الشمراني مدداً بمثل ذلك، وان الزنج اختلفوا في الاحتشاد، ونزلوا من السفح الى أسفل واسط ينتهزون الفرصة في ابن الموفق لما يظنون من قلة درأته بالحرب. فركب أبو العباس لاستعلام أمرهم ووافى نصيراً فلقبهم جماعة من الزنج فاستطرد لهم أولاً، ثم كرّ في وجوهم وصاح بنصير فرجع وركب أبو العباس السفن النهرية فهزم الزنج وأثنى فيهم، واتبعهم ستة فراسخ، وغنم من سعيهم وكان ذلك أول الفتح.

ورجع سليمان بن جامع الى نهر الاعمين، وسليمان بن موسى الشمراني الى سوق الخيس، وأبو العباس على فرسخ من واسط يفاديهم القتال ويروّحهم. ثم احتشد سليمان وجاء من ثلاثة وجوه، وركب في السفن النهرية وبرز اليه نصير في سفنه، وركب معه أبو العباس في خاصته وأمر الجند بمحاذاته من الشط، ونشب الحرب فوقعت الهزيمة على الزنج وغنم سفنهم، وأفلت سليمان والجناني

من الملكة، وبلغوا طهتاء، ورجع ابو العباس الى معسكره وأمر
باصلاح السفن المغنومة، وحفر الزنج في طريق الجبل الآبار وغطوها،
فوقع بعض الفرسان فيها، فعدل جند السلطان عن ذلك الطريق .
وأمر الحبيث أصحابه بالسفن في النهر وأغاروا على سفن أبي العباس،
وغنموا بعضها وركب في اتباعهم واستنقذ سفنهم، وغنم من
سفنهم نحواً من ثلاثين، وجدّ في قتالهم وتحصن ابن جامع بطهتاء،
وسمى مدينته المنصورة. والشعراfi بسوق الخيس، وسمى مدينته
المنبعة .

وكان أبو العباس يغير على الميرة التي تأتيهم من سائر النواحي،
وركب في بعض الايام الى مدينة الشعراfi التي سماها المنبعة،
وركب نصير في النهر وافترقوا في مسيرهم، واعترضت أبا العباس
جاعة من الزنج فنحوه من طريق المدينة وقاتلوه مقدار نهاره،
وأشاعوا قتل نصير، وخالفهم نصير الى المدينة فأئخن فيها وأضرموا
النار في بيوتها . وجاء الخبر بذلك الى أبي العباس بسيرة . ثم جاء
نصير ومعه اسرى كثيرون فقاتلوا الزنج وهزموهم، ورجع ابو
العباس الى معسكره، وبعث الحبيث الى ابن ابان وابن جامع فأمرهما
بالاجتماع على حرب أبي العباس .

وصول الموفق لمب الزنج وفتح المنبعة والمنصورة

كان الموفق لما بعث ابنه ابا العباس لحرب الزنج تأخر لامداده
بالخشود والمُدّ وإزاحة علاله ومسارقة أحواله، فلما بلغه اجتماع ابن

ابان وابن جامع لحربه سار من بغداد اليه فوصل الى واسط في ربيع الاول من سنة سبع وستين، ولقيه ابنه واخبره بالاحوال، ورجع الى عسكره . وزل الموفقُ على نهر شَدَّاد، وزل ابنه شرقي دجلة على موهة^(١) بن مساور، فأقام يومين ثم رحل الى المنبوعة بسوق الخميس سار اليها في النهر، ونادى بالمقامة ولقيه الزنج فعاربوه . ثم جاء الموفق فانهزموا واتبعهم اصحاب ابي العباس فاقترحوا عليهم المنبوعة وقتلوا خلقاً واسروا آخرين وهرب الشعراي واختفى في الآجام آخرون، ورجع الموفقُ الى عسكره وقد استنقذ من المسلمات نحو خمس عشرة امرأة ثم غدا على المنبوعة فأمر بنهبها وهدم سورها وطمر خندقها واحرق ما بقي من السفن فيها، وبيعت الاقوات التي أخذت فكانت لاحد لها فصرفت في الجند . وكتب الخبيث الى ابن جامع يحذره مثل ما نزل بالشعراي وجاءت العيون الى الموفق ان ابن جامع بالخوانيت فسار الى الضبيّة وأمر ابنه بالسير في النهر الى الخوانيت فلم يلق ابن جامع بها، ووجد قائدين من الزنج استخلفهم عليها بحفظ الغلات ولحق بمدينة المنصورة بطهتا فقاتل ذلك الجند ورجع الى أبيه بالخبر فأمره بالمسير اليه، وسار على أثره برأً وبحراً حتى نزلوا على ميلين من طهتا، وركب لبيوني مقاعد القتال على المنصورة فلقية الزنج وقاتلوه وأسروا جماعة من غلمانهم .

(١) الموهة: ماء الوجه . ولا معنى لها هنا . ولعلها «ماعة» وهي الماء . وتصغيرها موية .

ورسّى أبو العباس بن الموفق أحمد بن مهدي الجناني فمات وأوهم موته، ثم ركب يوم السبت آخر ربيع من سنة سبع وعبّى عسكره وبعث السفن إلى البحر الذي يصل إلى المنصورة، ثم صلى وابتهل بالدعاء وقدم ابنه أبا العباس إلى السور، واعترضه الجند فقاتلهم عليه واقتحموا وولوا منهزمين إلى الخنادق وراءه فقاتلوه عندها واقتحمها عليهم كلها، ودخلت السفن المدينة من النهر فقتلوا وأسروا وأجلوهم عن المدينة، وما اتصل بها وهو مقدار فرسخ، وملكه الموفق وأفلت ابن جامع في نفر من أصحابه. وبلغ الطلاب في أثره إلى دجلة وكثر القتل في الزنج والأسر، واستنقذ العباس من نساء الكوفة وواسط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف، وأعطى ما وجد في المنصورة من الذخائر والاموال للاجناد، وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة. ولما جاء جماعة من الزنج إلى الآجام اختفوا فأمر بطلبهم وهدم سور المدينة وطم خنادقها وأقام سبعة عشر يوماً في ذلك ثم رجع إلى واسط.

حصار مدينة الفيث المقاتلة وفتحها

ثم إن الموفق عرض عساكره وأزاح عللهم وسار معه ابنه أبو العباس إلى مدينة الحبث فأشرف عليها، ورأى من حصانتها بالأسوار والخنادق ووعر الطرق، وما أعد من الآلات للحصار ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه. ولما عين الزنج عساكر الموفق دهشوا وقدم ابنه أبا العباس في السفن حتى ألصقها بالأسوار فرموه

بالحجارة في الجانبين والمقاليع والأيدي، ورأوا من صبره وأصحابه ما لم يحتسبوه . ثم رجعوا وتبعهم مستأمنة من المقاتلة والملاحين نزعوا الى الموفق فقبلهم وأحسن اليهم، فتتابع المستأمنون في النهر، فوكل الخيـث بفوهة النهر من منعمهم وتبعي أهل السفن للحرب مع جهود قائد الخيـث، فزحف اليه أبو العباس في السفن وهزمه وقتل الكثير من أصحابه، ورجع فاستأمن اليه بعض تلك السفن النهرية وكثير من المقاتلة فأمنهم وأقام شهراً لم يقاتلهم .

ثم عبى عساكره منتصف شعبان في البر والبحر وكانوا نحواً من خمسين ألفاً . وكان الزنج في نحو ثلثائة الف مقاتل ، فأشرف عليهم ونادى بالأمان إلا للخيـث ، ورمى بالرقاع في السهام بالأمان ، فجاء كثير منهم ولم يكن حرب . ثم رحل من مكانه وزل قريباً من المختارة ، ورتب المنازل من انشاء السفن ، وشرع في اختطاط مدينة لتزله سماها المَوْصِيَّة . فأكمل بناءها وشيد جامعها وكتب بحمل الأموال والميرة اليها ، وأغلب الحرب شهراً فتتابع الميرة الى المدينة ، ورحل اليها التجار بصنوف البضائع ، واستبحر فيها العمران ونفقت الأسواق ، وجلبت صنوف الاشياء .

ثم أمر الموفق ابنه أبا العباس بقتال من كان من الزنج خارج المختارة فقاتلهم وأثنى فيهم ، فاستأمن اليه كثير منهم فأمنهم ووصلهم وأقام الموفق أياماً يحاصر المحاررين ويصل المستأمنين ،

واعترض الزنج بعض الوفاد^(١) الجائية بالميرة، فأمر بترتيب السفن على مخارج الأنهار، ووكل ابنه أبا العباس بحفظها، وجاءت طائفة من الزنج بعض الايام الى عسكر نُصير يريدون الايقاع به، فأوقع بهم وظفر ببعض القواد منهم، فقتل رشقاً بالسهم، وتتابع المستأمنة فبلنوا الى آخر رمضان خمسين ألفاً.

ثم بعث الخبيث عسكراً من الزنج مع علي بن أبان ليأتوا من وراء الموفق اذا نأشبههم الحرب، ونفى اليه الخبر بذلك فبعث ابنه أبا العباس فأوقع بهم، وحملت الأسرى والرؤوس في السفن النهرية ليراها الخبيث وأصحابه، وظنوا أن ذلك تمويه، فرميت الروس في المجانيق حتى عرفوها، فظهر منهم الجزع وتكررت الحرب في السفن بين أبي العباس وبين الزنج، وهو يظهر عليهم في جميعها حتى انقطعت الميرة عنهم، فاشتد الحصار عليهم وخرج كثير من وجوه أصحابه مستأمنين، مثل محمد بن الحرث القمي وأحمد اليربوعي. وكان من اشجع رجاله القمي منهم موكلاً بحفظ السور فأمنهم الموفق ووصلهم، وبعث الخبيث قائدين من أصحابه في عشرة آلاف ليأتوا البطحة من ثلاثة وجوه، فيعبروا من تلك النواحي ويقطعوا الميرة عن الموفق. وبلغ الموفق خبرهم فبعث اليهم عسكراً مع مولاة ونزل فأوقع بهم وقتل وأسر، وأخذ منهم أربعمائة سفينة.

(١) بمعنى «الوفود».

ولما تتابع خروج المستأمنة وكل الحبيث من يفظها، وجهدهم الحصار فبعث جماعة من قواده إلى الموفق يستأمنون، وأن يناشئهم الحرب ليجدوا السبيل إليه فأرسل ابنه أبا العباس إلى نهر الغربي وبه علي بن أبان فاشتد الحرب، وظهر أبو العباس على ابن أبان، وأمدته الحبيث وابن جامع ودامت الحرب عامة يومهم، وكان الظفر لابي العباس، وسار إليه المستأمنة الذين واعدوه. وانصرف أبو العباس إلى مدينة الحبيث وقاتل بعض الزنج طمعاً فيهم لقتلهم، فتكاثروا عليه، ثم جاء المدد من قبل أبيه فظهر عليهم. وكان ابن جامع قد صعد في النهر وأتى أبا العباس من ورائه، وخفقت طبوله، فأنكشف أصحاب أبي العباس، ورجع منهزمة الزنج فأجبت جماعة من غلمان الموفق وعدة من أعلامهم، وحامى أبو العباس عن أصحابه حتى خلصوا، وقوي الزنج بهذه الواقعة، فأجمع الموفق العبور إلى مدينتهم بعسكره.

فعبى الناس لذلك من الغداة آخر ذي الحجة، واستكثر من المعابر والسفن وقصدوا حصن أوكان بالمدينة وفيها أنكلابي بن الحبيث وابن جامع وابن أبان، وعليه المجانيق والآلات، فأمر غلمانه بالدنو منه فحاصروا لاعتراض نهر الأترار بينهم وبينه، فصاح بهم فقطعوا النهر سبحاً وتناولوا الركن بالسلاح يهدمونونه، ثم صعدوا عليه وملكوه ونصبوا به علم الموفق وأحرقوا ما كان عليه من الآلات وقتلوا من الزنج خلقاً عظيماً. وكان أبو العباس يقاتلهم من الناحية الأخرى

وابن أبان قبالتة، فهزمه ووصل أصحاب أبي العباس إلى السور
فثلموه ودخلوا، ولقيهم ابن جامع فقاتلهم حتى رذهم إلى موافقهم.
ثم توافى الفعلة فثلموا السور في مواضع ونصبوا على الخندق
جسراً عبر عليه المقاتلة، فانهزم الزنج عن السور واتبعهم أصحاب
الموفق يقتلونهم إلى دير ابن سحمان فلكه أصحاب الموفق وأحرقوه،
وقاتلهم الزنج هناك. ثم انهزموا فبلغوا ميدان الخبيث، فركب
من هالك، وانهزم عنه أصحابه وأظلم الليل ورجع الموفق بالناس،
وتأخر أبو العباس لحمل بعض المستأمنين في السفن واتبعه بعض
الزنج وقالوا من آخر السفن. وكان يهود بازاء مسرور البلخي
فقال من أصحابه واستأمن بعض المنهزمين من الزنج والأعراب
بعثوا بذلك من عبادان والبصرة، وكان منهم قائده ريجان أبو
صالح المعري فأمنهم الموفق وأحسن اليهم وضم ريجان إلى أبي العباس.
وخرج في الحرم إلى الموفق من قواد الخبيث وثقاته جعفر بن
إبراهيم المعروف بالسجان، فأحسن إليه الموفق وحمله في بعض
السفن إلى قصر الخبيث، فوقف وكلم الزنج في ذلك وأقام الموفق
أياماً استجيم فيها أصحابه، فلما كان منتصف ربيع الثاني قصد مدينة
الخبيث وفرق القواد على جهاتها ومعهم النقيبون للسور، ومن ورائهم
الرماة يحمونهم. وتقدم اليهم أن لا يدخلوا بعد المهزم إلا بأذنه،
فوصلوا إلى السور وثلموه وحاربوا الزنج من ورائه وهزموهم
وبلغوا بعد ما وصلوا إليه بالامس. ثم تراجع الزنج وحاربوا من

المكانن فرجع أصحاب الموفق نحو دجلة بعد ان نال منهم الزنج، ورجع الموفق الى مدينته، ولام أصحابه على تقدمهم بغير اذنه .
ثم بلغ الموفق ان بعض الأعراب من بني تميم يجلبون الميرة الى الزنج فبعث اليهم عسكرياً أنخروا فيهم قتلاً وأسراً ويحيى بالأسرى فقتلهم ، وأوعز الى البصرة بقطع الميرة فانقطعت عن الزنج بالكلية ، وجهدهم الحصار وكثر المستأمنة واقترق كثير من الزنج في القرى والامصار البعيدة، وبث الموفق دعائه فيهم، ومن أبى قتله. وعرض المستأمنين وأحسن اليهم ليستسلمهم وتابع الموفق وابنه قتال الزنج، وقتل يهود بن عبد الواحد من قواد الخيـث في تلك الحروب ، فكان قتله من أعظم الفتح ، وكان قتله في السفن البحرية ينصب فيها اعلاماً كأعلام الموفق، ويحلب أطراف العسكر فيصيب منهم . وأفلت في بعض الأيام من يد أبي العباس بعد ان كان حصل في قبضته . ثم نخل أخرى لبعض السفن طامعاً فيها فحاربوه وطمع به بعض الثقات مما فسقط في الماء . وأخذ أصحابه فأت بين أيديهم ، وخلق الموفق على الغلام الذي طعمه وعلى أهل السفينة . ولما هلك يهود قبض الخيـث على بعض أصحابه وضربهم على ما له ، فاستفسد قلوبهم وهرب كثير منهم الى الموفق فوصلهم وطاعوا بالأمان ليعيهم . ثم اعترم على العبور الى الزنج من الجانب الغربي وكانت طرقه ممتلئة بالخيـل ، فأمر بقطعها وأدار الخنادق على مسكره حذراً من البيات . ثم

صعب على الموفق القتال من الجانب الغربي لكثرة أوعاره وصعوبة مسالكه ، وما يتوجه فيها على أصحابه من خيل الزنج لقلّة خبرتهم بها ، فصرف قصده الى هدم أسوارهم ، وتوسعت الطرق فهدم طائفة من السور من ناحية نهر سلمي ، وبأشر الحرب بنفسه ، واشتد القتال وكثرت القتلى في الجانبين وفشت الجراح ، وكانت في النهر قنطرتان يعبر منهما الزنج عند القتال ويأتون أصحاب الموفق من ورائهم ، فأمر بهدمهما فهدمتا . ثم هدم طائفة من السور ودخلوا المدينة وانتهوا الى دار ابن سيمان من خزائن الحبث ودواوينه . ثم تقدموا الى الجامع فخربوه وجاءوا بمنبره الى الموفق بعد ان استمات الزنج دونه فلم يَنْتَوْا به . ثم أكثروا من هدم السور وظهرت علامات الفتح ، ثم أصاب الموفق في ذلك اليوم سهم في صدره ، وذلك لحس بقين من جمادى سنة تسع وستين ، فعاد الى عسكره . ثم صابح الحرب تقوية لقلوب الناس . ثم لزم الفراش واضطرب العسكر ، وأشير عليه بالذهاب الى بندگان فابى ، فاحتجب عن الناس ثلاثة اشهر حتى اندمل جرحه . ثم ركب الى الحرب فوجد الزنج قد سدّوا ما تشلم من الأسوار فأمر بهدمها كلّها ، واتصل القتال مما يلي نهر سلمي كما كان ، والزنج يظنون انهم لا يأتون الا منها فركب يوماً لقتالهم ، وبعث السفن أسفل نهر ابي الخصيب ، فانتهاوا الى قصر من قصور الزنج فأحرقوه وانتهبوا ما فيه ، واستنقذوا كثيراً من الساكن فيه .

ورجع الموفق آخر يومه ظافراً. ثم بكر لحربهم فوصلت
المقدمات دار أنكلاي بن الخبيث وهي متصلة بدار ابيه، وأشار
ابن أبان بإجراء المياه على الساج وحفر الخنادق بين يدي العساكر،
وأمر الموفق بطم الخنادق والانهار، ورام احراق قصره وقصده من
دجلة فنسج من ذلك كثرة الحماة عنه، فأمر أن تسقف السفن
بالأخشاب وقطلى بالادوية المانعة من الاحراق. ورتب فيها انجاد
أصحابه، وباتوا على أهبة الزحف من الغد. وجاء كاتب الخبيث
وهو محمد ابن سمعان عشاء ذلك اليوم مستأثماً، وبكروا الى الحرب
وأمر الموفق ابنه أبا العباس باحراق منازل القواد المتصلة بقصر
الخبيث ليشغلهم عن حمايته، وقصدت السفن المطلية قصر الخبيث
فأحرقوا الراشن والأبنية الخارجة وعلت النار فيه ورموا بالنار
على السفن فلم تؤثر فيها.

ثم حصر الماء من النهر فزحفت السفن، فلما جاء الدعاة الى
القصر أحرقوا بيوتاً كانت تشرع على دجلة، واشتعلت النار فيها
وقويت. وهرب الخبيث وأصحابه وتركوها وما فيها. واستولى
أصحاب الموفق على ذلك كله واستنقذوا جماعة من النساء، وأحرق
قصر أنكلاي ابنه، وجرحا، وعاد الموفق عشاء يومه مظفراً. ثم
بكر من الغد للقتال وأمر نصيراً قائد السفن بقصد القنطرة التي
كان الخبيث عملها في نهر ابي الحبيب دون القنطرة التي كان
اتخذها، وفرق المسكر في الجهات فدخل نصير في أول المد ولصق

بالقنطرة واتصل الشد من ورائه فلم يقدر على الرجوع حتى حصر
الما. عنها، وفطن لما الزنج فقصدوها فالتقى الملاحون أنفسهم في
الما، وألقى نصير نفسه وقاتل ابن جامع ذلك اليوم أشد قتال .
ثم انهزم وسقط في الحريق فاحترق، ثم خلاص بعد الجهد .

وانصرف الموفق سالماً وأصابه مرض المفاصل واتصل به الى
شعبان من سنته، فامسك في هذه المدة عن الحرب حتى أبلى فأعاد
الحديث القنطرة التي غرق عندها نصير وزاد فيها وأحكمها، وجعل
امامها سكرأ من الحجارة ليضيق المدخل على السفن، فبعث الموفق
طائفة من شرقي نهر ابي الحصب وطائفة من بحريه ومعهم القطة
لقطع القنطرة؛ وجعل امامها سفناً مملوءة من القصب لتصيبها النار
بالنفط فيحترق الجسر، وفرق جنده على القتال وساروا لما أمرهم
عاشر شوال، وتقدموا الى الجسر ولقيهم انكلاي بن الحبيث وابن
أبان وابن جامع، وحاموا على القنطرة لهمم بما في قطعها من المضرة
عليهم، ودامت الحرب عليها الى العشي .

ثم غلبهم أصحاب الموفق عليها ونقضها النجّارون ونقضوا
الاتقال التي دونها وأدخلوا السفن بالقصب وأضرموها ناراً، ووافت
القنطرة فاحرقتهما ووصل النجارون بذلك الى ما أرادوا . وسهل
سبيل السفن في النهر، وقتل من الزنج خلق واستأمن آخرون،
وانتقل الحبيث بعد حرق قصوره ومساكن اصحابه الى الجانب
الشرقي من نهر ابي الحصب، ونقل اسواقه اليه وتبين ضعفه

فانقطعت عنه الميرة وفقدت الاقوات وغلت حتى اكل بعضهم بعضاً واجمع الموفق ان يحرق الجانب الشرقي كما احرق الغربي . فقصد دار الممندان وكان حصيناً وعليه الآلات ، فلما انتهى اليها تعذر الصعود لعلو السور فرموا بالكلايب ونشبت في أعلام الخبيث وجذبوها فتساقطت فانهزم المقاتلة وصعد النفاطون فاحرقوا ما كان عليها من الآلة ، ونهبوا الاثاث والمتاع . واتصل الحريق بما حولها من الدور ، واستأمن للموفق جماعة من خاصة الخبيث فأمّنهم ، ودلوه على سوق عظيمة متصلة بالجر الأول تسمى المباركة ، وبها التجار الذين بهم قواهم ، فقصدها لاحتراقها وخاربه الزنج عندها ، وأضرّم أصحابه النار فيها فاتصلت وبقي التحريق عامّة اليوم .

ثم رجع الموفق ، ثم انتقل التجار بامتنعهم وأموالهم الى أعلى المدينة ، ثم فعل الخبيث في الجانب الشرقي بعد هذه من حفر الخنادق وتنوير الطرق مثل ما كان فعل في الجانب الغربي ، واحتفر خندقاً عريضاً حصّن به منازل أصحابه على النهر الغربي . ثم خرّق الموفق باقي السور الى النهر الغربي بعد حرب شديدة كانت عليه ، وكان للخبيث جمع من الزنج وهم أشجع أصحابه ، وقد تحصنوا بحصن منيع يخرجون على أصحاب الموفق عند الحرب فيموقونهم فاجع على تحريبه وجمع المقاتلة عليه براً وبحراً وفرّتهم على سائر جهاته وجهات الخبيث ، وأمد الخبيث الحصن بالمهلي وابن جامع ،

فلم يغنوا عنه وانهزموا وتركوا الحصن في يدي أصحاب الموفق وهزموه وقتلوا من الزنج خلقاً، وخلصوا من الحصن كثيراً من النساء والصبيان، ورجع الموفق الى عسكره ظافراً.

استيلاء الموفق على البصرة الغربية

ولما هدم الموفق سور دار الحبيث أمر بتوسعة الطرق للحرب، وأحرق الجسر الأول الذي على نهر أبي الحصبب ليمنع من مدد بعضهم بعضاً، فكان في احراقه حرب عظيمة. وأعدت لذلك سفينة ملئت قصباً وجعل فيها النفط، وأرسلت في قوة المدد، فتبادر الزنوج اليها وغرقوها. فركب الموفق الى فوهة نهر أبي الحصبب وقصدهم من غربي النهر وشرقيه الى ان انتهوا الى الجسر من غربيه وعليه أنكلاي بن الحبيث وابن جامع فأحرقوه، وفعل مثل ذلك من الجانب الشرقي، فاحترق الجسر والحظيرة التي كانت لانشاء السفن وسجن كان هناك للخبيث. وانحاز هو وأصحابه من الجانب الغربي، واستأمن كثير من قواده فأمنهم وأخرجوا ارسالاً وخرج قاضيه هارباً، ووكل بالجسر الثاني من يحفظه. وأمر الموفق ابنه أبا العباس بأن يتجهز لاحراقه فزحف في انجاد غلمانة ومعه الفعلة والآلات.

وكان في الجانب الغربي قبالة أبي العباس أنكلاي وابن جامع، وفي الجانب الغربي قبالة أسد مولى الموفق الحبيث نفسه والمهلي. وجاءت السفن في النهر وقاتلوا حامية الجسر فانهزم ابن

جامع وانكلاي وأضرمت النار في الجسر ، ولما وافيا وهو مضطرم نارا ألقيا أنفسهما في النهر فخلصا بعد ان غرق من أصحابهما خلق ، واحترق الجسر واتصل الحريق بدورهم وقصورهم وأسواقهم وافترق الجيش في الجانبين ونهبت دار الخبيث واستنقذ من كان في حبسه من النسوة والرجال . وأخرج ما كان في نهر أبي الحبيب من أصناف السفن الى دجلة ، ونهبها أصحاب الموفق ، واستأمن انكلاي بن الخبيث وعلم أبوه فثناه عن ذلك . واستأمن بن سليمان ابن موسى الشعрани من رؤساء قواده فاجيب بعد توقف . ولما خرج تبعه أصحاب الخبيث فقاتلهم ووصل الى الموفق فأحسن اليه ، واقتفى أثره في ذلك شبل بن سالم من قواده ، وعظم على الخبيث وأوليائه استئمان هؤلاء ، وصار شبل ابن سالم يخرج في سرايا الى عسكر الخبيث ويكثر النكاية فيهم .

استيلاء الموفق على الجهة الشرقية

وفي خلال هذه الحروب واتصالها رن أصحاب الموفق على تحلل تلك المسالك والشعاب مع تضايقها ووعرها ، وأجمع الموفق على قصد الجانب الشرقي في نهر أبي الحبيب ، وندب لذلك قواد المستأمنة لخبرتهم بذلك دون غيرهم ، ووعدهم بالاحسان والزيادة فأبوا وسألوه الاقالة فأبى لتمييز مناصحتهم . وجمع سفن دجلة من كل جانب ، وكان فيها عشرة آلاف ملاح من المرتقة . وأمر ابنه أبا العباس بقصد مدينة الخبيث الشرقية من جهاتها ، فسار الى دار

المهلي وهو في مائة وخمسين قطعة من السفن قد شحنها بأنجاد غلمانه، وانتخب عشرة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير حفاقي النهر يشاهد أحوالهم، وبكر الموفق لثمان خلون من ذي القعدة زاحفاً للحرب، فاقتتلوا ملياً وصبروا . ثم انهزم الزنج وقتل منهم خلق وأسر آخرون فقتلوا، وقصد الموفق يجمعه دار الحبيث، وقد جمع الحبيث أصحابه للدفاع فلم يفتنوا عنه وانهزموا وأسلموها فنهبا أصحاب الموفق وسبوا حريمه وبنيه وكانوا عشرين . ونجا الى دار المهلي ونهبها واشتغل أصحابهم جميعاً بنقل الغنائم الى السفن، فاطمع ذلك الزنج فيهم وتراجعوا وردوا الناس الى مواقعهم . ثم صدق الموفق الحلة عشيّ النهار فهزم الزنج الى دار الحبيث ورجع الناس الى عسكره، ووصله كتاب لؤلؤ غلام ابن طولون يستأذنه في القدوم عليه فأخر القتال الى حضوره .

مقتل صاحب الزنج

ولما وصل غلام ابن طولون في ثالث المحرم من سنة سبعين وجاء في جيش عظيم، فأحسن اليهم الموفق وأجرى لهم الارزاق على مراتبهم، وأمره بالتأهب لقتال الحبيث . وقد كان لما غلب على نهر أبي الحبيب وقُطِعَتِ القناطر والجسور التي عليه، أحدث فيه سكرأ وضيق جرّية الماء ليمنع السفن من دخوله اذا حضر، ويتعذّر خروجها أمامه . وبقي جرّيه لا يتهماً الا بإزالة ذلك السكر . فحاول ذلك مدّة والزنج يدافعون عنه . ودفع الموفق لذلك لؤلؤاً

في أصحابه لِيَسْتَمُونَا عَلَى حَرْبِ الزَّيْجِ فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ وَالطَّرِيقِ
فَأَحْسَنُوا الْبَلَاءَ فِيهَا وَوَصِلَهُمْ وَأَلْحَ عَلَى الْعُسْكَرِ، وَهُوَ كُلُّ يَوْمٍ
يَقْتُلُ مُقَاتِلَهُمْ وَيَحْرِقُ مَسَاكِنَهُمْ وَيَقْتُلُ الْمُسْتَأْمِنَةَ مِنْهُمْ . وَقَدْ كَانَ
بَقِيَ بِالْجَلَّةِ الْفَرَسِيَّةِ بَقِيَّةٌ مِنْ أَيْدِيهِ وَمِزَارِعٌ، وَبِهَا جَمَاعَةٌ يَحْفَظُونَهَا .
فَسَارَ إِلَيْهِمْ أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَوْقَعَ بِهِمْ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ .
ثُمَّ غَلِبَهُمْ عَلَى السِّكْرِ وَأَحْرَقَهُ وَاعْتَزَمَ عَلَى لِقَاءِ الْحَبِيثِ وَقَتَّمْ
ابْنَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ إِلَى دَارِ الْمُكَلَّبِ وَأَضَافَ الْمُسْتَأْمِنَةَ إِلَى شَيْبَلِ بْنِ
سَالِمٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْتَظِرُوا بِالْقِتَالِ نَفْخَ الْبُوقِ، وَنَصَبَ عَلَيْهِ الْأَسْوَدَ
عَلَى دَارِ الْكَرْمَانِيِّ . ثُمَّ صَدَّ إِلَيْهِمْ وَزَحَفَ النَّاسُ فِي الْبَرِّ وَالنَّهْرِ،
وُتِفِخَتِ الْأَبْوَاقُ، وَذَلِكَ لثَلَاثَ بَقَيْنَ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ سَبْعِينَ
وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَانْهَزَمَ الزَّيْجُ وَمَاتَ مِنْهُمْ قِتْلًا وَغَرَقًا مَا لَا يُحْصَى
وَاسْتَوْلَى الْمُوَفَّقُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَاسْتَنْقَذُوا الْأَسْرَى وَأَسْرَوْا الْخَلِيلَ
وَابْنَ أَبَانَ وَأَوْلَادَهُمَا وَبَنِيَّاهُمَا، وَمَضَى الْحَبِيثُ وَمَعَهُ ابْنُهُ
انْكَلايَ وَابْنُ جَامِعٍ، وَقَوَادُ مِنْ الزَّيْجِ إِلَى مَوْضِعِ بَنِي السُّفْيَانِيِّ،
كَانُوا أَعَدُّوهُ مَلْجَأً إِذَا غَلِبَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَاتَّبَعَهُ الْمُوَفَّقُ فِي السُّفُنِ
وَلَوْ لَوْ فِي الْبَرِّ . ثُمَّ اقْتَحَمَ النَّهْرَ بِفَرَسِهِ وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ فَأَوْقَعُوا
بِالْحَبِيثِ وَمِنْ مَعَهُ حَتَّى عَبَرُوا نَهْرَ السَّامَانَ وَاعْتَصَمُوا بِجَبَلٍ وَرَاءَهُ،
وَرَجَعَ لَوْ لَوْ عَنْهُمْ وَشَكَرَهُ الْمُوَفَّقُ وَرَفَعَ مَتْرَلَهُ وَاسْتَبَشَرَ النَّاسُ
بِالْفَتْحِ .

وَجَمَعَ الْمُوَفَّقُ أَصْحَابَهُ فَوَبَّخَهُمْ عَلَى انْقِطَاعِهِمْ عَنْهُ فَاسْتَعْذَرُوا

بأنهم ظنوا انصرافه . ثم تحالفوا على الاقدام والثبات حتى يظفروا
وسألوه أن ترد المعابر التي يعبرون فيها ليستमित الناس في حرب
عدوهم ، فوعدهم بذلك وأصبح ثالث صفر فعبى المراكب وبعثهم
الى المراكز ورد المعابر التي عبروا فيها ، وتقدم العسكر
فاوقفوا بالحبيث وأصحابه ففضوا جماعة وأنخنوا فيهم قتلاً وأسرأ
وافترقوا كل ناحية . وثبت مع الحبيث لئنة من أصحابه ، فيهم
المهلي ، وذهب ابنه أنكلاي وابن جامع وأتبع كلاً منهم طائفة
من العسكر بأمر أبي العباس بن الموفق . ثم أسر ابراهيم بن جعفر
الهمداني فاستوثقوا منه .

ثم كر الحبيث والمنهزمون معه على من اتبعهم من أهل
العسكر فأزالوهم عن مواقعهم . ثم رجعوا ومضى الموفق في اتباع
الحبيث الى آخر نهر أبي الحبيب ، فلقيه غلام من أصحاب لؤلؤ
برأس الحبيث وسار أنكلاي نحو الديناري ومعه المهلي . وبعث الموفق
أصحابه في طلبهم فظفر بهم وبمن معهم ، وكانوا زهاء خمسة آلاف ،
فاستوثق منهم ثم استأمن اليه وزمونة ، وكان عند البطيحة قد
اعتصم بمغايض وآجام هنالك يُخيف السابلة وينير على تلك النواحي ،
وعلى الواردين الى مدينة الموفق . فلما علم بموت الحبيث سقط
في يده وبعث يستأمن ، فأمنه الموفق فعسنت توبته ورد العصبوبات
الى أهلها ظاهراً ، وأمر الموفق بالنداء برجوع الزنج الى موطنهم
فرجعوا وأقام الموفق بمدينة الموقية ليأمن الناس بمقامه وولى

على البصرة والأبلة وكور دجلة محمد بن حماد، وقدم ابنه أبا العباس الى بغداد فدخلها منتصف جمادى من سنة سبعين، وكان خروج صاحب الزنج آخر رمضان سنة خمس وخمسين، وقتله أول صفر سنة سبعين لاربعة عشرة سنة وأربعة أشهر من دولته .

ولاية ابن كنداج على الموصل

لما سار أحمد بن موسى بن بنا الى الجزيرة وولى موسى بن اناش على ديار ربيعة فتغير لذلك اسحاق بن كنداج، وفارق عسكره ووقع بالاكراد اليقويّة وانتهب اموالهم ثم لقي ابن مُساوِدَ الخارجي فقتله وسار الى الموصل، فقاطع أهلها على مال، وكان عليهم عليّ بن داود قائداً، فدفعه وسار ابن كنداج اليه، فخرج عليّ بن داود واجتمع حمدان بن حمدون الثعلبيّ، واسحاق بن عُمر بن أيوب بن الخطّاب الثعلبيّ العدويّ، فكانوا خمسة عشر، وجاءهم عليّ بن داود فلقبهم اسحاق في ثلاثة آلاف فهزمهم بدسيّة من اهل مسيرتهم . وسار حمدان وعليّ بن داود الى نيسابور وابن أيوب الى نصيبين وابن كنداج في اتّباعه فسار عنها واستجار بعيسى ابن الشيخ الشيبانيّ وهو بأمد وابي العزّ موسى بن زُرارة وهو عامل أردن، فأنجدها وبعث المتمد الى اسحاق بن كنداج بولاية الموصل، فدخلها وارسل اليه ابن الشيخ وابن زُرارة مائة الف دينار على ان يُقرّهم على اعمالهم فأبى، فاجتمعوا على حربه فرجع الى اجابته . ثم حاربوه سنة سبع وستين . واجتمع لحربه

اسحاق بن ايوب وعيسى ابن الشيخ وابو العزبن حمدان بن حمدون في ربيعة وثعلب وبكر واليمن، فهزمهم ابن كنداج الى نصيبين ثم الى آمد، وتمر^(١) عسكر الحصار ابن الشيخ بآمد وكانت بينهم حروب .

حروب الخوارج بالموصل

كان مُساورُ الخارِجيّ قد هلك في حروبه مع العساكر سنة ثلاث وستين بالبوارسح، وأراد أصحابه ولاية محمد بن حَرْدَاد بشهرزور، فامتنع وبايعوا أيوب بن حَيَّان المعروف بالفلّام، فقتل فبايعوا هارون بن عبد الله البجليّ وكثر أتباعه، واستولى على بلد الموصل، وخرج عليه من أصحابه محمد بن حَرْدَاد، وكان كثير العبادة والزَّهْدِ يجلسُ على الأرض ويلبسُ الصوف الغليظ ويركبُ البقر لئلا يفرّ من الحرب . فنزل واسطَ وجاء وجوه أهل الموصل فسار اليهم وهارون غائب في الاحشاد، فبادر اليه واقتتلا وانهزم هارون وقتل من أصحابه نحو مائتين . وقصد بني ثعلب^(٢) مستنجداً بهم فأنجدوه وسار معه حمدان بن حمدون، ودخل معه الموصل، ودخل ابن حرداد واستمال هارون أصحابه، ورجع الى الحُدَيْثَةِ، ولم يبق مع ابن حرداد إلا قليل من الاكراد قالوا الى هارون بالموصل، فخرج وأوقع بابن حرداد فقتله وأوقع بالاكراد الجَلالِيَّة، وكثر

(١) حر الرجل: تحرق غضباً، وحره: قال له يا حمار.

(٢) كذا، ولعلها بني ثعلب.

أتباعه وغلب على القرى والرساتيق، وجعل على دجلة من يأخذ الزكاة من الاموال المصعدة والمنحدرة، ووضع في الرساتيق من يقبض اعتبار الغلات، واستقام أمره . ثم جاء بنو ساسان لقتاله سنة ست وسبعين، واستنجد بمحمدان بن حمدون فجاءه بنفسه وسار الى نهر الخازن، وانهزمت طليعتهم وانهزموا بانهزامها، وجاء بنو شيبان الى فسا فانجفل أهلها وأقام هارون وأصحابه بالمدينة .

أخبار رافع بن هرثمة من بعد الخجستاني

لما قُتل أحمد الخجستاني سنة ثمان وستين كما قدّمناه اجتمع أصحابه على رافع بن هرثمة من قواد محمد بن طاهر، وكان رافع هذا لما استولى يعقوب الصفار على نيسابور، وزال بنو طاهر صار رافع في جلته وصحبه الى سجستان . ثم أقصاه عن خدمته وعاد الى منزله بنواحي جي، حتى استخدمه الخجستاني وجعله صاحب جيشه . فلما قُتل الخجستاني اجتمع الجيش عليه بهرة وأمروه، وسار الى نيسابور فحاصر بها أبا طلحة بن شركب، وقد كان وصل اليها من جرجان فضيق عليه الخنق، ففارقها أبو طلحة الى مرو، وولى على هراة ابن المهدي، وخطب لمحمد بن طاهر يمزو وهراة، وزحف اليه عمرو بن الليث فهزمه وغلبه على ما بيده . واستخلف على مرو محمد بن سهل بن هاشم، وخرج أبو طلحة الى مكند، واستعان بإسماعيل بن أحمد الساماني، فأمدّه بعسكر وأخرج محمد بن سهل، وخطب بها لعمرو بن الليث سنة احدى وسبعين .

ثم قُلِدَ الْمُوَفَّقُ تِلْكَ السَّنَةَ أَعْمَالَ خُرَاسَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ
بِبَغْدَادَ، فَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا رَافِعَ بْنَ اللَّيْثِ وَأَقْرَأَ عَلَى مَا وَرَاءَ النَّهْرِ
نَصْرَ بْنَ أَحْمَدَ، وَوَرَدَتْ كُتُبُ الْمُوَفَّقِ بِعِزْلِ عَمْرِو بْنِ اللَّيْثِ وَلَعْنَهُ،
فَسَارَ رَافِعٌ إِلَى هَرَاةٍ وَقَدْ كَانَ بِهَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهْدِيِّ خَلِيفَةُ أَبِي
طَلْحَةَ، فَتَارَ عَلَيْهِ يُوسُفُ بْنُ مَعْبُدٍ . فَلَمَّا جَاءَ رَافِعٌ اسْتَأْمَنَ إِلَيْهِ
فَأَمَّنَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى هَرَاةٍ مَهْدِيَّ بْنَ مُحْسِنٍ . ثُمَّ سَارَ رَافِعٌ إِلَى
أَبِي طَلْحَةَ بِمَرْوَ بَعْدَ أَنْ اسْتَمَدَّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ وَأَمَدَّهُ بِنَفْسِهِ فِي
أَرْبَعَةِ آلَافٍ فَارِسَ، وَاسْتَقْدَمَ عَلَيَّ بْنَ مُحْسِنٍ الْمَرْوَرُوزِيَّ فَقَدَّمَ عَلَيْهِ
فِي عَسْكَرِهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَبِي طَلْحَةَ بِمَرْوَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ،
فَهَزَمُوهُ وَعَادَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى بَخَارَى وَلَحِقَ بِأَبِي طَلْحَةَ وَبِهَا مَهْدِيٌّ،
فَاجْتَمَعَ مَعَهُ عَلَى مَخَالِفَةِ رَافِعٍ فَهَزَمَهُمَا رَافِعٌ، وَلَحِقَ أَبُو طَلْحَةَ بِعَمْرِو
ابْنِ اللَّيْثِ . وَقَبِضَ عَلَى مَهْدِيٍّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ثُمَّ خَلَّى سَبِيلَهُ،
وَسَارَ رَافِعٌ إِلَى خَوَارِزْمَ فَجَبَى أَمْوَالَهَا وَرَجَعَ إِلَى نِيسَابُورَ .

مُغَاظِبَةُ الْمُعْتَمَدِ لِلْمَوْفَّقِ وَسَيِّدَةِ ابْنِ طُولُونٍ وَمَا نَشَأَ مِنْ الْفِتْنَةِ لِجَلِّ ذَلِكَ

كَانَ الْمُوَفَّقُ حَدَّثَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ طُولُونٍ وَحِشَةً وَأَرَادَ عِزْلَهُ،
وَبَعَثَ مُوسَى بْنَ بَنَّا فِي الْعَسَاكِرِ إِلَيْهِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِينَ فَأَقَامَ
بِالرَّقَّةِ عَشْرَةَ أَشْهُرَ، وَاخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْعَسْكَرُ فَرَجَعَ . وَكَانَ الْمُوَفَّقُ
مُسْتَدِيدًا عَلَى أَخِيهِ الْمُعْتَمَدِ مِنْذُ قِيَامِهِ بِأَمْرِ دَوْلَتِهِ مَعَ مَا كَانَ مِنْ
الْكِفَايَةِ وَالْقَنَاءِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ الْمُعْتَمَدُ يَتَأَقَّفُ مِنَ الْحَجْرِ . وَكُتِبَ
إِلَى أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ فِي السَّرِّ يَشْكُو ذَلِكَ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِاللِّهَاقِ إِلَيْهِ

يُبَصِّرَ لِنَصْرِهِ . وبعث عسكراً الى الرقة في انتظاره وكان الموفق مشغولاً بحرب الزنج ، فسار المُتَمَدُّ منتصف سنة تسع وستين في القواد مُظْهِراً أنه يتصيّد . ثم سار الى اعمال الموصل وعليها يومئذ وعلى سائر الجزيرة أصحاب كِنْدَاج . وكتب صاعِدُ بن مُخَلَّد وزير الموفق عن الموفق الى اسحاق برّده عن طريقه والقبض على من معه من القوّاد .

فلما وصل المُتَمَدُّ الى عمله أظهر اسحاق طاعته فارتحل في خدمته الى أوّل عمل ابن طولون . ثم اجتمع بالمتمد والقوّاد وفيهم نيزك وأحمد بن خاقان وغيرهم فعدّ لهم في المسير الى ابن طولون والمقام تحت يده ، وطال الكلام بينهم ملياً ، ثم دعاهم الى خيمته للنظر في ذلك أديباً مع المعتمد ، وقبدهم وجاء الى المُتَمَدُّ فعذله في المسير عن دار خلافته ومغاضبة أخيه ، وهو في دفاع عدوه ومن يريد خراب ملكه ، وحمل الجميع الى سامراً وقطع ابن طولون الدعاء للموفق على منابره وأسقط اسمه من الطيّر (١) ، وغضب الموفق بسبب ذلك على أحمد بن طولون وحمل المعتمد على أن يُشار بلعنه على المنابر .

وولى اسحاق بن كنداج على أعماله وفوض اليه من باب الشامية الى افريقية . وكان لؤلؤ مولى ابن طولون عاملاً له على خنص وحلب وقنسرين وديار مصر من الجزيرة . وكان منزله بالرقة ،

فانتقض عليه في هذه السنة وسار الى بَاسَ فنهبا، وكتب الى الموفق فمرّ بقرقيسيا وبها ابن صفوان المَقِيلِيّ، فحاربه وغلبه عليها وسلّمها الى أحمد بن مالك بن طوق . ووصل الى الموفق في عسكر عظيم وهو يقاتل صاحب الزنج فأكرمه الموفق وأحسن هو الثناء في تلك الحرب . ثم بعث ابن طولون في تلك السنة جيشه الى مَكَّةَ لاقامة المُوَيْم، وعامل مكة هارون بن محمد ففارقها خوفاً منهم، وبعث الموفق جَعْفَرًا في عسكرٍ فقوي بهم هارون ولقوا أصحاب ابن طولون فهزموهم وصادروا القائد على ألف دينار . وقرى الكتاب في المسجد بلمن ابن طولون، وانقلب أهل مِصْرَ الى بلدهم آمنين . ولم يزل لؤلؤ في خدمة الموفق الى أن قُبِضَ عليه سنة ثلاث وسبعين، وصادره على أربعائه ألف وأدبر أمره ثم عاد الى مِصْرَ آخر أيام هارون بن حَمَادِيَه .

وفاته ابن طولون ومسير ابن كنداج الى الشام

وفي سنة سبعين انتقض بازمان الخادم بطرُسوس وقبض على نائبه، وسار اليه أحمد بن طولون في العساكر وحاصروه فامتنع عليه، فرجع الى انطاكية فمرض هنالك ومات لست وعشرين سنة من ولايته على مِصْرَ وولي بعده ابنه تَمَارَوَيْه، وانتقضت عليه دمشق فبعث اليها العساكر وعادت الى طاعته . وكان يومئذ بالموصل والجزيرة اسحاق بن كِنْدَاج وعلى الانبار والرحبة وطريق الفرات محمد بن أبي الساج، فكاتبا الموفق في المسير الى الشام

واستمداه فأذن لهما ووعدهما بالمدد، فسارا وملكا ما يجاورهما من بلادهم، واستولى اسحاق على انطاكية وحلب وحمص، وكاتبه نائب دمشق، واجتمع الخلاف على خارويه فسار اليه فهرب الى شيزر وهي في طاعة خارويه ودمشق .

وجاء أبو العباس بن الموفق وهو المعتضد من بغداد بالمساكر فكبس شيزر وقتل من جند ابن طولون مقتلة عظيمة ولحق فلهم بدمشق وأبو العباس في أتباعهم، فجعلوا عنها وملكها في شعبان سنة احدى وسبعين . ورجعت عساكر خارويه الى الرملة فأقاموا بها وزحف اسحاق بن كنداج الى الرقة وعليها وعلى الثغور والمواضع ابن دعاص من قبل خارويه، فقاتله وكان الظهور لاسحاق . ثم زحف أبو العباس المعتضد من دمشق الى الرملة، وسار خارويه من مصر واجتمع بمساركه في الرملة على ماء الطواحين . وكان المعتضد قد استفسد لابن كنداج وابن أبي الساج ونسبهما الى الجبن في انتظارهما إياه في عاربة خارويه .

وعقب المعتضد عساكره ولقي خارويه وقد أكن له فانهزم خارويه أولاً وملك المعتضد خيامه، وشيّل أصحابه بالنهب فخرج عليهم الكمين فانهزم المعتضد الى دمشق، فلم يفتح له أهلها، فراح الى طرسوس وأقام المسكران يقتتلان دون أمير، وأقام أصحاب خارويه عليهم أخاه سعداً مكانه، وذهبوا الى الشام فلكوه أجمع وأذهبوا منه دعوة الموفق وابنه . وبلغ الخبر الى خارويه

فُسرَّ وأطلق الأسرى الذين كانوا معه . ثم سار أهل طرسوس بأبي العباس فأخرجوه، وسار إلى بغداد وولوا عليهم مازيار فاستبد بها . ثم دعا لخارويه بعد أن وصله بمال جليل يقال انفذ إليه ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحاً كثيراً فدعا له ثم بعث إليه بخمسين ألف دينار .

وفاته صاحب طبرستان وولاية أخيه

ثم توفّي الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان في رجب سنة سبعين لمشرى سنة من ولايته، وولي مكانه أخوه وكان على قزوین أتكوتكين، فسار إلى الري في أربعة آلاف فارس، وسار إليه محمد بن زيد في عالم كثير من الديلم والحراسانية، والتقوا فانهزم محمد بن زيد وقُتل من عسكره نحو من ستة آلاف وأسر ألفان، وغنم أتكوتكين عسكراً وملك الري وأغرم أهلها مائة ألف دينار، وفرّق عُماله عليها . وسار محمد بن زيد إلى جرجان، ثم عزل عمرو بن الليث عن خراسان، وولى عليها محمد بن طاهر، واستخلف محمد بن رافع بن هرثمة، وسار سنة خمس وسبعين إلى جرجان، وهرب عنها ليلاً إلى استراباد فحاصره رافع فيها سنتين حتى أجده الحصار ففر عنها ليلاً إلى سارية، فاتبعه فهرب عن طبرستان سنة سبع وسبعين واستأمن رستم بن قارين إلى رافع بطبرستان فأمنه، وبعث إلى سالوس محمد بن هارون نائباً عنه وأناه بها علي بن صكاني مستأناً . ثم جاءه محمد وحاصرها بسالوس،

وانقطعت اخبارهما عن نافع . ثم جاءه الخبر بمحصارهما فصار اليهما ،
فارتحل محمد بن زيد الى ارض الديلم فدخل رافع خلفه وأثنى
فيها نهياً وتحريضاً الى حدود قزوين ، وعاد الى الري الى أن توفي
المعتمد سنة تسع وتسعين .

فتنة ابن كنداج وابن أبي الساج وابن طولون

كان ابن أبي الساج في أعماله بقتسرين والفُرات والرحبة ينافسُ
اسحاق وهو على الجزيرة ، ويريد التقدم عليه ، فحدثت لذلك
منها فتنة . فخطب ابن أبي الساج لخمّارويه بن طولون . وبعث
ابنه ديوداد رهينة اليه فبعث اليه خمّارويه أموالاً جمة وسار الى
الشام واجتمع بابن أبي الساج ببالس . ثم عبر ابن أبي الساج
الفُرات الى الرقة وهزم اسحاق بن كنداج واستولى على أعماله ،
وعبر خمّارويه ونزل الرقة . ومضى اسحاق الى قلعه ماردین وحاصره
ابن أبي الساج بها ، ثم أفرج عنها وسار الى سنجار لقتال بعض
الاعراب ، فسار ابن كنداج من ماردین الى الموصل ، فاعترضه
ابن أبي الساج وهزمه ، فعاد الى ماردین . واستولى ابن أبي
الساج على الجزيرة والموصل ، وخطب فيها لخمّارويه ثم لنفسه بعده ،
وبعث غلامه فتحاً الى أعمال الموصل لجباية الخراج .

وكان اليعقوبيّ من السراق قريباً منه فهاذهم ، ثم غدر بهم
فكبسهم ، وجاءهم أصحابهم من غير شعور بالواقعة ، فحملوا على
أصحاب فتح فاستلحموهم . ثم انتفض ابن أبي الساج واستبج

عسكره . وكان له بمحض خلف من أثقاله ، فقدم خمارويه طائفة من العسكر اليها فاستولوا على ما فيها ومنعوا ابن أبي الساج من دخولها ، فسار الى حلب ثم الى الرقة وخمارويه في أتباعه ، فمير الفرات الى الموصل . وجاء خمارويه الى بلد وأقام بها ، وسار ابن أبي الساج الى الحديثة . وكان اسحاق بن كنداج قد لحق بخمارويه من ماردن ، فبعث معه جيشاً وجاعة من القواد ، وسار في طلب ابن أبي الساج ، وقد عبر دجلة ، فجمع ابن كنداج السفن ليوطى جسرًا للعبور :

وبينما هو في ذلك أسرى ابن أبي الساج من تكريت الى الموصل ، فوصلها الرابعة ، وسار ابن كنداج في أتباعه . فاقتتلوا بظاهر الموصل وابن أبي الساج في ألفين ، فصبر واشتد القتال ، وانهمز ابن كنداج وهو في عشرين ألفاً . فخلص الى الرقة ومحمد ابن أبي الساج في أتباعه . وكتب الى الموفق يستأذنه في عبور الفرات إلى بلاد خمارويه بالشام ، فأمره بالتوقف الى وصول المدد من عنده ، ومضى بن كنداج الى خمارويه فجاء يبيوشه الى الفرات ، وتوافق مع ابن أبي الساج والفرات بينهما . ثم عبرت طائفة من عسكر ابن كنداج فأوقعوا بطائفة من عسكر ابن أبي الساج فانهزموا الى الرقة فسار ابن أبي الساج عن الرقة الى بغداد سنة ست وسبعين في ربيع منها ، فأكرمه الموفق ووصله واستولى ابن كنداج على ديار ربيعة من أعمال الجزيرة ، وأقام بها وولى الموفق

محمد بن أبي الساج على أذربيجان ، فسار إليها فخرج إليه عبد الله ابن الحسين الهمداني عامل مراغة ليصده فهزمه ابن أبي الساج فحاصره وأخذ منه مراغة سنة ثمان وسبعين وقتله ، واستقر ابن أبي الساج في عمله بأذربيجان .

أخبار عمرو بن الليث

كان عمرو بن الليث بعد مهلك أخيه يعقوب قد ولاء الموفق خراسان وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد ، كما كان أخوه ، وقد ذكرنا ذلك قبل . وكان عامله على فارس ابن الليث فانتقض عليه سنة ثمان وستين ، فسار عمرو لحربه فهزمه واستباح عسكره ونهب اصطخر ثم ظفرت جيوشه بمحمد وأسره وجبسه بكرمان ، فأقام بها ثم بعث إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف وهو بأصبهان يطلبه بالمال . فبعث إليه بالاموال ، وبعث عمرو إلى الموفق بثلاثمائة ألف دينار ، وبخمسين مئاً من المسك ومثلها من العنبر ومائتين من العود ، وثلاثمائة ثوب من الوشي ومن آنية الذهب والفضة والدواب والفلان قيمة مائة ألف دينار . واستأذنه في غزو محمد بن عبيد الكُردي رامهرمز فأذن له فبعث قائداً من جيشه إليه فأسره وجاء به إلى عمرو .

ثم عزل المعتمد سنة إحدى وستين عمرو بن الليث عما كان قلده من الاعمال وأدخل إليه الحاج من أهلها عند منصرفهم من مكة فأعلمهم بعزله ، وأنه قد ولي على خراسان محمد بن طاهر ، وأمر

بلعن عمرو على المنابر . وجهز مُجَلِّد بن صاعد الى فارسَ لحرب عمرو، واستخلف محمد بن طاهر على خراسان رافع بن هَرَمَّة . وكتب المعتمدُ الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف يأمره بقتاله، وبعث اليه الجيوش فاقتتلوا مع عمرو، وكان في خمسة عشر ألف مُقاتل، فانهزم عمرو وخرج قائده الديلمي، وقتل مائة من أعيانهم وأسر ثلاثة آلاف، فاستأمن منهم وغنموا من عسكره ما لا يحصى . ثم زحف الموفق سنة أربع وسبعين الى فارس لحرب عمرو فأنفذ عمرو ابنه محمداً الى أَرْجَان في العساكر، وعلى مقدّمته أبو طلحة ابن شركب وعباس بن اسحاق الى سيراف، واستأمن أبو طلحة الى الموفق فقتل ذلك في عَصْدِ عمرو، وعاد الى كَرْمان واستراب الموفق بأبي طلحة فقبض عليه قريباً من شيراز، وجعل ماله لابنه أبي العباس المعتضد، وسار في طلب عمرو فخرج من كرمان الى سجستان . ومات ابنه محمد بالمفازة، ورجع عنه الموفق، وسار رافع بن الليث من خراسان، وغلب محمد بن زَيْدِ علي طَبَرَسْتَان كما قدّمناه، وقِيم عليه هنالك عليُّ بن الليث هو وابنائه المعدل والليث (بن حسن أخيه علي) ^(١) بكرمان، ثم قتله رافع سنة ثمان وستين .

(١) كذا بالأصل وفي هذه العبارة تشويش، ربما سقط أثناء النسخ أو الطبع كلمة أو فقرة. ولم نجد إلى تصحيح هذه العبارة سبيلاً فيما لدينا من المراجع.

سير الموفق الى أصبهان والجل

كان كاتب أنكوتكين أنهى الى المتضد أن له مالا عظيماً ببلاد
الجل، فتوجه لذلك فلم يجد شيئاً . ثم سار الى الكرخ ثم الى
أصبهان يريد أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، فتنحى أحمد عن
البلد بعسكره، وترك داره بفرشها لتزل الموفق عند قدومه، ثم
رجع الموفق الى بغداد .

قبض الموفق على ابنه أبي العباس المتضد

ثم وفاته وقيام ابنه أبي العباس بالهر بعد

كان الموفق بعد رجوعه من أصبهان زل وإيطة، ثم عاد الى
بغداد، وترك المتضد بالمداين، وأمر ابنه أبا العباس وهو المتضد
بالمسير الى بعض الوجوه فأبى فأمر بجسده واكل به . وركب
القواد من أصحابه واضطربت بغداد فركب الموفق الى الميدان
وسكن الناس وقال : إني احتجت الى تقويم ابني فقومته فانصرف
الناس، وذلك سنة ست وسبعين . وكان عند منصرفه من الجبل
قد اشتد به وجع النقرس، ولم يقدر على الركوب فكان يُحْمَلُ في
المحفة، ووصل الى داره في صفر من سنة سبع، وطال مرضه وبعث
كاتبه أبا الصقر بن بلبل الى الميدان، فجاء بالمتضد وأولاده وأثله
بداره، ولم يأت دار الموفق، فأوتاب الاولياء لذلك، وعمد غلمان
أبي العباس فكسروا الاقفال المعلقة عليه، وأخرجوه وأقعدوه عند
رأس أبيه وهو يجود بنفسه، فلما فتح عينه قرّبه وأدناه وجمع أبو

الصقر عنده القواد والجنـد .

ثم تسامع الناس أن الموفق حي فتسللوا عن أبي الصقر وأولهم محمد بن أبي الساج فلم يَسْغَ أبا الصقر الا الحضور بدار الموفق، فحضر هو وابنه وأشاع أعداء أبي الصقر انه هرب بآل الموفق الى المعتد، فتهبوا داره، وأخرجت نساؤه حفاة عُرَاة، ونُهَبَ ما يحاوره من الدور، وفتقت السجون، ثم خلع الموفقُ على ابنه أبي العباس وأبي الصقر، وركب الى منزلها وولى أبو العباس غلامه بدار الشرطة . ثم مات لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ودُفِنَ بالرُصافة، واجتمع القواد فبايعوا ابنه أبا العباس المعتضد بالله، واجتمع عليه أصحاب أبيه ثم قبض المعتضد على أبي الصقر ابن بلبل وأصحابه، وانتهبت منازلهم، وولى عبدالله بن سليمان ابن وهب الوزادة، وبعث محمد بن أبي الساج الى واسط ليرد غلامه وصيفاً الى بغداد فأبى وصيف وسار الى السوس فأقام بها .

القرمطة

ابتداء أمر القرامطة

كان ابتداء أمرهم فيما زعموا أن رجلاً ظهر بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين يتسم بالزهد، وكان يدعى قُرْمُط يقال لركوبه على ثور كان صاحبه يدعى كَرْمِيْطَة فُرَبِّ، وقيل بل اسمه حمدان ولقبه قرمط . يقال وزعم أنه داعية لاهل البيت

لِلْمُنْتَظَرِ مِنْهُمْ . وَاتَّبَعَهُ الْعَبَّاسُ فَقَبِضَ عَلَيْهِ الْهَيْصَمَ عَامِلَ الْكُوفَةِ وَجَبَسَهُ، فَقَرَّ مِنْ جَبَسِهِ وَزَعَمَ أَنَّ الْإِغْلَاقَ لَا يَمْنَعُهُ . ثُمَّ زَعَمَ أَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَجَاءَ بِكِتَابٍ تَنَاوَلَهُ الْقَرَامِطَةُ، فِيهِ بَعْدَ الْبِسْمَةِ : يَقُولُ الْفَرَحُ بْنُ عُثْمَانَ مِنْ قَرْيَةِ نَصْرَانَةَ أَنَّهُ دَاعِيَةُ الْمَسِيحِ وَهُوَ عَيْسَى، وَهُوَ الْكَلِمَةُ، وَهُوَ الْمَهْدِيُّ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، وَهُوَ جَبْرِيلُ . وَأَنَّ الْمَسِيحَ تَصَوَّرَ لَهُ فِي جِسْمِ إِنْسَانٍ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ الدَّاعِيَةُ وَإِنَّكَ الْحُجَّةُ وَإِنَّكَ النَّاقَةُ وَإِنَّكَ الدَّابَّةُ وَإِنَّكَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا وَإِنَّكَ رُوحَ الْقُدُسِ وَعَرَفَهُ أَنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَرَكَعَتَانِ قَبْلَ غُرُوبِهَا، وَأَنَّ الْأَذَانَ بِالتَّكْبِيرِ فِي افْتِتَاحِهِ، وَشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ شَهَادَةُ بِالرَّسَالَةِ لِأَدَمَ ثُمَّ نُوحَ ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ عَيْسَى ثُمَّ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ وَيَقْرَأُ الْاسْتِفْتَاحَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَهُوَ مِنَ الْمَنْزِلِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ، وَالْقُبْلَةَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَالْجُمُعَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْءٌ .

وَالسُّورَةُ الَّتِي تُقْرَأُ فِيهَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ بِكَلِمَتِهِ وَتَعَالَى بِاسْمِهِ الْمُنْجِدِ لِأَوْلِيَائِهِ بِأَوْلِيَائِهِ، قُلْ إِنَّ الْإِلَهَةَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ ظَاهِرُهَا لِيُعْلَمَ عَدَدُ السَّنِينَ وَالْحِسَابِ وَالشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ، وَبَاطِنُهَا أَوْلِيَائِي الَّذِينَ عَرَفُوا عِبَادِي سَبِيلِي، اتَّقُونِي يَا أُولَى الْأَلْبَابِ، وَأَنَا الَّذِي لَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَأَنَا الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَأَنَا الَّذِي أَبْلُو عِبَادِي وَأَمْتَحِنُ خَلْقِي، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى بَلَائِي وَخَشِيَ وَخَتَّيَ وَخَتَّيَ أَلْقَيْتُهُ فِي جَنَّتِي وَفِي نِعْمَتِي،

ومن زال عن أمري وكذب دُسلي اخلدته مُهاناً في عذابي وأتممت
أجلي وأظهرت على ألسنة دُسلي . فأنا الذي لم يعلُ جبارٌ إلا وضعته
وأذلته، فبئس الذي أصرت على امره، ودام على جهالته .

وقال: لن نَبْرَحَ عليه عاكفينَ وبه موقنين أولئك هم الكافرون.
ثم يركع ويقول في ركوعه مرتين : سبحان ربّي ورب العِزة وتعالى
عما يَصِفُ الظالمون، وفي سجوده : الله اعلى مرتين، الله اعظم مرة،
والصوم مشروع يوم المهرجَان والتبرُّوز . والنبيذ حرام ، والحمر
حلال، والنُسْل من الجنابة كالوضوء . ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو
مخالب . ومن خالفهم وحارب وجب قتله، وان لم يحارب أخذت
منه الجزية انتهى . الى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم
بعضها بعضاً وتشهد عليهم بالكذب . وهذا الفرَحُ بن يحيى الذي
ذكر هذا أول الكتاب أنه داعيةُ القَرَامِطَةِ يُلقب عندهم ذِكْرَوْنِه
ابن مَهْرَوْنِه . ويقال : ان ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل
صاحب الزنج وإنه سار اليه على الامان وقال له : ان ورائي مائة
سيف، فتعال نتناظر فلعلنا نتفق ونتعاون . ثم تناظرا فاختلفا
وانصرف قُرْمَط عنه، وكان يسمي نفسه القائم بالحق . وزعم
بعض الناس أنه كان يرى رأي الازارِقَةِ من الخوارج .

فتنة طرسوس

قد تقدّم لنا انتقاض بازمان بطرسوس على مولاه أحمد بن
طولون، وأنه حاصره فامتنع عليه، وأنه راجع بعد طاعة ابنه

تَخَارَوِيهَ مِمَّا حَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْتَةِ وَالسَّلَاحِ، فَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ بِطَرَسُوسَ مِلَّةً، وَغَزَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ بِالصَّائِفَةِ مَعَ أَحْمَدَ الْجَنْفِيِّ وَحَاصَرُوا أَسْكَنْدَا فَأَصِيبَ بِمَجَرٍ مَنَجْنِيقٍ، فَرَجَعَ وَهَلَكَ فِي طَرِيقِهِ، وَذَفِنَ بِطَرَسُوسَ. وَكَانَ اسْتَخْلَفَ ابْنُ عَجِيفٍ فَأَقْرَهُ خَمَارُويَه وَأَمَدَهُ بِالْحَيْلِ وَالسَّلَاحِ وَالْمَالِ. ثُمَّ عَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمَا ابْنَ عَمَتِهِ ابْنَ مُحَمَّدٍ بَنِ مُوسَى بَنِ طَوْلُونٍ. وَلَمَّا تَوَفَّى الْمُوَفَّقُ نَزَعَ خَادِمٌ مِنْ خَوَاصِهِ اسْمَهُ رَاغِبٌ إِلَى الشَّكِّ، وَطَلَبَ الْقَامَ بِالْقَتْلِ لِلْجِهَادِ فَأَذِنَ لَهُ الْمُتَضِيدُ، فَسَارَ إِلَى طَرَسُوسَ وَحَطَّ أَثْقَالَهُ بِهَا وَسَارَ إِلَى لِقَاءِ خَمَارُويَه بِدِمَشْقٍ فَأَكْرَمَهُ وَاسْتَجْلَبَ أَنْفُسَهُ فَطَالَ مُقَامُهُ وَأَلْهَمَ أَصْحَابَهُ بِطَرَسُوسَ أَنَّهُ قَبِضَ عَلَيْهِ، فَأَوْصُوا أَهْلَ الْبَلَدِ فِي ذَلِكَ فَوَثَبُوا بِأَمِيرِهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى حَتَّى يُطْلِقَ لَهُمْ رَاغِبٌ، وَبَلَغَ الْخَبْرَ إِلَى خَمَارُويَه فَأَطْلَقَهُ فَجَاءَ إِلَيْهِمْ وَوَبَّجَهُمْ عَلَى فُلِهِمْ، فَأَطْلَقُوا مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى، وَسَارَ عَنْهُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَعَادُوا ابْنَ عَجِيفٍ إِلَى وِلَايَتِهِ.

فتنة أهل الموصل مع الخوارج

قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ هَارُونَ بْنَ سُلَيْمَانَ كَانَ عَلَى الشَّرَاقِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَكَانَ بَنُو شَيْبَانَ يِقَاتِلُونَهُمْ وَيَغِيرُونَ عَلَى الْمَوْصِلِ. فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ جَاءَ بَنُو شَيْبَانَ لِذَلِكَ وَأَغَارُوا عَلَى سُورَى وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، فَاجْتَمَعَ هَارُونُ الشَّارِبِيِّ فِي الْخَوَارِجِ، وَخَدَّانُ بْنُ خَدَّوْنِ الثُّعَلِيِّ عَلَى مَدَافِعَتِهِمْ. وَكَانَ مَعَ بَنِي شَيْبَانَ هَارُونُ بْنُ سَيَا مَوْلَى أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى بْنِ الشَّيْخِ الشَّيْبَانِيِّ بَعَثَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ كِنْدَاجِقٍ

والياً على الموصل عندما مات أبوه اسحاق، وولى مكانه على أعماله بالموصل وديار ربيعة فلم يَرْضَهُ أهل الموصل وطرده، فسار الى بني شيبان مُسْتَنْجِداً بهم، فلما التقى الجمعان انهزم بنو شيبان أولاً، واشتغل أصحاب حمدان والحوارج بالنهب، فكرّ عليهم بنو شيبان وظفروا بهم . وكتب هارونُ بن سِيا الى محمد بن اسحاق بن كِنْدَجَقٍ يستمده، فسار بنفسه وَخَشِيَهُ أهل الموصل، فسار بعضهم الى بغداد يطلبون عاملاً يكفيهم أمر ابن كِنْدَجَقٍ ومروا في طريقهم بمحمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق فآلقوه وقد وصل اليه بولاية العهد بالموصل فبادر ملكها، وتواتق ابن كنداجق في مكانه وبعث الى خارويه بالهدية، ويسأل إمارة الموصل كما كان من قبل، فلم يجبه الى ذلك، ثم عزل المجروح وولى بعده علي بن داود الكردي .

الصَّوَائِفُ

الصَّوَائِفُ أَيْلِمُ الْمُعْتَمِدِ

وصل الخبر في سنة سبع وخمسين بأن ملك الروم بِالْمُسْتَظْطِيفِيَّةِ ميخائيل بن روفيل وثب عليه قريبه مسك، ويعرف بِالصِّقْلِيِّ، فقتله لاربع وعشرين سنةً من ملكه، وملك مكانه . وفي سنة تسع وخمسين خرجت عساكر الروم فنازلوا سَمِيساطَ، ثم نازلوا مليطة، وقاتلهم أهلها فانهزموا، وقتل بطريقٌ من بطاريقيهم . وفي

سنة ثلاثٍ وستين استولى الروم على قلعة الصقاليبة، وكانت ثغراً لطرسوس وتسمى قلعة كزكزة فرد المتعمد ولاية ثغر طرسوس لابن طولون . وكان أحمد بن طولون قد خطب ولايتها من الموفق يريد أن يجعلها ركاباً لجهاده لخبرته بأحوالها . وكان يردّد الغزو من طرسوس الى بلاد الروم قبل ولاية مصر فلم يحبه الموفق، وولى عليها الموفق محمد بن هارون الثعلبي، واعترضه السراة^(١) أصحاب مساور وهو مسافر في دجلة فقتلوه، فولى مكانه أما جور ابن أولغ بن طرخان من الترك، فسار اليها وكان غيراً جاهلاً فأساء السيرة ومنع أقران أهل كزكزة ميرتهم، وكتبوا الى أهل طرسوس يشكون فجمعوا لهم خمسة عشر ألف دينار، فأخذها أماجور لنفسه، وأبطأ على أهل القلعة شأنها . ففزّلوا عنها وأعطوها الروم، وكثر أسف أهل طرسوس لذلك بما كانت ثغرهم وعيناً لهم على العدو وبلغ ذلك المتعمد فكتب لأحمد بن طولون بولايتها وفوض اليهم أمر الثغور، فوليها واستعمل فيها من يحفظ الثغر ويقيم الجهاد وقارن ذلك وفاة أماجور عامل دمشق، وملك ابن طولون الشام جميعها كما ذكرناه قبل .

وفي سنة أربع وستين غزا بالصائفة عبدالله بن رشيد بن كاؤس في أربعين ألفاً من أهل الثغور الشامية فأنخن فيهم وغنم ورجع . فلما رحل عن البديدون خرج عليه بطريق سلوقية وقره

(١) السراة، وهم السادة . وهو جمع شاذ . والأصح فيه سرورات . ولعلها الشراة وهم فئة من

الخوارج .

كوكب وحرسية وأحاطوا بالمسلمين، فاستمات المسلمون وابستلحهم الروم بالقتل، ونجا فلهم الى الثغر، وأسر عبدالله بن كاوس وحمل الى القُسْطَنْطِينِيَّة، وفي سنة خمس وستين خرج خمسة من بطارقة الروم الى أدنة فقتلوا واسروا والي الثغور أُوخرد فعزل عنها وأقام رابطاً . وبعث ملك الروم بعبدالله بن كاوس ومن معه من الاسرى الى أحمد بن طولون، وأهدى اليه عدة مصاحف .

وفي سنة ست وستين لقي اسطول المسلمين اسطول الروم عند صقلية فظفر الروم بهم ولحق من سلم منهم بصقلية، وفيها خرجت الروم على ديار ربيعة واستنفر الناس ففروا ولم يطبقوا دخول الدرب لشدة البرد فيها . وغزا عامل ابن طولون على الثغور الشاميّة في ثلثمائة من أهل طرسوس، واعترضهم اربعة آلاف من الروم من بلاد هِرَقْل فنال المسلمون منهم اعظم النّيل . وفي سنة ثمان وستين خرج ملك الروم . وفيها غزا بالصائفة خلفُ القرغانيّ عامل ابن طولون على الثغور الشاميّة فأئخن ورجع . وفي سنة سبعين زحف الروم في مائة الف ووزلوا قلبية على ستة اميال من طرسوس فخرج اليهم بازيار فهزمهم وقتل منهم سبعين الفاً وجماعة من البطارقة، وقتل مقدّمهم بطريق البطارقة، وغنم منهم سبع صلبان ذهباً وفضّة، وكان اعظمها مكلّلاً بالجواهر . وغنم خمسة عشر الف دابة، ومن السروج والسيوف مثل ذلك، واربع كراس من ذهب ومائتين من فضّة وعشرين علماً من الديباج وآنية كثيرة .

وفي سنة ثلاث وسبعين غزا بالصائفة بازيار وتوغل في ارض
الروم وقتل وغنم واسر وسبى وعاد الى طرسوس. وفي سنة ثمان
وسبعين دخل احمد الجعفي طرسوس وغزا مع بازيار بالصائفة
ونازلوا اسكندا فأصيب بازيار عليها بحجر منجنيق فرجع ومات
في طريقه ودُفِنَ بطرسوس.

الولايات في النواحي

الولايات بالنواحي أيام المعتز

كانت الفتنة قد ملأت نواحي الدولة من اطرافها وأوساطها،
واستولى بنو سامان على ما وراء النهر، والصفار على سجستان
وكرمان، وملك فارس من يد عمال الخليفة، وانتزع خراسان من
بني طاهر وكلهم مع ذلك يقيمون دعوة الخليفة. وغلب الحسن
ابن زيد على طبرستان وجرجان منازعاً بالدعوة ومحارباً بالديلم لابن
سامان والصفار. وعساكر الخليفة بأصبهان واستولى صاحب الزنج
على البصرة والأبلة الى واسط وكور دجلة منازعاً للدعوة ومُشاققاً،
واضرم تلك النواحي فتنة. ولم يزل الموفق في محاربتة حتى حسم
علته وقطع اثره واضطربت بلاد الموصل والجزيرة فتنةً بخوارج
السرّة^(١) وبالقرب من بني شيان وتغلب بالاكراذ، واستولى ابن
طولون على مصر والشام مقيماً لدعوة الخلافة العباسية وابن

(١) السرة ولعلها «السرّة» وهم جماعة معروفة من الخوارج.

الاعلأ بافريقية كذلك .

واما المغرب الاقصى والاندلس فاقطعا عن المملكة العباسية منذ ازمان كما قلنا، ولم يكن للمعتمد مدة خلافته كلها حكم ولا امر ونهي^١ انما كان مغلباً لآخيه الموفق وتحت استبداده، ولم يكن لها جميعاً كبير ولاية في النواحي باستيلاء من استولى عليها من ذكرناه الا بعض الاجناس، فلنذكر ما وصل الينا من هذه الولايات ايام المعتمد، فلأول ولايته استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وبمك جملان لحرب الزنج بالبصرة فكان امره معهم كما سر . ثم ولي عيسى ابن الشيخ من بني شيبان على دمشق، فاستأثر بها ومنع الخراج، وجاءه حسين الخادم من بغداد يطلب المال فاعتذر بأنه انفقه على الجند، فكتب له المعتمد عهداً في ارمينية ليقم بها دعوته ولقد اماجور دمشق واعمالها فصار اليها وانفذ عيسى بن الشيخ ابنه منصوراً لقتال اماجور في عشرين الفا فانهزموا وقتل منصور وسار عيسى الى ارمينية على طريق الساحل ودخل اماجور دمشق .

وفي سنة ست وخمسين سار موسى بن بغا لحرب مساوير الخارجي فلقه ساحة جائعين^(١) فنال الخوارج منهم . وفيها كان وثوب محمد بن واصل بن ابراهيم التميمي على الحرث بن سينا

(١) كذا بالأصل في هذه العبارة تشويش لم يمكن الاهتداء إلى تصويبها في المراجع التي بين

أيدينا .

عامل فارس، فقتله وغلب عليها كما مرّ. وفيها غلب الحسن بن زيد الطالبي على الريّ فسار إليها موسى بن بغا وغلب على عساكر الحسن، وظهر على ابن زيد بالكوفة وملكها، وبعث المعتمد لمحاربته كييجور التُّركي فخرج عنها إلى القاديّية، ثم إلى ختان، ثم إلى بلاد بني اسد. وغزاه كييجور من الكوفة فأوقع به وعاد إلى الكوفة، ثم إلى سرّ من رأى.

وفي سنة سبع وخمسين عقد المُعتمدُ لأخيه المُوفق على الكوفة والحرمين واليمن، ثم على بغداد والسواد إلى البصرة والاهواز، وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليامة والبحرين مكان سعيد الحاجب. وعقد يارجوج على ذلك لمنصور بن جعفر الحياط ونزل الاهواز. ثم عقد المعتمد حرب الزنج بالبصرة لأحمد ابن المولّد فسار إليها وقاتل الزنج. وكان بالبطائح سعيد بن أحمد الباهليّ متغلباً عليها فأخذه ابن المولّد وبعث به إلى سامرا. وفيها تغلب يعقوب الصفّار على فارس وبعض أعمال خراسان، وولاه المعتمد ما غلب عليها^(١)

وفيها غلب الحسن بن زيد على خراسان وانتقضت على ابن طاهر أعمال خراسان. وفيها اقتطع المعتمد مصر وأعمالها ليارجوج التُّركي فولّى عليها أحمد بن طولون ومات يارجوج لسنة بعدها،

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٦٣: وفي هذه السنة سار يعقوب بن الليث إلى فارس فأرسل إليه المعتمد ينكر ذلك عليه، فكتب إليه المُوفق بولاية بلخ، وطخارستان، ومسجستان والسند فقبل ذلك وعاد وسار إلى بلخ، وطخارستان.

فاستبد ابن طولون بها، وكان عبد العزيز بن أبي دلف على الري، فخرج عليها خوفاً من جيوش ابن زيد صاحب طبرستان، فبعث الحسن من قرابته القاسم بن علي بن القاسم، فأساء فيها السيرة . وفي سنة ثمان وخمسين قُتل منصور بن جعفر الحياط في حرب الزنج وولى يارجوج على أعمال منصور، فولى عليها اصطخور، وهلك في حرب الزنج، وعقد المعتمد للموفق على ديار مصر وقنسرين والعواصم . وبعثه لحرب الزنج ومعه مقلح، فهلك في تلك الحرب . وعقد المعتمد على الموصل والجزيرة لسرور البلخي فكانت بينه وبين مُساوِر الشيباني حروب، وكذلك بين الاكراد واليعقوبية وأوقع بهم كما مر، وفيها رجع أحمد بن واصل الى طاعة السلطان وسلم فارس للحسن بن الفياض . وفي سنة تسع وخمسين كان مهلك اصطخور بالاهواز، فأمر المعتمد موسى بن بغا بالمسير لحرب الزنج كما مر، وفيها ملك يعقوب العنقاوي خراسان وقبض على محمد ابن طاهر، وكان لمنكجور على الكوفة فسلم عنها الى سارابنير اذن وأمر بالرجوع فأبى، فبعث المعتمد عدة من القواد فلقوه بـعكبرا فقتلوه وحملوا رأسه .

وفيها غلب الحسن بن زيد على قَوْمَسَ وملكها وكانت وقعة بين محمد بن الفضل بن نيسان وبين دَهشودان بن حسان الدليبي فهزمه محمد . وفيها غلب شركب الحمال على مرو ونواحيها . وفي سنة ستين قام يعقوب بن الصفار على الحسن بن زيد فهزمه

وملك طبرستان كما مر، وأخرج اهل الموصل عاملهم انكوتكين ابن اساتكين، فبعث عليهم اساتكين اسحاق بن ايوب في عشرين ألفاً ومعه حمدان بن حمدون الثعلبي، فامتنع اهل الموصل منهم وولوا عليهم يحيى ابن سليمان، فاستولى عليها. وفيها قتلت الاعراب منكجور والي خص فولى بكتر. وولى على أذربيجان الرذيني عمر بن علي لما بلغه ان عاملها العلاء بن احمد الازدي فليج. فلما اتى الرذيني حاربه العلاء فانهزم وقتل، واستولى الرذيني على خلفه قريباً من ألفي الف وسبعمائة الف درهم.

وفيها سار علي بن زيد القائد بالكوفة الى صاحب الزنج فقتله.

وفي سنة احدى وستين عقد المعتمد لموسى بن بغا على الاهواز والبصرة والبحرين واليامة، مضافاً لما بيده. فولاها عبد الرحمن ابن مُفْلِح وبعثه لحرب ابن واصل، فهزمه ابن واصل وأسرته كما مر. ورأى موسى بن بغا اضطراب تلك الناحية فاستغنى منها ووليها أبو الساج ومَلِكُ الزنجِ الاهواز من يده، فصرف عن ولايتها، ووليها ابراهيم بن سيما وولي محمد بن أنس البلخي طريق خراسان. ثم جاء الصفار الى فارس فقلب عليها ابن واصل كما مر، فجهز المعتمد أخاه الموفق الى البصرة بعد أن ولاء المعتمد عهده بعد ابنه جعفر كما ذكرناه. وبعث الموفق ابنه أبا العباس لحرب الزنج فتقدماً بين يديه. وفيها فارق محمد بن زيد ولاية

يعقوب الصفّار، وسار ابن أبي الساج الى الاهواز، وطلب أن يوجه الحسين بن طاهر بن عبد الله بن طاهر الى خراسان، وفيها استبدّ نصر بن أحمد بن سامان بسمرقند وما وراء النهر، وولى أخاه اسماعيل بخارا وفيها ولى المعتد على الموصل الخضر بن أحمد ابن عمر بن الخطاب .

وفيها رجع الحسين بن زيد الى طبرستان وأخرج منها أصحاب الصفّار وأحرق سالوس لمالأة أهلها الصفّار وأقطع ضياعهم للدنيل وفيها نادى المعتد في حاج خراسان والري وطبرستان وجرجان بالكثير على ما فعله الصفّار في خراسان وابن طاهر، وأنه لم يكن عن أمره ولا ولاه . وفيها قتل مساور الشاري يحيى بن جعفر من ولاية خراسان فزار مسرور البلخي في طلبه والموفق من ورائه . وفي سنة اثنتين وستين كانت الحرب بين الموفق والصفّار، واستولى الزنج على البطيحة وديميسان وولى على الأهواز كما ذكرنا، وبعث مسرور البلخي أحمد بن ليتونة لحربهم كما مرّ. وفيها ثار أحمد بن عبد الله الحجستاني في خراسان بدعوة بني طاهر، وغلب عليها الصفّار الى أن قتل كما مرّ ذكره . وفيها وقعت مغاضبة بين الموفق وابن طولون فبعث اليه الموفق موسى بن بغا فأقام بالرقّة حوالياً، وعجز عن المسير لقلة الأموال، فرجع الى العراق. وفيها انصرف عامل الموصل وهو القطان صاحب مفلح، فقتله الاعراب بالبرية .

وفي سنة ثلاث وستين استولى الصفار على الأهواز، ومات
مساور الشاربي وهو قاصد لقاء العساكر السلطانية بالبواريج، فولى
الخوارج مكانه هارون بن عبدالله البلخي فاستولى على الموصل .
وفيها ظفر أصحاب الصفار بابن واصل . وفيها هزم ابن أوس من
طريق خراسان وعاد الى الموصل . وفيها ظفر أصحاب الصفار بابن
واصل وأسرده، ومات عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المعتد
فاستوزر مكانه الحسن بن مخلد، وكان موسى بن بنا غائباً في
غزو العرب، فلما قدم خافه الحسين وتقيب فاستوزر مكانه سليمان
ابن وهب . وفيها غلب أخو شريك الحمال على نيسابور، وخرج
عنها الحسين بن طاهر الى مرو، وبها خوارزم شاه يدعو لأخيه
محمد .

وفيها ملك الزنج مدينة واسط وقاتله " دونها محمد بن المولد،
فهزمه ودخلها واستباحها . وفيها قبض المعتد على وزيره سليمان
ابن وهب، وولى مكانه الحسن بن مخلد، وجاء الموفق مع عبدالله
ابن سليمان شفيماً فلم يشفعه، فتحول الى الجانب الغربي مغاضباً
واختلفت الرسل بينه وبين المعتد وكان مع الموفق مسرور كيقلع
وأحمد بن موسى بن بنا . ثم أطلق سليمان ودعا الى الجوسق وهرب
محمد بن صالح بن شيرزاده والقواد الذين كانوا بسائراً مع المعتد

(١) كذا بالأصل، والأصح: قاتلهم دونها محمد بن المولد فهزهم. أو سقطت أثناء النسخ
كلمة صاحب: فتصبح العبارة: وفيها ملك صاحب الزنج مدينة واسط، فتستقيم العبارة عندئذ.

خوفاً من الموفق، فوصلوا الى الموصل . وكتب الموفق لاحد ابن أبي الاصبح في قبض أموالهم . وفيها مات أماجور عامل دمشق، وملك ابن طولون الشام وطرسوس، وقتل عاملها سياً .

وفي سنة خمس وستين ولي مسرور البلخي على الاهواز وهزم الزنج . وفيها مات يعقوب الصفار وقام بأمره أخوه عمر، ولاء الموفق مكان أخيه بخراسان وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد . وفيها وثب القاسم بن مهان بدلف بن عبد العزيز ابن أبي دلف بأصبهان فقتله، فوثب جماعة من أصحاب دلف بالقاسم فقتلوه، فولى أصبهان أحمد بن عبد العزيز أخو دلف . وفيها لحق محمد بن المولد بيعقوب الصفار وقبضت أمواله وعقاره ببغداد . وفيها حبس الموفق سليمان بن وهب وابنه عبدالله وصادروها على تسعمائة ألف دينار . وفيها ذهب موسى بن أتامش واسحاق بن كنداجق والفضل بن موسى بن بغا مُغاضيين . وبعث الموفق في أثرهم صاعد بن مخلد فردّهم من صرصر .

وفيها استوزر الموفق أبا الصقر اسماعيل بن بلبل . وفي سنة ست وستين ملك الزنج رَامَهْرُزُ وغلب أساتكين على الري وأخرج عنها عاملها فُطِّلَتْ . ثم مضى الى قزوین وبها أخوه كينلغ، فصالحه وملكها . وفيها ولي علي بن الليث على الشرطة ببغداد عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، وعلي أصبهان احمد بن عبد العزيز

ابن ابي دلف، وعلى الحرّمين وطريق مكة محمد بن ابي الساج .
 وولى الموفق على الجزيرة احمد بن موسى بن بقاء، فولّى من قبله
 على ديار ربيعة موسى بن اتمامش، فغضب لذلك اسحاق بن كنداجق،
 وفارق عسكر موسى، وسار الى بلد ووقع بالاتراك اليعقوبية .
 ثم لقي ابن مساور الخارجي فقاتله . وسار الى الموصل وطلب من
 اهلها المال، وخرج عليّ ابن داود لقتاله مع اسحاق بن ايوب وحمدان
 ابن حمدون وكانت بينهم حروب، اخرها المعتمد وعقد لاسحاق بن
 كنداجق على الموصل، وقد مرّ ذلك من قبل .

وفيهما قتل اهلُ يَخصَ عاملها عيسى الكرخي . وفيها كانت
 بين لؤلؤ غلام ابن طولون وبين موسى بن اتمامش وقعة برأس
 عين وأسر لؤلؤ وبعث به الى الرقة . ثم لقيه أحمد بن موسى
 فاقتلوا، وغلب احمد أولاً، ثم كرّ لؤلؤ فغلبهم وانتهوا الى قرقيسيا،
 ثم ساروا الى بغداد وساراً . وفيها وقع أحمد بن عبد العزيز
 ببيكتم فانهزم ولحق ببغداد، وأوقع الحُجّستانيّ بالحسن بن زيد
 يجرجان فلحق بآمد، وملك الحُجّستانيّ جرجان وأقطعه من طبرستان،
 واستخلف على سارية الحسن بن محمد بن جعفر بن عبدالله العقيقي
 ابن حسين الاصفر بن زين العابدين . فلما انهزم الحسن بن زيد
 أظهر الحسن بن محمد أنه قتل ودعا لنفسه، وحارب الحسن بن
 زيد فظفر به وقتله .

وفيهما ملك الحُجّستانيّ نيسابور من يد عامل ابن عمرو بن

الليث، وفيها في صفر زحف الموفق لقتال صاحب الزنج فلم يزل يحاصره حتى اقتحم عليه مدينته وقتله منتصف سنة سبعين . وفيها كانت الحرب بالمدينة بين بني حسن وبني جعفر . وفي سنة سبع وستين كانت الفتنة بالموصل بين الخوارج . وفيها حبس السلطان محمد بن عبدالله بن طاهر وجماعة من بيته اتهمه عمرو بن الليث بمالأة الحُجستاني والحسين بن طاهر أخيه، فكتب الى المعتمد وجبسه . وفيها كانت بين كيقلغ^(١) التركي وأحمد بن عبد العزيز ابن ابي دُلف، وانهزم أحمد وملك كيقلغ همذان، فزحف اليه أحمد بن عبد العزيز فهزمه وملك همذان، وسار كيقلغ الى الصحيرة . وفيها ازال الحُجستاني ذكر محمد بن طاهر من المناير ودعا لنفسه بعد المعتمد، وضرب السِكة باسمه، وجاء يريد العراق فانتهى الى الري، ثم رجع . وفيها اوقع أصحاب ابي الساج بالمهيم العجلي صاحب الكوفة، وغنموا عسكره . وفيها اوقع ابو العباس بن الموفق بالاعراب الذين كانوا يجلبون الميرة بالزنج من بني تميم وغيرهم .

(١) اسمه في الكامل لابن الأثير: كيقلغ. ج ٦ ص ٤٠.